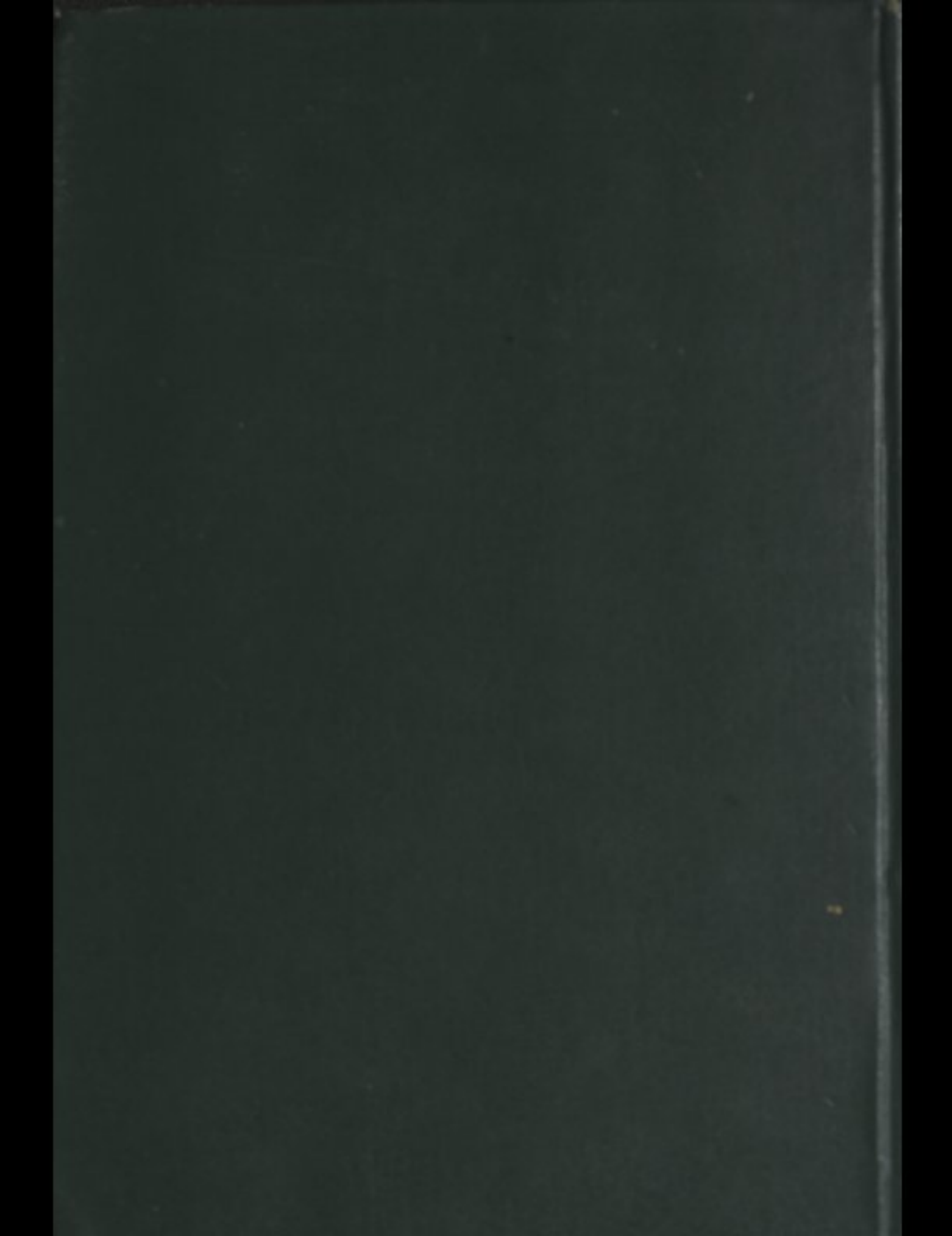
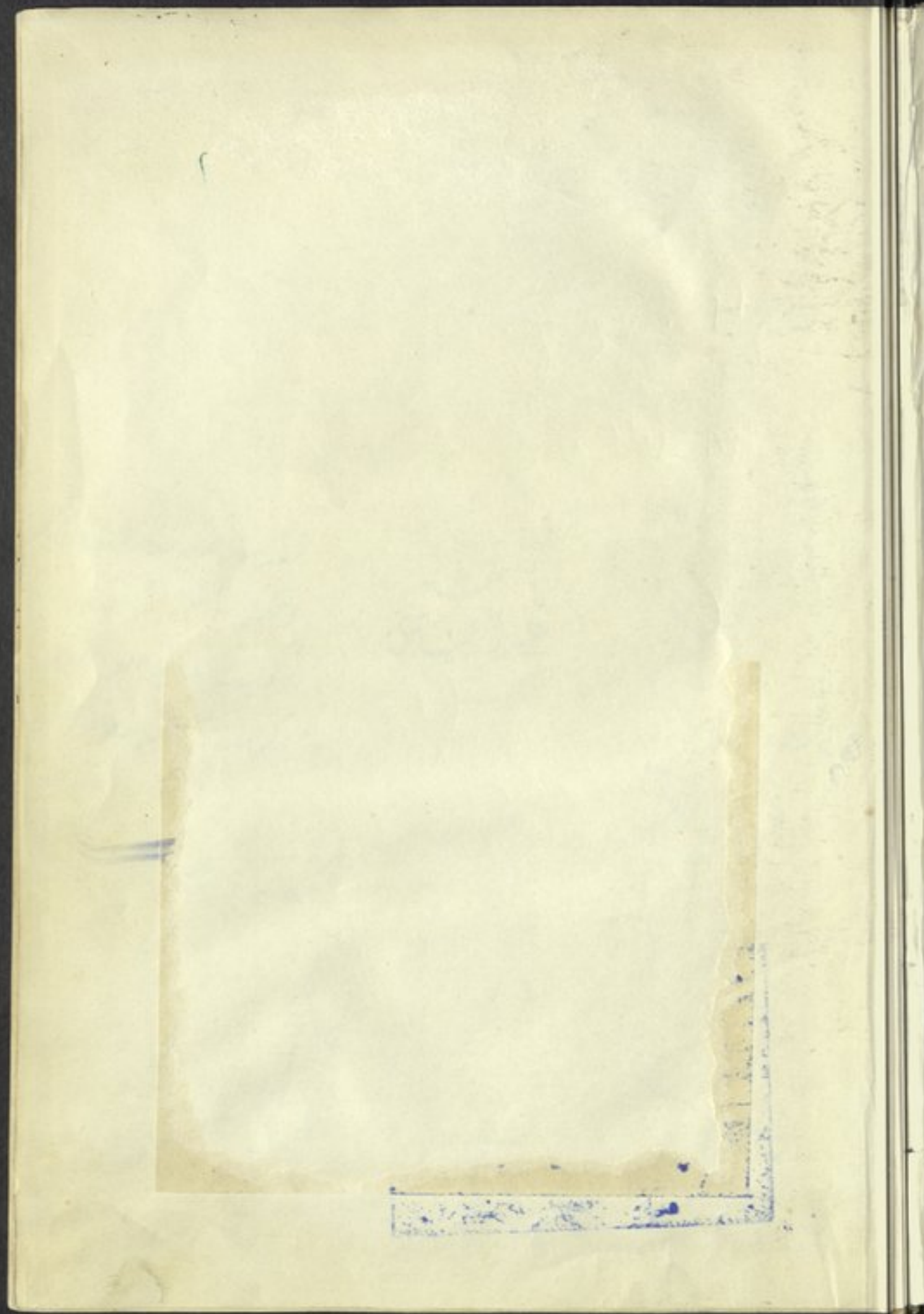




صحة: اخضر - املوك -

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧



- agnus sceleratus, 166, -

البيان

علمية
عيز الريح

تقدمه للصديق المتفضل
الكبير أخى الأستاذ
أديب حفظه الله للتقدم
والكرامات والوفاء على
ووجه
بول

براش / ١٩٥٥
٢٨

باسم
المعنى
منه
بصالح
الشمس
دافع الغروب

ألفا
البرق
صالح

الشيخ
أشركه
البرق

وحرر الفتن لكل آت فوس
سنة انا صيغة الفخار يرانا

لم نعد را به ال حال بشعب
و اشد من الاغصان بالرشوات
و عليه الشريف اهدا وخلقنا
دعوة دود لانت جعفر نانا
لم تخلف نانا و خلفت لينا
وخلقات شعرت نانا اللسانا

دودنا در صومال و نانا
قلبت انا لانا و لانا
الدينا نانا من صلب شعب
عمرات اجيم ستوت
لدينا الى الرحمن بالوصم ارضا
فاجبت ههنا في جباري -



892.78
S152mA

ملحمة

عبدالرشيد بن



بولس سلامة

جميع الحقوق محفوظة

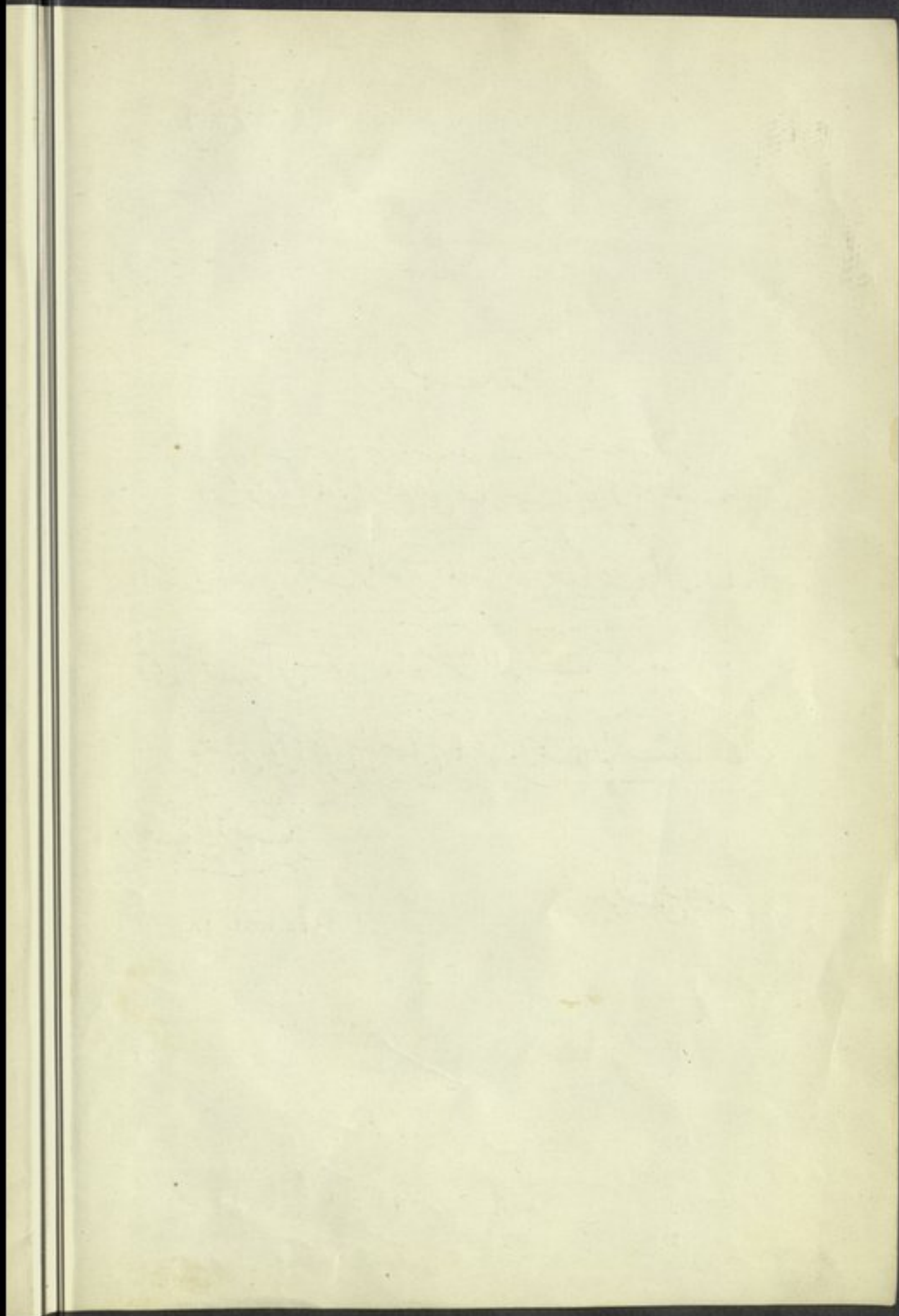


والله

أتشرف بأن أرفع إلى صاحب الجلالة المعظم
الملك سعود بن عبد العزيز الميامنة التي هو أحد أبطالها،
وهي ملجمة آل سعود، أو ملجمة العرب.
وبحسبي ثواباً أن يفضل صاحب الجلالة فيلقاها
بعين الرضا.

بوس سلامه

١٨ مارس ١٩٥٥



مقدمة

ما كنت أعرف من بطولة صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود، قبلما قبضه الله، سوى ما يعرف من عظمته سواد أدباء العرب، إذ يحدّثون، في المجالس الراقية، بشجاعة أسد الجزيرة، فيتداول السمار أنباء تقارب الأساطير، على أنها الواقع الذي لا ريب فيه .

فلما استفاقت أمة الضاد على النعي، وتأخت المآذن الكاسفة، والقباب الجازعة، في مآتم الشرق العربي، لمست في لبنان لهفة جاوزت معالم المجاملة، ومراسم السياسة، إلى الأسى والوجوم، كأن بين منابت العرار في نجد ومساقط الظلال في الأرز، مقدار ملعب الفارس أو أقل. وما كان هذا شأن الناس من قبل، في مثل هذه الحال، ذلك أن لكل ملك تاجاً، فاذا حم الأمر، وجاء الأجل، عصف الردى بتاج واحد، ولقد ذهب في يوم عبد العزيز بتيجان ثلاثة: ففجع البطولة، والعروبة، والمملك .

دخل ابن سعود في ذمة التاريخ فأيقظني لاطلاع تأريخه، بل تأريخ العرب الحديث، إذ لا بُدَّ لمن قصد مركز الدائرة من المرور بمحيطها،

فمن يَمَمَ قَنَّةُ الجبل تحتم عليه ان يحوز الوهاد والسفوح والربى . وما كنت بجاهل تأريخ العرب - وأنا صاحب ملحمة « عيد الغدير » - ولكن دائي الويل ، وقد تحلله من « العمليات » الجراحية اثنتان وعشرون ، فسمرتني على فراش الألم منذ ثلاث عشرة سنة ، صرفني الى شؤون شتى وحول قلبي الى مختلف الميادين ، فكنت أغمسه تارة بدمي فأسطر « مذكرات جريح » ، وأنقله طوراً الى صعيد الفلسفة فأنسج « حديث العشيّة » و « الصراع في الوجود » . وكان الشعر يراودني في هدنة الألم فأكرم وفادة صاحبي القديم ، بل أكرم نفسي لأنني ولدت شاعراً وشاعراً أموت .

ومما زادني رغبة في الوقوف على التأريخ السعودي حديث صديق لي^١ - على قلة الاصدقاء في زمن الجذب والإشتاء - عن مآثر ذلك البيت ومنها ما لم تدون الاقلام بعد .

ونشدت الكتب إشباعاً للشوق ، واستزادة من المعرفة ، فوقع في يدي كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين ، تأليف حافظ وهبه . فأنست به لانه أحيا في ذاكرتي رسيماً مما علق بها من طيوف الجزيرة وأمجادها الغابرة ، وفتح بصري على نبذة من تأريخ آل سعود ، وقد عايش المؤلف حقبة منه ، فكان مدوناً ثقة وشاهد عيان ، ووجيهاً مقرباً

١ هو السيد ناصر بن عمار بن القبيطي الحضرمي مدير المصرف السعودي بدمشق ، وقد صرف حقبة من الزمن في المملكة السعودية .

تمرس بالحوادث فأدرك منها أكثر من ظاهرها ، فلم يستوقفه الغدير الضحل فغلغل في اللجج .

وقرأت كتاباً آخر وضعه مؤلفه الأجنبي انطوان زيشكا (Zischka) باللغة الفرنسية عنوانه : ابن سعود ، وقد طبع ذلك المؤلف بباريس سنة ١٩٣٤ وهو أقرب الى البيان الأنيق والتغزل بالشرق ، منه الى التاريخ ، وقد يفيد منه الفرجة اشياء نعرفها نحن أبناء الشَّيْخ والعرعر لذلك لم أعتدّه إلا قليلاً .

وكان من باب التوفيق أن واحداً من أصحابي ذكر لي تاريخ «نجد الحديث» لأمين الريحاني . ومن حسن الاتفاق ان الكتاب قدّم اليّ في أول مايو سنة ١٩٥٤ ، اي في ميعه الربيع وعنفوانه ، عندنا في الجبل ، لا على سيف البحر الذي أجاوره ولا أرى من زرقته إلا انعكاسها على زجاج النافذة ، بل في عنفوان موسم الحسن على هام الرّبي حيث نشأت في ريف وريف ربّاً للرجس والأقحوان ، وشقيقاً لشقائق النعمان ، ونداً لدوالي الكرمه وأفنان اللّبان . فكان الله سبحانه حرمني ربيع الطبيعة ليبدلني منه ربيع الفكر ، فأطالع في السطور ، وفي ما خلفها ، نجداً وطيب العرار ووجه أمين صديقي ورفيقي الى المنابر ، يوم كنا نمشي اليها أو نمشي اليها .

١ هو الاديب البعقري الجبّار الناصر البراع الاستاذ خليل رامز سرقيش . وكانت الطبعة الأولى قد نفذت فقلت مشقة في الحصول على نسخة حملها الي الاستاذ الصديق أنيس حداد المحامي . ٢ اللّبان : الصنوبر .

وفي الكتاب من عَبَقَ الريحان أو الريحاني وظرفه، وحلو تهكّمه، ولطف مأخذه، شي كثير، على أنه التأريخ الوثيق الذي لا يرقى إليه الريب، فلقد طبع ثم أعيد طبعه، ولم يجرؤ واحد من الذين تناولهم المؤلف بالنقد والتجريح، شيمة الكاتب المخلص لقلمه، أن ينقض حرفاً مما أثبتته صاحب «ملوك العرب». فكان أمين، من هذه الجهة، أستاذاً في الشجاعة لمن جاء بعده ومعلماً للأقلام المبرّية على الحق، فما تداري ولا تماري. ولو لم يفعل، وجلاً أو حياء، لجاء كتابه سقطاً تتوالى فيه النتائج وتخفى مقدماتها وأسبابها.

ولعلّ عدوى الشجاعة — وما كان الأمين عمره جباناً — سرت إليه من أبي تركي، بطل الشرق العربي في العصور الأخيرة. ولعمري فإنّ القلم الذي يجري بذكره ليخضوضر فيخضب، أو يتلظى فيحمومر، فلا يدري حامله المرّم هو أم النصل، وما إن أتيت على كتاب الريحاني حتى اختلج القلم في بناني ففهمت أنه يريد الملحمة.

ويشهد الله أن روعي سايرت ابن سعود غير مرة فاصطلت بنار المعامع، ويا طالما حبست أنفاسي إذ كنت أراه يواجه الموت، ثم أطلقتها عبرة فرح لنجاته. ذلك أن الملحمة في دمي فأنا ابن أبي ربي في ريف جبلي فكان ذا قامّة جبارة كأنها قدّت من أدواحه، عريض ما بين

١ كنية الملك، وتركى ولده البكر توفاه الله يافعاً. ٢ في بندن اللش قرية تقع في قضاء جزين، من أعمال لبنان الجنوبي.

الكتفين كأعرض ألواح، ملتف الأجلاد التفاف جذوع لبانه أو
سنديانه، يشدّ يده على قضيب الحديد فيثنيه، له هيبة الأسد وقوة
الأسد، على جمال في الأسارير وطلاقة في المحيا. وقد كان رحمه الله
عصامياً سمحاً مضيافاً - على عادة اللبنانيين القدماء - ولوعاً بالسلاح الى
أبعد حدّ. ولقد ظلّ يضع رصاص مسدسه في قلب الهدف حتى بلغ
الثمانين أو كاد .

وهكذا فتحت عيني في البيت على زاوية يلتصع فيها السلاح، وعلى
زاوية أخرى تناثرت فيها بضعة كتب لا تمت الى العلم والبيان الأنيق
بكثير ولا بقليل، على انها حافلة بقصص البطولة، زاخرة بالأساطير
من مثل قصة عنتره، والوزير ابي ليلي المهلهل، وحمزة البهلوان وتغريبة
بني هلال وما جرى مجراها. وكان والدي يقرّها سواي في سمر الشتاء
حول الموقد الأحمر - لأنه كان على وفرة ذكائه أمياً - وهكذا
كان يلتقي الدم الذي يسفحه عنتره لون السنة اللهب وبصيص الجمرات
فتبلغ الحماسة أشدها في السامعين .

فلما خرجت من التهجئة الى القراءة الدارجة عهد الي في الكتب،
وأنا يومئذ في العاشرة من العمر، فلم أقتصر على القراءة وتجويد الشعر
المنحول - إلا أقله - بل كنت أشارك السامعين تعصّبهم لفارس
وازرأهم بآخر. وكان والدي، على إعجابه بدياب بن غانم « راعي

الخضراء» يتعصب لأبي زيد، محمولا على ذلك بجامع الاسم فأبو زيد أيضاً من آل سلامه^١.

ولا يخطرن ببال متعنت أو متحذلق أن يذهب في تأويل ميلي الى الملحمة مذهب الزاعمين أن المتنبي جعل وكده في وصف المعامع، وأخى بين صرير القلم وصليل السيف استجابة لمركب النقص فيه، وانه سد بالمرم فراغا فاته سده بالسيف الجراز، اذ لم يستله سوى مرتين في وجه عبيد حاولوا سلبه أو قتله.

وأعترف اني لم أشهر سلاحاً على غير الطرائد التي كنت أبغتها في وكناتها، والصبح لم يتفتق بعد عن آناف الجبال وشعابها، يوم كان الصيد نعيماً أرضياً لقاضٍ شاعر يفرّ في ايام العطلة من عنا النصوص ورزانة المنصة، الى بشاشة الغاب وابتسامة الأفق في السحر، ليمتع السمع والبصر والذوق جميعاً بالطبيعة، قصيدة الله البكر وعروس خيال عبيده الشعراء.

وأعترف اني لم أشهد وقعة تصهل فيها الخيول، وتشظى في عجاجها النصول على النصول، ولكني حييت معركة لم يشهدها بشري قبلي ألا وهي مأساتي الدامية التي لم تحفل بمثلها الأساطير، فضلاً عن التاريخ، فأنا القائل في قصيدي «ألم»:

١ مما لا ريب فيه ان عائلة سلامه استوطنت لبنان في القرن السابع عشر، وأن جدها قدم من عمان، وانه عربي الأصل ويرجع أنه من بني نعيم. وقد أخبرني الصديق السيد ناصر غاروش انه لا يزال في بني نعيم في حفر موت فعذ من آل سلامه الى يومنا هذا.

سالت على حَدِّ المَباضع مهجتي فشفارها مصبوغةٌ بدمائي
وتشابهتُ مني الجراح فأصبحت حُفراً تضلُّ بها جفون الرائي
وإِذِ تقطِّعه الكهوفُ كأنما جسمي الطعين مغاورٌ للداء
صُبحي أمرٌ من المساء فعيشتي موصولة الظلماء بالظلماء
أواه لو كان الرقاد يزورني لرضيت من دنياي بالانغفاء
لا يلتقي جفناي إلا خلسةً فكان بينهما قديم عدا
ألمي يشقُّ على الخيال لحاقه فيتيه بين البحر والصحراء
هو كلُّ آهات العصور تجمعت مرويةً بدماع الشهداء
قد كنت دمعاً في محاجر آدمٍ ويوم هاويل شهدتُ نثائي
لم تجر في لَهَب الخناجر غصّةً إلا عبرتُ بها مع اللاأواء
أيوب! ما أيوب ماذا خطبه هو قطرة وأنا خضمُّ بلا
فاذا مررت على الجريح تعوده فلقد أتيت مدافن الأحياء

ولمعترض أن يقول وأين البطولة في هذا كله، وإنما فرضت
«العمليات» على هذا الشقي فرضاً. أجل، وهو اعتراض وجيه يصح
في مريض جزوع هالوع، يغمى عليه من الخوف، قبل أن تدركه غيبوبة
التخدير، ولا يصدق في عليل واجه المنية باسمًا أكثر من خمس عشرة
مرة، وتبني ألمه المرّ كأنما هو داخل في إنسانيته، فكان يرصد مراحل
التخدير، وألم المبضع، ويرى اللحم المبتور، والعظم النشير كأنه يتفرج،
فهو المختبر والمختبر في آن واحد. ثم إن هذا العليل نشر في الناس
كتابه «مذكرات جريح» فأدرج فيه النوادر والمُلح إشفاقاً على شعور

القارئ. وطالما كان يشدُّ على نواجذه، في سورة الألم، حتى ليطحن بعضها بعضاً، فيربأ بجليسه أو قارئه أن يذرف من أجله دمعاً. فمن كان في شك من هذا فليسأل طبيبي الجراحي الأشهر، الدكتور جورج بدر، الذي سائر فصول هذه المأساة وبذل لي منذ ثلاث عشرة سنة إلى يومنا هذا من ضروب العناية ما لا يوصف. ولقد كانت يده الحاذقة تسيّر المبضع وكنت أنا الذي يستحثها.

...

صَحَّتْ عَزِيمَتِي عَلَى نَظْمِ مَلْحَمَةِ «عِيدِ الرِّيَاضِ» بَعْدَ مَلْحَمَةِ «عِيدِ الْغَدِيرِ». ومثل هذا الإقدام يوقظ - في الصدور الضيقة كعيون البخلاء، والأدمغة التي ران عليها التعصب فأظلمت حتى عدت منفذاً للضياء - فكرة التناقض. فيتساءل المتحذلقون كيف تأتى لهذا الشاعر المسيحي أن يجمع بين الشتاء والصيف على سطح واحد؟ وهو الذي تقدم له أن تولى القضاء سحابة خمس عشرة سنة، فكان المنطق عماده في بسط المقدمات واستنتاج النتائج، ثم أُلْفَ في الفلسفة، والفلسفة ركيزتها عدم التناقض. أو ثبته من الشيعة إلى الوهابية؟ أم تراجع عما قال بالأمس؟

ألا فليطمئن المرجفون الدائرون في فراغ أنفسهم، أو في فلك ضيق كقطة الحسود، وليعلموا أن الشاعر الجدير بهذا اللقب - وبخاصة

الشاعر الملحمي - يتعالى عن مزالقي الطائفية ويتحامي سمومها، فما يستهويه
إلا البطولة، شأنه شأن النسر ينشد القمم ويغفل السفوح، فإن من تغنى
في الأمس بالإمام علي، وشدا اليوم بمآثر ابن سعود، لا يتعذر عليه،
ان شاء الله، أن يشيد غداً بمجد المهاتما غندي، فيتلاقى التشيع والوهابية
والتصوف الهندي على قلم واحد، ولا تناقض، فإن الورد لا تنفي
الآسة، والآسة لا تنفي الياسمين. وما تغص الحديقة بمئات الرياحين
والاشجار، فكيف يضيق صدر الكريم بنخبة من تلك الأدواح
الباسقة التي ازدان بها التاريخ فكانت خضرة وظلاً وثماراً طيباً .

اما الملحمة التي أدرتها على الإمام ابي الحسن، فارس الإسلام،
وأمرير الكلام، وشيخ الزهاد فعاد الله أن أنقض منها حرفاً . وبحسب
ابي تراب شجاعة أن يكون قاتل عمرو بن ود العامري يوم الخندق،
وفلسفة ان يكون هو القاتل :

وتحسب انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وبحسبه عدلاً ان يعامل أخاه عقياً كواحد من عامة المسلمين،
وبياناً عميقاً قوله: من عرف نفسه فقد عرف ربه، وبلاغةً قوله: تحفّفوا
تلحقوا، ونظراً بعيداً قوله: احذروا صولة الكريم اذا جاع واللئيم
اذا شبع .

...

قلت في تصديري ملحمة «عيد الغدير» ان الشرق العربي فقير الى الملاحم،
وان العروبة المستيقظة الآن في صدور ابنائها من المغرب الأقصى الى
منتهى جزيرة العرب، لأحوج ما تكون الى التمثيل بأبطالها الغابرين.
واني لأضيف اليوم الى الغابرين بطلاً في المعاصرين، فاذا كان من جوهر
الملحمة أن تشتمل على الخوارق، فلقد وجدت في ابن سعود بطلها الذي
أولج الواقع في الأسطورة والأسطورة في الواقع.

ولو لم يكن سبيل الرجل الى المجد سوى الحسام لما هزني فهاج قلماً طلق
الشعر أو كاد زهأ ست سنوات، فان طائفة من الصناديد الفاتحين،
الذين تقدّموه في الزمن، لم تعوزهم الشجاعة بل الانسانية التي تجلّى في
المرء صفات طيّبات، وبها تقوم ماهيته، كما يقوم جوهر الورد بالطرادة
واللون والفوح. فاذا أنت جردتها من هذه الخصائص وقعت على هشيم
يحوطه الشوك.

وانما تتجلى إنسانية ابن سعود في سخاء يؤيد ما تناقلته الرواة عن
حاتم ومعن وآل برمك، وذكاء فطري يلمح في دورة خاطر ما يستعصي
على أعلام العلماء في أيام، وعدل هو استواء الشمس في الظهيرة اذ تتخذ
مكاناً نصفاً، وحلم ينفذ البحر قبل نفاذه، ووفا للذين ألقوه في المنزل
الحسن كأعلى ما يكون الوفا، واتضاع وخفض جناح للضعف والمساكين
ذوي الثرّة، وورقة كرقعة الشاعر الرهيف الحس، وتقوى يصح فيها
قول القرآن المجيد «الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة

هم يوقنون». «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً
ومما رزقناهم ينفقون» .

«كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأشجار هم يستغفرون» .

تلك بعض صفات ابن سعود وستلمسها في سياق الملحمة بدون كد
خاطر ولا تنقيب فتشقيها تَفْحَ الشذا من البستان العطر، وما ينكر
فوحه إلا مزكوم أو متطبع بطبع الجعلان، فليس أقتل لها من عبق
الأريج .

تلك السجايا حَبَّتْ اليَّ ابن سعود فوق ما حَبَّه اليَّ حسامه، على
انه أشرف سيف عرفته جزيرة العرب منذ قرون . ولولا هذا الشعور
الذي احتلني، كما يحتلّ الربيع الشجرة فيفتح براعمها للندى، لما استطعت
أن أنظم فيه بيتاً واحداً . وما أنا بالذي تهزّه السحابة العابرة، أو يستهويه
الغدير الضحل فيسبح - وما ألفت العوم إلا في اليمّ الصاخب - ولا بالذي
يزور على التأريخ فيصانع، فاذا آخذني بعضهم على المبالغة في امتداح
آل سعود، فإلغوا سوى الخيال الشعري المنطلق من صعيد الحقيقة،
ولولاه لكانت ملحمتي تأريخاً منظوماً، أو أرجوزة طريفة على البحر
الخفيف، أو وثيقة كاتب عدل لا يأتيها الباطل من خلفها ولا من بين
يديها .

...

وتشاء المصادفة أن أفرغ من اطلاع تأريخ «نجد الحديث» وأوطن

النفس على إنشاء « عيد الرياض » يوم قدم العاصمة اللبنانية صديقي النبيل،
الاستاذ الجليل، السيد عبدالله بلخير أمين سر صاحب الجلالة الملك سعود. ولقد
تفضل أبو « يعرب » فأثني بزيارته فلطف من ألي اذ كنت في تلك الساعة
أنف دماً بسبب حصاة في الحوض، ولكنني تجلّدت لثلاث أعكر صفو تلك
الجلسة البهيجة - على قصرها - وأفضيت اليه بعزمي على إنشاء ملحمة. وكان
في نيتي أنا بدأ النظم في الأيام التالية، لولا اني حملت الى المستشفى،
فريسةً للمبضع، في « العملية » الثانية والعشرين، حيث عاذني حضرة امين
السر بعد رجوعه من مصر في ٩ يوليو سنة ١٩٥٤ فأكدت له بحضور
الدكتور بدر - وكنت آنذ في مثل صفرة ورقة الخريف وارتعاشها -
انه اذا امدّ الله في أجلي عاماً واحداً فبشراك « عيد الرياض ». وبدأت
في أواسط أغسطس وضع المخطوط الكبرى، ثم باشرت النظم في أوائل
الخريف وفرغت منه في أواسط ابريل سنة ١٩٥٥ فتكون مدة التأليف
نحواً من ثمانية أشهر تخللها عشرات من الليالي الدهماء، أو البيضاء التي
يعقبها حلك النهار، نهار الصداق والدوار الذي يتعطل معه الفكر، وتمحي
الذاكرة، فضلاً عن الشعر، ويعتلّ القلم فلا يبقى في جسم الجريح إلا
وشل من حياة وبحر من ألم. ويهمني في هذا المقام أن أصرف الاذهان
عن خرافة ترددّ على افواه الجملة، مؤداها ان الألم يشحذ القرائح.
وانما هو زعم يصحّ في الألم الناشئ عن الحرمان كالألم العاشقين، ومبعثه
الشهوة الجنسية، وإن تنكّرت بألف زيّ وزيّ - وعند سيغموند فرويد
من فلسفتها كل الخبر - او ألم الفقر، ومبعثه نقص في المأوى والغذاء.

والكساء، يليه حسد وتلّيف وثورة، أو ألم المظلومين الذين تقطّع قلوبهم
سياط الجور، وما يتصل بهذه الضروب من الآلام. على أن هذا الوجد
المعنوي نفسه لا يولد العبقريّة، فمن العوسج، لا يولد إلا العوسج،
بل يكون حافظاً لها كما أن الضوء يبرز الألوان ولا يبدعها.

أما الألم الجسدي فانه يعمي القلوب التي في الصدور، ويفلّ أرهف
الأذهان مضاء، ويكدّر أنقاها صفاء. ولو أن شكسبير نفسه، وهو
سيد العباقرّة، وملك القريض، وتوأم غوته مُني بوجع فضربت سنّه،
أو نغّر جرحه، لشقّ عليه، وهو في غمرة الألم، أن ينظم بيتاً واحداً
في سلك الشعر الراقى. فلهؤلاء المتفرّجين الواقفين على الشاطئ،
المتحدّثين عن السباحة، وهم لا يعلمون من شأنها إلا ما يلمحون من
حركات السابحين، أقول: لو زلتم البحر لذهبتُم في الأمر غير هذا
المذهب، ولنظرتُم الى الغائضين على الدرّ، في خليج فارس مثلاً، والموت
منهم قاب قوسين أو أدنى، بغير هذه العيون، وخير لكم ما دمتم في
البرّ أن تحوضوا في غير هذا من الشؤون. ولو زعمتم أن الجمال يفجّر
العبقرية لأصبتم الحقيقة في كبدها، فإن حاجة الشاعر الى الترفّ العقلي
لا تقلّ عن حاجة السمكة الى الماء. فكأن من قلم خفق فتفتّح على
ضوء القمر في الليالي الغيد، أو نهل من الطلّ في اجفان الصبح.

أما أنا فكان عليّ أن أنظم حين يهادني الألم فأختلس الفرصة
الساخنة، كما تستنقذ الفريسة من مخالب السبع. كل ذلك في عالم حدوده

جدران أربعة وسقف، مسرحي فيه سرير صار مني وصرت منه، بحكم المصاحبة، فلا خوف من الفراق، ذلك هو زواج الكاثوليك لا يعتريه طلاق.

في تلك الظروف الخائفة والسرعة الصاعقة ولدت ملحمة «عيد الرياض» وهي تقارب الثمانية آلاف بيتاً. ومعاذ الله أن أقول هذا مباهاياً بجودة القريحة، وإنما أقوله معتذراً، فإن الذي ابتلاني بمرض الناسور، وقاني مرض الغرور، ولو أتيح لمثلي أن يترى لفعلت، ولكن هذه الفقار التي تنحل انحلال العرى واحدة واحدة أعجلتني فوددت الانجاز قبل أن يتساقط الثوب ويطويه البلى. وإن الجبلى التي تخشى دنو الأجل يسرها أن ترى جنينها، ولو هزياً، شرط ألا يكون طريحاً، وما أحسبني ولدت سقطاً بل بشراً سوياً يكتب له العيش إن شاء الله.

في الشعر الملحمي

قبل أن نبحث في الشعر الملحمي أو البطلي، لا نرى مندوحة عن تعريف الملحمة - ولو تعريفاً خاطفاً - كما يراها الفرنجة، أساتذتنا في هذا الضرب من الشعر، لخلو الأدب العربي من الملاحم « على أنه يحتوي قصائد فيها من النفس الملحمي ومن سرد الأخبار، ولا سيما الأخبار المتعلقة بالشاعر أو بمن يخصه ما يذكر بأسلوب الملاحم ».

ولقد قال الفرنجة، في تحديدها، إنها قصيدة طويلة النفس موضوعها البطولة، وهي أضخم نتاج يقدم عليه عقل بشري، وأكبر مظهر من مظاهر الشعر، وإنها سرد لمغامرات بطلية يرافقها شيء من الالامالوف، وقوامها السرد: ومن هنا كان الفارق بينها وبين الشعر الغنائي، ومن طبعها أن تند عن التاريخ لاقترب التاريخ من الواقع، ولأن الملحمة في معظمها خيال، ومن عناصرها أن يأتي أبطالها بالعجيب الخارق، وعلى الشاعر أن يكون متأثراً بالشعور الذي يخلعه على أبطاله. ذلك هو ملخص تحديد الملحمة عندهم.

ومعلوم أن هوميروس كان حامل اللواء، ولا ريب، وأن على

دربه تعلم المشي من جاء بعده، برغم المشادة التي قامت حول صحة نسبة الالياذة اليه كلاً او جزءاً، وزعم بعضهم أن ليس له سوى فضل تدوينها لثيوعها على ألسنة الرواة والمغنين قبل مجيئه الى الدنيا.

وقد عرّف الملحمة قدامى الهنود والرومان فازدهرت على يراعة فرجيل، وانفتحت فرنسه في العصور الوسطى على الشعر البطلي فنسجت ما نسجت منه حول الملك شارلمان في أنشودة رولان، واستمر الى العصور الاخيرة، فمن أدبائها من أخفق كما وقع لفولتير في «الهازياد» (Henriade) ومنهم من أفلح كما وقع لفكتور هينغو في أسطورة العصور.

ولا أرى من بأس بعد هذه النبذة الموجزة في الملحمة أن أردد كلمة أحد أدبائنا في هذا الصدد ايضاحاً لما تقدم قال:

« فاعمل الفني الذي يلتفت فيه الى الحقائق الماثلة في العيون أبداً ليس في باب الابتداع شيئاً، إذ ان الاخذ بالحادثة اليومية وجري المعتاد يفضي إلى أدب دني، ولا ريب. وليس أدل في ذلك من قيام النوع البطلي وارتفاع قبته فالذين صنعوا وجاءوا بالبدايع لم يجعلوا وكدهم في الحقائق المكررة على نهج واحد، بل صرفوا أقلامهم الى حقائق فذة لا تقع على رصفات الشوارع، ولا فوق أدراج الفنادق كل يوم وجعلوها في اتران عادل بين طبع الحياة وطبع الفن ».

ولعمري ان هذه الملحمة لترتفع عن الحادثة اليومية وجري المعتاد،

ولا يقع مثلها على رصفات الشوارع أو فوق أدراج الفنادق كل يوم، بل لم يقع مثلها في أيام العرب فأين منها حرب البسوس، أو حرب داحس والغبراء فإن عنتره، على شجاعته، في زمن يقي فرسانه دروع واتراس، لا يوازي ابن سعود فاتحاً صدره للرصاص والقنابل، بل أين منها حرب طروادة نفسها، لولا الخيال الهوميري الذي لم يقتصر على انزال آلهة اليونان إلى المعمعان بل غمر بالآلوهة إبطاله. فإذا كان لأمة الإغريق أن تباهينا بعبقريّة شاعرها وإبداعه في الخلق والاختلاق، فإننا نباهيها ببطولة عبد العزيز التي لا يضيرها صدق الواقع.

ويظهر مما قدمناه في تعريف الملحمة أنه يؤخذ علينا اعتمادنا على التاريخ، كما توكأ عليه صاحب أنشودة رولان أو كما اعتمده فيكتور هيغو في «أسطورة العصور»، أي أن عيبنا هو رجحان كفة الصدق عندنا على كفة الاختلاق عندهم. ومن أجل هذا السبب نفسه عنت علينا المعتنون عقب صدور ملحمة «عيد الغدير» غير أن تشددهم الأجوف، أو تعصبهم للإفك والخرافة ظل في الرغام فلم يغش العيون البصيرة التي تلقت هذا العاجز بنظرة الإكبار، فعملت على تكريمه في مهرجان أدبي منقطع النظير تلاقى فيه أساطين البيان من مختلف الاقطار العربية.

ولم يكن بالمتعذر علينا أن نتخيل دنيا أوهاام نبرأها على هوانا فنخرج من العسر إلى اليسر، ومن الوعر الضيق إلى السهول الفيح

فتزوّج العفاريت بالسعالى، ونتمثل جنية رجلها في التراب ورأسها في السحاب، فتراها تارة تغسل قدميها في اليم فيجن ويطفى، وطوراً تسرح شعرها الأشقر فيتدلى شعاعاً ينير الخلائق. أو نتصور مارداً يبغى الإفطار فيغمد ذراعه في المحيط ويستخرج ما شاء من الحيتان يشويها في قرص الشمس ويبتلعها دفعة واحدة ثم يكرع نصف البحر.

ولقد أسرف بعض مرضى الرومنطيقين، ومن جرى مجراهم في ازدراء شعر الملاحم، فزعموه التاريخ منظوماً أو الأسطورة مقفاة. وقد سمعت واحداً منهم يبدي هذا الرأي الأحوّل، وهو قزم اكتنفه القزم جسماً وفهماً وخلقاً كما اكتنف التحريم خمرة أبي نواس من جهات ثلاث، لأنها مشتاة بثمر خنزير مسروق. فقلت له إذن لقد اطفأت هوميروس وفرجيل وهيغو ودنتي والفردوسي وبعض المتنبي وسواهم من الخالدين، ولكن لا بأس على العبقريّة من هذه الحسارة الفادحة ما دمت انت للقلم، والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه.

ورأى بعض مؤرخي الأدب العربي أن الشاعر الملحمي يترك شخصيته ويتناول الأبطال والجماعات والوقائع الحربية، والمناقب القومية بأسلوب قصصي تكثر فيه الخوارق. وفي هذا التعريف مخالفة ظاهرة لما قدّمناه من تعريف الملحمة عند الفرنجة حيث قالوا: على «الشاعر أن يكون هو متأثراً بالشعور الذي يخلعه على أبطاله».

وما تخلّيت عن شخصيتي في هذه الملحمة، ولا وقفت عند حدّ

تأثري بالشعور الذي أخلعه على أبطالها، بل كنت منها في صميم صميمها،
 فإذا وقع لي أن أقول بلسان بعضهم قولاً يتعدى مكانته العلمية،
 أو الاجتماعية، فلا حرج عليّ فانه شرط يلزم الشاعر المسرحي لأن
 التفاعل القصصي في جوهر المسرحية، أما الملحمة فبعيدة عن هذا القيد
 الاحترازي.

وإن القارئ المتأمل ليراني مُطالاً في هذه الملحمة من عشرات
 الأبواب والنوافذ، لذلك كانت من بعض نواحيها رومنطيقية أيضاً،
 فالشاعر الذي يُعَدُّ الإحساس نقطة انطلاق ليس بشاعر ولو انه پول
 فاليري (Paul Valéry) نفسه، وهو المزعوم سيد شعراء القرنيس في
 الآونة الأخيرة. وهذا يدُك على احترامي للشعر العاطفي - شرط
 ألا يكون بكاءً مصدره العُصاب (Névrose) - كما اني احترم الكلاسيكية
 والرمزية. وإن «عيد الرياض» لتشتمل على ألوان هذه المدارس جميعاً، على
 ان الكلاسيكية هي أبرز ما فيها. فإن الفرق نأجم عن مقدار الجرعة،
 وان التحول الكيفي هنا مبعثه التحول الكمي، ألا ترى أن كمية
 الحرارة اذا نقصت في الماء، فبلغت درجة الصفر أصبح ثلجاً، فاذا طفت
 وجاوزت المئة غداً بخاراً. وربما وقف الناقد حائراً لا يدري أين يبدأ
 التحول. ونمثل لذلك بكمية الشعر في رأس الأصلع. فمن المعلوم ان
 الانسان يُعَدُّ أصلع اذا نقصت كمية من شعر رأسه، ولكن متى يحسب
 كذلك؟ اذا سقط ربع شعره أم نصفه أم ثلثاه. ومعلوم أن كومة

القمح تتألف من حبّات ولكن ما هو مقدار الحبوب اللازمة لتحسب
كومة؟

وانما الشاعر مُعَبَّر عن خلجات نفسية يتلاقى عليها ألف تيار، وينبع
اكثرها من عقله الباطن، والشعر كلُّ متداخل تداخل زعات الانسان
بعضها في بعض، ولو غلبت واحدة على أخواتها فرأنت عليهن الى
حين. ويصح هذا القول في شعر هو مرآة صاحبه لا في شعر مُحَنَّط،
ولا في قريض صدر عن منضدة التشريح.

ولا يعرف صعوبة الشعر الملحمي إلا من قرّس به. وفي طليعة
الصعاب التي تقوم في وجه الشاعر عقبة السرد فليس أقتل منه للشاعرية،
وبخاصة متى تكاثرت الحوادث وتعذر إغفالها - لانها المادة التي تنسج
منها الملحمة - وتعددت أسماء الأعلام واستعصت على الوزن والقافية.
ولمّا كان الامر لو كنا نسلك الحوادث في ذلك الضرب من الكلام المزعوم
شعراً منشوراً والسجع أطرب منه نغمأ، وأوقع جرساً، ولكننا في
صدد وزن واحد وقوافٍ لا تنال باليسير من الجهد. وفي السرد ما فيه
من جفاف، ولا سيما اذا كان الموضوع واحداً فدار حول معارك متشابهة
وإن تعددت، في بلاد معظمها قاحل متماثل، وقد يعسر على الطائر أن
يجد فيها مقيلاً بليلاً، وعلى الخيال أن يتغني مراحاً وماً سلسبيلاً فيبتدع
الالوان والصور، ويتناول المرقم خضرة من هنا وزرقة من هناك ويؤلف
بين تهاويل الحسن، وأشتات الجمال، فيوشّي ويفوّف، وتفتن الريشة في
الألواح ما شاء الفن.

وأهم من هذا كله، في باب الجفاف، خلو الحوادث من حبكة غرامية يغدو عليها القلم ويروح. أما هوميروس فقد وجد « هيلانة » واختلق سواها من الملاح، فغط القلم في الحدود الصباح، وكان لخياله من جمال الغيد ومغامرات العشاق جناح، أي جناح. وما انفك يُخلق حتى أدخل الصبابة على الآلهة فجعلهم يتقاتلون على الآلهات. واختلق في « الأوديسه » زوجة لأوديس أو « إيليس Ulysse » يتسابق اليها الابطال خطباً، وملاً صفحاته الرائعات غناً وحباً وشراباً.

أما نحن فلو وقفنا على موضوع غرامي لتحاميناه، أو على شراب طيب لصرفنا عنه الأنوف والأفواه. فالملحمة تدور في بلد يُجلد فيه المدخن على رائحة الدخان، فأني لنا أن نريح القلم بين طيب الشراب وتضاحك الندمان، أو تطريب القيان، وكل ذلك رجس ما أنزل الله به من سلطان.

ولا يعزبن عن البال أن ما من رائعة عالمية خلت من عنصر الحب، سواء أتعري الهيام فكان عشقاً أم احتشم فتقنع بقناع التصوف، أم تنكر بزي آخر من مئات الأزياء، ولا أستثني التوراة وفيها نشيد الأناشيد وما يتصل به من قريب وبعيد. ومن هنا تعذرت المقارنة بين الشعر العاطفي والشعر الملحمي. فالملحمي هو شعر القوة الذي تقوم وتقعده له بعض الصدور، أما العاطفي فهو الذي يقيمه ويقعدها جميعاً بدءاً من الغلام الذي بلغ الحلم حتى العجوز الفانية التي تحمل معها، إلى

القبر البارد، تذكّار الدفء الذي شاع فيها فأذهلها يوم صبغ الحياء
خدها أول مرة، على غير علم منها بأنها ولدت لتكون أمّاً.

وإنّا موردون لك ايها القارىء الكريم بعض الأمثلة، لا تأييداً
لنظرتنا فهي بديهيّة كالنهار، دليله ضياؤه، بل لترى فارق الانفعال بين
الشعر العاطفي والملحمي، واليك مقطوعة غزليّة من نظمي في مطلع
الشباب، وعنوانها وردة الغاب :

يا وردة الحبّ المصون	ورسالة الشفق المبين ^١
أكمّأها منسوجة	من مدمع البكر الضنين
فكأنها من رقة	وهمّ يموج في الظنون
لا لمس يجرحها فقد	حرّمت على غير العيون
بيني وبينك وهدة	حمراء من ألم كمين
فلذّ الجحيم لهيبها	أو بعض أنفاس الحزين

...

يا ليت كنت فراشة خضراء من لون الغصون
فألف نفسي بالطيوب ولا أبين لمستبين
يا طيب هذا الحبس لو يفنى به عمر السجين

١ وهي إحدى قصائد الديوان المخطوط الذي دوّنته في دفاتر متعددة اختلسها بد أنيسة أو جاهلة فيما سُرق
من متاعها يوم نقل أثار بيتي سنة ١٩٤٠ إلى منزل آخر وكنت على عتبة الموت في مستشفى الصنائع ببيروت .

وأظَلَّ رهنَ السحر لا يصحو الزمان ويفتديني
لا الشمس تفضحني ولا الأوراق يوقظها أنيني
أحميك من عين الردى وأكون منك ولا تعيني

...

أخت الندى والفجر في حُلَّ المهابة والسكون
لولالك ما ابتسم الربيع ولا تفتَّح للعيون
ولظل معنى الحسن والأطياب في الغيب الدفين
يا زهرة قدسها أحبت ألا تسمعي
من حرقة الرمضاء في صوتي، ومن نغم المنون

...

ألقاك في رفِّ الخيال وعبقة النَّسم الحنون
في كلِّ صبحٍ أشقر أو في ضمير الصبح كوني
هذا السبيل اليك من خلل الغياهب والحصون
حسي من الشوق المدَّاه أن لثمتك بالجفون
فاذا تمثَّت خلجةً بين البراعم فاذكريني

وهذا مقطع ملحمي من « عيد الغدير » وعنوانه : الجاهلية .

كان في ذلك الزمان القائم في رمال الحجاز شعبٌ عارمٌ

راح في لُجّة الضلالة يهوي ليس يدري أيّ الفعال مآثم
 عَطَلَتْ وِعْيَه الغريزة حتى خدر الجهل عقله فَيَهْوِ نائم
 لا إله سوى الحجارة تُرْجى للملمات وانتهاج الغنائم
 يحفرون الرموس ستر جمال ويمدّون في القبور البراعم
 أجفل القبرُ من انين العذارى وشكى الرمل من نواح الجاثم
 تستجير المَوْؤودة البكر لكن ليس للظالمين قلبٌ راحم
 تلهب الأرض رافّةً وتواري زهرة الحسن في الصعيد الجاحم
 لا مياهٌ تبلّها لا ظلالٌ لا نسيمٌ إلّا الرياح السائم

...

وتراهم من ثورة الخمر صرعى عربداتٌ فنكر فشتائم
 يكرعون الزقاق بالخمر ملامى مثلما تكرر الحياض البهائم
 شهوة إثر شهوة تتلظى في ضروب الزنى ومسّ المحارم
 والخيام الحمراء راي البغايا حولها الناس كالقراش الحائم
 يدفعون الإماء للعهر دفعاً ومن النتن يأكلون المغانم
 تعبد «اللات» أو تُرْجى «مناة» والمرابون أعبدٌ للدراهم
 أقفر الخلق والصعيد فقحط في السجايا وثورة في البلاعم
 يبتغون الخنافس السود قوتاً ومن الضب يُطرفون الولائم

١ جاحم : مشتعل . ٢ راي مفردا راية والبغايا في الجاهلية كن يضعن رايات حمراء على خيامهن .
 ٣ اللات ومناة من الاسماء المعبودة في الجاهلية .

ولا تقتصر على نماذج من شعرنا فنأخذ للشاعر سعيد عقل مقطوعة
عنوانها : الموعد الضائع .

ما همني؟ - والطيب لا يحمد إن مرّ من دوني أنا الموعد
غداً أجي، الدار أخلو إلى بقية من عهدا تعبد
تهش لي حجرها غصةً والجدر والأستار والمقعد
أشياء للقبلة فيها فمٌ حلوٌ وللهو بشعر يد
أسأله عنها فيحتلني من الزوايا طيبها الأجد
وربّ أشياء على بُكمها أكرم بوحاً من فم يسعد

وهذا مقطع ملحمي النفس للشاعر نفسه من قصيدته : فخر الدين^١

كاد وجه الأمير يحجب من مجد عريق، على السهى منشور
كاد لبنان يلتقي « العالي الباب » يزند سمح الفتول قدیر
فتلوت أستانة : روعة الواجب هزته غصة المقهور
حامت بالشواظ يطر لبنان، وبالكرك في العديد الوفير
فاذا البرّ من غبار عباب، وإذا البحر من دخان حرور
من عدى بكر العتاد، تكاد الأرض ترنو اليهم بنفور
لم يرعه التقاؤهم، وعلى الكف فؤاد له حبيب الكرور
راعاه حامه تحيطه الأقدار، طفلاً في هدهدات السرير
فأحمى عن عداته يكظم الأنفاس، خوفاً على الفضاء الكبير

١ هو الأمير فخر الدين المعني الذي عمل في سبيل لبنان ما لم يعمه أحد قبله فكان بطل السيف والخلق .

بعد هذا ما نحسبنا في حاجة للبرهان على تعذر المقابلة بين الشعر العاطفي والسرود الملحمي .

وإذن فالقوة هي كُنْهُ الشعر الملحمي فما ينهض إلا بها، كما لا تنهض القلعة المنيفة إلا بالصفاح والعمد، والعتبات العريضة، والأدراج الضخمة والأبراج السامقة، والساحات الفيحاء، فضلاً عن قضبان الفولاذ تشد نوافذها، والرواشن المستطيلة تحمي كواها، فيخلق كل ذلك جواً من المناعة والفخامة. أما ما سوى ذلك من الشعر فهو أشبه شيء بالبنائيات الصغرى يُراعى فيها جانب الحسن أكثر مما يُراعى جانب الروعة والفخامة. وبين الحسن والرائع فارق، فتدخل في باب الحسن مثلاً وردةٌ حالية، وحوارة ناعمة، وفي باب الرائع طودٌ شامخ، أو موجٌ هدار، ومن هنا تختلف الحجارة المصطفاة للبنائيات الشعرية فتتخذ حجارة البنائيات الصغرى من الرخام أو المرمر، ويعمل فيها الإزميل نحتاً وصقلاً، والريشة زخرفاً وأناقَةً وصباغاً، ويؤتى لها بمهارة الصنّاع للنجارة والفرش، والأثريين للتحف والدُمى وما يتصل بذلك. وتجهد ربة البيت فلا تترك على المداخل والواجهات والشرفات هبابة من غبار، فإذا طلعت الشمس على ذلك المنزل توهمته الدرة الكبرى تفرق في الألألاء.

وانا لم اتفرّد بهذا المذهب فهو رأي عليّة الأدباء وعلى رأسهم سعيد عقل زعيم المدرسة الرمزية، بل أحد زعماء الشعر العربي، منذ حدا به حادي العيس حتى اليوم. ولو كنت من المؤمنين «بالإمارات»

و«المشيخات» والألقاب التي يتجاذبها الشعراء، كما يتجاذب العراة الثوب المهلهل يسترون به عوراتهم، خلعت على الرجل واحداً منها - على غير جدارة مني بالتأخير والتلقيب - ولكني رأيت السيف مجرداً فكيف أسي، إليه فأستره بقراب خلق .

ولقد خطر لي يوم صممت على الملحمة أن أبتني لها منازل صغيرة تتألق حسناً فتقع في نحو ألف بيت متعددة البحور والقوافي، ثم تحولت عن هذه الفكرة يقيناً مني بأن هذه الدارات الصغيرة، والأبهاء، الوادعة، تضيق بابن سعود مالى، جزيرة العرب، فقلت في نفسي إذا كان للحجرات الوضيئة جمالها فلمسجد الرحب روعته، بما يتماهى فيه من زوايا، وينتصب من محاريب، وينبطح من ساحات، ويشمخ من مآذن يُسبِّح فيها بحمد الله بكرة وعشياً .

وإذا كان لحدائق الزينة التي تحلولى بها مداخل القصور بهجتها لماً لها من الرونق الهندسي والزخرف العجيب، ولماً احتوته من تهاويل حفلت بالزهر المنسجم الذي تداولته الأيدي اللبقة، وهذبته المقراض، فان للغابة روعة بكرة تأبى هذه المنازل الناعمة .

ولا ينكر ان في الغابة كثيراً من الشوك والحسك، بيد أن فيها أيضاً من الأدواح الماردة ما يأخذ العين . وكثيراً ما يكون العوسج والعليق، وما اليهما من الحبائك التي تعرش على الجذع، أجزاء متممة لزينة العروس الخضراء، إذ تحلّ من ساقها محل الخللخال الزمردي، فاذا تعالت نطقتها فقامت منها مقام الزنار، وانبثق الحسن كما يطلع من

الليل النهار . وأظهر ما في الغابة متعة انتقال البصر من حال الى حال .
فهنا يفرق في ألاف الشجر ولا يستبين ما وراء الأجم ، وهناك يرافق
الساقية المتعرجة التي تمحو توحش الصخور ، وهناك يتيه البال ساعة
بين وهدة خضراء ، وراية مسحاء ، وأحناء رقصها النسرين كما نطقت
الكواكب السماء . وإنما يعول في باب التقويم على النظرة الشاملة التي
تمحي فيها الطفيليات والخواشي ويسلم النص .

وحرّت ساعة بين التكثيف والتبسط ، أأختار من حانوت العطار
قنينة تحتوي خلاصة العطر ، ولكنها لصفرها لا تكاد تطيب منديل
العروس ، أم أختار القوارير السخية وفيها ، فضلاً عن الجوهر ، ما يطيب
العروس والضيوف جميعاً حتى لا يصد عنه عابر السبيل ؟

أأشدّ لجام الفرس الدري حتى يتقطع بين يدي فلذاً أو يتفجر
قلب الجواد من لبته ، أم أتركه يجري في الملعب الفسيح فلا أحرّك
سوطاً ولا مهازاً ، ولكني أردّ رأسه عن الهاوية وأنفس به على المهالك ؟
أأسلك طريقة الغرلة والنخل ، والطرْد والصقل ، وهي طريقة زهير في
الحوليات ، وقاليري في الرمزية ، أم أسلك نهج المتنبي وهيغو ، وهو سبيل
النبع الفوار والسيل المدرار ، يفيض منها على المرج ما يفيض ويفيض
ما يفيض ؟ ولقد آثرت الثانية لا استهانة بالأولى ، ولا عدولاً عن
الحسن إلى الأحسن ، بل استجابة لسجية ، وتلبية لطبع . وربما كان
مرد هذا الميل الى مزاج يضرب بجدوره في صعيد عميق متصل بأسباب

نفسانية فإنَّ اساتذة علم النفس ، وفي طليعتهم يونغ (Yung) حامل اللواء في اوربا بعد فرويد (Freud) وأدler (Adler) ، يردّ الأمزجة كلها الى أصلين تتفرع عليهما سائر الأمزجة ، وهما المنقبض (Introverti) والمنبسط (Extraverti) . واني لمن النوع الثاني في الأنماط ، واني لمن المؤمنين بالسليقة والطبيعية وبالديباجة الأنيقة ، على غير إعانات للقلم ، وتعمل في النحت ، وإغراق في التجريد توصّلاً الى ما يسمونه الشعر الصافي . وما أشبه الشعر الصافي بما المزن يتحلّب من الغمام ويحرّز في إناء مفتوح على السطح ، او بالما المقطر المعقم ، وأفضل منهما غير يفور من أطباق الثرى فإن فيه خفة على الأحشاء ولذة للشاربين ، ذلك أنه ينطوي على حياة تنبثق من التراب وتتفاعل مع هذا التراي الانسان ، وهو أبعد الخلائق عن الصفاء لأنه الكون الأصغر . واذا صح الشعر الصافي وألتمع في قصائد يراد بها خلق جو جمالي ، إذ يقوم الحرف مقام الوتر ، والايما مقام الاسهاب ، فيستغنى بالعنوان عن الكتاب ، فإنه لا يصح في ملحمة من جوهرها التفصيل والتكرار ، على ان هذا التكرار لم يسر على منهج واحد كما يسير القطار ، ولم يستدر على نفسه كما استدار الحذروف الدوار ، بل أطل بمئة وجه كما تطل العروس فتحسبها غيرها ، اذ تبدل من زينتها فتزيد او تنقص في حليها ، وتحالف بين الخمل والديباج والدمقس ، ناظرة في ذلك الى تبدل الوجوه والزمان والطقس ، ولكنك مترمّتا لو اقتصرت على حسناء مفردة فسترى غير واحدة ، وغير زي .

قال فريدريك نيتشه « إن هذا المفكر - يعني نفسه - لا يحتاج الى من يهدمه لأنه يهدم نفسه » واني على الفارق العظيم بيني وبين ذلك العبقرى، برغم الحاده، اقول للناقدين أو الحاسدين أو المرتقة اني اكفيهم مؤونة نقدي، فأعلم ان اول مقاتلي هو تكرار الروي بحيث يشتمل الفصل على مئات القوافي، وما هذا النمط بالطراز المستحب في عصر يكاد ادباؤه يتطلقون من القافية فيلترموها في بيتين او اربعة، ويحتنبوا المطولات، وحجتهم ثقل القافية الراجعة على الأسماع. ولكانت هذه الحجة تنهض بدعواهم لو ان القصائد تغنى غناء، او تُرتل ترتيلاً أما وانها تقرأ على مهل، في الخلوات او المخادع، فإن العين والفكر لا ينكران ما قد تنكر الاذن.

تلك هي الحجة الظاهرة يقدها سواد النش، الطالع. اما السبب المضمّر فهو كرهه للقدامى من اساطين القلم، أصحاب النفس الطويل، الذين لا ينبهرون في الحلبة، مهما تفيح المدى وتقادى الشوط، اصف الى هذا الكره تدلّها بالفرجة وتهالكاً على مناهجهم. ويطيب لي ان اكرر هنا بعض ما أوردت في تصدير ديوان اوفى الاصدقاء، شاعر الفيحاء، الأستاذ سابا زريق، ومحصّله ان الموازين الغربية تضطرب كفتاتها في الهواء المشرقيّ فهي انما تصلح لما وضعت له، فمن العبث ان تقيس الأرض بالليتر والبطيخ بالمترو. ولا بُدّ لمن يتلهم بهذه الميزلة من الوقوع في الضلالة التي تردى فيها التراجمة، فالأذن التي تسمع : (Au nom de Dieu) clément et miséricordieux هي غير الأذن التي تسمع بسم الله الرحمن

الرحيم . وإن الذوق الذي يبرمه سرد عشر قوافٍ متواليات على ضفاف
السين غير الذوق الذي يطرب لمئات القوافي تهلّ على النيل ، في
« نيرونية » خليل مطران أو مطولات أحمد شوقي ، فمن زعم ان مقاييس
الجمال موضوعية فقد افتأت على الذات .

يقول قائل : ولكن الذات البشرية واحدة في نظرها الى الجمال
ومثله العليا ، ونحن نقول انه اذا صحّ هذا الرأي فانما يصحّ بالنسبة .
ألا ترى ان الشخص الواحد يترنّج للنشيد يسمعه في الصباح ويتجهم
للنشيد نفسه في المساء ؟ وان العين التي تستجلي البدوية مشرفة من هودجها
على بساط القفر لتستقبحها في ذلك الهودج على ساحة البرج . فعلى
رسلكم يا اصحاب الموازين ، « انكم لمن المطففين الذين اذا اکتالوا على
الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون » .

ولعلّ نغمتي على المثنّيات والمربّعات والشعر المنشور^١ وما يتصل
بنتائج النفس القصير ، والميدان الذي لا يعدو بضعة أشبار ، حملتني الى
الطرف الآخر كما كانت الثورة الفرنسية ردّاً على مظالم العصور الوسطى ،
وكما كان عهد برغسون ردّاً على عهد اوغيست كومت ، ثورة تعقب
الكبت ، وروحانية تلي المادية وهكذا دواليك .

١ بيد اني استثنى نخبة من المهتمين الذين بيّضوا وجه الادب حتى في الشعر المتور وحبذا لو سموا النثر
الشعري .

أما ثاني مقاتلي فهو التزامي بجرأ واحداً في الملحمة، أو لزوم ما لا يلزم، وهو مما يذكر بلزوميات ضرير المعرفة من بعض الجهات، كما يذكر به هذا الجريح، فكلانا (رهين المحبسين) . أجل ولقد ضيقت على نفسي كما ضيق علي الحظ فجعل دنياي سريراً، وآفاقي زوايا غرفتي . ولو كنت ممن يعتمدون على البهارج اللفظية، ويعيشون على الجرس والإيقاع لقفزت من بحر الى بحر، وبدلت شطاً بشطاً وتخيّرت من هذه البحور أدناها الى القلب، فاصطفيت الرمل مثلاً ولي عليه قصائد منها قصيدي (لبنان) ومطلعها :

جبلٌ مهْدٌ للفردوس بابا	جاور الأنجم واحتلّ السحابا
فاذا غابت فقسراً واغترابا	تستحمُ الشمس في مفرقه
نقلت عن جفن لبنان الخضابا	تحمل الأضواء للندى وقد
وزكى التفاح والكوثر ذابا	ضحك العنقود في أكنافه
فرواها الدوحُ شجواً وعتابا	ساجعات الطير غنته الهوى
أشقر الأذبال مخضلاً إهابا	واستبان الفجر في آكامه
عبقت آساً وشيحاً وملابا	تقطر الأنداء من جبهته

أو الكامل وعليه قصيدي : اجنة السمراء ومنها :

أشهى من الأحلام والإغفاء	مهلاً على الأقدام ناصعة الجنى
فتسرّبت منه بأيّ رداء	خلع الصباح على مخاملها السنا
فكأنها مغموسة بضياء	عاجية اللحاح نيرة الروى

منسوجة من مدمع الأبرار أو منحوتة من جبهة الحياء
صبت ببرعمة الشقيق فأطلعت حلماً تسلسل في جفون الرائي

أو المجرؤ وعليه قصيدتي الى شاعرة ومنها :

عينالك من صفو الضياء السمح أو صفو الضمير
من عالم عبر الظنون أطل من ملاء ظهور
من بهجة الاشرار والرؤيا ومن عمق الدهور

...

فاء الجمال الى جبينك أو الى الصبح القرير
ولو ان حسنك في الزمان لجل عن ليل ضرير
ولراحت الاكدار تفرق في الشعاع المستطير

...

غني فصوتك خلجة عذراء في قلب الاثير
غني فليحنك في المسامع كالسحاب على الهجير
جئت به النسمات والاصباح كف عن المسير
في كل رجعة آهة عرس يصفق في الصدور
جمعت بك الدنيا محاسنها على العمر الطير
والفجر مد وشاحه فعلى جناح الصبح طيري

ولم يخفَ عليَّ ما في البحر المتقارب المرقص من عذوبة الايقاع
وهو الوزن الذي يلتزمه شبابنا في عصر الرقص هذا، وما أخطأوا ذوقاً
أولم يقل عمر بن أبي ربيعة على هذا البحر :

أحبُّ حَبِّكَ من لم يكن صفيّاً لنفسي ولا صاحباً
وأبذل نفسي لمرضاتكم وأعتب من جاءكم عاتباً
وأرغب في ودِّ من لم أكن إلى ودِّه قبلكم راغباً
ولو سلك الناس في جانب من الأرض واعتزلت جانباً
ليمتَّ طيِّبها إنني أرى قربها العجب العاجباً

فإذا كان هذا سحر نغمه في ذلك الزمن فكيف يكون وقعه في
عصرنا الحاضر، عصر النعومة والرفقة .

أمّا ثالث مقاتلي فهو هذه الصبغة الخطابية الغالبة على معظم شعري،
فإذا كان الشعر الخطابي منقصة للفن، فيا لفضيحة الشعر العربي، بدءاً من
(قفا نبك) إلى يوم الناس هذا، بل إنني أنعمي إلى الفن طائفة من أعظم
شعراء الفرنجة . ويكون في مقدمة المحكوم عليهم بالموت الأبدى فكتور
هيغو في أنفُس روائعه، ومنها : « العقاب » و « أسطورة العصور » . وكورناي
ويشطب من سفر الخلود مآسيه « بوليكت » و « السيد » و « الهوراس »
و « الكيرياس » . وكذلك القول في قسم من روائع راسين وهو في الرعيل
الأول من الشعراء بعد غوته وشكسبير .

وإني لعلّ أكثر من اليقين بأن الشعر الخطابي الراقى، بل النثر الخطابي النفيس، أبقى على الدهر مما يتلينا به مرضى الرومنطيقين البكائين ولا أطلال العاشقين، ولا حب سوى ما يتقوّلون، وما هم في عصر جميل بثينة وكثير عزة. وتراهم اختصاصيين في الندب والنواح وقد تقاسموا مناطق التذلل والعويل، كما يتقاسم رجال السياسة مناطق النفوذ، فواحد اختصاصي في الليل وما يجر من ويل، وآخر مهمته سكب الدموع وتصيد الشقيق وزفرات الحريق، وآخر ماهر في الكدم والتقبيل، وهكذا إلى آخر الباب مما يذكر بك بتفجع النساء في المآتم، وبما يأتينه من شقّ جيوب، وخمش خدود، وغيبوبة تنتهي إلى الالامحدود، وشطحات كشطحات الصوفية بعد الوقوع في الوجد.

...

ولقد توخيت الوضوح في التعبير فدانيت الطبيعة غير مقلد لها ولا منتقص من قيمة الفن، أو كافر بملكوته، فتركت البيان أقرب إلى البساطة منه إلى التعقيد. والبساطة غير السذاجة، ولا تحسبها ميسورة المنال بمثل السهولة التي تنشق بها النسيم، فإن المؤلف الذي يفكر بالقارى المحترم فيخرج من الأنا إلى الأنا، ويراعي بين ذات وموضوع، ينسف كثيراً من العقبات التي تعترض طريقه إلى القارى، الجدير بهذا الاسم، ويتخلّى عن برجه العاجي - وما أكثر الأبراج في هذه الآونة، وما أحسبها عاجاً فقد تكون خزفاً أو زجاجاً - فالشاعر في المجتمع وهو

عضو فيه، فإذا انفصل عنه عاد شلواً منتناً، وكان مثله مثل السمكة التي تنفصل عن الماء فتهلك.

ولم يخف عليّ أني، في بعض مقاطع هذه الملحمة، قد حاذيت مستوى النثر، ولا مفر من هذا حين يقتصر القلم على السرد مسوقاً الى ذلك بأسماء الأعلام، من أشخاص وأمكنة ووقائع، أو بالحوادث التي يتحتم عليه تدوينها لأنها ركيزة الملحمة، أو بتفصيل الدقائق في بعض المواطن، ولو أغفلها لترك فجوات في السياق تشوه البناية الشعرية كلها فتصدع. ومعلوم أن الشعر - عدا الملحمي - يتناول الخطوط الكبرى فيلم بالحوادث إماماً بل يضحّي بكثير منها في سبيل التجريد، يأخذ بالفهرس ويغفل المحتوى لأن الدقائق والتفاصيل من اختصاص الناثر. وعلى هذا الرأي الفيلسوف الجبار هجل وقد عرض ذلك عرضاً مسهباً في كتابه على الجمال.

بيد أني كنت أثب بعد هذا الانحدار القسري وثبة الطائر الذي يلتوي الغصن تحت منسره فيكون هذا الالتواء سبباً في الدفع، فاغتفر لي ايها القارى، دعوى الوثوب هذه، فإن في التواضع الكاذب رياءً يساوي الكبرياء، فإذا كلفت الطويل أن يتقاصر فلقد كلفته شططاً وسمته عنتاً.

قلت إنني تعمدت السهولة في التعبير، ولكني لم أعف عن بعض ألفاظ مهجورة، بلا ذنب - شرط ألا تدخل في باب الغريب المستهجن - لأسباب كثيرة، منها قيام هذه الملحمة في صميم جزيرة العرب، وكرر أحداثها نارة بين الكشبان والفقار السباب، وطوراً بين القلاع المنيفة

وحيثاً بين الأوتاد والأطناب والهواذج، ولئن حفلت ميادينها بالمصفحات والمدافع والبنادق فلقد زخرت بالنياق الرواسم، وجرى المذاكي، تقصف في لباتها الرماح، وتلتصع في سروجها بيض الصفاح.

وإذن فلا مفر من ديباجة تطل منها - على ندور - خشونة البادية
والألفاظ مصبوغة باللون المحلي، فلم نذكر الغزال في الكلام على لندن، ولا العيس في الحديث عن باريس، ولا مراتع الآرام في معرض القول عن لبنان. ولكننا غزلنا على غير هذا المنوال لو أدركنا القلم على وصف المقاهي والملاهي وما يشاكلها من مجلس طرب على ضفة نهر، أو حمام مخضوضر على سيف البحر.

ومنها الرغبة في توسيع نطاق اللغة وإحياء ما هو جدير بالحياة من كليها. ومن تحصيل الحاصل قولنا انه لا ينهض بهذه البناية ذلك الجدول اللفظي الذي اعتمده بعض شبابنا المغناج لتكلف الهوى وشرح الصبابات في بعض أبيات. وإنها حلوة تلك العندلات على الغدير، ولكن وكذنا ينصرف إلى ما هو أعمق من الغدير وأبعد، فهمنا في البحر الذي يحمل البوارج الدوارع، يعيننا منه العمق والمقدرة على حمل الوسق، وسعة الأفق، ولا علينا ان يكون ملحاً أجاباً فلقد أردناه سبيل العبور لا منهل الشارب.

وقد يوآخذني ناقد سطحي على استطراد يحسبه خروجاً عن الموضوع، ذلك انه يتمثل المؤلف قطاراً، يتحتم عليه التزام الخط الحديدي، فن

الخطأ أن يحيد عنه يمنة أو يسرة . وما كان الإنسان حديداً بل خضماً يضطرب فيه ألف تيار . ولا يضاوي هذا الناقد في الغباوة إلا قارىء عجول ألف مطالعة الروايات الغرامية أو (البوليسية) ، فتراه يطفر من فوق الصفحات ، وثب الأيائل على الصخور ، ليعرف ما صار إليه العاشقان أو ما آل إليه أمر المجرم الذي يطارده الشرطي . ولقد تعمّدت الاستطراد لأخرج من الخاص الى العام ، فإذا كنت قد نهجت هذا النهج في كتابي « مذكرات جريح » فلم أقصره على شؤون رجل فان قد يرثي له كريم ويشمت به لئيم ، فخرجت من الحادثة اليومية الى النظرة العميقة التي تعني كل آدمي لم يطلق إنسانيته ، فكيف بي وأنا في صدد ملحمة تشمل العصور والحوادث ، وتتخطى كونها ملحمة سعودية ، الى كونها ملحمة عربية طويتها على مئات من الآراء في الاجتماع والفلسفة ، وإنما الفلسفة والأدب توأمان فإن غلبت على أحدهما الرصانة ، وعلى أخيه طلاقة الجبين ، ووسامة المحيا فالرحم واحدة . فكل أدب تعرّى من الفكر عاد كلباً مرصوفة مهما يخلب جرسه الأسماع ويخدع آله الأبصار ، إنه لسراب بقية يحسبه الظمان ماء ، حسبه لفحة من ريح الشمال فإذا هو الى زوال . فإذا تعرّى الأدب من الفكر فهو ريش الطاووس منفصلاً عن حياة الطائر ، تمرّ به الريح فيتناثر . وقد ضلّ بعض نقّاد العرب فزعوا أن صعيد الفكر يختلف عن صعيد الشعر ، حتى إن واحداً منهم نفى من دولة الشعر قول المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

وتكبر في عين الصغير صغارها وتصغر في عين الكبير العظام

ونحن نقول إن المتنبي احتل رفرف الخلد بمثل هذا الشعر الذي
يتردد على الأفواه كل يوم . أجل في كل يوم يردد ألوف من الناطقين
بالضاد أمثال هذه الأبيات :

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
تجري الرياح بما لا تشتهي السفن
يخلو من الهم أخلاهم من الفطن
ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدواً له ما من صداقته بُدَّ
لكل امرئ من دهره ما تعودا
وما الحداثة من حلم بمانعة قد يوجد الحلم في الشبان والشيب
تكسرت النصال على النصال الخ الخ . . .

ولو جارينا حضرة الناقد لدفننا في العدم أبا العلاء وجعلنا كفته :
غير مجد في ملتي واعتقادي .

وما أحسبني قصرت في امتداح الفضائل التي تقمصت أناساً من مثل
الكرم والشجاعة والتقوى والعفو ، فكنت أقف الوقفة الطويلة على من تجمل
بها فأرسي من وراء الإطالة والثناء على أصحابها الى تحبيب الفضيلة نفسها .
كما أنني لم أقصر في النقمة على الرذائل من مثل النفاق والغدر والرياء

والكبرياء، وما يتصل بهذه السلسلة المشؤومة . وإنما العنف الذي أتناول به من ابتلي بمثل هذه الآفات الخلقية يقصد به محاربة الرذيلة نفسها لا أربابها ، وإن أصابهم ما أصابهم من السهام ، فلا مندوحة لمن يرمي لبّ الشجرة ^{وبدهي} من اختراق لحائها . وبدهي أن لا تثر لي على واحد منهم ، بل اني لا أعرفهم إلا من خلال التاريخ الذي اعتمدت . وما خرجت في هذه النقمة عن الاقتداء بروح الكتب الدينية فإن السيد المسيح طرد الصيارف وباعة الحمام من الهيكل ، ورفع السوط وقلب موائدكم وصاح فيهم : بيت الصلاة يُدعى وأنتم جعلتموه مغارة للصوص . وشبه الأشرار بالحيات أولاد الأفاعي ، وهيرودس المنافق بالثعلب ، والفرّيسيين بالقبور المكلسة ترى من الخارج بيضاء وداخلها عظام منتنة . وطعن كبرياءهم وندد بأولئك الذين يحبّون صدور المجالس في الجامع ، والسلام في الأسواق ويحملون الناس أحمالاً ثقيلة ولا يمدّون إليها إصبعاً .

وما سكت القرآن الكريم عن المستكبرين فقال « إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً » . « ولا تمش في الأرض مَرِحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأرض ولن تبلغ الجبال طَوْلاً ، كُلَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً » .

وقال في الخيانة « ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ آثِمٌ » . وفي المكر « أَفَأَمَّنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السِّتَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلُبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ » .

وفي الغدر «الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يثقون، فإمّا تثقفتهم في الحرب فشرّد من خلفهم لعلهم يذكرون».

وذهب القرآن الى أبعد من هذا كله في النقمة على الشرّ، فخرج من العام الى الخاص، وسمّى من سمّى، فذمّ وأوعد أبا لهب وزوجه «تبتّ يدا أبي لهب وتبّ، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وأمراته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد».

أجل إن القرآن المحيد ذمّ أبا لهب وأوعده ناراً ذات لهب، ومكانته في قريش مكانته، وقرباته من النبي قرباته، ذلك أن الحقّ يعلو ولا يُعلى عليه، لأنّ الحقّ هو الله، ولأنّ الله هو الحقّ.

الحقيقة في الخيال

معلوم أن هذه الملحمة مدارها الحروب، وأن المعامع لا تقوم بين الذين وُحِّدَتِ المودة وأُلفتِ أشتاتهم، وطُهِّرتِ قلوبهم، فترعت منها كل غلٍ فاتكأوا على سرر متقابلين. وما الحرب إلا ثارات ومطامح وشنآن، وهزيمة وانتصار وعدوان. وإذن فقد كان لأبن سعود أعداء منهم من لقي وجه ربه، ومنهم من لا يزال في الأحياء. ولو كان في مقدورنا ابتداء خصوم من الجن أو الآلهة نقحهم في الميدان، ففعل هوميروس في إلياذته، لتحاشينا أن نمس بسوء أحداً من الآدميين. أما وقد تحتم علينا أن نلج البيوت من أبوابها ونزكز الأمور في نصابها، أو نضع النقاط على الحروف، كما يقول الإفرنج، فكان لا بُدَّ لنا من ذكر الأشخاص والواقعات، معتمدين التاريخ. وقد أشرنا في الهامش غير مرة إلى المصادر التي لم يستطع أحد تكذيبها.

وليست المداينة في طبعي، فما أبعدني عن أساليب الديبلوماسيين الذين يلبسون الكلام ويؤوّهون حتى ليذهب الناس في تأويله مذاهب شتى وفي ذلك ما فيه من تزوير على الحقيقة، وإساءة إلى الصراحة.

وما كنت في صدد قصيدة مجردة امتدح بها آل سعود - جرياً

على عادة المدّاح، يدّخرون القصائد الرواسم (clichés) التي تصلح لكلّ سريّ، فما فيها من عناء الخلق، وبهجة الجديد، سوى تبديل أسماء الأعلام - بل في سبيل ملحمة موصولة الأسباب، متمسكة العرى، فاذا أسقطت واحدة منها انقطعت السلسلة، وخرجت بقصائد مدح لا يجد لها المنصفون مسوغاً لانقطاع صلتها بالواقع، فإن الطائفة لتخلّق في الجو، ولكنها قبل التصعيد في الأثير تنطلق من الأرض، من المطار، والمطار في مقامنا هذا هو التاريخ، والتاريخ ملك الماضي الذي لا يرحم أحداً فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها. وفي الكلام المأثور أن من لم يحمد عدلاً ويذمّ جوراً فقد جاهر الله بالمحاربة. وما أحسبني ظلمت خصوم آل سعود، فلقد ذكرت لهم مناقبهم، وما تغاضيت عن هفواتهم لعلاقتها بالحرب ومن ثمّ بالملحمة. ولعمري إن ما عرف من سيئاتهم في الواقع لا أكثر مما ذكرت منها في الشعر، غير أن الشعر يحتم الحسنات والسيئات فتبدو من خلال عدسة المجهر، ولولا المجهر لسقط الشعر - كل شعر - من أساسه وسلم التاريخ والمعادلات الجبرية وما شاكلها.

ومما نحمد الله عليه في يومنا الحاضر هو ان العدوان الذي أثار السيوف العربية بالأمس قد تلاشى، وعفا الله عمّا سلف، ولا ترر وازرة وزر أخرى.

وإنه لما يثلج الصدور، أن صاحب الجلالة المعظم الملك سعود بن عبد العزيز افتتح عهده بالملك بأن مدّ يد السلام الى الأقطار العربية

جميعاً ، وفتح على الأخوة ذلك الصدر الرحب الحافل بسجايا عبد العزيز ،
حسام العروبة ، وحامل بندها ، ورمز كرامتها في العصر الحديث .

وأرى ، قبل ختام هذا التصدير ، أن الفت نظر القارئ الى نقاط تقوم
لي في جانب العذر ، وهي من الوجاهة بمكان .

فمنها أن هذه الملحمة تساوي نصف إلياذة هوميروس كمية وإن
تدنت عنها كيفية ، فما خطر لي ببال أن أضع وجهاً للمفاضلة بيني وبين
ذلك الأعمى ، الذي استنار ببصيرته شعراء الملاحم الذين عقبوه فكانوا
كلهم عيالاً عليه ، برغم الشك في صحة نسبة الإلياذة اليه ، إذ قال بعضهم
إن تلك الأناشيد أو معظمها جرت على ألسنة الإغريق قبله فكان
لهوميروس فضل التدوين فقط . وزعم فريق أن مؤلفها غير واحد من
شعراء مغمورين وأن الرجل صقلها ونسقها فزاد وحذف ، الى آخر ما
هنالك من القول والحدس .

ومنها صعوبة القافية العربية والمشقة في إنزالها منازلها التي تطمئن
فيها ، ولا سيما إذا طالت الفصول فجاوزت مئات القوافي ، وليس لهذه
العقاب من مماثل في لغة الإغريق ، حيث يتطلق الروي من القيود ،
ويحتل ما يشاء من رحاب السهول وشعاف الجبال . ولا تنس أن سعة
الآنية تريد في قوة السكب .

ومنها أن الخيال الهوميري كان اذا ضاقت به أسوار طروادة

وضواحيها ينفلت من البرّ الى البحر، ويدير دفّات السفن الى حيث تطيب له الريح ويؤتيه النسيم. فإذا اعتلّ عليه الخضمّ على رجه، حلّق إلى أعلى من الجبال، فسرّح بين الكواكب، واقتحم السماء على الآلهة، فأنطق سيدهم جوبيتر على هواه، واستنزل سواه من الآلهة إلى الوقعة، فسخر واحداً لإثارة البحر أو إخماده، وجعل من الآخر حدّاداً يصوغ ترساً (لأخيل) فيرسم عليه خريطة الأرض والفلك، وكلف إلهة الحب أن تتراعى لهكتور وتخدعه كما خدعت من قبله هيلانة فكلفت بابل ملك طروادة. أما صاحب هذه الملحمة فإنّ حوله من القيود ما لا يعلمه إلا الله والذين حاولوا ملحمة عربية. وإنّ لفظة (عربية) قيد احترازي فإنّ مهمة الفردوسي في «الشاهنامة»، وقد أنفق حياته في نظمها، لأسهل من مهمتي ألف مرة.

ومنها ضيق الزمن، وهو عنصر جوهرى، إذ الكون بما فيه داخل في الزمان والمكان، ولا يتعالى على هذا التعريف إلا الله وحده، ولقد أنشأت - وأنا المبيض الجناح - في بضعة أشهر ما يقتضي النسر المعافى بضع سنوات. ولا أغالي إذا قلت إنّها ملحمة مرتجلة أو تكاد. وأرجو أن يكتب لها العيش فيتمادى بها الزمن وتكتسي من جلال القدم ما يكفل لها البقاء. وما القدم - وهو داخل في الزمان أيضاً - بالأمر اليسير، فهو الذي يخلع على الأثريّات والتحف قيمتها، ولو كانت آنية من خزف. ولا ريب أنّ السهل الذي يمتدّ مئات الأميال يلقي في نفس الناظر إليه روعة أعلى من تلك التي يثيرها منظر مرج لا يعدو بضعة

أميال، وأنَّ ما يصحَّ في المكان، من هذه الجهة، يصحَّ في الزمان أيضاً، ولعلَّه الكفيل بانضاج هذه الثمرة الفجّة. ومنها أن هذا الجريح ما برح منذ ثلاث عشرة سنة معلّقاً بخيط مشيط فوق هاوية الأبدية، ولعلَّ أصدق صورة للأساة هي تلك التي وصف آلامه فيها بفاتحة وخاتمة ملحمة «عيد الغدير» حيث يقول:

يا مليك الحياة أنزل عليّ عزمةً منك تبعث الصخر حياً
جود كفّيك إن تشأ يملأ العيش نماءً ويفرش الجذب فياً
يوقظ الزهر فالربيع على التلّ ضحوك الألوان طلق المحيّا
كلّما افترّ برعم داعبته كفّ ريح تقول للطيب هياً
واهبّ النور والندى للروابي أولني من جمال وجهك شيئاً
طال في منقع العذاب مقامي واستراح الشقاء في مقلتيّ
فنسيت النهار من طول ليلي أترى الليل شرعك الأبدياً؟
ليتني أبصر النجوم فأهدي في العشيّات بسمّة للثريّا
إنّ حظي من الحياة سرير صرت منه فلم يعد خشبيّا
كل هذي الدنيا الطليقة أضحت وريح حظي! أضحت حراماً عليّ

...

وريح حظي! تنو، بالحسّ أعصابي إذا جلجل الخيال دويّا
فإن استمسكت فعيد القوافي وإذا ما وهت ذويت شجياً
ليس عجباً أن يخطئ الصيد رام أو هنّ الحظّ طرفه العبقريّا

آه يا داه لو تركت لعيني فسحة الأفق ملعباً وردياً
 أو أزحت الكابوس عن صدري الواهي أعبُ النسيم ورداً شدياً
 فيسيل الجمالُ خمرَ حياةٍ ويهلّ اليراعُ دفعاً حمياً
 حطمت سورة العذاب يراعي واستباح في غلّت يدياً
 أتلوّ على الجراح صباحاً ويفت الناسور عظمي عشياً
 فتعجب لسابح في جحيم صاغه الخطب زورقاً بشرياً

فإذا أفسحت أيها القاري زاوية صغيرة من صدرك الرحب لهذا الزورق
 البشري السابح في جحيم العذاب فلك مني الشكر ومن ربك الرحيم الأجر
 إن شاء الله .

بيروت ٢٨ مارس سنة ١٩٥٥

بولس سلامة

١ أحلام الجزيرة

١ غلغلَ الليلُ واستطالَ الشقاءُ وادلهمتْ في المشرق الأرجاءُ
 أين أيام «يعرب» وحضاراتٌ ومجدٌ ضاعت به الأسماءُ
 كسلٌ أو هن الجزيرة حتى شمسها في سماءها شلاً
 فالسبات المديد هدًى قواها فعلى مجدها التليد العفاء
 والظباء الخفاف قد بتن فيها نائمات الضحى وما ناب دأ
 وكثيرٌ من الرقاد عياءٌ دونه في الرزية الإعياء
 الحياة الحياة أخذ وردٌ فاذا ما جلت أقام الفناء

...

واحة العز والمكارم باتت وعليها من الهوان رداً
 صفر النجد من صهيل المذاكي فخوارٌ أصداؤه أو ثغاء
 فكأن «النفود» ما أيقظته صيحة تغليية عرباً
 عزيمة هزّت «القصيم» فطاب الظل في سفحه ولذ الماء

١ النفود قفر يفصل بين نجد الشمالية وصحراء سوريا . ٢ القصيم منطقة نجدية خصبة وافرة المياه صافية الهواء والسماء تمتد في خط يبلغ طوله أكثر من مئة ميل وفيه تقع أكبر مدينتين تجاريتين في قلب الجزيرة وهما عنيزة وبريدة .
 (جزيرة العرب لحافظ وهبه)

يا لياليه خرداً حلماتٍ بالألى جاوروا السماء وبأوا
 فيها من جلالهم هيبة الماضي، وفيهم من حسنهما سيما
 ذكرت كل أبلج من زار فاعتربها لذكره خيلاً
 أسد من ربيعة كان مل السمع والالخط فاتنذ يا ضياء
 جد أعلى السراة آل سعود شرف البيد عزهم والرواء
 عمهم وائل فيا لكليب كلما طيب الزمان الثناء
 مرسل السابحات يوم خزازى لحمى كفه يفي اللوا
 - يوم ذي قار أي مولد مجد سطرته اللهازم البسلام
 - نزلته الأسنة الزرق آيات فضات حروفها الجراء
 قيل بعداً للظالمين وقرت فلك عدنان وأمحي الدخلا
 أبت «الخرج» أن تدين لكسرى و«عمان» و«الوشم» و«الأحساء»
 - تربها آلف الفصاحة حتى لتوآذيه لكمة عجا
 - رملها التبر ذهبتة القوافي والاللى أفاضها الشعراء
 دحرت فارس وعز معد وكليب دانت له الزعماء
 صائن الطير والظبا والمهاري وعلى ظله يطر الكلاء
 جاورته «البسوس» آية مكر كل حرب سعيها حوا

١ راجع أنساب العرب . ٢ كان كليب وائل سيد بني تغلب وملك قبائل معد كلها وهو قائد قبائل ربيعة ومضر يوم خزازى أو يوم ذي قار وفيه انهزمت جموع اليمن وخلع كليب عن العديين نير سيادة الغرياء وكان أول فوز للعرب على العجم (الشعراء الفرسان لبطرس البستاني) . ٣ اللهازم هم عترة ابن أسد بن ربيعة والخلفاء الذين نامروهم في ذلك اليوم الحاسم ومن عترة يتحدر المسالين أقرباء آل سعود . ٤ الخرج وعمان والوشم والأحساء أعلام أمكنة في الجزيرة . ولا بد من التنبيه الى أننا استعملنا الخرج على أنها مؤنث مضميرين لفظة «بلاد» أو «منطقة» وكذلك القول في نجد وسواها من الأمصار حين نزلتها .

«بسراب» جَسَّاسٌ نلتُ كليباً! خَسِيءُ المفتدى وعزَّ الفداء^١
 طعنة من ورائه كيف تنسى ولها الجليل والفناء وراء
 ٢ أيُّ زير هذا الذي صرَّعته وهو ملء المسمع الصهباء^٢
 رَوْع الأسد والنمورة فراساً وماتت على هواه النساء
 سل عن الزير في الذنائب والأبطال فرَّت كما تفرَّ الشاء^٣
 يَتَغَنَّى الحداة باسم أبي ليلي، ويذهو العلا، ويرضى الإخاء

...

وقادى حلم الجزيرة بالأبطال فالأمس بالكماة امتلاء
 ٢٥ يحلم الشيخ بالشباب المولي وبأيام حسننا الحسناء
 ذكرت عنترأ فهلت على الليل «التهامي» نجمة زهراء^٤
 غارت منه الأبنوس لونا وقدأ فهو والدوح في المروء سوا
 أليلى الإهاب، سبط التراقي أحش الساق، سلهب، عداء^٥
 أسود الجلد، أبيض الخلق شهم عذب الماء وأكفهر الإنا
 ٣ ليس عفا الأزار والكف عبداً إنما العبد نفسه السوداء
 - وسواد العيون أنفُسُ ما فيها، وعمياء مقلَّة بيضاء
 أطلعتك النجود فارس عبس فزها شيخها وطاب الكباء^٦

١ سراب اسم الناقة المشؤومة التي رماها كليب بهم ويسبها غدرة جاس ودامت الحرب أربعين سنة بين بكر وتغلب. ٢ الزير هو المهمل البطل الشاعر المعروف. ٣ يوم الذنائب هو أشهر انتصارات تغلب على بكر. ٤ التهامي في النسبة إلى تهامة. ٥ السبط هو المسترسل وأحش الساق دقيقتها والسهل الطويل والعداء هو السريع الخطو. ٦ الشيخ والكباء والعرار أنواع من نبات الجزيرة الطيب الفوح.

فَنَ العزم للرعان انتساب^١ ومن الخلق للعرار انتماء
 أي شر آثاره ابن «زهير» وابن «بدر» فاهتزت الصحراء
 بعث الحرب «داحس» فاستطارت^٢ وأمدت بالعثير «الغبراء»^٣
 أمطرت نارها نجيعاً ودمعاً ومن الحافرين ذرّ البلاء
 - وبنو «العبس» حمرة العرب لولا عنتر^٤ لا عتري سناها انطفاء^٥
 - اذ ينادون ويك عنتر أقدم^٦ وعزير على النجيد النداء
 - المروآت في دماه استجابت واستشاط الفؤاد والأحنا
 - وتنتزت أوداجه والجفون^٧ الحمر^٨ أجت فدونها الرمضاء
 - فرمى في العجاج مهراً قتاماً كان ليلاً فحمرته الدماء^٩
 - قنفذاً عاد من وقوع السهام الزرق غصت بسيلها الأعضاء
 - كاد يبكي من الجراحات لولا أن في سرجه استقرّ الرجا
 - فتعجب لأدهمين أطلت^{١٠} منها في المعامع الأضواء
 - قد يذرّ الضياء من جنح ليل ومن الخير قد يطل الشقاء
 - لم يروع «أبا الفوارس» جيش^{١١} كلما ازداد زاد منه المضاء^{١٢}
 - خلفه طرف عبلة ولماها فالمنايا لطرفه إغراء^{١٣}

...

ذُكِرَتْ عبلة^١ فاوداه^٢ نجد^٣ ورباه^٤ وريحها^٥ أشداه^٦

١ إشارة إلى الحرب بسبب سباق بين داحس وهو جواد قيس بن زهير سيد بني عبس والغبراء وهي
 فرس تحمل بن بدر سيد بني فزارة، والعثير هو العجاج . ٢ كانت القبائل تنعت بني عبس : بحمرة العرب .
 ٣ القمام هو الأسود . ٤ أبو الفوارس هو لقب عنتر .

- تهبط الشمس تستحم بعينها، فيحلو الضحى ويذكي الخبا.
 - من فتيت الریحان صيغت كعاب غضة سهرية أدما.
 - ومن الصندل الرطيب وفوح الند والزند، صبت الهيفاء
 بأسمها تركد الهواجر، والصحراء تندى، ويستطاب الهوا.
 فقسامخ يا مالك بن قراذ واطلب المهر ما يشاء الغلاء.
 - لا تساوي النوق العصافير والنعمان والقصر والربي الغناء.
 - نظرة من عبيلة، لأبن شداد، مواعيدها الهوى والوفا.
 - لا تساوي من شعر عنتر بيتاً جلجلت فيه رنة عذراء.
 - كفة المال في الموازين شالت وتسامى النهى وجل البهاء.

...

- كلفت «بالمكدم» الليث خود^١ مثلما يعشق الضياء العما.
 أبلج الوجه لؤلؤي الثنايا توجته الذؤابة الشقراء.
 البكتاني فارس البید، لم تحلم بأمضى من سيفه اليها.
 عنتر البيض يا ربيعة فأنعم بصباح لا يقتفيه مساء.
 فيه من صولة الأسود فؤاد^٢ ومن الغيد عفة^٣ وحياء.

١ هو والد عبلة وعم عنتر وكان يأبى تزويج بنته ببن أخيه فأخذ يسعى للخلاص منه بالقائه في المهالك فطلب مهر عبلة ألف ناقة من عصافير الملك النعمان وهي أكرم النبايا فصار في طلبها ولا رفيق له سوى أخيه شيبوب فلاقى أشد الأهوال وما زال مجاهداً حتى عاد غافراً .
 ٢ هو ربيعة بن المكدم فارس بني كنانة بل فارس العرب في الجاهلية ويطلق الرواة عليه لقب حامي الظعينة . لقيه دريد بن الصمة وعمرو بن معدي كروب فأدهشها . وكان في جبل الصورة حلو الشلال . ونزل الفرسان يبرون على قبره خاشعين يسلمون على حامي الظعينة حيناً وميتاً . (الشعراء الفرسان لبطرس البستاني) .
 ٣ اليها : الغلاة الواسعة .

حاميَ الظعن والحرارُ فرداً وأكبتهُ قناته السمرُ
 سنّها ينظم النجوم عقوداً لو تمّت مهاتهُ الغيداءُ
 سل «دريدا» به وسائل «أبا ثور» تُجَبِّكُ الأشاوسُ الأَكفَاءُ
 من يُحاولُ سلبَ المصورِ يُضْرَجُ فإذا لم يمت فنعم الغناءُ
 صائنُ الغادة الضعيفة حياً طالما حَجَّ قبره الضعفاءُ
 هيبة المِتِّ السَمِندَعِ حصن تُتَقَى في جواره الأرزاءُ
 للمغاويرِ سنّةٌ أن منهم في الملماتِ يصطفى الشفعاُ

...

٨ طود سلمى، وهل يردُّ ندائي أبلقُ من ترابه العظاءُ
 - دُلّني أين حاتمٌ، ولئن تصمتُ يُجَنِّبني من الضريحِ السخاءُ
 قبره حيثما تجود المراعي ويطيب النмир والأفياءُ
 حيث لا تصدر الشفاه ظمأً حيث لا يُخَمِّصُ البطونُ الخواءُ
 أقسم الجودُ بالذي في ظلامِ الرمسِ ألا تجوزه عجفاءُ
 ٨ أشبع الأرض حاتمٌ وهو حيٌ ولها منه في الضريحِ غذاءُ
 قبره حيث لا يمرُّ جبانٌ طرحته زنيمَةٌ لكعاءُ
 حيث تستوقفُ المناجيدَ ذكرى ويصدُّ الأنذالُ والبخلاءُ

١ أبو ثور كنية عمرو بن معدي كرب فارس بن زبيد وقد أطلقه ربيعة بعد أن غلبه وجزّ ناصيته .
 أما دريد بن الصمة فقد شهد من ربيعة عجائب الفروسية يوم حى الظليعة وحده وجندل الإيصال .
 ٢ طود سلمى هو الجبل الذي كانت تقطنه قبيلة حاتم الطائي .

من يجاور «أبا عدي» يجاور حصن مجد لا ذت به الكرماء^١

...

طود سلمى فتح ورودك وأذكر أسداً باركت عليه السماء
 ٩ بلسان النبي سمته زيد الخير فاخضوضرت به الغبراء
 جاوز السهري بسطة أجلاذ، وما فيه بالطلعان اثنا
 يبطأ الأرض راكباً فعلى متن المغيرات فارس مشأ
 يتبارى الكميت والورد والهطال، فالساح نشره وانطوا
 ساجحات عرفن زيدا إذ أحمرت عوال وضرجت دهما
 ٩٥ قنسابقن تحته للعنايا فله من نخورهن وقا
 فتصاهلن كلما سل سيفاً حسبهن التلويح والإيما
 ضابحات فوريات زناداً حين تشتد غارة شعوا
 عزها عز فارس لم يجدل فاسمه في سماعها كبريا
 هكذا تفخر العروس الصبايا حين تكسو بنائها الحناء
 ١١٠ جمحت يوم غيبوه، وكاد الدمع يجري، لو تدمع العجا

...

١ أبو عدي كنية حاتم . ٢ هو زيد الخيل الثاني وأضيفت الخيل اليه لشغفه بها ولكثرته ما اجتمع لديه منها . وقد عرفت له ستة أفراس باسمائها وهي : الهطال والورد والكميت وكامل ودوول ولاحق . وكان زيد طوالا عملاقاً يركب الفرس العظيم فتخط رجلاه في الأرض كأنه راكب على حمار . وهيكلة هبة وجمال يؤخذ بهما من يراه فعامر ابن الطفيل على شجاعته راعه منظره فاستأسر له . وقدم على النبي في وفد بني حلي سنة تسع للهجرة فلما أبصره النبي أعجب به فقال : ما وصف لي أحد في الجاهلية فرأيت في الاسلام إلا رأيت دون الصفة غيرك . وأسلم زيد الخيل على يده فسماه زيد الخير وأفضله أرضاً يستغلها (الشعراء الفرسان) .

- إحلمي يا جزيرة العرب، فالأحلام ليلٌ بوحيه يُستضاء
 ١٠ لا يضير الأمل الدجي غموضٌ فمن الليل قد تهلّ ذكاء
 هالةُ المجد والجلالة، في الألواح، ظلٌ ومسحة دكنا
 إن شعباً من الأصالة عافٍ هو في كفة الزمان هباء
 ١١ - يحفزُ المرء للعلاء جدودٌ كلما احلوك المصير أضوا
 - ويهز الأعقاب أن عماد الخلد عرش يحتله الآباء
 شيدته تلك السيوف العواري والقلوب الأبية السمحاء
 الأيون جد كل أبي هم من النكس اللثام برا
 ذاك أن الأجداد لا تعرف الجنس، نخير الوري لها أبناء
 ١٢ ربّ قربي تشدّ حياً لميت لم يمتع بمثلها الأحياء
 وحدة دورة الزمان، وإن خيلت قروناً ودقت الأجزاء
 - لوقوف الأحياء عند رسوم الدار، معني ما طاله الخلاء
 ما النواصي جاحداً غير مسخ هذه الفسق والطلا والزنا

...

هلي يا جزيرة العرب، فالأسفار لاحت وأنجابت الظلمات
 ١٣ واذكريه على الزمان صباحاً لآلات من سنائه الأرجاء
 هضبات الحجاز أضحت شمساً فاستضاءت بنورها صنعاء
 هزّ أم القرى وليد يتيماً وأهلت على الربي الأتلاء

١ المقصود تسفيه قول أبي نؤاس :

عاج الشقي على رسم يسانه ورحت أسأل عن خثارة البلد

يَسْدُرُهَا حَامِلٌ رَفِيفٌ الدَّرَارِي وَعَضَاهَا ثَمَارُهُ الْجُوزَاءُ
 أَرْهَفَ الْكَوْنُ سَمْعَهُ وَتَمَشَّتْ فِي شَرَايِينِهِ الرُّؤْيُ وَالصَّفَاءُ
 ١٢٠ الرِّيحُ الزَّعَازِعُ الْهُوجُ قَرَّتْ وَتَلَاشَى الْأَعْصَارُ وَالْأَنْوَاءُ
 لَا هَدِيلٌ وَلَا تَزِيبُ ظَبَاءُ لَا ثَغَاءُ لَا صَهْلَةٌ لَا رُغَاءُ
 أَمْسَكَتْ فِي الْحِجَازِ كُلُّ لَهَاةٍ وَاعْتَرَى الصَّوْتُ خَفْتَةً وَأَمْحَاءُ
 أَنْصَتِ الدَّهْرُ خَاشِعًا وَقَوَّلَتْ سَدْرَةُ الْوَحْيِ وَالْبَيَانِ حِرَاءُ
 أَيَّ غَارٍ ذَاكَ الَّذِي وَسَّعَ الرُّؤْيَا وَمَنْ وَقَرَّهَا يَنْوُو الْفَضَاءُ
 ١٢٥ كَيْفَ لَمْ تَنْفَجِرْ زَوَايَاهُ أَشْلَا فَتَهْوِي لَزِمَزِمِ الْأَحْنَاءِ
 قَالَ جَبْرِيلُ بِأَسْمِ رَبِّكَ: اقْرَأْ فَالْبَرَايَا وَأَهْلِيهَا إِصْفَاءُ
 فَتَلَاهَا، فَبَثَّ فِي الْكَوْنِ كَوْنًا كَتَبَ الدَّهْرُ سَفَرَهُ وَالْبَقَاءُ
 يَا لَهَا مِنْ هَنِيئَةٍ سَمَرَتِهَا فِي ثَنَائِهَا خُلُودَهَا الْآثَاءُ
 لَحْظَةً جَازَتْ الْعُصُورَ وَنَدَّتْ فَهِيَ فِي صَفْحَةِ الْعُصُورِ امْتَلَاءُ
خطف ١٢٣ أَبَدٌ مَلُؤَهَا فَمَا لَهَا بَعْدُ لَا مَزِيدٌ لَا غَايَةَ لَا انْتِهَاءُ
 هَاتِ يَا أَحْمَدَ الْمُعْظَمُ آيَا سَجَدَتْ عِنْدَ سَحَرِهِ الْبُلْغَاءُ
 رَاعِمِهِ إِنَّهُ الْجَمَانُ الْمُصَفَّى وَبَلَغُ مَطَهَّرُ وَأَدَا
 لُغَةِ الضَّادِ لَمْ يُنْزَلْ بِأَبْهَى مِنْ لَآلِي كُنُوزِهَا الْإِيحَاءُ
 إِنْ تَكُنْ سَائِرُ اللُّغَاتِ أَكَامًا فَهِيَ فِي سَدَّةِ الْعِلْمِ سِينَاءُ
 ١٣٥ جَرَسُهَا لَذَّةٌ فِي الْمَسَامِعِ حَتَّى لَيَقُولُونَ: لَهْجَةٌ أَمْ غِنَاءُ

١ إشارة إلى الآيات الأولى المنزلة في سورة العلق وهي: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

أَمْ أَغَارِدُ بَلْبِلٌ ، أَمْ هَدِيلٌ طَرَبْتُ فِي حُورِنِهِ الْوَرَقَاءُ
 لَيْسَ فَضْلٌ فِي رَوْضِهَا لِفَصِيحٍ فَعَلَى الضَّادِ تَنْشَأُ الْفَصِيحَاءُ
 جَاءَ ذُو مِرَّةٍ يَسْلُسِلُ رِيَّاهَا فَحَارَ الصَّوَابَةَ الْخُطْبَاءُ^١
 أَعْجَزَتْهُمْ «يَاسِينَ» وَ «النَّجْمُ» وَ «الرَّحْمَنُ» وَ «النُّورُ» بَعْدَهُ «الْإِسْرَاءُ»
 وَأَهْلُ «الضُّحَى» وَ «مَرْيَمُ» هَلَّتْ وَتَوَالَى «الْبُرُوجُ» وَ «الشُّعْرَاءُ»^٢
 كُلُّ قَوْلٍ لَفَوْهُ وَكُلُّ بَيَانٍ عَجَمَةٌ حِينَ يَنْطِقُ الْأَنْبِيَاءُ

...

هَلْ دَرَّتْ أَنْجِدُ الْحِجَازِ الْعَوَارِي كَيْفَ لِلْمَشْرِقَيْنِ مِنْهَا اكْتِسَاءُ
 أَطْلَعْتُ كَوْكَبَ الْفَصَاحَةِ أَرْضُ عَزَّ فِيهَا النَّبَاتُ وَالْأَنْدَاءُ
 الشُّعَابُ الدُّكْنَاءُ فِيهَا جَحِيمٌ وَ قِفَارٌ سَهْوِلُهَا الْفِيحَاءُ
 تَصْرَفُ الْعَيْنُ غَمَّةً فِي رَبَاهَا مِثْلَمَا تَصْدُمُ الْفَتَى الشَّمْطَاءُ^٣
 هَلَّيْ يَا تَلَالُ مَكَّةَ وَلِيْفَرِحْ «ثَبِيرٌ» وَلَتَبْسِمُ الرُّبْدَاءُ^٤
 فَالْصَّعِيدُ الَّذِي رَعَى ظِلَّ طَهْ كُلُّ مَا فِيهِ رَوْضَةٌ غِينَاءُ
 يَخْفَقُ الْمَنْبَرُ الْيَبِيسُ وَيَحْنُو وَمَنْ الْوَجْدُ تَنْطِقُ الْحَصْبَاءُ

...

الشُّعَابُ الدُّكْنَاءُ هَشَّتْ لَطَهْ وَجَفَاهُ الْأَصْحَابُ وَالْأَقْرَبَاءُ
 ١٥٠ قَدَّرَ اللَّهُ لِلنَّبِيِّينَ أَنْ يَشْقَوْا وَفِي مَطْلَبِ السَّمَاءِ الشَّقَاءُ

١ ذو مِرَّةٍ إشارة إلى الآية الواردة في سورة النجم عظمه شديد القوى، ذو مِرَّةٍ فاستوى .

٢ إشارة إلى سورة يس وسواها من السور . ٣ ثَبِيرُ اسم جبل .

فهمُ الشمسُ يَهْتَدِي بِسَنَاهَا وَسَنَاهَا لَعِينَهَا إِفْنَاءُ
 رَبِّ نَبْعٍ يَنْدُ عَنْهُ ذَوُوهُ وَيَبْتَغُونَ وَالشَّفَاءُ ظِلًّا
 حَسَدُ يَغْمُرُ الْقُلُوبَ فَتَعْمَى وَتَلْظَى وَقَرِيبَهَا السَّقَاءُ
 كَمْ عَظِيمٌ ثَوَى وَلَوْلَاهُ لَمْ يَشْرَفْ نَسِيبٌ وَلَا زَكَى نُبْلًا
 ١٥٥ يَتَهَاجُونَ بِاسْمِهِ وَهُوَ حَيٌّ وَآلِيهِ بَعْدَ الْمَمَاتِ انْتِمَاءُ
 أَهْلُهُ الْأَبْعَدُونَ عَهْدًا وَدَارًا وَمَزَارًا فَأَهْلُهُ الْغُرَبَاءُ
 فَاهْجُرِ الْأَهْلَ يَا مُحَمَّدَ وَانْزِلْ بِلَدًا أَنْتَ فَخْرُهُ وَالسَّنَاءُ
 ضِفَّتُهُ بَرَهَةً مِنَ الدَّهْرِ فِيهَا خَيْرُهُ السَّمْحُ وَالْعُلَى وَالرِّخَاءُ
 يَأْخُذُ الْمَصْلَحَ الْعَظِيمَ يَسِيرًا وَعَلَى قَدَرِ نَفْسِهِ الْإِيْقَاءُ
 ١٦٠ نَهْلَةُ الْبَحْرِ مَا تَدْرُ السَّوَاقِي وَبِهِ عَنْ سَخَائِهَا اسْتِغْنَاءُ
 وَبَرْدُ الرِّبَا فِي كُلِّ صَقْعٍ مِنْ جَدَاهُ سَحَابَةٌ وَطَفَاءُ
 الْفَيَافِي مِنْ جُودِهِ مَخْصَبَاتٌ وَالْمَفَازَاتُ دَوْلَةٌ خَضْرَاءُ

....

يَا ذَرَارِي الْأَنْصَارِ تَبْهَوَا عَلَى الْأَحْقَابِ فَخْرًا فَأَنْتُمْ الْوُجْهَاءُ
 كَانَ آبَاؤُكُمْ دُرُوعًا لَطْفُهُ وَلَهُمْ كَانَ صَوْبُهُ وَالِدَعَاءُ
 ١٦٥ يَا سَيُوفَ النَّبِيِّ وَالنَّقْعِ يَمُّ أَعُوزَتِهِ الشَّطَّانُ وَالْمِينَاءُ
 يَتَهَاوَى الْمُهَاجِرُونَ عَلَى الْآذِي فِيهِ وَتَشْرَقُ الدَّأْمَاءُ
 قَادَهُمْ فَارِسُ بَحْرِ الْمَنَايَا فَالْمَنَايَا وَزَنْدُهُ حُلَقَاءُ
 مَا رَأَتْ مِثْلَ سَيْفِهِ قَوْسُ نَصْرِ مِنْذَ مَا شَرَّفَ الْحَدِيدَ انْتِضَاءُ

كلَّ عَصَبٍ قَبْلَ « الْمُفَقَّر » رَمْزٌ^١ فالمواضي بعد الشطيب اقتفاء^١
 ١٧ حَذُّهُ الحَدُّ للعصور الخوالي وبه للتي تجي، اقتداء^١
 سيف طه مَضَى بكفِّ عليٍّ وتساوى الجلال والإبلا^١
 وانبرى ذو الفقار ينثر مجداً فالأعادي سنابلُ حصدا^١
 من عَدْتِهِ المنون أب جريحاً أو أسيراً فلينعِم الأسرا^١
 يوم بدرٍ إذ البواتر والمُرَّانُ لمعُ وغابة شجرا^١
 ١٨ خَفَقَتْ رَايَةُ « الْعَقَاب » انْتِشَاً^١ ومشت في خيوطها السرا^١
 قام جبريل فوقها فتداعى تحتها من كُتَاتِهِمْ شهدا^١
 وَرَدَتْ وهي فحمة الليل وجهاً صدرت وهي وردة حمرا^١
 عُقِدَتْ رَايَةُ فَعَادَتْ شعاراً فَوَقَّتْهُ الدماءُ والالآ^١
 ينفس التبر وهو بعض جادٍ ويباهي بكنزه الأغنيا^١
 ١٨ قِيمٌ سَنَّا الوري ورموزُ^١ رَسَخَتْهَا السنون والآرا^١
 ذاك ان الإنسان أرفع ما في الكون، فالكون عنده ما يشاء
 فيه يَتَفَهُّ الوضيع ويدنى وتعالى وتنفس الأشياء
 مِثْرُ رَمْزُ أُمَّةٍ خَلَدَتْهُ قُضِبُ مَشْرِفَةٍ حَدْبَا^١
 إذ يَجُوبُ النبي كُثبان بدرٍ وحواليه عصبه أَمْنَا^١
 ١٨٥ قال: ربي أكفني عدواً مريداً أبطرته الحمية الرعنا^١

١ هو ذو الفقار سيف مشهور كان للنبي فأهداه إلى بطل الإسلام أبي الحسن وفيها قال الشاعر :

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

٢ العقاب اسم راية النبي وكانت إزاراً لعائشة . وقد حمى راية العقاب يوم بدر الإمام أبو الحسن .

٣ الكلام الذي يرد في هذا الابتهاال لم يصدر عن النبي بينما بل بما يقارب هذه المعاني .

فاق عدداً وصوله وعتاداً والأقلون زهداً فقراً
 يسترون العري القبيح بطمر أو بدرع أفاضها الإطواء
 فزودوا ضوامر عاريات وقدام يحز فيها الحفا
 فهنا العابدوك سرّاً وجهراً وهناك الأصنام والخبثاء
 ١٩ وأبو « الجمل » عندهم، وعلى كفيه قام الطغاة والجهلاء
 وقيان من كل أنثى هالوك طفرت من جفونها الأسواء
 تحذوا المال للفساد فخرم فقار شهوة فبغاء
 بطروا في النعيم رحماك ربي من لدنك النعيم والنعماء
 يصف المرء في الرخاء وينشئ وهو طين جادت به الدقواء
 أنت رَوْحَنَّتُهُ، ولولاك لم ينبض جماد ولم ييش خلا
 ٢٠ فإذا شئت للعتي هلاكاً أهلكته ذبابة زرقاء

...

رَبِّ ثَبَّتْ أَقْدَامُنَا قَرُبَانَا دُمَثَاتُ رِمَالُهَا الدِّعْصَاءُ
 وتسيخ الأقدام فيها، فللأعصاب وهن وللجلود صلا
 وأسقنا فالشفاه حراً ظمأ جفت البئر واستجار السقاء
 ٢٠ كان جدي إن السحاب تواني واكفهرت آكامنا القرعاء

١ هو أبو جهل الزعيم المشهور وألده أعداء محمد . ٢ شقلت روحنته من رَوْحَنَ وزن فعل كما تقول برهن فإذا جدت المجامع العلية ففي عنق الشاعر روحنة الجمود التجل . ٣ الدعصاء الأرض الهلة يكون الحر فيها أشدّ مما في غيرها وكانت الأقدام تفرق في تلك الأرض الدمنة يوم بدر . ٤ كان ينصب لعبد المطلب كرسي على عرفات فيصبح غادياً إلى الجبل ومعه حفيده فيرفع يديه إلى الله بالدعاء وينسقي به .

والنِجَاجُ السَّمانُ باتت عجافاً ليس إلا عظامها والفراة
 كان يستمطر الغمام بطفلٍ مَضَّه يُثْمُهُ وجلَّ الأيَّامُ
 وأنا ذلك اليتيم الذي أزلت فيه الضحى فأين الشتاء؟^١
 قالها فالسحاب درُّ كريمٍ لكريمٍ خُصومُهُ الأغبياءُ
 واستفاض القلبُ فالرمل مشدود الخلايا، ومتمنه صفواة^٢
 وتبارت حمرة الظبي حالياتٍ وتَوالت بفوزها الأنباة
 بدرُ يا مستهلَّ خير جهادٍ عزَّ فيه الحنيف والحنفاءُ
 «فحنين» و«خير» و«زبيد» تبَّعُ، كالغنى يليه الثراء^٣
 تتبع المطلع البديع القوافي فتمَّ القصيدة العصاة

....

٢١ وتسامى النبيُّ للملا الأعلى، وسارت في نوره الخلفاء
 يملكون الدنيا ويرضون منها يسير: فلقمة وكساء
 وإذا تكبر النفوس، فا الأجسام إلا مطيئة هوجاء
 تُتَمَّى بالعنان مداً وجزراً ويُدال الإمساك والإرخاء
 سل علياً بها يجبك حكيمٌ نهلت من معينه الحكماء
 سل وليَّ البيان، وهو أمير الزهد، إن كان للتقى أمراء
 سائل ابن الخطَّاب، عن ثوبه البالي، يجبك الرهبان والجبساء^٤
 فاتح القدس يا صديق النصارى لك ملء الهياكل الإطرء

١ إشارة إلى ما ورد في سورة الضحى «ألم يجئك نبياً فأوى». ٢ القلب البئر القديمة التي كانت في بدر. ٣ حنين وخير وزبيد معارك مشهورة غير أن انتصار بدر يعتبر المفتاح الأول لجزيرة العرب. ٤ سار الخليفة عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس وعليه مرقعة من صوف فيها أربع وعشرون رقعة بعضها من أديم.

جئتها فاتحاً فكنت حبيباً أغدقت من يمينه الآلاء
وتأخت مآذن وقباب والأعالي في طبعين الإخاء
٢٢ السفوح الدكنا، ساح الدنيا والصياصي نسائم وصفاء
نفحات الأثير للأنفس الجلى، وفي الوحل ترسف الغوغاء
بين مهد المسيح والمسجد الأقصى تسمى هوى، وجل ولا،
مريم، مريم الطهارة، لم تحلم بأسنى من طهرها العليا.
ألف الطهر منذ ما هل وحي والتقت أحرف وقام ادا.
٢٣ قدس المصحف المجيد يسوعاً وعلى الشمس قرّت العذراء

....

ما لصهيون في فلسطين حق
أذهلوا عن رضيعها كل أم
أقفرت من مطارف العز دار
ألف القدس على الشرق أهلاً
٢٤ وذئاب أتته من كل فج
ينشدون المبكي وليس بكاء
ما لصهيون في النبين عرق
قوم لوط وما هم أهل موسى
دس المتزلون والتزلاً
واستبدت بالترفات الأما
وخوت سدة وضم فناء
فإذا فيه شرد أدنيا
طالما جمع الذئاب العواء
إنما الدمع خدعة وريا
فالنبيون منهم أبرياء
ضيعوا القبر فاستحال الشواء

١ الصياصي رؤوس الجبال . ٢ الكلام على صهيون لا يتناول اليهودية إلا من كان منهم صهيوني الجنس أو الهوى، لأن اليهودية من الأديان السابوية أيضاً . وفي هذا المقطع إشارة إلى نكبة فلسطين .

فلقد أنكر الضريحُ نفوساً دينها البغيُ والخنى والربا
 ربههم فلسهم فلو لاح فلسٌ بجذاً لسادَ فيهم حذاً
 غاية العيش عندهم درهمٌ بنحسٍ وخمرٌ، وقينةٌ جيداً
 ويغرُّ البنانُ ملمسُ رقطاءٍ، وبالناب تُعرفُ الرقطاءُ
 فتَلَوَّى وليس في الخصرِ وهنٌ وتثنَّى وليس فيها التواءُ
 ربّ قفرٍ خلف الرياضِ الحواليِ وسومٍ شفافها الحلواءُ
 وإذا يسقط الطلاءُ فدون الحسنِ، تعرى هريرةٌ خنساءُ
 دأبها المينُ والتجسُّسُ والزلفى، وفي طبع طبعها الاغواءُ
 للجواسيس عند «بلفور» عهدٌ سادَ فيه الجناة والشركاءُ
 ويضمُّ الأحرارَ نصرٌ عبيدٍ فيهم الأرذلون والجبنا
 ثعلبٌ ليثهم، وأبسلٌ، في الهيжа، منه نعامٌ فتخاءُ
 كان يحكى الأمثال أن بني صهيون، في الروع نعمة جماءُ
 فتي عادت السخال أسوداً وتباهت على الأسود الجدا

...

شركاء الذئاب كيف غويتم فنصرتم صهيون وهي الوباءُ
 بعمّ العرب بالأخسّين قدراً فلقد يستمّ نفوساً وساوا
 كل بيت من شرّكم فيه «صخر» كل أنثى من غدركم «خنساء»
 للبغايا في الأرجوان اختيالٌ والعداري نصيبهن العراءُ
 يتهاوين والعيون حيارى والأسارى تربة صفراءُ

قد بعثتم في العرب جذوة حقدٍ تكتسيها الأصباح والأمساء
 بفم الشيخ لعنة حين يمضي ومع الطفل تولد البغضاء
 إن عيناً ترى السياسة مكرأً ونفاقاً لمقلة رمداً
 بدعة الجور أن يفوز دخیلٌ ومن البيت يطرد الأبناء
 أدعياءٌ خفهم حق ذنبٍ هيّجته النيوب والأمعاء
 فأصح الأنساب فيهم شيوعٌ وقصارى نعوتهم أردياء
 أفحتم على فلسطين أن يشقى بنوها وينعم الهجنا
 خالد بن الوليد إرثك نهبٌ ورثته الرعاع واللقطاء
 فكان «اليرموك» لم تبل فيه ضمرٌ يعربية جرداً
 يوم ريعت من صهوة الخيل، «بيزنطا» وبادت كتائب خرساء
 يوم للصيد من حوالبك زارٌ وعلى حومة المنون أرتما
 و«ضرار» يأبى أدراعاً كان الدرع ستر لعزمه وغشاء
 هيبه يصدع الذوابل رعباً فلما عنه نبوة وانكفاء
 يعربيون يشمخون إذا ما السيف أبلى وطارت الأشلاء
 يتعادون للكفاح نساوى مثلما تنشد الطلا الندماء

...

في فلسطين للعروبة صكٌ دونه سيوفها الغراء

تَلَّ « حَطَّيْن » عَنْ خِلَالِ صَلَاحِ الدِّينِ حَدَّثَ وَلِتَسْمَعَ الشُّرَفَاءُ
 لَخْدَيْهِ الْعَلَى نَدِيٍّ عَلَى الْأَسْمَاعِ، وَالذِّكْرُ حَافِزٌ وَعِزٌّ
 صَدْرُهُ الرَّحْبُ لِلْعِدَاةِ وَالْأَحْبَابِ إِنْ ضَاقَ بِالْعِدَاةِ الْفَضَاءُ
 يُسْأَلُ الْعَابِرُ الْغَرِيبُ، عَنِ الْأَسْرَى، فَيُلْقَاهُ مِنْهُمْ وَزُرَّاءُ
 هَلْ دَرَى الْغَرْبُ أَنَّ فِي سَرَحَةِ الْعِزِّ دَوَاراً يَفُوتُهُ الْكِبَرُ
 سَيْفُهُمْ مَا اسْتَبَدَّ بِالْخَلْقِ يَوْمًا فَلَهُمْ مِنْ نَفُوسِهِمْ رِقَبَاءُ
 وَصِرَاعُ الْأَهْوَاءِ حَرْبٌ، يُشِيلُ النِّكْسُ فِيهَا، وَتَرْجَحُ الْأَقْوِيَاءُ
 أَنْ يُقَالَ الدِّهَانُ تَشْرِيدُ شَعْبٍ فِي الْمَفَازَاتِ فَهُوَ قَوْلٌ هَبَاءُ
 لَا يُبَالُونَ وَالْمَكَاسِبُ تَتَرَى فِي الْمَرْوَاتِ أَحْسَنُوا أَمْ أَسَاؤُا
 أَذْيَادٌ عَنِ اللَّثَامِ وَدَفْعٌ وَعَلَى الْحَقِّ وَالسَّلَامِ افْتَرَاءُ؟
 أَيْصَانُ النَّبَاتِ مِنْ فَأْسٍ حَطَّابٍ وَتَرَدَّى الْأَبْنَاءُ وَالْآبَاءُ
 أَمَدُ الْمَكْرِ لَيْلَةٌ وَضَحَاهَا فَذَا أَدْبَرَتْ يَبِينُ الْخَفَاءُ
 إِنْ قُبِحَ الدِّمِيمَةُ الْوَجْهَ يَبْدُو صَارِخاً عِنْدَ مَا يَزُولُ الْإِطْلَاءُ

...

دَيْرُ يَاسِينَ يَا دِيَارَ الْيَتَامَى حَيْثَا حَقَّرَ السِّيُوفُ ارْتَوَاءً^٢

١ في ١٤ ربيع آخر سنة ٥٨٣ هجرية كانت بداءة وقعة حطين الشهيرة التي فاز فيها السلطان صلاح الدين الأيوبي فوزاً ميبثاً. وفيها أسر الملك جفرى وأخوه البرنس أرباط صاحب الكرك والشوبك وغيرهم من القواد والأمرأ. وقد اشتهر السلطان بعاملة خصومه وفقاً لما تمليه عليه روحه النبيلة من رفة وسخاء فأُنزل الأسرى ضيوفاً مكرمين.

(ملخص عن جرجي زيدان ودائرة المعارف)

٢ إشارة إلى اللغز التي ارتكبتها الصهاينة في دير ياسين.

حيث بالقتل والغنيمه إغراء وبالعرض والنهي إزراء
حيث تستهدف الرماح الجبالى فعلى الرمح للجنين ارتقاء
وعلى التخت يحرق الشيب أحياء، وفي المهد يذبح الرضعا
٢٨٥ يهتك السر عن بياض الغواني وعلى الظهر تسدل الفحشاء
رُبَّ خودٍ جَزَتْ غَدَارُهَا الشقراء فالرأس هامة صلعا
كل طرفٍ عن الشقاء كيف كل أذنٍ عن الشجا صما

...

أمة العرب والنداء ابتهاج ليس يُغني عن القتل الرثاء
حسبكم من ضروب هزء الليالي أن عليكم تنصب الأوصياء
٢٩١ قصر في عيونهم أو رقيق جاز فيه التنكيل والإفناء
واذا بيع بالدنانير عدل فالجناة القضاة والفقهاء
ودموع الحملان تغري نيوب الذئب فيها فالصرخة استهوا
أطع العرب أن غضبتنا الجلى رجاء وحقنا استجدا

...

أمة العرب، والعصور الخوالي من بيننا غنية عبلا
٢٩٥ مهروا من فتوحهم كل أرض فيها من عجيجهم ضوضاء
نجد يا نجد حدثينا، فللمقرور في دفنك السخي اصطلا
ذكر نجد في سورة النصر تجويد، وفي مسمع الزمان حدا

ففيها من جدود آل سعود سرحة^٢ يعريئة^٣ شماء^٤
 طاب منها القيضوم^٥ في طود سلمى و «قويق»^٦ واخضرت الدهناء
 ٢٧ وزكى الرند في «السدير» وضاعت من عرار «الدوايسر»^٧ الأوداء
 حضر البید والمدائن فالربان^٨ منهم وفيهم الإرساء
 ٢٨ أسديون من ربيعة فليفرز نزار^٩ وليبعث الدفناء

الوهابية

كان في غرة الزمان إمامٌ زلزلت من بيانه الأقلامُ
 هزّ مصرًا فعَضَّهُ القيدُ فيها وتَوَلَّتْ خنقَ الأسيرِ الشَّامُ
 ٢٠٥ ابن «تيمية» يثورُ على الأوهامِ فالجبرُ في الطُّروسِ ضرامُ
 — وأشدُّ الثوراتُ في خاطر الأجيالِ حربٌ وقودُها الأفهامُ
 قال: إنَّ التوحيدَ وحيٌ وإلهامٌ، وفوقَ التَّفَلُّسِ الإلهامُ
 علماءُ الكلامِ عُشَّاقُ ألفاظٍ، ودينُ المضلِّينَ كلامُ
 يرى الدينُ والتصوُّفُ من قومٍ بغيرِ الإلهِ والدينِ هاموا
 ٢١٠ زَوَاتٌ جنسيةٌ سَتَرُوهَا ولقد يسترُ الفُرُورُ قَتَامُ
 إنما يفضحُ الضميرَ لسانٌ يَنْتَحِي حيثما يكون الغرامُ
 يخدعُ الذهنُ نفسه، ويظلُّ القلبُ يُمِلِّي، فظَلُّهُ تَمَامُ
 وَيُورُونَ عن إلهٍ بخمرٍ أو كعابٍ، أو توصفُ الآرامُ

١ ابن تيمية هو الإمام الدمشقي الذي وُلِدَ في أوائل القرن الرابع عشر (٦٦١ - ٧٢٨ هجرية) وكان يدعو للرجوع إلى الكتاب والسنة وترك طريق الفلاسفة والصوفية ومعاربة البدع كالتمسُّج بالقبور والتبرُّك بالأشجار والأحجار وقد اضطلعهُ وسجن في مصر حملته على الصوفية هناك مثل ابن سعيد وابن عربي ثم أفرج عنه وأعيد إلى الشام ثم سجن في قلعتها وتوفي سجيناً. (ملخص عن كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه). ٢ الفُرُور هو الذي يفرُّ من القتال. ٣ ورعى: اراد شيئاً وأظهر غيره.

أو بهيفاء قد تراءت لمحي الدين حسناً، لله فيه مقام
١٥ من تجلّى له الإله بأنثى فسوا أخلاقه والجذام

....

مات ما مات في الغيابة شيخ
بابن عبد الوهاب عاش دفين
فاستفاقت «درعية» من كراها
فابن عبد الوهاب وابن سعود
وتشدّ النفوس قربي وداد
يجمع الخلق بين قاص ودان
زل الوافد المكرم داراً
كل صدر للضيف درع دلاص
في الحمى وائل وآل سعود
ومضى ينشر الضياء لقوم
أزعجوا في «جبيلة» قبر زيد
لَقِيتُ من يراعِهِ الأيام
صاح هُبُوا يا أيها النوام
وأظل «المحمدين» الذمام
وحدة ما لها الحياة انفصام
أين منها في الأقربين التوام
وتشير المعامع الأرحام
دونها في المناعة الآجام
كل زندي للمستجير حسام
فسلام للنازلين سلام
ضيّعه، فالنور فيهم ظلام
وشكى الذبيح والسجود الرغام

١ هو محي الدين بن عربي المفكر المتصوف وهو في طبيعة المتغزلين بالخمر والنساء، الزاعمين أنهم يريدون العزة الإلهية. وقد تدلّه، وهو الشيخ المتصافي، بحب فتاة لم تزل في عمر البدر زائماً أنه يحب جال الله في جالها، وما أبعد ابن عربي وأضرابه عن التصوف الصحيح، وتعالى الله علواً كبيراً عما يصفون. ٢ الجذام هو داء البرص الوبيل. ٣ الغيابة من كل شيء ما سترك منه والمقصود بها هنا سجن القلعة. ٤ ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٠٣ (١١١٥ هجرية) في بلدة العينية الواقعة شمال الرياض وقد وفد سنة ١١٥٠ على الأمير محمد بن سعود في الدرعية موطن السعوديين وتعاهد الأمير والشيخ على تطهير جزيرة العرب من البدع والخرافات ونشر كلمة التوحيد. ٥ الجبيلة بلدة في نجد كانوا يأتونها للتبرّك بقبر زيد بن الخطاب كما كان أهل الدرعية يزورون مثل هذه القبور مثل هذه الأغراض ويذبحون عليها ويستغيثون بها. (حافظ وهبه)

طَفَحَ الرَّمْسُ مِنْ دَمَاءِ الْأَضَاحِي الثَّارِ أُبِيدَتِ الْأَغْنَامُ
 أَوْ بَيْنَ الرِّفَاتِ وَالْأَكْبَشِ الصَّرْعَى ذُحُولٌ قَدِيمَةٌ وَخَصَامُ
 أَمْ تَرَى الْأَعْظَمَ الرَّمِيمَةَ ظِمَامَى أَمْ هُوَ الرُّوحُ سَاغِبٌ نَهَامُ
 أَوْ يَشْقَى الْأَيْتَامُ فِي طَلَبِ الْخُبْرِ، وَلِلْقَبْرِ زَفَّةٌ وَطَعَامُ
 عَجَبًا يُهْمَلُ الْإِلَهُ وَيُنْسَى وَتُحَابَى وَتُسْتَجَارُ الْعِظَامُ
 حَزٌّ فِي نَفْسِهِ الطَّهِيرَةِ أَنْ يُطَوَّى كِتَابٌ وَتُنْشَرِ الْأَثَامُ
 فَكَانَ الرَّسُولَ مَا زَفَّ وَحِيًّا زَلَزْتُ مِنْ نَزْوِهِ الْأَصْنَامُ
 بُعِثَتْ جَاهِلِيَّةٌ وَاسْتُجِدَّتْ وَعَلَا نَصْبُهَا وَسَادَ الرِّخَامُ
 يَعْبُدُونَ الْأَشْجَارَ، فَالدُّوْحَةُ الْعَلِيَا شَفِيعٌ، وَالْكَهْفُ بَيْتٌ حَرَامُ
 سَلِ «بِمَنْفُوحَةٍ» إِذِ النَّخْلِ يُوقَى وَعَلَى فَحْلِهِ الْفَتَى اِزْدَحَامُ
 إِذِ تَحْجَّ الْعَوَانِسُ إِلَهُيمُ أَفْوَاجًا، وَفِي النَّفْسِ لِلزَّوْجِ أَوَامُ
 فَتَقُولُ الْهِيَا: يَا فَحْلَ هَذَا النَّخْلِ أَذْرِكُ، فَقَدْ بَرَّانِي الْهِيَامُ

...

آَلَمَ الشَّيْخَ رَقْصَةً حَوْلَ طَبَلٍ وَرَمُورٌ تَمَجُّهَا الْأَنْغَامُ
 وَالْدِرَاوِيشُ كَالْحَسَانِ تَشْتَى وَتَلَوَّى كَمَا يَمِيلُ الْخَزَامُ
 قِيلَ بِالْوَجْدِ يَسْقُطُونَ، وَقِيلَ الْوَجْدُ رَقْصٌ، فَنَشْوَةٌ، فَعَرَامُ

١ كانوا ببلدة منفوحة يتوسلون بفحل النخل معتقدين أن من يؤمه من العوانس تتزوج لعامها فكانت من
 تقصده تقول: يا فحل الفحول أريد زوجاً قبل الحلول. وكان في الدرعية غار يقدسونه ويؤمنون أنه كان
 ملجأ لأحدى بنات الأمير التي فرّت هاربة من تعذيب بعض الطغاة وانحذت في أحد الجبال الصخرية مأوى لها
 فانشق لها الكهف بمعجزة. (حافظ وهبه) ٢ العرام هو الفساد.

أَلَذَكَرِ الْإِلَهَ أَوْ ذَكَرَ طَه تُفْتَرَى فَرِيَةً وَيُودَى احْتِشَامَ
 جَلَّ عَنْ رَقْصَةِ الدَّرَاوِشِ رَبُّ وَتَعَالَى النَّبِيُّ وَالْإِسْلَامَ
 بِدَعُ أَجْهَامِ الْهَوَى فَاسْتَطَارَتْ وَلَهَا زَوْءُ الْجِسْمِ دَعَامَ
 وَإِذَا غَلَبَ الضَّلَالَةُ مَيْلُ غَارَ فِي لَذَّةِ الرَّحِيقِ السَّمَامَ
 إِنَّمَا الدِّينَ كَالشَّعَاعِ الْمُصَفَّى فَلَمْ الظِّلُّ حَوْلَهُ وَالْغَمَامَ
 آيَةُ النَّهْرِ نَبْعُهُ، وَيَشُوبُ الْمَاءُ، فِي دَوْرَةِ الثَّنَايَا الرِّكَامَ
 جَوْهَرُ السِّيفِ حَدُّهُ، وَنِجَادُ السِّيفِ حَمْلُ يَمَلُّهُ الصِّمَامَ
 رَبُّ نَصٍّ طَغَتْ عَلَيْهِ الْخَوَاشِي وَالنَّفَايَا، وَالْوَضْعُ، وَالْإِقْحَامَ
 يَفْتِكُ السُّوسُ بِالْجَذْوَعِ الْعَوَالِي وَمِنَ النَّمْلِ تَحْدُثُ الْأَوْرَامَ
 لِلنَّبِيِّينَ فِي الصَّدُورِ احْتِرَامَ وَمِنَ اللَّهِ وَحْدَهُ اسْتِرْحَامَ
 الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ خَفَقَةُ قَلْبٍ يَرْتَضِيهَا الْمَهِيْمُنُ الْعَلَامَ
 غَايَةُ الدِّينِ أَنْ يَكُونَ بَسِيطًا فِكْتَابُ، وَسُنَّةُ، وَاعْتِصَامَ
 وَلَكُمْ بَابُ «حَنْبَلٍ» مَوْرَدٌ صَافٍ، وَشَرَعٌ، وَحِكْمَةٌ، وَائْتِمَامٌ

....

قَدْ أَهَاجَ مُحَمَّدَانُ ضَرَامًا فَتَنَادَتْ إِلَيْهَا الْأَلَامَ
 التَّقَالِيدُ عَثْرَةٌ فِي طَرِيقِ لَمْ تُنْهَدِ عِقَابُهُ الْأَقْدَامَ
 وَتَقْيِضُ الْمَأْلُوفُ مَعَهَا تَجَلَّى حَسَنُهُ فَالْجَدِيدُ مِنْهُ أَيْتَامَ

١ الوضع من وضع الحديث أي افتراه واختلقه . ٢ كل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل .

تطبعُ العادةُ النفوسَ، فما في الطبعِ إِلَّا ما تُرسخُ الأعوامُ
 فالذي تنكرُ النفوسُ فسادُ والذي تألفُ النفوسُ نظامُ
 ٢٦٠ رُبَّ لحنٍ في خاطر الفنِّ فوضى وبأسماعٍ مُبدعيه انسجامُ
 في الصدور الغضبي على ابن سعودٍ جراتُ وفي السيوف احتدامُ
 وتلظى «الحساء» ناراً وحقدًا وتداعى «المهفوف» و«الدِّمام»
 «عرعر» الخالدي شبَّ لظاها فنبجرانُ تعقدُ الأعلامُ
 حسبوها الضلالَ والفتنةَ الكبرى، فللشيخ والأمير الحِمَامُ
 ٢٦٥ أقسموا يطفئونها بالمنايا والضحايا، حتى تقصَّ الرجامُ
 جندُ نجرانَ جاوزَ «الحرج» فتحاً خلفه «عرعر» وجيشُ لهامُ
 وأمضُ الأميرُ، في «الحاير» المغلوب، جيشُ قضى ونجلُ يُضامُ
 - أيكون الغدُ اللّجينيُّ ليلاً؟ فجره نكسُ رايةٍ وانهمزامُ
 - أعلى نفسها تدورُ الأمانى ومن القلب تنهشُ الأحلامُ
 - خيبةُ المرءِ قدزُ ما يترجى وعلى قدرِ حسنه الأيلامُ
 ذاته العالمُ العديدُ المرايا فمن الذات رغده والسقامُ

١ الحساء: المنطقة الممتدة على الساحل الغربي من خليج فارس؛ والمهفوف هي قاعدة المنطقة؛ والدِّمام على الساحل الجنوبي الشرقي. ٢ ربما كانت سنة ١١٧٨ هـ سنة ١٧٦٥ م من أشد السنين على محمد بن سعود فقد تحالف فيها حاكم الإحساء عرعر بن الخالدي وحاكم نجران السيد حسن بن هبة الله وتواعدا على الزحف على الدرعية للقضاء على مهد الدعوة الدينية وخضد شوكة دعايتها وقد زادت هموم محمد بن سعود عندما رأى ولده ينكسر في الحاير بين الحرج والرياض هذا وعرعر ومن معه من الجنود لم يصل بعد غير أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب شدد من عزيمته الأمير وذكره بما وقع لني في غزوة أحد كما أن زوجة محمد بن سعود وكانت من الصداقات الغلصات للدعوة كان لها أثر لا ينكر في زوجها. (حافظ وهبه). ٣ الرجام: القبور. ٤ الحرج إمالة في نجد عاصمتها الدَّمام وفي هذا الإقليم تروى وترتبع خيول آل سعود.

قد تجلُّ الخطوبُ وهي صغارُ وتهونُ الارزاءُ وهي جسامُ
 كاد عزمُ الأميرِ يحمدُ لولا صولةُ دون هَمِّها الأهرامُ
 يأتي بالنيِّ، حين أبوسفیانَ جَلَى، وطالت الأقزامُ
 - أخذُ غيمةُ من الشؤمِ ولَّتْ شيمةُ الدهرِ دمةً وابتسامُ
 وتوآسى الأميرُ زوجَ حصانُ من حَلاها الإيمانُ والاقدامُ
 اللبَّيات كاللآلي ندوراً وغلا، والغافلاتُ اتخامُ
 دونهن الحمى وباءٌ وثقلاً وبليهنُ في الأذى البرسامُ

...

وتولَّى عبدُ العزيزِ عربناً حين أخلَى آجامَه الضرغامُ
 ٢٨٠ لم يُبدلْ سوى القرابُ، فثُل الباتِرُ العُصبُ، فيصلُ صمصامُ
 يَنهَدُ الشبلُ للعظامِ حتى ليقولونُ، بالعلی مستهامُ
 أين «كوتُ» الأحساءِ يصدمُ خيلَ الفتحِ، والخيلُ كَرَّةً والتحامُ
 تذكرُ الأَمْسَ وهو في الصدرِ نارُ وقتادُ وفي الضلوعِ كلامُ
 لو أرادَ المغيرُ ثنيَ عنانِ مَرَدِ المهرِ، أو تأبى اللجامُ
 ٢٨٥ مربعُ «الخرج» ربعها، ولقد رِيضتُ وفي متنها الغضِيضُ قطامُ
 ناشأتِ مع الفوارسِ أتراباً، فكان الصبا وكان الفطامُ
 «غالبُ» ليس غالباً، فكان النعتُ للحاكمِ الشريفِ لثامُ

١ يأتي: يقتدي . ٢ أحد جبل على مقربة من يثرب وقد اشتهر منذ الموقعة التي دحر فيها
 المسلمون . ٣ البرسام التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب . ٤ الكوت هو مقر الإمارة
 في الهفوف يحوطه سور مرتفع وإبراج عديدة . ٥ كيلام : جروح . ٦ اللطام : الصقر .

سَلْ بِهِ «خَرْمَةٌ» تُجْبِكُ ثَرَاهَا أَوْ تُجْبِكُ الْأَغْوَارَ وَالْأَطَامَ
 كَيْفَ كَانَ الْمُوَحَّدُونَ يَرْوِعُونَ السَّرَايَا، كَمَا يُرَاعِ النِّعَامَ
 ٢٥٠ أَنْبَتِ «الْعَارِضُ» الْأَنْوْفَ لِيُوَثَّا دَائِبَهَا الْعِمَرَ زَارَةً وَاقْتِحَامَ
 أَسْلُ فِي سَفْوَحِهِ، لِلرَّمَاكِ السَّمَرِ، يَجْبُو عَلَى قَنَاهَا الْغَلَامَ
 سَلْ بَوَادِي «حَنِيفَةٍ» أَوْ «بُضْرَمَا» كَيْفَ يَنْمُو عَلَى الشُّمُوحِ الْهَمَامَ
 تَرْجِيهِ الْعَلَى جَنِينًا وَتَدْرِي كَيْفَ كَانَ الْأَخْوَالُ وَالْأَعْمَامَ
 فَذَا بِالْوَلِيدِ وَارِثِ قَوْمٍ لَمْ تُنْكَسْ لَهُمْ، عَلَى الدَّهْرِ، هَامَ
 ٢٥٠ فَلَهُ الْمَجْدُ وَالْمَأْثَرُ خَلْفُ وَالْأَمَانِيُّ وَالْمَدَى قُدَّامَ
 - يَرْضَعُ الْبَاسَ وَالْمَرْؤَةَ طِفْلًا وَصَبِيًّا يَحْلُو لَدَيْهِ الصَّدَامَ
 فَذَا شَاءَ لَهْوَةً فَقَنَاءَةً وَحَسَامًا، أَوْ صِهْوَةً وَسَنَامَ
 سُبْحَةَ «الْعَارِضِي» سِيرُ جِلَامٍ لِكُمَيْتٍ، أَوْ لِلْيَحْيَانِ خَطَامَ
 لِلْمَوَاضِي مِنْذُ الْفِطَامِ التَّمَسُّ لَعْنَايَا مِنْذُ الشَّبَابِ اسْتِلَامَ
 ٢٥٠ إِنَّا «الْعَارِضِي» لَيْثُ هُصُورٍ فِي الرِّزَايَا إِلَيْهِ يُلْقَى الزَّمَامَ
 وَاسِعَ الصَّدْرِ عَامِرَ الْقَلْبِ شَهْمَ سَيْفُهُ مِثْلَ رَأْيِهِ صَرَامَ

١ خرمة اسم بلدة انكسر فيها الشريف غالب . وفي سنة ١١٧٩ هـ ١٧٦٦ م . توفي الإمام محمد بن سعود مؤسس دولة آل سعود ومؤيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته، وقد تولى الأمر بعده أكبر أولاده عبد العزيز وواصل غزواته على البلدان المتمردة وفتح سنة ١٢٠٨ هـ منطقة الأحساء وقضى على بني خالد وفي سنة ١٢١٢ قضى على جيش الشريف غالب حول خرمة . الأطام : الحصون . (حافظ وهبه)

٢ العارض ويعرف في الجغرافيا القديمة بالعروض واليامة . ووادي حنيفة هو قلب العارض وفي جنوبيه العربي يقع سهل بضرما . وأهل العارض مشهورون بالشجاعة والإقدام واحتمال المكاره والخمسة الدينية وقوة الإرادة والدهاء وهم شديدا الإعجاب بأنفسهم، يميلون إلى العزلة وهم عدة آل سعود وجندهم، يرجعون إليهم في الملمات ويستندون عليهم عند اشتداد الكروب . ولغلبة الخلق الحربي عليهم ترى في طبائعهم شيئا من الحشونة والصلف . (حافظ وهبه)

ليس منهم نذلُ الطَّبَاعِ جبانُ^١ ثعلبُ النفسِ غادرُ^٢ خوامُ^٣
 يتولى إذا نَبَا بكَ دهرُ^٤ وتلاقت على حباك السهام
 هم كِماةٌ تحشَّنوا فسوا^٥ أفقُ^٦ باسمِ وَصوبُ جهام
 ٢٠ حسْبهم حَفنةٌ من التمرِ زاداً^٧ قد يساويه في القنوتِ الصيام
 ضمرُ الخيلِ والزنودُ^٨ وفي الهيجا ثقالُ^٩ على العدوِ ضخام
 قيمة الليث عزمه وكثيراً^{١٠} ما تغرَّ النواظرَ الأجسام
 وكثيرُ من الأناسيَ أشياءُ^{١١} وفي صفحة العلى أرقام
 خشنوا عسكرياً ورقوا صحاباً^{١٢} وسخَّوا ذادةً وصلَّوا وصاموا

...

٢١ يا سيوفَ الوغى، دروعَ سعودٍ^{١٣} الوفيونَ منكمُ والكرام
 قد نصرتمُ عبدَ العزيزِ أميراً^{١٤} فيكمُ عزٌّ رحمةٌ والحسام
 صائن الدين من خطوبِ عوادٍ^{١٥} وإمامُ الزهادةِ الصوام
 الوديعُ المهيبُ خلقاً وخلقاً^{١٦} المصلي والعابد القوام
 بسطَ الأمنَ في مَبَاسِطِ نجدٍ^{١٧} فتآختْ صقورها والحمام
 ٢٢ الحبارى في ظلِّه آمناً^{١٨} ومع النمرِ تسرح الأنعام
 حائط الأمنِ غاله سيفٌ وغدٍ^{١٩} حينما كان في السجودِ الإمام
 عبد الله منذُ ما أذنَ الداعي^{٢٠} وأذكى عقلَ الصبيِّ احتلام
 فتلقَى النعيمُ روحَ تقيٍ^{٢١} خشيةُ الله بدؤه والختام

١ خوام : خامت الأرض أي كانت وحة . ٢ نعيد التنبيه إلى أننا نؤثت لفظة نجد مضميرين لفظة (بلاد) وكذلك القول في سائر أعلام الأمصار التي تمر بك في هذه الملحمة . ٣ قتل الأمير عبد العزيز غيلة بينما كان ساجداً يصلي .

شرفَ اثنان من دمٍ وائليٍّ باترٌ غادرٌ وموت زؤام
 ٤٢٠ ومضى الخلدُ بالوسام دَمِيًّا انما مصرع الشهيد وسام
 سيفلُ الحصون سيفُ سعودٍ ومن الضرب تستجير الأكام
 للجبان الغدار لعنة أجيالٍ وحرب مُبيدةٌ وانتقام
 ٤٢١ للموالين عزّةٌ وصفاءٌ للعداة الإرمال والإيتام

— — —

٣ سعود الكبير

١ سجدة المجد قد أُنالك العميد فسعود في راحتيه الخلود
 ٢ فأنشريه على المشارق سفراً فيهل السنا، ويندى القصيد
 ٣ وانقلبه مع الأغاريد لحناً فالمشاني حلو بها التجويد
 ٤ علم في تخاطب ومناداة، وفي مسمع الزمان نشيد
 ٥ البطولات كيف تخلق برداً كل ذكر لها شباب جديد
 ٦ رب ذكر قد هز قلب الليالي مثما هز أيكه غريد
 ٧ نفحات العشي إماً تنأهت يهتف الشوق أين أين المزيد
 ٨ وتدور الأعياد في كل عام وجديد على الدهور العيد

...

١ ساءلني عن الأمير القوافي قلت هل تجهل الزمرد خود
 ٢ أو تعامى عن الأزاهر أبصار، وعن مطلع الضياء النجود
 ٣ إنه الدوحة العظيمة لولا أنه الركن وهي أنثى تيمد
 ٤ سميري الشوى مديد التراقي عارض مفعم وثغر نصيد

وصليب اللبان في منكبيه ومن الصخر زنده مقدود^١
 وأشرأبت رواجب^٢ ناشزات^٣ واستطالت رواهش^٤ ووريد^٥
 ساعد^٦ أجدل^٧ ومعصم ليث^٨ عاتق^٩ أعبل^{١٠} وعنق مريد^{١١}
 مفعم^{١٢} الساق أحش^{١٣} الرسغ مشدود الحنايا والصلب شبح^{١٤} عمود^{١٥}
 قدم^{١٦} إن يطا بها الأرض غضباناً تأذى من وقعها الجلود^{١٧}
 شامخ^{١٨} الأنف واسع^{١٩} الفم والعينين^{٢٠} سبط^{٢١} جبينه الممدود^{٢٢}
 ولحاظ^{٢٣} كعتمة الليل عمقا^{٢٤} وسواداً لولا الذكاء الوقود^{٢٥}
 بارقات^{٢٦} كومة^{٢٧} النجم^{٢٨} في ليل^{٢٩} دجي^{٣٠} تسود^{٣١} منه الجلود^{٣٢}
 صاعقات^{٣٣} في العدل^{٣٤} والخطب^{٣٥} والهيجا^{٣٦} وفي ندوة^{٣٧} الساحة جود^{٣٨}
 وكذلك^{٣٩} السحاب^{٤٠} غيث^{٤١} عميم^{٤٢} وبروق^{٤٣} خواطف^{٤٤} ورعود^{٤٥}

...

أيها القائد الجنود «بحرماً»^١ إنما الجند ما يكون العقيد^٢
 ظلّه يمسك النفوس الحيارى^٣ حسبها منه أنه موجود^٤
 مشركات^٥ إماماً نأى واهنات^٦ فإذا جاء شدّها التوحيد^٧

١ اللبان: الصنوبر. ٢ الرواجب: عروق ظاهر الكف؛ والرواهش: عروق باطن الساعد. ٣ أحش: دقيق وذلك من صفات الأسد. الحنايا: الأضلاع؛ والصلب: الظهر؛ والشبح: الطويل. وقد ورد في وصف الأمير سعود أنه كان من أحسن الرجال صورة وجلالا وورث عن عائلته جمال التقاطيع ووسامة الوجه وقد كان يرخي لحيته أكثر مما اعتاده العرب وكان خصومه يتدحون شجاعته ومهارته الحربية وكان عالماً بأصول الدين والفقه والحديث حيث درس ذلك على جده لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

(حافظ وهبه)

٤ سبط: استرسل وسهل ضد جعد. ٥ خرما: اسم البلدة حيث وقعت المعركة التي انتصر فيها سعود على جيش الشريف غالب.

مُفَرَّدُ الشَّخْصِ، وَاحِدُ الْبَاسِ وَالرَّأْيِ، عَلَى أَنَّهُ الْجَلِيسُ الْعَدِيدُ
 ٥٠ وَحِدَةٌ تَصْهَرُ النُّفُوسَ، فَمَا فِيهِمْ عَبِيدٌ وَسَيِّدٌ وَمَسُودٌ
 أَلْفَتْ حَوْلَهُ الْبَوَاتِرَ سَوْرًا وَهُوَ فِي الرُّوعِ سَوْرُهُنَّ الْوَطِيدَ
 تَبْتَغِيهِ الْقُلُوبُ وَهُوَ قَرِيبٌ وَتَرَاهُ الْعَيُونَ وَهُوَ بَعِيدٌ
 كُلُّ رَأْيٍ لِرَأْيِهِ الْفَرْدُ ظِلٌّ كُلُّ عِزْمٍ لِعِزْمِهِ تَرْدِيدٌ
 لِلْمَرْوَاتِ وَالشَّجَاعَةِ عَدَوَاهَا، فَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ رَعْدِيدٌ
 ٥١ أَهْبَتُهُمْ حِمَّةٌ مِنْكَ فَالْحَوَارِ قَرْمٌ وَنِكَسُهُمْ صَنْدِيدٌ
 فِي جَوَارِ الْهَاصُورِ تَغْدُو الثَّعَالِي أَسَدًا غَابَ فَكَيْفَ تَغْدُو الْأَسُودُ
 صِيحَةٌ مِنْكَ يَا «هَنْبِيلَ» نَجْدٍ تَسْتَبِيحُ الذَّرَى فَتَهْوِي السُّدُودُ
 يَنْبَرِي لِلنِّزَالِ كُلُّ عَتِيٍّ لَا يَبَالِي أُمَائَتْ أَمْ يَعُودُ
 وَتَحِيدُ الْقَلَاعَ عَنْ سَيْفِهِ الرِّعَافِ، وَالسَّيْفُ قَلْعَةٌ لَا تَحِيدُ
 ٥٢ عَظَمَ الْجَيْلِ وَالْعَصُورِ التَّوَالِي عَنْ تَلِيدِ الْفَخَّارِ كَيْفَ يَذُودُ
 كَيْفَ يَفْتَرُّ لِلْجِهَادِ «رِيَاضِيٌّ»، وَيَسْتَمَرُّ الْحَتُوفَ عَنِيدٌ
 قَلْبُهُ كَالْحَسَامِ صَدَقَ مَضَاءُ مِنْهُ كَانَ الْوَعْيُ وَكَانَ الْحَدِيدُ
 يَبْلُغُ الْقَلْبَ حَيْثُ يَهْوِي كَالْيَلَا مَنْطِقُ بَارِدٌ، وَعَقْلٌ بَلِيدٌ
 وَالَّذِي لَا يَهْزُهُ الْقَلْبُ جَلْفٌ مَا كَرُّ بَاخِلٌ لَنِيمٌ كَنُودٌ
 ٥٣ إِنْ لِلنَّارِ هَيْبَةٌ وَجَلَالًا وَبِهَا الْفَتَكُ وَاللِّسَانُ الْمَبِيدُ
 عَبْدُهَا لَمَّا بِهَا مِنْ ضِرَامٍ وَمَدَاسُ النِّعَالِ كَانَ الْجَلِيدُ

١ الحوار: الجبان. ٢ الثعالبي: الثعالبي. ٣ هنبيل: القائد القرطبي قاهر الرومان
 ٤ رياضي: في النسبة إلى مدينة الرياض. ٥ الكنود: الكافر النعمة، العاصي.

حيثما تعصف الحمية فالأخلاق 'جلى' والمكرمات وفود
السجايا كضدّها حلقات وحّد السلك والجمان عديد
والذي روحه تهون عليه فيكلّ الذي يحلّ يهود

...

٧٠ فتح الكفّ والحجاز أمير رُحمة مثل كفّه ممدود
وافتحّ القلوب سلّم مجدٍ للمعالي عليه يرقى العميد
يفتح الباب للضيوف ألوفاً فاذا قلّ حشدُهم يستريد
لهم القصر والفناء سباط فاذا أخلفوا المواعيد نودوا
برمكيون ولده فعلى الأضياف «يجي» وللصلاة «الرشيد»
٧٥ خاشعاً يذكر الإله وفي الأجفان غض وفي الجبين سجود
كل عبد يذلّ إلا عبيد الله نعم الذلال نعم العبيد
الأذلاء هم أذلة نفس بهظتها على الزهوى القيود
أبظرتهم أموالهم فتناشوا أن أموالهم سراب يبيد
كلما مهدوا إليه سبيلاً أهب الخلق مارج صيهود
٨٠ ناهل الثلج ليس ينقع غلاً كل كأس لظماة تميد
أشر في طباعهم واختيال وعثو ما طاله النمرود

١ اي ان الفضائل كالذائل يستتبع بعضها بعضاً . ٢ كان سعود يستقبل مئات الأضياف يومياً
فاتحاً ابواب مجلسه للجميع وكان يستقبل الزائرين في الصباح الباكر وبعد الظهر ما بين الثالثة والسادسة . وقد
تعود أن يجلس بعد طعام العشاء بين قومه وزائريه فيتلو أحد العشاء شيئاً من القرآن وتفسيره او من
الاحاديث النبوية وكثيراً ما كان الامير سعود يتولى تفسير ما يصعب تفسيره على السامع . (حافظ وهبه)

أَنْتَنُوا أَنْفُسًا فَمَا الْمُنْتَنِي بِمَجِيدِ الْهَجَاءِ ، وَهُوَ الْمَجِيدُ
لَيْسَ تَغْشَاهُمْ الْمُنِيَّةُ مِنْ قَبْحٍ ، وَلَوْ أَسْعَفَ الْأُنَامِلَ عَوْدٌ

...

يَخْشَعُ السَّيِّدُ التَّقِيَّ لَذَكَرَ اللَّهُ حَتَّى يَشْفَهُ التَّسْهِيدُ
تَحْذَرُ الصَّفْوَةُ مِنْ يَنْابِيعِ جَدٍّ مِثْلَمَا يَنْهَلُ النَّدَى الْعَنْقُودُ^{٤٩٥}
مَا خَلَتْ نَدْوَةُ الْإِمَارَةِ مِنْ شَيْخٍ ، وَلَا غَابَ عَالِمٌ مَلْحُودُ
قَطْرَةٌ الْيَوْمِ صَنُوهَا قَطْرَةٌ مَرَّتْ ، وَمِنْ جَوْهَرِ الْإِمَامِ الْخَفِيدُ
يُشْرَحُ الْآيُ ، فَالْمَجَالِسُ إِطْرَاقُ مَهَيْبٍ ، وَخَشْيَةُ وَرَكُودِ
لَمْ يُزَيِّنْ فَنَاءَهُ الرَّحْبَ عَرْشُ^{٤٩٦} لَا وَمَا لَأَلَاتٍ عَلَيْهِ الْبُرُودُ
سَيِّدُ النَّاسِ مِثْلَهُمْ فِي مَعَاشٍ وَلِبَاسٍ ، لَا هُوءَ لَا صُرُودُ
قِيَمَةُ السَّيْفِ أَنَّهُ السَّيْفُ عَضْبُ^{٤٩٧} وَفَضُولُ نَجَادِهِ وَالْعُمُودُ
وَيَكُونُ الْبَازِي فِي السَّرْبِ غَفْلًا وَهُوَ يَوْمَ الْوَقِيعَةِ الْمَقْصُودُ
تَذَرُكُ الْأَعْيُنُ الْبَصِيرَةَ أَيْنَ الْأَجْدَلُ الْفَرْدُ وَالْقَطَامُ الصَّبُودُ^{٤٩٨}
دَعَا فِي أَنْاقَةٍ ، وَانْطِلَاقُ^{٤٩٩} فِي وَقَارٍ ، وَرَقَّةٌ وَوَعِيدُ
وَيُنَادُونَهُ كَمَا تَتَنَادَى رَفَقَةُ الرِّكْبِ وَحَدَّثَهَا الْبِيدُ
حَيْثُ تَفْنَى عِنْدَ التَّخَاطُبِ الْقَابُ^{٥٠٠} وَتَفْنَى عَلَى الْعَيُونِ الْحُدُودُ

١ إشارة إلى قول المتنبي في هجاء كافور الأخشيدي :

لا يقبض الموت نفساً من نفوسهم إلا وفي يده من نتهها عود

٢ هو جده لأمه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعنه أخذ الأمير سعود العلوم الدينية وتبحر فيها .

٣ القطام الصبود : الصقر الذي يصيد الطيور كالسمان والحجال ويُدْرَبُ على ذلك بعد أن يُدْتَجَن .

فيقولون: يا سعود سلامٌ فيطيب التسليم والتجريد
 أو يُنادى: أبا «الشوارب» غوثاً ضرعنا جفً واكفهر الصعيد
 ولهم ما يشاء قلبٌ رقيقٌ وعطاءٌ سمحٌ، وعيشٌ رغيد
 ٥٠٠ أرأف الناس محسناً، وأشد الناس بطشاً، إذ الغائمُ سود
 ويلين الحديدُ للمجرم الباكي وقلب الأمير ثبتٌ شديد
 يبذل النصحَ غالياً، ولئن يفشل، فحدٌ يشوبه التهديد
 فإذا أخفقتْ فِطْعٌ وسيفٌ ورؤوس المراد عصفٌ حصيد
 أينع الأمنُ في السباسب، لا كبشٌ يضحى، ولا ذئابٌ تصيد
 ٥٥٥ تقطع الدوُّ مترفاتٌ حسانٌ ومن الدررِ حليهن عقود
 لا يبالين فالظلام سياجٌ والليالي في سرحة الأمن غيد
 فإذا هم سارقٌ باعتداءً لاح في خاطر الشقيّ سعود
 راعب الأسد في ضواحي عُمانٍ ودمشق فأين يأوي الطريد
 فبوادي العراق والشام ريعتْ و«زبيد» صنديدها مفؤود
 ٥١١ سل «بني خالد» أسود الفيافي هل «بكوت» الأحساء حصن مشيد

١ لم يكن الأمير سعود ممن يحفل بالألقاب فكان الناس ينادونه باسمه أو بيا أبا عبد الله أو يا أبا الشوارب.
 وكان في ملبه مثل باقي الشعب لا يتميز عنهم بشيء غير أنه كان أنيقاً في ملبه ويحب التعطر.
 ٢ الحد هو ضرب المجرم بحسب أحكام الشرع. ولقد كان الأمير مشهوراً بالقسوة على المجرمين. وإن
 النظام الذي يوجهه تلقى مسؤولية الجرائم التي تقع في منطقة على شيخ القبيلة صاحب النفوذ فيها جعل الأمن
 يسود كل جزيرة العرب تقريباً وأفرح قلوب الذين كانوا معرضين للغارات والنهب. (حافظ وهبه)
 ٣ استمر حكم الأمير سعود من سنة ١٢١٨ إلى ١٢٢٩ هـ فتح فيها الحجاز كله كما أنه واصل زحفه
 في الشمال إلى ضواحي دمشق فدانت له بادية الشام والعراق كما امتدت فتوحه جنوباً إلى رأس الخيمة في عُمان
 وزبيد واليمن. المفؤود: هو الذي يشكي فؤاده. ٤ الكوت: حصن مرمٍ شرحه.

المغيرات ضابحات «برضوى» و «ثبير» هَلَّتْ عليه البنود
«غالب» عاملٌ بمكة مطواعٌ، وفي صدره خصيم لدود
يوقظ النار من كثيف رَمَادٍ ورمادٍ أَيْمانُهُ والعهود
ويدوف السَّم الزعاف لِمُشتارٍ وفي الظن انه قنديد
هَيْنٌ أَنْ يُغَرَّ حُرٌّ كريم أبيض النفس حاتمٍ ودود
وعسيرٌ صيدُ الفهود وجأها وبأجولة تُصاد الفهود
يُخدع الفيلسوف، والسيد المقدام، والخاطر النبیه الولود
نبله يُسَعِفُ الحَصِيمَ عليه فَلَهْ ضِدَّ نفسه تأييد
ينظر الترك «غالب» ويوالي ويغرّ الولي وهو الرشيد
يقحمُ الليث في الخطوب، وخلف الليث رُمَحٌ مُسَدَّدٌ محدود
الحيانات في الرسائل تَتَرَى كَادَ من خبثها يضيغ البريد
قِيمُ الحصن بالعوارِ خيرٌ حسبه أَنْ يُشِيرَ كيف الصعود
زَخَرَتْ مِصرٌ بالقباليق أمواجاً دَحَاها سُودَانُهَا والصعيد

١ الضبح: هو الصوت الذي تخرجه الحبل من خياشيمها عند الركض ورضوى وثبير جبلان في الحجاز .
٢ اشتار: العسل جناه . والقنديد: هو العسل . ٣ بعد فتح الحجاز أبلى سعود الشريف غالباً أميراً
على مكة وكان غالب محادعاً يزين للامير معاداة الاتراك والمصريين ويغريها به فيراسل محمد علي وسليمان تركيا
لاستنقاذ الحرمين . وفي سنة ١٢٢٢ هـ صدر أمر السلطان سليم الى محمد علي بتولية الحجاز ومحاربة الوهابيين
غير ان الخديوي أرجأ الأمر الى سنة ١٢٢٦ . وبالرغم من انكسار طوسون باشا في الصفراء والقضاء على
الحملة تماماً فان محمد علي أعاد الكرة واستال أمراء العربان بالمال، والشريف غالب ما انفك يهد له الطرق حتى
تمكن من استرداد مكة والمدينة والطائف سنة ١٢٢٨ . ويظهر ان الخديوي اراد عقد هدنة لعشر سنوات
لان لا مطمع له في نجد فرفض سعود . وكثيراً ما يأخذ عليه المؤرخون تصلبه وشدة وبعده عن المرونة
السياسية .
(حافظ وهبه)

٤ العوار: هو العيب، موطن الضعف .

رَوَعَ التَّرِكَ أَنْ يَرَوْا عَرَبِيًّا شَامِخَ الرَّأْسِ فِي الْحِجَازِ يَسُودُ
 ٥٢٥ وَهُمْ الْقُلُوبُ السَّلَاطِينُ، فَلَا أَقْدَارُ تَغْدُو فِي ظِلِّهِمْ وَتَرُودُ
 كُلَّ بَحْرِ «لِلدَّرْدَنِيلِ» وَصَيْدُ كُلِّ بَرٍّ «لِلْيَلْدِزِ» تَمْدِيدُ
 الْحَدِيدِيِّ! مَا الْحَدِيدِيُّ إِلَّا «بَسْلِيمٌ» إِبْرَاهِيمُ مَعْقُودُ
 فَلَيْسَ لِلْحِجَازِ «طُوسُونُ» قِيدُومًا وَتَرَارُ، عَلَى الْأَسْوَدِ، الْأَسْوَدُ
 كَانَ يَوْمُ «الْصَفْرَاءِ» يَوْمَ حَدَادٍ فَلَا قَاحِي بَضْفَةِ النَّيْلِ سَوْدُ
 ٥٣٠ وَرَدُّوْهَا مَنَاهَلًا دَامِيَاتٍ وَعِقَابًا أَقْلَهْنَ كُؤُودُ
 بُدِّلَ التَّبَرُّ بِالسِّيُوفِ، لَا غَرَا، الْحَوَاشِي، وَالْمَالُ سَهْمُ حَدِيدِ
 وَهُوَ يُصْمِي ضَمِيرَ كُلِّ لَيْمٍ عَرْضُهُ أَوْ خَلَاقُهُ مَهْدُودُ
 وَالَّذِي لَا يَصُونُ عَرْضًا وَدِينًا وَوَلِيًّا عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَذُودُ
 الْقِلَاعُ الشَّمَاءُ تَهْوِي وَيَبْقَى عَرْضُ حَرٍّ عَلَى الْإِبَاءِ مَشِيدُ
 ٥٣٥ الثَّوَانِي لِعَطْرِهِ نَاشِرَاتُ وَالْيَالِي لَذِكْرِهِ تَحْلِيدُ
 أَفْلَحَ الْمَالِ حَيْثَا الدَّرْبُ شَوْكُ يَعْسُرُ الْمَشْيُ فِيهِ وَالتَّصْعِيدُ
 وَطَغَى سَيْلُ فِضَّةٍ وَدَهَاءُ وَعَتَادُ مِنْهُ الْحِجَازُ يَمِيدُ
 فَعَلَى مَكَّةَ بَيَارِقُ مَصْرٍ زَمَزَمُ فِي ظِلَالِهَا وَالْوَصِيدُ

...

فَاتِكَ اللَّيْنُ يَا أَمِيرُ، فَلَا الْإِكْرَاهُ يَجْدِي، وَلَا الشَّجَاعُ الْعَنِيدُ

١ سلاطين آل عثمان وكان واحدهم يدعى سلطان البرين وخاقان البحرين . ٢ مضيق الدردنيل
 حارس السلطنة و هو أمنع مضائق الدنيا فكان من المستحيل الاستيلاء على العاصمة التركية بمرأ . ويلدز
 هو من أشهر قصور السلطنة . ٣ السلطان سليم .

لا تكون الحياة ورداً بلا شوكٍ، يجنب الأشواك تحيا الورود
 ترزح الدوحة الصليبة، في الأرياح صرعى، ويسلم الأملود
 رب عين ولوعة بالدراري فاتها في احتراسها الأخدود
 الحياة الحياة مد جزر فارتكاض، فهجعة، فقعود
 وحده الله ذو الكمال، وإن خلدت ذكراً، وحفك التأيد
 يا سعود الكبير كيف بنجد بعد ما غاب منك ظل مديد
 ستدوب الأجيال شوقاً الى درع دلاص في زردتها داود
 وسيأتي عبد العزيز، فنعم الدرع، والبارت السمي سعود

٦ الانحدار

٥٤٨ الحجاز المنيع دان لهاجم وتولى عن العرين الحاطم
 مات! هل عاش بابنه؟ لا! فعبد الله ما جال في مجال الضياغم
 ٥٥٠ لان واللين آفة حين يجدي مخلب النسر لا هديل الحمام
 يُحمد النار زعزع، ويمد النار في اليابس الهشيم النسائم
 أسبق الخيل كالحات النواصي تقضم اللجم أو تبت الشكائم
 اما الروح تتبع الجسم في شد ولين، وفي تبسم باسم

...

أيقظ العم ضعفه فادعاها كم أهاج العنقود نهمة صائم

١ الحاطم: الأسد. ٢ يبيع لعبد الله بن سعود بعد وفاة أبيه والحرب لم تزل دائرة بين مصر ونجد فلم يستطع عبد الله أن يملك زمام الأمر بيد من حديد، ولا استطاع إدارة الحرب كآبائه. ولقد كان البدو يحبونه بالنظر الى لين عريكته بيد أنه كان ضعيف الارادة فلم يستطع ضبط البادية، والبدو أسرع الناس الى الانتفاض. وقد طمع في الإمارة عمه عبد الله ونشب الخلاف بين آل سعود. ومن أخطائه مخالفة طريقة والده في الحرب فكان يعمد الى منازلة المصريين وهم أوفر عتاداً وأفضل قيادة. أما ابوه فكان يناوشهم حتى ينهكهم ثم يتقض عليهم فيكسرهم كما فعل في «الصفراء» و«تربة» ولذا فان عبد الله لما عمد الى مقاتلة المصريين وجهاً لوجه انكسر في تربة سنة ١٢٣٠ واستولى المصريون على جنوب الحجاز في عهده وسقطت إمارة آل سعود ودخل ابراهيم باشا الدرعية وقبض عليه وأرسله الى الأستانة حيث قتله الترك. (حافظ وهبه)
 ٣ الزعزع: الريح الشديدة. ٤ إشارة الى ان شجاعة القلب تتبع الصلابة التي يتخذها الجسم بحسب نظرية الفيلسوف وليم جس. ٥ الضمير في لفظة (ادعاها) يعود الى الإمارة.

٥٥٥ ليته كان حنظلًا أو قتادًا يُنضبُ الريقَ في مذاق الطاعم
 وتلاقت عليه مصرٌ ونجدٌ ذا مُغيرٌ وذا عدوٌ مُلازم
 فضَّ جيشَ العُربانِ، من حَولِ عبدِ الله، عَمَّ عَمٍ وسيلُ دراهم
 ضَيَّعوه وهو الحامةُ خُلِقًا ليته كان جارحاً في القشاعم
 لا يسودُ العُربانِ إلَّا لبِيبٌ مطلق الكف جَلَمَدُ الزندِ حازم
 ٥٦٠ بسطة السهل بالتمرد تُغري فيبيعون سَيِّداً بمغانم
 حَوْلٌ قُلُبٌ كَطَبْعِ الفياثي رُبٌّ قَرٍ بعد الرياح السائم
 يشمسُ المهرُ في الربيعِ المَوَاقِي يهصرُ النبتُ أو يدوس البراعم
 أَبْطَرَتْهُ نضارةٌ في المراعي وسكونُ الراعي، وظلٌّ مُلائم
 وهو يدري خيَّالُه، ويروزُ الحذقَ والعزمَ في بَنانِ الشَاكِم

...

٥٦٠ أَيْنَ تَلَكِ الْإِرَادَةُ الْبَكْرُ، عَبْدَ اللَّهِ، مِنْ دُونِهَا الصَّخُورُ الصَّلَاحُ
 أَنِهَا الْمَرْءُ كُلُّهُ، فَإِذَا خَارَتْ، فَلَمَّأَلُهُ سَرَابُ الْحَالِمِ
 لَيْسَ مَجْدٌ عَلَى الْبَسِيطَةِ إِلَّا وَهْيَ فِي صَلْبِ أَسْهٍ وَالِدَعَائِمِ
 هِيَ أَخْتُ النُّهْيِ، وَدَرْبُ الْمَعَالِي وَقَوَامُ التَّقْوَى، وَعِلْمُ الْعَالَمِ
 وَعِمَادُ الْعُرُوشِ وَالْفَتْحِ وَالْإِقْدَامِ وَالْحَوْلِ فِي يَمِينِ الْحَاكِمِ
 ٥٧٠ وَدَوَاءُ الْخُطُوبِ، فِي عَصْفَةِ الْأَرْزَاءِ وَالْبُؤْسِ وَالزَّمَانِ الْجَاكِمِ
 مَعْجَزَاتٌ، لَوْلَا الْإِرَادَةُ لَمْ تَخْلُقْ، وَلَمْ تُفْعَمِ الْقُرُونُ الْعِظَامِ
 تَرْهَبُ اللَّيْثُ إِنْ تَهَلَّ مِنَ الْأَجْفَانِ عِزْمًا، وَقَدْ يَنَامُ الْمَهَاجِمِ

سَلْ عَيونَ الهنود كيف تُنيمُ النِمرُ، في الغابِ، أو تصيد الأراقمَ
نظرة العزم حسبهم وهي قيدٌ للضواري فكيف شأن الأوام

...

٥٧٥ فاتك الحزمُ يا لطيفَ السجيا ودهاءُ القواد حين تصادم
ولأعقَى «درعية» من حصار الجيش برُّ تغيض فيه المعالمُ
الصحارى متايه لغريب الدار والجيش، وهي درعُ العواصم
جحفلُ الخصم نقطة في مداها أو مقامُ البياض في طرس راقم
تبلع اللجة العميقة أنهاراً، وبالكأس قد تغص الحلاقم
٥٨٠ رؤسيا حصنها الثلوجُ فهلاً كان حصن الأمير قفرُ جاهم
رملة يدفع المغير، فتذروه السوافي، غبر الذبول رواجم
وكمينٌ يسطو، وآخرُ جواسٍ، اذا نامت العيون يداهم
خدعة الحرب فطنة وسواها خسة النذل، أو سبيل الجرائم
خطلُ الرأي أن تقابل جيشاً فاق عداء ودربة وصوارم
٥٨٥ يهدم الحصن جندلاً تلو صخرٍ فخصاة مطواعة للرادم
فاذا الوهن مسة بات سداً فارغاً جوفه صديع القوائم
حسبه لطمه ويهوي، فأركان الزوايا، على الحضيض شراذم
يُنتف النسر ريشة بعد أخرى والخوافي تنهار تلو القوادم

١ لقد أخطأ عبد الله بمقابلة المصريين في الدرعية فالصحراء واسعة والمصريون لا يستطيعون إبقاء حاميات في جميع الأراضي النجدية .
(حافظ وجهه)

وإذا النسر من ريشٍ تعرَّى صار للفارسين لقمة لاقم

...

٥٩ أنسيت الأب العظيم سعوداً نارة كامناً وطوراً يهاجم
 سل حزون «الصفراء» كيف يهبُ الليث للفتك إذ يقولون نائم
 وأشدُّ السيول جُفأة غيثٍ يترك الجذع كالصُفاة عائم
 يحرف الروض والبيادر، منضوداً جناها، ويستبيح السوائم
 هل تذكَّرت يوم «تربة» والأعداء صرعى، والفاتحون غنائم
 ٥٩٠ عبر لو نظرت أمساً قريباً ولزمت السمات القويم العاصم
 ينقل الناس علمهم عن كتابٍ ولديك الكتابُ سفرُ الأعظم
 فأبوك الرِّبالُ عزُّ المواضي ولوا الوغى وقطبُ الملاحم
 كم ضياء به استنار غريبٌ حين درب الأولاد أسود فاحم
 «لا نبي في أهله» قال عيسى كم تنأى عن مطلع النبع هائم

...

٦٠١ سلَّمت مكة، وظلَّ عرينُ الأسد في نجد كالحجرة قائم
 فقزته الحمى فأودى سعودُ صرع الداء من يُخيف القاحم

١ تربة : اسم بلدة ورد ذكرها في ما تقدم . ٢ تقدم الكلام على وفاة الأمير سعود . مات (١٣٣٩) في الدرعية على أثر حمى أصيب بها ولئن شاء القدر أن يشاهد قبل موته إفلات الحجاز من يده فإن ذلك لم يؤثر في حالة نجد الداخلية وذلك بفضل شخصيته الجبارة والصلابة التي عرف بها . وبموته فقدت نجد تلك الشخصية المهيبة الجبارة . (حافظ وهبه)

هَيْبَ فِي زَعِهِ ، وَلَا غُرَ فَاَلرُّبَالُ يُخْشَى ، وَلَوْ كَلِيلًا آجَمُ
 فَصَلَ الْخَدَرَ عَنْ مُغِيرٍ قَفَارُ شَاسَعَاتٍ تَمُدُّ فِي رُوعٍ وَإِهِمُ
 لَمْ يَقْرَبْ سَاحَ الْقِتَالِ سَعُودُ فَالضَّوَا حِي عَلَى التَّزَالِ مَحَارِمُ
 ٦١٥ يَزَارُ اللَّيْثُ دُونَ غِيلٍ ، عَلَى بُعْدٍ ، فَلَا تَسْمَعُ اللَّبَاءُ الزَّمَا زِمُ
 مَنْ يِقَاتِلُ فِي بَاحَةِ الْقَصْرِ جَيْشًا فَلَقَدْ أَسْعَفَ الْحَيْسَ الْهَادِمُ
 شَوَّمَتْ هُدْنَةُ عَقَدَتْ وَ «طُوسُونَ» ، وَكَانَ الْعُدَاةُ نَهْبًا لِفَاغَمُ
 إِذْ تَفَشَّى الْوَبَاءُ فِي الْجُنْدِ ، وَاسْتَشْرَى فَنَاءُ ، وَاسْوَدَّ وَجْهَ الْقَادِمِ
 فِي سَعِيرِ الرَّمْضَاءِ يَفْنَى رَجَاءُ وَجُنُودُ خَوَّارَةٍ وَبِهَانِمُ
 ٦١٠ يَتَهَاوُونَ ، كَالْفَرَّاشِ عَلَى الْمَصْبَاحِ ، فِي حَيْرَةِ الْفَرَّاشِ الْخَائِمِ
 أَكْمَلَ الْبُؤْسُ مَا ابْتَلَتْهُمْ بِهِ الْحُمَى ، فَكَادَ الْعَدُوَّ يَصْبِحُ صَائِمِ
 أَنْتِ أَنْعَشْتَهُ فَأَهْرَامُ مِصْرٍ زَفَتِ الشُّكْرَ لِلشَّفِيقِ الْمَسْلَمِ
 أَنْتِ أَنْعَشْتَهُ فَهِيَاتِ قِيدًا وَنِيوبًا ضَرَّاسَةً وَمَاتِمِ
 سَلَّمَ النُّصْرَ غَيْرُ هُذِيِّ الْمَوَاضِي مَعْمَدَاتٍ وَذِي الْأَكْفِ النَّوَاعِمِ
 ٦١٥ إِنْ تَكُنْ رَاحِمًا بِنَفْسِكَ فَاَبْدَأْ هَانَ لَوْ كُنْتَ غَيْرَ نَفْسِكَ ظَالِمِ
 قَطَفَ النُّصْرَ مِدْرَهُ الْمُعْيُ فَتَلَقَّاكَ سَيْفُهُ غَيْرَ رَاحِمِ

١ قد أشرنا في حاشية سابقة إلى الخطأ الذي ارتكبه عبد الله إذ قاتل المصريين في الأماكن الآلهة وكان ذلك من الأسباب التي آلت إلى إفلات نجد بعد الحجاز من يد آل سعود . ٢ من أم أخطاء عبد الله عقده الهدنة مع طوسون باشا سنة ١٢٣٠ فلما كانت من أكبر الأسباب التي عملت على تقويض سلطانه لأن المصريين كانوا يومذاك في أشد الظروف حرجاً فقد كانت ذخائرهم على وشك التفاد كما أن الجوع قد فتك بالجنود والحيوانات فالهدنة مكنتهم من تجديد حملاتهم على الحجاز ولو أن عبد الله تابع القتال لفضى على الحملة المصرية .

(ح . و . ٠)

تنبيه : أننا نشير بحرفي ح . و . إلى السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين .

إنما المجد فرصة ، فاذا فأتت ، فل ، الحياة آلام نادم
 سَل «هَنِيْبَعْل» وهو قاهر «رُومًا» كيف حالت زُهر الليالي البواسم
 رَنَقَ العيش كله فوت نصر كان طوع البنان رهن المعاصم
 ٦٢ روعة الصبح جره ، وكال النصر والمسرح الجليل ، الخواتم

....

أ يكون التاريخ دورة أيام توالى على الوجود الدائم
 فتكر الأحداث ، مثل فصول العام ، أشباه ما تكون التوائم
 هل فلسطين بعد هدنة شوم غير شلو تناوشته اللهازم
 تل «آبيب» كان أدنى مساغا من كؤوس الطلاب كف منادم
 ٦٢ فقد الصل ذبله ، وفقار الصل ديست ، والرأس كالبطن وادم
 يتلوى في جحره ، ويكاد البرد يقضي على الخبيث الناعم
 أنعشوه بهدنة فاذا صهيون تستقبل الحياة مناعم
 تبيع البحر وهو ملح أجاج وتسيغ البر العريض الغلاصم
 عينها «للهمال» عين أكل هذه الصوم قبل مد الولائم

....

٦٣ قضي الأمر فالأمير أسير وسما «الدرعية» الطلق واجم

١ هنيبعل أو أنيال هو القائد القرطجي المشهور (٢٤٧ - ١٨٣ ق . م) وبعد من أعظم قواد العالم وبلغه المؤرخون لتقاغه بعد انتصاراته الرائعة عن دخول روما ، فقد صرف الشتاء في مدينة «كابو» الإيطالية فكان هذا القعود بمثابة هدنة أعطيت للرومان فجمعوا أشتاتهم وعن هذه الهفوة نجم شقاء القائد وانكار قرطاجة . ٢ الهمال الحبيب الذي تنوي إسرائيل التهامه .

سَيَقُ لِلْقَفْصِ أُنْسٌ كَاسِرَاتُ^١ فِي جَوَارِ الْجُوزَاءِ كَانَتْ حَوَائِمُ
 بَاقَةٌ مِنْ شَبَابِ آلِ سَعُودٍ صَفْوَةٌ مِنْ لُجَيْنٍ تِلْكَ الْمَنَاجِمُ
 مَنَهْلُ الْجُودِ يَوْمَ بَذَلَ الْعَطَايَا شَرَفُ السَّيْفِ يَوْمَ تَحَمَّى الْجَمَاجِمُ
 مَدَّ لَيْلُ الْبَاسَاءِ جَنَحًا عَلَى نَجْدٍ وَغَصَّتْ بِالكَارِثَاتِ الْمَوَاسِمُ
 وَتَمَادَى الْفَسَادُ بَعْدَ كُمُونِ فَالْجَانِي مُبَاحَةٌ لِلْغَانِمِ
 فَهَنِيئًا لَأَمِنْ فِي رِقَادٍ وَهَنِيئًا لِرَاحِلِ عَادِ سَالِمِ
 لَا يَخِيفُ الْقَطْعَانَ طُلُسُ ذُنَابُ^٢ بَلْ يَخِيفُ النَّعَاجَ طُلُسُ أَوَادِمِ
 أَيْنَ عَهْدُ أَبُو «الشَّوَارِبِ» يَحْمِيهِ، فَتَرَعَى مَعَ النُّمُورِ النَّعَائِمُ
 هَزَلُ الدَّهْرِ فَاعْتَلَى ابْنُ «مُشَارَى» سِدَّةَ الْحَكَمِ فِي الزَّمَانِ الْآزِمِ
 سِدَّةٌ مِنْ رِقَائِقِ الْغَيْمِ أَوْهَى وَمِنْ الثَّلَجِ تَحْتَ وَطْءِ الْمَنَاسِمِ
 عَضْدَ التُّرْكِ وَهَنَهَا فَأَحَاطُوهَا بِسُورٍ مِنَ السُّيُوفِ الْحَوَاسِمِ
 فَأَتَانَهُمْ «تُرْكِي» النَّبِيلُ السَّجَايَا وَحَفِيدُ الْعَلَى، وَجَدُّ الْكَارِمِ^٣

١ طلع محمد بن مشارى بن معمر في الإمارة فانتقل من العينية إلى الدرعية غير أن أمره لم يطل فقد انتزعها منه مشارى بن سعود غير أن ابن معمر استعادها ثانية فقام تركي بن عبد الله ونار لابن سعود وقبض على ابن معمر وولده وقتلها جزاء تسليمها مشارى للترك . (ح . و . ٥)

٢ هو تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود . وعبد الله والده هو غير عبد الله الذي أسره إبراهيم باشا وقتله الترك كما توهم بعض الكتاب . ويعتبر تركي المذكور من مشيخة الدولة الثانية لآل سعود في سنة ١٢٣٥ هـ . لأنه منذ هذه السنة اعتبر الزعيم الساعي لاسترداد إمارة آل سعود . ولقد هرب في تلك السنة من الرياض بعد حصار الاتراك له ولكنه خرج منها . وأفعأ عظم الثورة ضد أولئك الفاتحين وقد استمر ينتقل من بلدة إلى أخرى مرة مهاجراً وثارة مدافعاً . وتمكن بعد محاولات من استرداد الرياض التي جعلها مقراً له ومن إخضاع نجد كلها . وفي آخر سنة ١٢٤٩ ذكر مشارى بن عبد الرحمن بن سعيد الأمير تركي مؤامرة اغتياله فيها وأعلن نفسه أميراً على نجد . غير أن فيصل بن تركي الذي كان في القطيف يوم اغتيال أبيه باذر إلى الرجوع للرياض لينأى لأبيه من مشارى بعد أن استعد لذلك . وفي ١١ صفر سنة ١٢٥٠ دخل فيصل الرياض وحاصر مشارى في قصره ولم يمس بضعه أيام حتى تسلق فيصل ورجاله القصر وقتلوا مشارى ومن ساعده على تدبير المؤامرة لاغتيال أبيه وأعلن فيصل نفسه إماماً وحاكماً على نجد . (ح . و . ٥)

أقسم الباسلُ الأميرُ ميمناً أن ستحيا تلك العظام الرماثم
 ليُشِيرَنَّ في الدغال السبنتى ليُهيجنَّ في الوعور الضراغم
 ٦٤ لَيَقِيمَنَّها على الترك حرباً تنقل الورقُ بثها واليائم
 يبعثُ «الخرج» و«القصيم» و«شقرا» و«سديراً» بواتراً وعزائم
 إرثُ «عدنان» إن يرُمهُ دخيلُ فخطاهُ على الصعيد مآثم
 سَوَّرَتْهُ السماءُ بالعُربِ حُرَّاساً، وبالمصحف الحميد قائم
 ما لنجدِ والترك فانظر تَراها كيف ينبو عن غمفات الأعاجم
 ٦٥ قَرَّبَها للأجنبي دَيَّاجيرٌ، وللضاد أنجمٌ ومباسم
 وتَراها لكل ياء وسين تنشر الفوح في رِخي النياسم

....

وتَدَاعَتْ نجدُ إلى ظلٍ «تركي» فارس الخيل والحسام الصارم
 هَابَهُ الترك قسوراً يعربياً واستحبت زاراً الهصور الحصارم
 هجر النوم نائزٌ وإيلي بين جنبيه للرجاء عوالم
 ٦٥ أبدأ يضرم الصدور، كَنَارِ الفرس، موصولةً بهمة حادم
 قال: فَلْتُصْبِحِ «الرياض» لنا داراً وحصناً تأوي إليه المكارم
 دون أسوارها تَلَأَشِي الأعادي وعلى بابها تموت المظالم
 وتبيت «الرياض» في ظلٍ أولادي، مناط السها وقطب العواصم

١ السبنتى: النمر. ٢ الخرج والقصيم وشقرا وسدير. أعلام أمكنة معروفة في نجد.
 ٣ سورة يس والمقصود هنا ترتيب آي الذكر الحكيم.

صدق الوعد، هكذا كان تركي عنترأ في الوغى وفي الجود حاتم
 المطايا ثقلة، وبها زهو، فتختال في الصعيد الرواسم
 هاجماً تارة وطوراً دَفوعاً باسم تارة وطوراً كاظم
 شرادوه فما نبأ ظفر ليث أغزر الدمع بينهم واليتائم
 يرمق الحذر موجع اللب، لهأب الحنايا، مُشرد الطرف ساهم
 يهجر النسر عشه، ويظل القلب يرعاه في المساء الداجم
 ثاويًا فوق صخرة كاد يفريها مغيظ، على الجلالة جاثم
 حن للنسر وكره فاذا بالنسر ينقض كالمنية قاصم
 فاذا نجد حرة من جديد والعرين «الرياض» جذلان باسم
 عاد تركي فمأست النخلة الهيفاء تيهًا، والورد شق الكمام
 ما درى الورد أن فرحته الكبرى كعمر الشذا، كمر الغمام
 أن خلف الهناء صلاً خبيثاً يشحد الناب في الخفاء العاتم
 أن مجد الأمير غاظ «مشاري» وأهاج الذئب الحسود الناهم
 غاله قاطفًا غراساً سقاها غيره من دم الفؤاد الساجم
 جاب غاباً من الجراب إليها وخضماً من النجيع ملاطم
 كان في الصحو راتعاً، يوم نجد وربأها أمست مواطى، غاشم
 أرضها مسرح الدخيل، ومُرتاد العوادي، والجو أكدر غائم
 يوم في السمع بابل وسياط القوم عن صولة العتي تراجم
 يوم دانت للأجنبي أنوف فالجبين الأغر في الترب راغم

هَامِهِمْ فِي الثَّرَى، وَتِجَانِهِمْ أَهْوَتْ، فَمَا جَلَّالُ الرُّؤُوسِ عَمَامُ

....

قَاتِلَ الضَّيْفِ الْأَمِيرِ تَأَهَّبَ لَسِرِيرٍ فِي بَحْرَةِ الدَّمِ عَائِمُ
 ٦٨٠ قَدْ فَتَحَتْ الْجِرَاحَ فِي بَيْتِ عَبْدِ اللَّهِ فَانْزَلْ عَلَى الْعِقَابِ الصَّارِمِ
 لَيْسَ تُجْدِي فِي ضَمْدِهِ حِيلَةُ الْأَسَى، وَلَا تَدْمِلُ الْكَلُومَ الْبَلَّاسِمِ
 لَيْسَ يُنْجِيكَ مِنْهُمْ سَاحِرٌ يَرْقِي، وَلَا تَدْفَعُ الْمَنُونِ الطَّلَاسِمِ
 يَجْمَلُ الصَّفْحُ عَنْ خَصِيمٍ وَلَكِنْ يَقْبَحُ الصَّفْحُ عَنْ غَدُورِ آثِمِ
 غِيلَ تَرْكِي فَلَمْ يَدُ نَسْلُ تَرْكِي سَتَرَى الْعَدْلَ فِي انْتِقَامِ النَّاقِمِ
 ٦٨١ بِأَبْكَ الرَّحْبِ مُطْلَعٌ لِلْيَتَامَى قَصْرُكَ الشَّمْعُ مُصَدَّرٌ لِلْأَيَّامِ
 يَثَارُ الْوَاهِنُ الْجَبَانُ، فَكَيْفَ اللَّيْثُ، لِلْوَالِدِ الْعَظِيمِ الْخُضَارِمِ
 دَمُهُ السَّمْحُ نَابِضٌ فِي فُؤَادِ النَّجْلِ سَمِيحًا فَاسْتَبْشِرِي يَا مَنْجَمِ
 يَا «رِيَّاضُ» اصْبِرِي فَعَمَّا قَلِيلٍ يَنْهَدُ الصَّبْحُ مِنْ رَبَّاكَ الْقَوَاتِمِ
 ٦٨٢ فَيَصِلُ قَادِمُ فَكُلُّ خَزَامٍ مَشْرُئِبٌ، وَكُلُّ زَهْرٍ فَاغَمِ

٥ فيصل

٦٩٠ أسد الغاب، أين منه الغاب؟ فلقد ضرج العرين الذئب
جاءه في «القطيف» نعي الذي عزّ فعزّت في ظلّه الأقطاب
لمس السيف صنوه فاستشاط العضب، وانحلّ في السعير القراب
جمرة صار حدّه فأضاء الليل من وهجه، وغار الشهاب
مقبض السيف «بالقطيف» ولكن يسمّ القصر في «الرياض» الذباب
٦٩٥ غلبة العضب للسمي دليل أن في الخطب تجمع الأنساب
يا نظيري، قال الأمير، وفي الأضلاع شوك، وفي الجفون التهاب
سوف نعلو أنا وأنت إلى المريخ، إن يصدق السوال الجواب
أبيض حدك الرهيف، وهذا اللون، في عالم السيوف معاب
ما كتاب فيه الصعائف بيض؟ ما بياض الاثير إلا ضباب
٧٠٠ حمرة الورد عزّه، وجمال الأفق، في صحوة العشايا، خضاب
وروا الصنديد عزم صليب وجلال السيف الجرّاز الضراب
أنت لولاي قطعة من حديد صهروه فأنجاب عنه التراب

وبكفيّ تعلو من دونك الأطوادُ شتياً، ومن نَدَاكَ السحاب
عرشك الهام والعواقق تُفرى غمدك البيض والغلاظ الرقاب
يعربيّ أنا وأنت قريبي أفتخشي أن يعتريك السحاب
لا! وأقسمت بالذي مات مغدوراً سئسقى وتطفح الأكواب
ما أحلت لنا المدامة فانهل من دماء الأبطال، نعم الشراب

...

وكان الحسام في شبه نجوى وعلى حده الرهيف عتاب
أتراه يقول: يا فارس الهيجا، يوم الكُماة في الرّوع هابوا
في فرندي لظى الجحيم ويبقى فيك من جارك السميّ ارتياب
فيك مني المضاء نعتاً وعزماً وضرباً، ولي إليك انتساب
صقلتني القيون حراً صدوقاً لم تدنس غراره الأوشاب
فكلانا حرّ النجار طهور قد نمونا كما نما الأتراب
أنسيت الأمس القريب وعربي في الميادين لاهب جواب
أنت غضب، تذود عن والد غضب، كما ينصر العقاب العقاب
وأنا مُصلت بكفك، ما لأمست غمداً، ولا طواني الحجاب
يوم حطمت قيدك الصلب في مصر، وجئت الوطيس، وهو عباب
فتلقاك مثليج الصدر «تركي» مثلاً افتر للندى أعشاب
فنقلنا من البطولة سفرأ وقبّسنا كيف الليوث تهاب

٧٢٠ فَاتَّخَذَنِي إِلَى «الرياض» رَفِيقًا ظَمِي، الْحَدْرُ وَالْمَوَالُونُ لَا بَوَا^١
وَاضْرِبِ السَّوْرَ بِي، فَإِنْ لَمْ أَقْدِ الصَّخْرَ، فَلَيْسَتَمِلْ غَرَارِي الْهَبَابِ

...

وَمَشَى فَيَصِلُ إِلَى الْقَصْرِ فَاسْتَعَصَتْ بُرُوجُ^٢، وَعُوذَتْ أَبْوَابُ^٣
حَسْبِ الْغَاصِبِ الدَّخِيلِ «مُشَارَى» أَنْ سَتَجِدِي مَجَنَّةً^٤ وَعِقَابُ^٥
فَاتِهِ أَنْ فِي الْبَطُولَةِ سِرًّا مُسْتَكْنًا مَا لَمْ تُثَرِّهِ الصَّعَابُ
٧٢٥ تَكْمُنُ النَّارُ طِيَّ أَعْوَادِ سِرْحٍ فَإِذَا حُكَّ أَجَتِ الْأَخْشَابُ^٦
كُلُّ صَعْبٍ سَهْلٌ عَلَى الْخَاطِرِ الْمُتَوَتِّرِ، إِنْ هَاجَتِ النَّسُورُ الْغَضَابُ
لَمْ تَكُنْ غَيْرَ لَيْلَةٍ وَضَحَاهَا فَإِذَا الْعِيدُ حَيْثُ كَانَ الْمَصَابُ
عَاشَ «تَرْكِي» بَنَجْلِهِ لَمْ يُبَدَّلْ عَزُّهُ، فَالَّذِي تَوَارَى إِهَابُ

...

أَتَرَاهُ اسْتَرَاحَ مُنْذُ شَرَفَ الْقَصْرِ، وَتَاهَتْ فِي ظِلِّهِ الْأَطْنَابُ
٧٣٠ وَتَدَاعَتْ إِلَى الْهَنَاءِ نَجُودُ^٧ وَاطْمَأَنَّ الْخَضَارُ وَالْأَعْرَابُ
أَيُّطِيقُ الْأَتْرَاكُ أَوْ عَرْشُ مِصْرٍ أَنْ يَسُودَ الْخَلِيجَ عُرْبُ^٨ عَرَابُ^٩
فَلْيُثَرِّهَا الْأَتْرَاكُ حَرْبَ ذَوِي الْقُرْبَى، فَتَفْنِيَ الْأَرْحَامُ وَالْأَصْلَابُ

١ لا بوا: عطشوا. ٢ عوذ الرجل: دعا له بالحفظ. ٣ المجنة: كل ما وفاق من السلاح
والعقاب مفردا عقبة. ٤ العود هو الخشب أو ما طرح من الأغصان فيس والسرحة هو الشجر المستطيل
الخال من الشوك والضمير المستتر في حُكَّ عائد إلى سرح وهو اسم جنس واحده سرحة. ٥ الخليلج
الفارسي من جهة الأحساء.

عمرُك اللهُ خالدُ بنَ سعودٍ كيف هانتُ في رأيك الأُحسابُ
قد أَمْضَ الأَنْسابُ أنْ تَتَبَارَى للفناء العيون والأهدابُ
٣٥ ٧ جَمَعْتَكُمْ في سِدْرَةِ العِزِّ أَجْدَادُ كِرَامِ النِّجَارِ كالشَّهَد طابوا
أَتَقُودُ الأَتْرَاكَ إِذْ أَنْتَ حُرٌّ فَمَنْ شَرَفَ الأَيُّ انتداب
غَرَّكَ البرقُ ساطِعاً فَرَجُوتُ الغَيْثِ يَهْمِي وذاكُ برقُ خِلَابِ
عُمْدِ البَيْتِ يَتَغَيَّبُ دَخِيلُ هَمُّهُ الْفَرْدُ أَنْ يَسُودَ الْخِرَابُ

...

آزَرْتُ فَيَصَلَا ذُؤَابَاتُ نَجْدٍ أَسْدُ في الْقِتَالِ شَبَّوْا وشابوا
٤ ٧ يُورِدُونَ الْحَسَامَ في الصَّبْحِ صِدْيَانِ وفي الْعَصْرِ يُزْهِرُ الْقِرْضَابُ
هَالِ مِصْرًا وَرَاعَ سُلْطَانُ تَرْكِيَا عَدُوُّ لَهُ إِلَى الْخُلْدِ بَابُ
فِيصَلِ الْعَرَبُ كَيْفَ أَنْتَ؟ وَقَدْ حَاقَتْ بِكَ الدُّهُمُ والرَّدَى مِنْكَ قَابُ
كُلِّ قَطْرٍ عَلَى «رِيَاضِكَ» حَرْبُ كُلِّ غَابٍ كِنَانَةٌ وَحِرَابُ
جَاءَ «خُرْشِيدُ» فَالْخُدْيُوي فَمِصْرُ قَفَرُوقُ فالْعَرَبُ فالْأَحْزَابُ
٥ ٧ وَأَشَدُّ السِّهَامِ فَتَكَأُ وَإِلَامًا سِهَامُ تَرِيشُهَا الْأَصْحَابُ
«شَمَرُ» و«الْقَصِيمُ» هَبَّتْ فَفَقَصَتْ بِالْعِبَاءِ وَالْمَهَارِي الشَّعَابُ
يَثْبِتُ الدُّوْحُ لِلْسَيُولِ وَلَكِنْ أَيْنَ يَرْسُو إِذَا تَمِيدَ الْهَضَابُ

١ استعان الأتراك والمصريون على الأمير فيصل بالأمير خالد بن سعود ومعه شمالي نجد . وبعد معارك دامية استسلم فيصل لخورشيد باشا قائد الحملة المصرية فأرسله مع أخيه جلوي وولديه عبد الله ومحمد إلى مصر . ثم خاضت نجد فتنة أهلية بين خالد وعبد الله بن ثنيان فغلب خالد على أمره وتوفي بمكة . قُرووق لقب الأسنانة لأنها تفرق بين آسيا وأوروبا . ٢ شمر قبيلة عربية نجدية .

ويدوم الطود المنيع الصياصي والحنايا، ما دامت الأسباب
 ما تركت الحسام إلا نثيراً وعليه من العلى جلاب
 ٧١١ تقحم المهر حيث يحجم جلود، وتعيأ المنى، ويهوي الطلاب
 غمرة تذهل الجماد فيسترخي، فكيف العروق والأعصاب
 قد رأوا منك في الوطيس عقاباً من حوالبه فرت الأسراب
 يلتقيهم بمنسّر ترشح الآجال منه، ويرهب الإرهاب
 فسعيد من حاد، عن جوه الدامي، وأنجاه في الضباب انسياب

...

٧٥٥ نظر النسر خلفه فاذا الأعداء بحر، عرض المدى صخّاب
 تتماهى شطآنه، فعلى الأسياف موج، وفي الصدوع انسراب
 من شطوط «السويس» من ساحل «السنفور» سيب مجلجل مسكاب
 ليضيق الحماة والربع والدهناء عن بعضه، وتعيأ الرحاب
 آلم النسر أن يرى جنده العقبان تطوى، كما يلف الكتاب
 ٧٦١ تفغر اللجة العميقة أشداقاً، وفي غورها يذوب الشباب
 ثم يطفو مضرّجاً كنثير الورد، بنس الكؤوس، نعم الحباب

...

عاد للنفي فيصل واخوه القرم «جلوي» فأغمد القضا

١ الصياصي الحصون وكل ما امتنع به .
 ٢ الأسياف مفردتها سيف وهو ساحل البحر .
 ٣ الحماة والربع والدهناء أعلام أمكنة .

رَامَهَا «خَالِدٌ» أَرِيكَةً عَزَى فَاذَا حَلَمَهُ الْجَمِيلُ يَبَابُ
 رَامَ كُوباً مِنْ مَدْمَعِ الطَّلِّ أَصْفَى فَاذَا الْكُوبُ زُبْقُ هَرَابُ
 ٨٨ خِيَّةُ الشَّارِبِ الزَّلَالُ، إِنْ اعْتَلَّتْ، فِي الْكَأْسِ يَكْفِيهِ الشَّرَابُ
 إِنْ مِنْ خَاضَ فِي الْوَحُولِ لَيَرَوِي فَكْدِيرُ شَرَابِهِ أَوْ صَابُ
 نَشَدَ الْكَرَمَ «خَالِدٌ»، وَ «لَعَبْدُ اللَّهِ» دَلَّتْ قَطُوفُهَا الْأَعْنَابُ
 «خَالِدٌ» جَاءَ فِي الشِّتَاءِ الدَّوَالِي فَجَنَى الْبَرْدَ وَالْمُؤَالُونَ خَابُوا
 حَلَمَهُ زَالُ، عِنْدَمَا لَا أَلَا الْعَنْقُودُ، فِي غَصْنِهِ، وَلَوْحَ آبُ
 وَتَوَلَّى الْأَرِيكَةَ «ابْنُ ثَنِيَّانَ»، وَغَارَتْ فِي لُجَّةِ الْأَرَابِ
 بَلَغَ النَّيْلَ صِيَّتُهُ، فَاسْتَفَاقَ اللَّيْثُ مِنْ غَفْوَةٍ، وَهَاجَ النَّابُ
 قِيلَ إِنَّ الْعَبَّاسَ مَهَّدَ لِلْمَنْفَى دَرْباً يَحْفَهُ الْإِعْجَابُ
 شَامَ فِي صَدْرِهِ فَوَاداً يَشَعُّ الْفَهْمُ مِنْهُ، فَتَلْقَحُ الْأَلْبَابُ
 رَبَّ خَصْمٍ يَحِلُّ، فِي خَصْمِهِ الشَّهْمُ، نَبوغاً لَمْ يَسْتَبْنَهُ الصَّحَابُ
 ٧٧ الْبَعِيدُونَ بِالْحَاسِنِ أَدْرَى مِنْ نَسِيبِ جَنَى عَلَيْهِ اقْتِرَابُ
 إِنْ مِنْ يُلْصِقُ السُّطُورَ بَعَيْنِيهِ لَيَعْمَى عَمَّا يَنْصُ كِتَابُ

....

وَأَتَى سَيِّدُ الْبِلَادِ، فَعَبَدَ اللَّهَ وَآلِي، وَالْجُنْدُ كَانُوا فَذَابُوا

١ عبد الله بن ثنيان . ٢ تمكن الأمير من الفرار من مصر ثانية . ويقال ان عباس باشا سهل له
 الفرار فإنه كان معجباً به وبمقله فذايت قوة عبد الله بن ثنيان وأسلم له سائر الرؤساء واستعاد المملكة القديمة
 ما عدا الحجاز . وعادت الطمأنينة الى قلوب السكان وشمل الأمن الطرق والبلاد التي بسط عليها نفوذه .
 وكان متوقفاً الذكاء كثير التواضع عادلاً تقياً وقد شوهد مرة يبكي إذ قال له أحد المتخاصمين : خف الله
 يا محفوظ . (ح . ٥٠)

عَيَّدَتْ نَجْدُ، فَالْغُصُونُ، عَلَى الْأُدُوحِ، نَضْرُ خُضْرُ الْإِهَابِ رِطَابُ
 أَوْمَاتٍ لِلْيَامِ فَانْبَسَطَ الشَّادِي، بِعَرَسِ الْمُنَى، وَأَوْدَى الْغَرَابُ
 ٧٨١ وَتَغْنَى بِفَيْصَلٍ، فِي قَصِيِّ الْبَيْدِ، حَادٍ، مَشَى إِلَيْهِ الرَّبَابُ
 عَدْلُهُ يُلْجِمُ اللَّصُوصَ، فَذُؤْبَانُ الْفِيَا فِي الْإِلَى الصَّرَاطِ أَنْابُوا
 ذَكَرُوا فَيْصَلًا بِأَقْصَى «عُمَانٍ» فَتَنَادُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَتَابُوا
 لَا يَغْضُ الْمَدَى مَهَابَةً رُبَالٍ، عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعَادِ يُهَابُ
 الْمَعْيُ شَعُّ الذِّكَا، بِعَيْنِيهِ، وَرَاضَتْ جَنَانَهُ الْآدَابُ
 ٧٨٥ يَبْذُلُ اللَّيْنُ، أَوْ يَمْدُ بَسَاطِ النَّطْعِ، إِذْ يَرْدَعُ الْأَيْتِمَ الْعِقَابُ
 يَتَنَاهَى وَدَاعَةً وَخُشُوعًا زَاهِدٌ هَمُّهُ التَّقَى وَالثَّوَابُ
 فَإِذَا يَذْكُرُ الْإِلَهَ فَلِلْأَجْفَانِ رَفٌّ، وَلِلدَّمُوعِ انْسِكَابُ
 فَتَعَجَّبَ مَنْ تَفَرَّقَ أَسْوَدُ الْغَابِ مِنْهُ وَيَخْشَعُ الْمَحْرَابُ

...

مَا الْيَتَامَى فِي عَهْدِهِ يَتَامَى لَهُمُ الْعَيْشُ وَاسِعًا وَالْجَنَابُ
 ٧٩١ شَادَهَا دَارَةً لِكُلِّ يَتِيمٍ حَظُّهُ مِنْ زَمَانِهِ أَنْيَابُ
 يُبْرِزُ الْجُوعُ فِي النَّهَارِ حَنَائِيَاهُ وَيُخَفِّيه فِي الدَّجَى سَرْدَابُ
 جَيْفَةٌ حَيَّةٌ، تَصُدُّ قُلُوبَ النَّاسِ عَنْهَا، فَيَصْطَفِيهَا الذُّبَابُ

١ النطع بساط من جلد يفرش تحت المحكوم عليه بالعذاب أو بقطع الرأس . ٢ كان الأمير شديد
 العطف على الأيتام بن لهم في الرياض داراً خاصة وكان يتقدم بنفسه ويكرم متواعم ويواسيهم بكلماته
 الرقيقة .
 (ح . و . ٠)

مَرْكَبُ الْهَمِّ وَالشَّقَاءِ وَقَطْبُ^١ يَنْتَحِي حَيْثَا يَدُورُ الْعَذَابُ
 نَبَذَتْهُ الدُّنْيَا وَرُبَّ لَطِيمٍ^٢ بَاتَ غَرْتَانِ حَيْثُ رَفَّ الْكَلَابُ^٣
 وَدَّ^٤ لَوْ كَانَ حَارِسًا لِقَطِيعٍ أَوْ صَيُودًا يَصِيبُ مَا قَدْ أَصَابُوا
 وَدَّ^٥ لَوْ بَاتَ حَالِمًا بِرَغِيفٍ وَعَلَى كِسْرَةٍ يَسِيلُ اللَّعَابُ
 لَا عَلَيْكُمْ أَيْتَامُ نَجْدٍ أَبُوكُمْ^٦ فِيصَلُ^٧ مِنْ كَفِصَلٍ وَهَابُ
 اسْمُهُ مِثْلُ فَعْلِهِ فَلَيْنَ يَضْرِبُ فَعَضْبُ^٨ وَإِنْ يَهَبُ فَسَحَابُ
 بَيْنَ جَنْبَيْهِ مِنْ أَسَاكِمِ شَرَارَاتٍ^٩ وَمِنْ مَرٍّ دَائِكُمْ أَوْصَابُ
 بَيْنَ قَلْبِ الرَّاعِي وَهَذِي النِّعَاجِ اللَّذْنِ^{١٠} هَمْسٌ مُجَبَّبٌ وَخَطَابُ
 لَنْ تَرِيدُوهُ^{١١} بِالسُّؤَالِ نَوَالًا سُؤَالَكُمْ فِي ضَمِيرِهِ مُسْتَجَابُ
 دِيمَةُ الْجُودِ تَرْسُ الْغَيْثِ عَفْوًا فَلَمَّاذَا ضَرَاعَةٌ^{١٢} وَانْتِحَابُ
 وَيُضِيرُ النَّفْسَ الْكَبِيرَةَ مُسْتَجِدٍ^{١٣} وَقَدْ أَشْرَعَتْ لَهُ الْأَبْوَابُ
 مِنْ طِبَاعِ الثُّجَّارِ جُودٌ وَمَنْ^{١٤} طَالَمَا دَنَسَ الْعَطَاءُ الْحِسَابُ
 يُسَلِّخُ^{١٥} الْفُلْسَ مُنْتَنًا^{١٦} عَنْ حَدِيثِ الْجَاهِ كَالْعَيْنِ مَسَّهُ الْقَصَابُ
 كَلَمَا طَارَ دَرْهَمٌ مِنْ شَحِيحٍ غَصَّ^{١٧} بِالْدمْعِ أَوْ عَرَاهُ الْقَلَابُ^{١٨}

...

يَا أَمِيرَ الرِّيَاضِ وَالنَّجْدِ وَالصَّحْرَاءِ عَزَّتْ بِذِكْرِكَ الْأَعْقَابُ
 يَتْبَاهُونَ بِاسْمِ جَدِّ^{١٩} فَتَفَتَّرُ الْبُوَادِي وَتَرْهَرُ الْأَحْطَابُ

١ اللطيم هو الغلام الذي مات أبواه . ورف: أكل كثيراً . ٢ القلاب: داء في القلب .

تبسم الميّد الأمليدُ فيها وعلى الورد يهطل العنّاب
 ٨١٠ حاضر ذكرك العظيم بذهن المجد، حيّ ما كرت الأحقاب
 ما طواك الماضي، فما يحجب الحسناء، عن خاطر اللبيب، نقاب
 قد يوارى الشتاء بهجة روض دَبَج الورد أرضه والملاب
 ويعود الربيع فالدوح مَيَّادُ، وأغصانه القدامى رطاب
 ٨١١ انما الذكر كالنساءم تذكيا فتزكى وتبقى الأطياب

٦ اولاد فيصل

٨٨٠ غادرَ القصرَ شامخَ البنيانِ واثليَّ الجنبِ والأركانِ
يُفرِّقُ النسرُ من جلاله مرآه، وتَنأى كواسرُ العقبانِ
يومَ صوتِ الأميرِ، في مسمع «الدهناء» رعدٌ، وفي الخلود أغانٍ
يرعبُ الماءُ في «الخليج»، وقلبَ الصخرِ، في برِّ «مسقط» و«عمان»
ذاك أنَّ الكبيرَ هَمًّا وجاهًا يتسامى على حدود المكانِ
٨٨١ يُلبسُ القصرَ من مهابتِه درعاً «فسرُّ المكانِ بالسكان»
انما المرءُ سيّدُ الأرضِ، بعد الله، فالكونُ ما نوى من معانٍ
كلُّ ما فيه من نعيمٍ وبؤسٍ وصراعِ الأرواحِ والأبدانِ

١ الدهناء: الصحراء المعروفة. ٢ كانت حدود المملكة في عهد فيصل على ما يلي: من الشمال خط يمتد من جوف العامر الى قرب الكويت عند نهايتها الشرقية. ومن الجنوب الربع الخالي. ومن وادي الدواسر من نهايته الغربية الى نقطة غير معينة في الصحراء في اتجاه الخليج الفارسي. ومن الشرق تنحدر حدود نجد الى الخليج الفارسي الى الكويت في طرفها الشمالي فنازلا الى ابي ظبي. وبعد ان يمرّ خط الحدود الى الداخل قليلاً حتى يصل الى برمي ينحني نحو الجنوب الشرقي ويمتد وراء تلال مسقط وعمان. ومن الغرب خط يمتد بين الشمال والجنوب، بين الحجاز من جهة ووادي الدواسر من جهة أخرى بحيث يقع وادي الدواسر في نهاية الطرف الجنوبي لهذه الحدود. فهذه الجهات كان سكانها ورؤساؤها ينضمون فعلاً للامام فيصل. وهناك جهات أخرى كان الأمير يكتفي منها بفرية سنوية علامة الخضوع. فأما البحرين كان يدفع أربعة آلاف ريال، وسلطان مسقط ستة آلاف، ورئيس ساحل عمان من رأس الخيمة الى ابي ظبي ١٢ ألف ريال.

وزاع الآراء في الدين والأخلاق، وفق الميول والألوان
وتنادى الى سلام مقيم واشتجار السيوف والمران
٨٢٥ كل هذي الدنيا العريضة ألوان عليها من صبغة الإنسان

....

إيه أنجال فيصل هل منعم
أم نصرتم عليه سيل العوادي
شاده آلكم وفي كل ركن
رفعوه حمى لآل سعود
٨٢٥ وائلياً رحب الفناء وديعاً
ليس في مجده أباطيل روما
لا سنمار جسد الفن فيه
ليس فيه من قصر غمدان إلا
يصطفي أرفع المحاسن قدراً
٨٣٥ وبه عزة الرشيد ببغدان، إذ المسك في ثرى ببغدان
وجلال الشهباء، يوم حسام الشرق يعتز في بني حمدان
ركزوه على «الرياض» ملاذ الفخر والجود واللهيف العاني

١ المقصود بالبناء هنا البناء المعنوي لا المادي، لأن القصر كان لدهقام بن دواس أحد أعداء آل سعود،
فانتصروا عليه واحتلوا القصر. ٢ أباطيل روما يقصد بها روما الوثنية التي سيطرت على العالم القديم.
٣ المقصود سيف الدولة أمير الحمدانيين انساب آل سعود.

ومحجاً، تشيع في جوّه التقوى، وتنمو أزاهر الإيمان
فنعم الأسماع، في هداة الأسحار، أم الكتاب، سبع^١ مثن

...

إيه أنجال فيصل كيف دبّت في حاكم عقارب الشنان
أطلقتها الوشاة في جنح ليل غار النجم لاهب حران
فتعادي لنقض مجد سعودي، وجلّى في هدمه أخوان
البطانات أجنح، فإن اعتلت، أسف الصقور في الطيران
الحواشي قوادم وخواف عاطفات على الضلوع حوان
ليس أدنى الى السرائر منها حين تحصي على القلوب الثواني
تقرأ السرّ في جبين وليّ بارز الحرف واضح العنوان
وتراها سرّ الوجوه تخطى فتأثي القلوب في الحفقان
ولقد تفتري قرب مشير أزهر الوجه أسود الوجدان
ولخير من مثله صحبة الحمى، وفتك البرسام والسرطان
بين أضلاعه ضراوة ذئب وهو في مثل هيئة الحلمان

١ أم الكتاب أو السبع المثاني هي الفاتحة . ٢ كان التناثر بين عبد الله وسعود نجلي فيصل معروفاً في حياة والدهما الذي جعل ولاية العهد لولده الأكبر عبد الله وأطلق يده في كثير من الأحوال . وكان عبد الله معروفاً بالكرم والتقوى والتعصب الديني . أما سعود فكان يميل الى الاعتدال والتسامح . وهذه الصفات حببته الى البدو . ولا ينكر ان عبد الله كان طيب القلب شجاعاً ، ولكنه اسند الأمور الى غير أهلها وأطلق يده موظفيه ومنهم الخديو النعمة فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل من كرم الضيافة والرعاية . ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام وملاقة الوجه فانصرفت القلوب عن عبد الله وازدادت الخصومة بين الأخوين ، ولكل فريق أنصاره .

يُعَكِّرُ الماءَ في الدياجيرَ عَمْدًا لِيُوَارِي نَفَاسَ المَرَجَانِ
يُصْطَفِيهَا لِنَفْسِهِ، وَيُضِلُّ النَّاسَ، فِي أَكْدَرِ مِنَ الغَدِيرَانِ
وَالصُّيُودُ الصُّيُودُ مِنْ عَكْرِ الماءِ، وَفِي طَرْفِ حَبْلِهِ شِصَّانٌ
أَوْ تَرْدَى وَجْهَيْنِ، لِلذَّاتِ وَجْهٌ وَلِبَثِّ النِّفَاقِ وَالسَّمِ ثَانِ

...

٨٥٥ الحواشي قَصَّتْ جَنَاحِيكَ عَبْدَ اللَّهِ فَاحْلَوْلَكْتُ صَبَاحُ الْأُمَانِي
طَبَّتْ قَلْبًا وَمَحْتَدًا وَبِنَانًا وَلَأَنْتَ الْخَلِيقُ بِالصُّوْلَجَانِ
بَكْرُ أَنْجَالِ فَيْصَلٍ، وَوَلِيُّ الْعَهْدِ، وَالْخَيْرُ الرَّحِيبُ الْجَفَانِ
عَجَبًا! ضُفَّتْ بِالتَّسَامُحِ صَدْرًا وَتَنَكَّبَتْ عَنْ دُرُوبِ اللَّيَانِ
وَلَبِئْسَ الْأَعْوَانُ سَاوُوا، فَهَاجَ الْبَحْرُ، وَاجْتَاكَ مَرْكَبُ الرُّبَّانِ
نَفَّرُوا مِنْكَ بَادِيًا وَمَقِيمًا وَتَجَافَتْ عَنْكَ الْقُلُوبُ الدَّوَانِي ٨٦١
مَا لَهُمْ فِي الْأَكَارِمِ الصَّيْدِ عَرَقٌ فَازَا أَعْرَقُوا فِي الْعَبْدَانِ
كَيْفَ أَغْضَيْتَ عَنْ جَدُودِ الْحَوَاشِي وَتَسَاءَلْتَ عَنْ جَدُودِ الْحِصَانِ
الْحَدِيثُونَ بِالصُّوْافِنِ عَهْدًا لَنْ يَطِيقُوا سِيَاسَةَ الْفَرَسَانِ
تَبَطَّرُ الْخَيْلُ تَحْتَهُمْ، فَيَمِيدُ السَّرَجُ، أَوْ يَلْتَوِي حَدِيدُ الْعِنَانِ
٨٦٥ فَازَا الْقَادَةُ الصَّمَالِيكَ صَرَعَى وَالْمَطَايَا طَلِيقَةُ الْأَرْسَانِ
لَا يُؤَلَّى دَارَ الضِّيَافَةِ أَجْلَافٌ، قِصَارُ الْمَدَى، جِعَادُ الْبَنَانِ
يَكْفَهُرُونَ لِلضِّيُوفِ، كَأَنَّ الضِّيْفَ دَاءٌ، أَوْ مُوَفَّدُ الشَّيْطَانِ

يسكون إلا كُف عن بذل فضلٍ ليتهم يطلقون فضل اللسان

...

آيةُ العرب انهم مضرب الأمثال في الجود، في قرى الضيفان
 ٨١ نخرهم في الوغى ازدحام سيوفٍ نخرهم في الندى ازدحام خوان
 ويشئون للتزيل، ولو كانوا ثقال الديون والأحزان
 لا يضئون بالخيول عتاقاً والمهاري والنعاج السمان
 ويجودون من جفان رحاب حين جود الغربي من فنجان
 يركز الرمح في الطعام فيبدو نصله مثل يروء الأجفان
 ٨٢ غمده الرحب تلة من أرز فوقها الطود من وديك الضان
 المفاتيح للهاة مفاتيح إلى قلب قادم جوعان
 «يا هلاً بالضيوف» قلها فتغدو رهن كفيك أنفُسُ العربان
 إنما أخصر الدروب إليهم منعشات الأذواق والآذان
 بنس ما كنتم بطانة عبد الله، شر العمال والأعوان
 ٨٣ طالما بدد الرعية جذب في المراعي، وغفلة الرعيان

...

واستمال العصاة حلم سعود وسخا في كفه والبيان
 فيه من بسطة النخيل انطلاق وجلال الأصباح من لبنان

نَاصِرَتُهُ «الحوالد» الغلبُ الأخوالُ، أسدُ الشرى، رماحُ الطعان
فتنادوا الى اللقاء وَهَبْتُ للمواضي فوارس «العُجبان»
٨٨٥ يَنشُدون «الأحساء» مَوْبِلَهُمْ بالأَمْسِ، والأَمْسُ جذوةٌ في الجنان
حلموا بالجدود صرعى تناديهم، فأجّت كوامن البركان
ذكروا مجدّهم فحنّوا الى تلك الضواحي وغازي السلطان
وتراّت لهم جدودٌ مَعاوِرُ، تنادي من دائر الأَكفان
«يا لثأرِ السيوف من «فيصل» ماضٍ فهِبُوا من رقدة الغفان»
٨٩ «حالفوا نَجْلَهُ تُعاوِدُكُمْ الدنيا، ويخضُلُ زاهرُ البستان»
«وبنو مُرَّةٍ» «عَلَّاقِمُ» هذا البرّ، عَوْنُ لَكُمْ عَظِيمُ الشان»^٢

...

وتالقت على «الهفوف» شواهينُ المنايا وأُنسرُ الممعمان
وابن «حتلين» قائدُ الحيل أفواجاً؛ فويل «الهفوف» من «راكان»^٢
وأَتاهم «خليفة» حاكمُ «البحرين» حلفاً فصَفَّقَ العَلَمان

١ كان الامير سعود ممعناً في الطول كأخواله بني خالد الذين ناصروه مع العجبان . ولقد كان بنو خالد أصحاب النفوذ في الأحساء فلفى فيصل وأسلافه على نفوذهم في تلك البقاع وها هي الفرصة سانحة لاسترداد نفوذهم فهل يتركونها تفلت من أيديهم .
(ح . و . ٠)

٢ علاقم مفردتها علقم . ٣ تحالف راكان بن حثلين زعيم العجبان مع ابن خليفة حاكم البحرين يساعدهم قبائل آل مرة، فتقدموا الى الهفوف عاصمة الأحساء وكان فيها أحمد السديري حاكماً من قبل عبد الله بن فيصل فعاصروه فيها عدة أسابيع، فلما لم يهددوه بإتلاف البساتين . وعلم عبد الله وأخوه محمد بن فيصل الآتين لنجدة الهفوف بسقوطها وهما في منتصف الطريق، فقررا الإثَارَ والسير من طروق مختلفة الى الماء المسمى «جودة» حيث كانت تعسكر قوى العدو الرئيسية، غير ان الخصوم كسروا عبد الله وقتلوا ما يزيد على الألفين من رجاله الخلفيين .
(ح . و . ٠)

٨٩ «السديري» في المدينة محصوراً، قطامٌ في مقلب العقبان
 أنذروه بمحو تلك الربوع الخضر، إن ظلّ دائمَ العصيان
 أقسموا يقطعونها حلقةً موسى، أصولَ الشعور في الأذقان
 يتهاوى «الأترنج» والخوخ، والليمون يبكي قواني الرُمان
 وتراّت له الجنان الزواهي لقمةً الجوع في فم الغرثان
 ٩٠ هاويات تحت الفؤوس حزاني دامعات الجذوع والأفنان
 يتفجّعن كالحنان السبايا اذ تطول العفاف كفّ الزاني
 خال تلك السوق الرهاف وقوداً فضراماً، فغيمةً من دخان
 أسلمَ الحاكم «الهفوف»، وفي عينيه، بل في جنانه، دمعتان
 جاءه العونُ خائراً والسرايا موهنات وافت عقيب الأوان
 ٩١ يا غميراً بعين «جودة» حدّث هل تروى من مائك الجمعان
 يوم غذى الوحوش، من جيش عبد الله، في نهمة الردى، ألفان

...

أسعودٌ حلّ الرياض أميراً؟ ويل عرش صبا اليه اثنان
 في مهبّ الأهواء، علق ميزان، فمن أين تثبت الكفتان
 لا يكادُ اللسان يثبت حتى تنثر الريح راجح الأوزان
 ٩٢ تتفاني الدماء جهلاً كما لو كان في عرق وائل دموان
 أطريداً مشرداً صار عبد الله؟ أم ضيف مجمل البلدان
 ملكه عاد حفنة من رجال وعيال تئن في الأظعان

يا أمير الصحراء، جرح بقلب المجده، سوط الهوان للشجعان
 «حائلاً» جئت أم «عنيز»^١، فلن تلقى ثغوراً وضاحة الأسنان
 جى «سبيعا» أو جى «مطيراً»^٢، فقد تلقى ريس الوفاء في «سلطان»^٣
 ما لوهم أعشى ضميرك حتى شمت لون الثلوج في الغربان
 أترجي للشار «مدحت» باشا فتصك الحديد بالصوان
 لاهياً كان عنك، فأبجت الماء عذباً، لكارع ظمآن
 كان والي بغداد يحلم «بالأحساء» حلم الفتي بالنسوان
 فأثرت الشعور من لا شعور وبعثت الدفين من نسيان
 ومتى ازداد سادن النار قرباً كان بعض الوقود للقربان
 يسبر الغور صائد ألمعي قبل أن يرتقي على المرجان
 رب غمر كمقلة الديك صاف في زواياه مكن الحيتان
 ولكم صائد سبته يواقيت^٤، فأضحى الغدا للسغبان^٥

١ حائل مقر آل الرشيد واقعة في جبل شمر وقد أصبحت عاصمة نجد في عهد الرشيديين . عنيز المقصود بها عنيزة وهي بلدة في القصيم .
 ٢ بعد هزيمة عين جوده سارع سعود لاحتلال الرياض فدخلها برغم المقاومة . ولم يستطع عبد الله بعدها الإقامة في بلاد أجداده، فعزل خزائنه ونفائسه على مئة بعير وأخذ ينتقل من ناحية الى أخرى لعله يجد نصيراً . وتوجه اولاً الى زامل السليم حاكم عنيزة، فخاف الحاكم بطش سعود وأوعز اليه بالرحيل فرحل الى محمد بن الرشيد في حائل، غير انه لم يجد فيه صدراً رجباً فانجسه الى سلطان الدويش وعساف ابني تين رئيسي مطير وسبيع وكانا يحتقان على سعود ويعملان على إضعاف نفوذه .

(ح.و.و.)

٣ أراد عبد الله ان يسعى من جهة أخرى لإضعاف نفوذ اخيه سعود فأرسل الى مدحت باشا والي بغداد يستمد منه المعونة، فوجد مدحت باشا الفرصة سانحة للاستيلاء على الأحساء وسائر البلاد التي كانت خاضعة لتركيا قبل دولة آل سعود، فاستعان بناصر باشا السعود وعبد الله بن صباح . وبمساعدة هؤلاء وبني خالد احتل الأتراك الأحساء وسوها ولاية نجد، فتحقق عبد الله اذ ذاك انها خرجت من يده ويد أخيه . (ح.و.و.)
 ٤ السغبان : الجائع .

٥ هَلْ فَوْقَ الْأَحْسَاءِ بِيرِقُ تَرْكِيًّا، فَعَادَتْ لِقَبْضَةِ الْخَاقَانِ^١

....

وَتَرَأَى « الْقَصِيمُ » لابن رشيد سلسبيلًا هفا إلى عطشان
من يصد الثَّيرِيبَ عن خندريسٍ بعد ما رَأَى ثَغْرَةً في الدنان
ضَيَّعَ الْكَرَمَ أَهْلُهُ فَتَفَانُوا في سبيل الأوراق والقضبان
سَيَّبُوا الْحَرَّ طَيِّبًا، فَأَتَى النَّهَامُ يَحْسُو مُعْتَقَ الْكِيزَانِ
سوف يأتي على الكؤوس ويبقى حسرة مُرَّةً لاهل الحان
يُطْمَعُ الْخَاطِبُ النَّبِيَّةَ، يَجْذَعُ الدَّوْحُ، يَبْسُ يَدَبُ في الأغصان

....

يا لأغصان فيصل تعترىها لفحاتُ الهجير في نيسان
لم تَشِخْ بعدُ تَلْكُمُ الغابة الكبرى، فتودي نواضرُ السنديان
لا يضيرُ الغصون مثل سقامِ كامنٍ في الجذور، في الشريان
كل ضغن يهون في الأرض إلا ما تثير الشحنة في الإخوان
انهم وحدة وأعضاء جسم وجمانُ غالٍ بعقدُ جمان
كل جزء منه عمودٌ لكلٍ مثلما العمر كله من ثوان
فاذا انخلت العرى وتفانت في مَهَبِ الأهواء فالكل فان
ما سعودٌ، وما اخوه، سوى فرعين طابا في دوحة الأزمان

١ الخاقان : سلطان تركيا .

٩٤٠ بهما العزم من مُتون الصياصي بهما الفوح من شذا البيلسان
 جمع الوجه مقلتين فويل من عداء تشيره الأختان
 كل شوك يمس واحدة بالسوء تشكو من وخزه العينان
 وهما اثنان من أب، لا شقيقان، وفي خاطر العلي، توأمان
 لهما في رفارف الخلد بيت لا بيوت شتى ولا بيتان
 دولة المجد غير دولة أرقام، تلهت بالعد والحسبان
 واحداً يحسب الخضم ولو جم السواقي مشعب الخلجان

....

٩٥٠ فيصل العرب أين عيناك تقصي عن بذور العلي دخیل الزوان
 كل ما شدت من بناء منيف بات عصفاً بكفة الحدان
 الحواشي غضت مقام سعود وأهاجت كوامن الأشجان
 المضلون والتوابع و«العجان» أدمت مشاعر الخلان
 فنفوّه من الرياض ولكن عاد فاصطادها بحد السنان
 ناصرته «دواسر» أو ليوث الحرب، حين الوطيس في غليان
 شهدت «جزعة» هزيمة عبد الله، والأرض ديمة الأرجوان

١ الصياصي: رؤوس الجبال وكل ما امتنع به. ٢ العصف: الخطام والغبار. ٣ بدأت
 القلوب تنصرف عن سعود بسبب الغزوات التي ارتكبها أنصاره وأصحابه العجان فاجتمع أهل الرياض تحت قيادة
 عمه عبد الله بن تركي وطردوه من الرياض سنة ١٨٧١ فوجد أخوه عبد الله الفرصة سانحة فترك الأحساء حيث
 كان مقيماً ودخل الرياض بدون مقاومة. ولكن سعوداً لم يهن عزمه فجمع أنصاره واصدقاءه الدواسر ونازل
 أخاه عبد الله في «الجزعة» وضربه ضربة شديدة ودخل الرياض ظافراً. (ح.و.)

عاد بالذل عاثراً، كيفما يمشي، تولت إذلاله القدمان
 دامع القلب من هموم ثقال ما له بالنجاء منها يدان
 بسم الخط ليلة وضحاها ثم أهوى مضاعف الخذلان
 مضفر الدار من رجال ومن مال، خفيف الأكياس والأردان
 وإذا برح الشقاء بإنسان توارى من وجهه القمران

....

راود المأمل البعيد سعوداً ليعيد «الأحساء» في الأوطان
 خالها زوجة يطلقها الترك، فتتهفو للوإمق الندمان
 فاته انهم دهاة عماق ألقوا البر بعد طول حران
 فتحوا بالدهاء أكثر مما يفتح الوجد في منى الوهان
 سودوا العقل للتسلط فتیاناً، وشابوا في دربة ويران
 ان حب السلطان والحول ميل كامن في قرارة الإنسان
 فتراه بكل جارحة منه، بلب العظام، باللعنان
 إن هذا الوری وما فيه من صخر، ونبت، وأعجم حيوان
 طالب قوة وناشد سلطان، فكل الوجود في نشدان
 قوة النسر منسر وانقضاض وهي ناب في النمر والسرхан
 وزئير ومخلب في العفرتی واحتیال في روغة الثعلبان
 وادخار في تحلة ونمال وهي سم في لسعة الثعلبان

وجناح لطارٍ وانطلاقٍ ومثارٍ الطفور في الغزلان
 ودموعٍ من مقلة الطفل تهمي وصراخ الضعاف والصبيان
 وتهدير الفحول في يوم حربٍ وهي ألّهون في فرار الجبان
 وهي غنج وزخرفٍ واكتحالٍ وفجورٍ على جفون الزواني
 وارتقاص النهود، أو خلجة الأرداف والخصر في تشي القيان
 واضطراب الآهات في زفرة حرى، ومد الأصوات في الألحان
 إنها الوحي في مزامير داود وسرّ الأمثال في لقمان
 هي ظلم الطاغى بقبضة فرعون، هي العدل في أنوشروان
 وخشوع في ذلة الناسك القديس، أو في ترمت الرهبان
 ونضارٍ مشى الغبار عليه في صناديق ممسك خزان
 وراعٍ على بنانٍ خصيبٍ ناضر البث ملهم العنفوان
 لتشيخ العصور وهو فتى أبدي الأضواء والريعان
 أنا القوة الولودة قطب أبدي لهذه الأكوان

...

أترى الترك يا سعود غباة؟ فتعيد «الأحساء» للأحضان
 قد حرمت الأخ الصغير هنا منذ جاء الوالي بدار الأمان
 جاء بغداد يطلب الملك من عادٍ وماء الحياة من هيمان
 إنهم يبتغونه من محيط الهند حتى النجود في إيران

فقلوبُ علي « القصيم » حوانٍ وعيونُ الى الشغور رَوَانِ
المضاب الخضراء مرعى خيول والشطوط الزرقاء فيح المواني

....

٩٩ ظلَّ عبد الرحمن خمسين شهراً يتمنى والترك في رَوَانِ
فاشلاً عادَ بعد مطلٍ وتغريبٍ ولفٍ مكرَّر الدوران
عادَ عودَ الموتور لَجَّ به ثأرٌ وأضناه موجع الحرمان
فأهاج « العُجَّان » واستنجد الأعرابَ بعد الأكارم الأقران
فأغاروا على الحصون وحلَّوها خلا « الكوت » موئل العقبان
١٠٠ فرحةٌ لم تدم سوى ما يدوم النقدُ في كيسٍ مسرفٍ سكران
فبنو خالدٍ أغانوا عليه التركُ، يئسَ الأصحابُ يومَ العِوان
أفلتت من يد الأمير أمانيه، فحمومٌ ليله ليلان
أمسه الخائب الجريح المسجى والغدُ الموحشُ الغريبُ الداني
ما سعودٌ منه بأوفرَ حظاً أقسمَ النحسُ أن سيلتقيان
١٠١ « مُسلطٌ » من « عتيبة » شامٍ وهنا في سعودٍ فلجَّ في العدوان

١ أراد سعود أن يسترد الأحساء من الأتراك بعد أن أضعها أخوه عبد الله فارسل أخاه عبد الرحمن إلى بغداد يفاوض الوالي ، فأقام هناك أربع سنوات بدون جدوى وأتى له ذلك والأتراك يرونون بأبصارهم إلى داخل الجزيرة . وعاد عبد الرحمن بعد فشل المفاوضات وفي نيته استرجاع الأحساء بالقوة فأثار البادية والعجمان وهاجما فاستولى عليها عدا « الكوت » أي القلعة . ولكن الأتراك بمساعدة بني خالد طردوه من الأماكن التي احتلها فرحل إلى الرياض وأخبر سعوداً بقتله . وأنس مسلط بن ربيعان الضعف من سعود فأخذ ينهب الجانب الغربي من الرياض . وأخيراً حينما خرج سعود لغزو عتيبة أحاط به أعداؤه في وادي ضيق وقتلوا أكثر أنصاره وجرح هو نفسه جرحاً بليفاً فقله عبيده إلى الرياض حيث بقي مريضاً حتى مات في صيف ١٢٩١ هـ

قبل موت المريض ينهبه النَّهَابُ ، فالسقمُ حافزٌ للجاني
 ومتى يُجرح الغضنفرُ يُصبحُ بعد عزٍّ وليمة الذبَّانِ
 جَرَحُوهُ فَبَيَضَ ذَاكَ الْجَنَاحُ الصَّلْبُ ، وانهدَّ فارسُ الميدانِ
 نقلوه الى الرياض يعانى من مرارات جرحه ما يعانى
 الصديد اللهب يكوي حناياه ، فما انفك دَائِبَ الفورانِ
 الفراش الرفيق صار جحيماً وجفا الطيفُ مقلةً الوسنانِ
 باتت السُّمُرةُ الحبيبةُ لون المسك ، في مثل صُفرة الزعفرانِ
 يتهاوى على المنون ، كما تهوى لَدَى الحرِّ زهرةُ الأقحوانِ
 - هَانَ لو كان واحداً جرحه الدامي ، ففي قلب قلبه جرحانِ
 وأمضُ الجرحين حلمٌ بمجدٍ مَزَقَتْهُ زعازع الأضغانِ
 رحمتهُ الحُمَى فأقصتْ عن الوجدانِ ، أمساً مُذهَّبَ اللمعانِ
 وتحفَ الآلام حين يتيه المرءُ في غمرة من البحرانِ
 مات فلتبكه الرماح العوالي والسيوف البعيدة الأرتانِ
 - فيصل الأكرمين كان أبوه عربي النجار من عدنانِ
 ١٥ أعلنته للبحرِ أشرعةُ الخاقانِ ، للبرِّ ألسنُ الركبانِ
 صيته جَلَّ المفاوز عزاً وتغنَّتْ بذكره القريتانِ

...

قام عبدُ الرحمن فيهم إماماً بايعوه ببيعة الرضوان

كان عبداً حقاً، ولكنه عبدُ الإله المهيمنِ الرحمنِ
 طاهر الذيلِ والمنى والسجايا وأليف السجود والفرقان
 عَفَّ قَوْلًا، ومثله لو أرادَ الهجرَ شَدَّتْ عن حكمه الشفتان
 يتنأى عن الذنوب كما لو جاء يومَ النُشورِ والميزانِ
 مستقلاً كتابه باليد اليمنى، ودعيماً في حضرة الديانِ
 ذلك النهج في التعبدِ سمْتُ تلتقي عند طرفه قِمَتان
 ما تشاء الدنيا من الحاكمِ المرجوِّ للقسط، للندى، للصيان
 ينسج الخيرَ في الخفاء، وفي الجهرِ، ويكسوه به ثواني الآن
 فيكون العهدُ الوريثُ نضيراً من شآبيب قلبه الملائن
 ما تشاء الأخرى من الأمرِ بالمعروف والنهي عن هوى الزيفان
 ما أحلَّ الإله حلُّ فذوقوا طيبات الدنيا مذاقَ آثران
 واستديموا أرحامكم وصلوها وتواصوا بالحلم والغفران
 واعبدوا الله، لا البنين ولا الأموال، تِلْكُمْ عِبَادَةُ الْأَوْثَانِ
 انْ هَذَا الدُّنْيَا الْعَجُوزُ بَغِيٌّ نَحَلْتُ مِنْ قَلَانِدِ الْحِصَانِ
 تستخفُّ الغواة، كالعادة الحسناء تغري نواظر الفتیان
 فاتقوا الله، انه الغاية القصوى، فهذي جواهر الأديان

...

لم يسرَ الكبيرَ أن اخاه عاد يحلو بالأنس قفر المغاني

٢٥ فأتى سدة «الرياض» أميراً ينزع الثوب من يد اليقظان
 رام أخذ الرداء من ذاته الأخرى، جاد الصغير بالقمصان
 نازعته أخوة وطاح وتلظى في صدره الضدان
 ما أحرَّ العراك، حين يشق الصدر، في ثورة اللظى قلبان
 واحد بالأب العظيم عليق وبمجد الأولاد هام الثاني
 ويمض الراعي الشفيق خصام وشمات الحساد بالقطعان
 فيضحى التراث غير جبان بل فداء من ثورة وافتتان

...

لم يطل ذلك الهناء بعدد الله، فالحزن جاء عقب التهانى
 نشدت ظلمة السجون كبيراً يا لويل السجين والسجان
 يا ضواحي «الرياض» هاتي مع الأسفار طيباً من الغصون اللدان
 ٢٥ علَّه ينعش الطريح على القيد، ويشني مدامع الأسوان

١ الصغير: أي أخوه الصغير عبد الرحمن . ٢ بعد موت الأمير سعود بايع أهل الرياض أخاه عبد الرحمن بن فيصل إماماً لهم وحاكماً عليهم ومضى على ذلك نحو سنة . غير أن عبد الله بن فيصل عزَّ عليه أن يرى أخاه الأصغر حاكماً في الرياض، وهو طريد من عشيرة إلى أخرى، فدخل الرياض وأعلن نفسه إماماً وحاكماً . فرأى أخوه عبد الرحمن أن يضع حداً للفتن الداخلية، فتنازل عن الإمارة وبايع أخاه عليها غير أن هذا الحكم لم يدم طويلاً فان أبناء أخيه سعود شككوا من القبض عليه وحبسه سنة ١٨٨٧ م .

٦ الانخسار

عاملاً كان في ظلال السعود داعياً بالبقاء والتأييد
 هبطوا فاعتلى، وكلّوا جفلى وأسفوا، جُدّ في التصعيد
 المروءات، سَلَمٌ للمعالي يرتقيه أهل الطّاح البعيد
 يأسرون الرجال باللين والمعروف، أو بالوعيد والتشديد
 كَصَلاب الجذوع آناً، وأنا يسترّقون كالفصين الميود
 يبهرون العيون بالعرف والحسنى، ويُعمونها بدفقة جود
 هكذا لَمَمَ القلوب حواليه فدَان الشّال لابن الرشيد
 «حایل» كعبة الخواطر، فيها بُغية المعتني وسحر الجديد
 وتخالّ المنى تخفّ إليها طائرات من فوق أدواح «فيد»

١ بعد حبس الأمير عبد الله بن فيصل أسرع محمد بن رشيد حاكم حایل إلى مساعدته، فحرب أعداءه وقت أسرهم وأخذهم معه إلى حایل. وأقام في الرياض عاملاً من قبله بجانب عبد الرحمن بن فيصل. ثم ما لبث أن استقدم عبد الرحمن إلى حایل ليقيم مع أخيه عبد الله. ومن ذلك الحين أخذ نجم آل سعود في الأفول، وأصبحت الكلمة العليا في نجد لآل رشيد عوضاً آل سعود بالأمس فأخذوا يسطرون نفوذهم على سائر الأنحاء النجدية. وقد ساعد على ذلك شخصية محمد بن رشيد أتم مساعدة، فقد اشتهر الرجل بالكرم ولين الجانب وكبر العقل ووجهه للسلام فدانت له العشائر كلها راضية أو مكرهة. (ح. و. ٥٠)

٢ فيد بلدة على منحدر جبل سلمى الجنوبي.

٥٥ لا « قفار » تصدُّها لا ولا « تَبَّاء » بنت « العَلا » وخدر الصرود
 إن حصن السموأل الفردَ صَدَّامَ العوادي ما صَدَّ حَظَّ السعيد
 مَالَ عهد « الرياض » فالنخل معتلُّ الأفانين أو يَبَّيسُ الجريد
 ضيم عبدُ الرحمن ، والبكر عبد الله ضيفٌ على ثَقِيلِ القيود
 مطلع الخير لآح لابن رشيدٍ فليَحِطْ قيد الأمير المحيد
 ٦. مُنْقَذاً يحسبونه، ويعود الصيت ملُّ الأسماع، ملُّ القصيد
 الموالون يُكبرون مزاياه، ويحدون للنصير النجيد
 والبعيدون يرهبون، في الإنقاذ وعدٌ مغلفٌ بالوعيد
 والمعادون؟ عثرةٌ في سبيل الحكم، فليسقطوا بسيف مبيد

...

وأق قلعة الرياض مغيراً واستباح البتار كل عنيد
 ٦٥ فاستقلَّ الأميرَ ضيفاً، وكان الضيف بالأمس سيداً لِمَسود
 ليتَه ظلٌّ في الكَبُولِ، فما الأغلال تُرِّي بهيبة الصنديد
 أو طريداً فكم تضمُّ البوادي من مصورٍ كلَّ النيوب طريد

١ قفار المدينة الثانية في الأهمية يجبل تتفر وهي مساوية لحابل في عدد السكان . واقعة في البطن الى الجنوب الغربي من العاصمة . وتبَّاء في وسط واحة تدعى باسمها واقعة الى الجنوب الغربي من النفود على بعد ٦٥ ميلاً من شمالي العلا، في منخفض من السهل وبها أبراج للدفاع . ولا يخفى ان فيها كان حصن السموأل بن عاديا صاحب امرى القيس . ٢ المعادون هم أبناء سعود الذين أسروا عنهم عبدالله وكان أسرهم وبالا عليه وعليهم . ٣ الكبول مفرد كبل وهو القيد العظيم . ٤ كلَّ النيوب : كليها .

لا يقولون عَامِلُ الْأَمْسِ بِحَمِيهِ، وَيَجْنُو عَلَى عَجُوزٍ شَرِيدٍ
 فِي الْحَايَاتِ ذِلَّةً، وَلَوْ أَنَّ الْعِشَّ فِي ظِلِّهَا نَدَى الْوَرُودِ
 ٧. جَوْهَرُ النَّارِ لَهَبُهَا، وَيَلَاشِيهَا غَزِيرُ النَّدَى، وَفَرَطُ الرُّكُودِ
 تَصَلَّبُ السَّاقُ بِالْمَسِيرِ، وَلَا يَجْنِي عَلَيْهَا سَوَى طَوِيلِ الْقَعُودِ

...

ذَلَّلْتُ سِدَّةَ الرِّيَاضِ بِوَالٍ مَآكِرٍ وَافِرِ الدِّهَانِ رَصِيدٌ
 «حَايِلٌ» تَنْصَبُ الْوُلَاةَ وَتَقْصِيهِمْ، وَتَمْحُو ظِلَّ التَّرَاثِ الْفَقِيدِ
 فَتَوَلِّي «عُتْبَةَ» أَوْ «تَمِيمًا» أَوْ «مُطَيْرًا» أَوْ بَاقِيًا مِنْ سَعُودِ
 مُلْكِهَا الْكَرْمِ وَالِدَوَالِي، فَإِنْ تَرَفَّدَ سَلِيبًا فَحَبَّةُ الْعَنْقُودِ
 ضَمٌّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ لِلْقَفْصِ الزَّاهِي، فَلَوْنُ النَّضَارِ فَوْقَ الْحَدِيدِ
 الْأَمِيرَانِ فِي نَعِيمٍ، بَرَأْيُ الْعَيْنِ، أَوْ خَاطِرُ الْجَهُولِ الْبَلِيدِ
 فِي جَحِيمٍ بَرَأْيٍ مِنْ يَتَخَطَّى حَدْسُهُ نَضْرَةَ الْمَعَاشِ الرِّغِيدِ
 فَكَأَنَّ الْمُضِيفَ يَبْذُلُ لِلْأَبْصَارِ، فِي عَرْضِ حَوْضِهِ الْمَوْرُودِ
 ٨. شَبَحًا مِنْ مَنَارَةٍ مَالٍ رُكْنَاهَا، وَأَنْقَاضَ جَوْسَقٍ مَهْدُودِ
 وَيُضِيرُ الْحَصَانَ فِي الْحَدْرِ أَنْسَامٌ أَبَاحَتْ نِقَابَهَا لِلشُّهُودِ

...

أَبْلَتِ السِّنُّ، وَالسَّقَامُ، وَفَرَطُ الْهَمِّ شَيْخًا مَجْدِدُ التَّسْهِيدِ

وأراد المضيف أن يهر الأنظار بالحلم، أو بمن حميد
فأباح الرياض للمجهد العاني، فكانت زيارة التزويد
كسر الليث طرفه، عند باب الخدر، وانهار في الظلام الأبيد
توجز العمر نظرة، في ثناياها، ختام المأساة للمفؤود
فتكر الأشباح كرّ شهاب يتلاشى على غروب الوجود
النهايات كالبداءات ذرات، وبين القطبين شوط الخلود

...

وبكاه الأخ العطوف كما تبكي أسود الشرى لفقد الأسود
٩٠ هال عبد الرحمن خطب أخيه وخطوب من سودد مفقود
أجنبياً في داره أو غريباً صار في كسر بيته المرصود
عامل ابن الرشيد يزور عنه فكان الأمير بعض العبيد
راع «تركي» في رسمه أن يلاقي بعد عز الأنجال هون الحفيد
عامل ابن الرشيد لو كنت شهماً لأسوت الجراح بالتضميد
لم تزل غصة فعالج برفق طعنات الكلى وزف الوريد
ليس مولاك بالذي يرتضي شحاً، ويُغضي عن الكرام الصيد
يُصِلَتُ السيف باليمين، وفي اليسرى عميم الندى، وخز البرود

١ رأى ابن الرشيد أن يملك قلوب أهل الجنوب فأذن سنة ١٨٩٠ لعبد الله بن فيصل يسكن الرياض
بالنظر لتقدمه في السن واشتداد المرض عليه، وأذن لأخيه عبد الرحمن أن يصحبه ويسكن الرياض أيضاً
غير أن النية وافت عبد الله بعد وصوله إلى الرياض بيوم واحد.
(ج. ٥٠)

إنتقام الكبير مُرٌّ ولكن في المرات نكهة القنديد
وانتقام النكس الحقير حقيرٌ كانتقام الكافور من أخشيد

....

١١٠ يا إلهي صن الكرام، فلا تسمح بسلطان باخلٍ، أو حَقود
أو حسودٍ أو راضعٍ في الدنيا والقامات راتعٍ مولود
فيه حقدٌ، على الأكارم والأشراف، إرثاً من اللثام الجدود
يتوالى على السنين فيربو كنمو الأسحات عند اليهود
أو نموّ الديدان في الزهم، حين اللحم يغدو وليمةً للودود
إذ يجوز الحقدُ المَعْرِقُ أصلابَ الأولي إلى دماء الوليد
حسداً يرضع الصغار فتنمو بزرّة اللؤم في حواشي المهود
١١٧ فاذا سُودوا كباراً فويلٌ للدوالي من ثعلب غرود

....

- ١ كبر على الإمام عبد الرحمن أن يعيش في الرياض بلد آباءه واجداده بعيداً عن النفوذ يرى بعينه عامل ابن الرشيد سيداً مطاعاً. وكان هذا العامل مقصراً في حق آل سعود فلم يكرمهم ولم يعاملهم المعاملة التي تنسبهم تراثهم الزائل. فقام عبد الرحمن وأنصاره وقبضوا على ابن السبهان «العامل» ويأبوا عبد الرحمن بالإمامة فجهز ابن الرشيد جيشاً حاصر به الرياض ولكنه لم يتمكن من دخولها فصالحه أهلها على أن يترك لعبد الرحمن الإمارة.
- ٢ أن الكلام هنا يجري على إطلاقه فلا يتجه إلى آل السبهان خصوصاً فإنهم أبناء عائلة عريقة في الوجاهة وإن أساء بعضهم.
- ٣ الأسحات مفردتها سحت وهو المال الحرام وما خبث وقبح من المكاسب. الزم: الرائحة المنتنة في اللحم السمين. المعرق: الممتد العروق.

وأغاظ الأنصار أن وليّ الأُمس رهنٌ بأمرٍ فِئلي مريد
 ذكره وخلفه صفّ أجيالٍ ملأَنَ الزمانَ بالتجويد
 ١١٠ لم تدكّ الارزاءُ بعدُ بقايا من ودادٍ وراسخاً من عهود
 وقليل همُ الصحابِ على البأساءِ في غمرة الليالي السود
 وهمُ الأكثرون في الحولِ والنعمى وخصبِ الجنى ورحبِ الوعود
 كالجياح الأيتام يحرون للحوى إذا لآلأت عشايا العيد
 وكان الحسام أبيضَ مجروداً خلاف المشطّبِ المغمود

....

كم عظيم هوى فوّلى نداماهُ وكانوا عبّاده في الصعود
 عهدَ كانت أيّامه زينةَ الأيامِ والدهرِ خادمٍ للعميد
 روضه مطلع الشذا ودواليه الحوالي منابتٌ للجود
 عتّبُ الدار تشكي من عفاةٍ والزرايُ من زحامِ الوفود
 ويكادون من نفاقٍ وتدليسٍ يخرون رُكعاً للسجود
 ١٢ فاذا صوّحتُ جنانٌ وجفّتُ زهراتِ الآمالِ في الأملود
 كفّ عن شدوه المزيفِ صدّاحٌ، وضّقت لهاته بالنشيد
 ندّ عن باله رواسمُ إطرأ وآيُ الثناء والتمجيد
 فاذا يذكرون خلاً كسيراً فاذا كار الطاغى لعبد زهيد

١ عتّب : مفرداً عتبه والعفاة مفرداً العافي وهو طالب الرزق أو الضيف والزراي ما بُسِط وانكس
 عليه . ٢ الرواسم هي الخواتم التي يخنم بها ويقصد بها العبارات الجاهزة التي تسمى بالفرنسية cliché .

...

جَلَّ قَدْرًا صَحْبُ الْأَمِيرِ وَفِيهِمْ كُلُّ شَيْءٍ زَاكِي الْعُرُوقِ وَدُودِ
يَتَلَطَّى مَرْوَةً فَلَهَيْبَ النَّارِ يَطْوِي فِي دَرْعِهِ الْمَسْرُودِ
مَا صُدَّوعُ الْجِدَارِ تَنْسِيهِ بَيْتًا وَائِلِيًّا وَغَضْبَةً لِلْعُمُودِ
كَيْفَ يَنْسُونَهُ، وَقَدْ حُمِلَ الْأَمْجَادُ فِي صَبْحِ يَوْمِهِ الْمَشْهُودِ
بِأَيْعُودِهِ عَلَى الْقُلُوبِ إِمَامًا غَيْرَ هَيَّابٍ صَاقِقٍ وَرَعُودِ
فَابْنُ «سَبْهَانَ» فِي الْقِيُودِ وَقَبْلًا كَانَ دَوَّاسٌ شَرْعَةً وَقِيُودِ
١٢٠ حَاصِرَتِ «حَايِلٌ» «رِيَاضًا» فَعَادَ الْجَيْشُ يَشْكُو انْهِزَامَهُ لِلْعَقِيدِ

...

لَمْ تَسُدَّ الْإِمَارَةُ النَّزْرَةَ الصَّغْرَى طِمَاحَ اللَّيْثِ الرَّحِيبِ الصَّعِيدِ
كَيْفَ يَرْضَى الْمَدَى الْمَسُورَ حَدًّا مَنْ مَدَّاهُ مَلُّ الْفِيَا فِي الْبَيْدِ
وَعَلَى السُّورِ مِنْ رَشِيدٍ رَقِيبٌ يَقْظُ الْعَيْنَ صَامِتٌ التَّهْدِيدِ
لَيْسَ أَنْكِي عَلَى الْأَعْزَةِ مِنْ عَيْنِ التَّحْدِي وَمِنْ صِرَاعٍ بَرُودِ
فِي صَلِيلِ السُّيُوفِ تَفْرِيجِ كَرْبٍ وَرَخِيمٍ تَرْنَمٍ الْبَارُودِ

١ عزَّ على الأمير عبد الرحمن الذي أصبح تحت رحمة الرشيد إن يرى سلطته محصورة في الرياض وما حولها . وقد كبر على أهل القصيم امتداد نفوذ ابن الرشيد وما هو بأقدم منهم بيتاً ولا أكرم حساباً فبايعوا عبد الرحمن على أن يبايعوا ابن الرشيد في حائل . ولكن الرجل كان بقطاً حذوراً فبايعهم بقواته في عنيزة ومزهم شر ممزق . وقتل في المعركة زامل آل سليم حاكم عنيزة وابن مهنا حاكم بريدة وتعرف هذه الواقعة بواقعة المليدة .

٢ بَرُود : بارد .

والسحاب الجهم المثقل بالنيران يُفشي همومه بالهديد

...

شدَّ أزرَ الأمير في غضبة الإثَّار أهل « القصيم » أسدُ النُجود
ما استكانوا إلا استكانةً نارٍ ركدت غير حُرَّةٍ في الهجود
حُرِّمتْ نعمةُ النسايم والأحطاب، أو حوَّطت بسور جليد
١٤- صوت عبد الرحمن أوري شظاياها ولظَى هجودها بالوقيد
تحت ذاك الرماد ألف زنادٍ في اشتياق لغمرة صيهود
فيم ابنُ الرشيد سادَ عليهم أبْقَصِرَ على الثريا وطيد
أم بمجدٍ مُطَنَّبٍ منذ أهل الكهف ألقوا عَصِيَّهم في الوصيد
جارُهم ليس فوقهم جودَ كفٍ لا ولا فوقهم سُوءُ جدود
إنَّ للجار نظرةً في لظاها ونهْجُ سيفٍ في جفنه مغمود
تلهِبُ الغيرةُ الاكولةَ في الأضلاع فعلَ المفازة الصيخود
هي كالسهم حدةً ومضاءً والجناحين في الخيال المديد
تنبشُ الغابرَ المكفَّنَ والآتي، وتثوي على الأليم العتيد
يُحمد الجار ما يدوم نظيراً لا عتياً وفر الغنى والمُروء

...

١٥- فليهبِ « القصيم » للحرب، وليطبقْ على « حایل » صلابُ الزنود

بَغْتَةً يَأْخُذُونَهُ كَانْقِضَاضِ الصَّقَرِ، حِينَ الْعَصْفُورُ فِي التَّغْرِيدِ
وَهَمُّوا فِي الظُّنُونِ فَهُوَ حَذُورٌ لَا غِيَّ وَلَا أَلْفُ جُودِ
كَانَ يَدْرِي أَيُّ السُّيُوفِ عَلَيْهِ قَبْلَ كَرِّ الْخِيُولِ وَالتَّجْرِيدِ
فِيرَاهَا نَوَاشِرًا قَلَقَاتٍ لَاهِبَاتٍ الْخُدُودِ طَيِّ الْغُمُودِ

...

وَعَدَا الصَّائِدُ الْمَقَامِرُ كَبْشَ الصَّيْدِ، وَابْنَ الرَّشِيدِ غَيْرَ مَصِيدِ
فَتَغْدَى خُصُومُهُ، قَبْلَ مَا هَمُّوا بِأَكْلِ، وَأَذْنُوا بِوُرُودِ
حُسْبُوهِ وَلِيْمَةٍ سَهْلَةٍ الْمَأْتَى فَكَانُوا الشَّوَاءَ فِي السُّقُودِ
هَبَّ كَالْبَاشِقِ الْخَفِيفِ وَكَانُوا يَتَلَهَّوْنَ بِالْمَسِيرِ الْوَيْدِ
تَفْعَلُ الضَّرْبَةُ الْفُجَاءَةَ بِالْأَكْبَادِ فَعَلَ اللَّظَى بَزْرَعِ حَصِيدِ
الْمَنْجَلِ كَانَ ذَلِكَ الْبَاغَتِ الدَّرَاكِ، فِي حَقْلَةِ السِّبَالِ الْقَعُودِ
فَضَّهْمُ فِي «عَنْزِيَةِ» مَثَلَهَا فَضَّتْ حُرُورُ قِطْفِ الْكُرُومِ النَّضِيدِ
زَفَرُ التَّلِّ مِنْ أُنَيْنِ الضَّحَايَا وَتَمَلَّى مِنْ أَرْجَوَانِ بَدِيدِ
الْبَسَاتِينِ فِي «عَنْزِيَةِ» ثَكَلَى وَالرِّيَّاحِينَ هَالَةً لِلْحُودِ
بَلَدَةِ الْأُنْسِ وَالْبَشَاشَةِ صَارَتْ جَهْمَةَ الثَّغْرِ وَالرَّوْىِ وَالْجِيدِ
رَأْسَهَا «زَامِلُ السَّلِيمِ» عَلَى مَا يَتَمَنَّى الرَّدَى وَطَرْفُ الْحُسُودِ
فُجِعَتْ أَخْتَهَا «بُرَيْدَةُ» بِالْوَالِي «مِهْنًا» صَرِيْعَ نَارِ الْجُنُودِ
يَا لَهَا وَقَعَةٌ «الْمَلِيدَةُ» يَوْمًا بَاتَ فِيهِ الْجَلِيدُ غَيْرَ جَلِيدِ

١ السُّقُودُ: الحَدِيدَةُ الَّتِي تَحْمَى وَيَشْوَى عَلَيْهَا الْحَمُّ . ٢ السِّبَالُ: السَّنَابِلُ .

قِيلَ فِيهِ يَا نَجْمَةَ الصُّبْحِ غُورِي قِيلَ يَا عِزَّةَ الْأَرَاثِكِ مِيدِي

...

لَا زَمَ الشُّؤْمُ ظِلَّ آلِ سَعُودٍ كَيْفَ مَالُوا أَتَاهُمْ بِمَزِيدٍ
١٧٠ الْهَمُومُ الثَّقَالُ تَرَحُّفُ أَزْوَاجًا فَمَا تَكْتَفِي بِهِمْ وَحِيدٍ
فَتَرَاهَا تَرْتَدُّ عَنْ مُتَرَفٍ عَادٍ وَتُوْهِي عَزِيمَةَ الْمَكْدُودِ
صَارَ نَجْلُ الرُّشِيدِ بِبِرْقٍ نَجْدٍ مَلَّ سَمْعَ الْعُلَى وَحَمَلَ الْبَرِيدِ
عَامِلُ الْأَمْسِ فِي سُمْوٍ وَإِخْصَابٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي تَشْرِيدِ
نَقْلِ الْأَهْلِ مِنْ «رِيَاضٍ» إِلَى الصَّحْرَاءِ ضَيْفًا عَلَى أَسْوَدِ النَّفُودِ
فَتَلْقَاهُ آلُ مُرَّةٍ رُؤَادَ الْفِيَاثِي وَرَاضَةَ الْجَلْمُودِ

...

لَجَّ فِيهِ الْخَنِينُ لِلْوَكْرِ بَعْدَ الْهَجْرِ شَوْقُ الْفَتَى لَعِيدِ خُودِ
فَاتَاهُ وَاحْتَلَّهُ وَاسْتَعَادَ الْوَكْرُ بَعْدَ الْعَبُوسِ فَرِحَةَ عِيدِ
بِهَجَّةٍ شَابَهَتْ سَحَابَةَ صَيْفٍ أَوْ شَذَا الْوَرْدِ أَوْ صَدَى الْغُرَيْدِ
دَهْمَتَهُ الْفَرَسَانُ أَثْبَاجَ بَحْرِ غَرِقَتْ فِيهِ مَرْكَبُ الْمُسْتَعِيدِ
١٨٠ يَوْمَ «إِحْرِيْمَلَا» وَلَمُوتٍ فِيهِ ظُلَامُ الْخُلْدِ لِلْقَتِيلِ الشَّهِيدِ
إِذْ رِمَاحٌ تَحَطَّمَتْ بِرِمَاحٍ وَبَنُودٌ تَحَطَّمَتْ بِبَنُودِ

١ النفود : الصحراء المعروفة . ٢ نقل الأمير عبد الرحمن ، بعد هزيمة المليدة أهله من الرياض إلى آل مرة قرب الأحساء ومكث بينهم نحواً من سبعة أشهر ثم هجم على الرياض فاحتلها وسائر إقليم العارض . ولكن ابن الرشيد جهز جيشاً عظيماً التقى جيش عبد الرحمن في حريملا فقتل عليه القضاء الأخير ، فأيقن عبد الرحمن أن الأمر فوق مقدوره فغادر نجداً إلى الأحساء فالتقطيف فالكويت حيث ألقى عصا التسيار منتظراً الفرصة وما تأتى به المقادير . (ح . و . ٠)

إِذْ يَلْبِي الْأَمِيرَ خَلٌّ وَفِيٌّ فَيَجْلِي إِمًّا إِلَى الْمَوْتِ نُودِي
إِذْ يَطِيبُ الْمَمَاتَ دُونَ لَوَاءٍ فَيَصْلِي يَفْدُونَهُ بِالْكَبُودِ
مَالٌ فِي عَصْفَةِ الزَّعَازِعِ وَالْأَنْوَاءِ فَاسْتَعْبَرَتْ نَجُومُ السَّعُودِ
وَأُزْوَتْ فِي الظَّلَامِ شَأْنُ الْأَيَّامِ دَامِيَاتِ الْجَفُونِ جُهِمِ الْحُدُودِ
حَجَّبَتْهَا الْغُيُومُ بَعْدَ انْتِلَاقٍ وَانْطَوَتْ بِهَجَّةِ اللَّيَالِي الْغَيْدِ
وَأُخِّتْ دَوْلَةٌ بِنَجْدٍ وَكَانَتْ أَلْفًا فِي صَحَائِفِ التَّخْلِيدِ
كَعْبَةٌ لِلرَّجَاءِ مَادَتْ، فَيَا زُهْرَ اللَّيَالِي وَيَا مَبَاهِجَ عَوْدِي

٨- قبس في الدجى

قبل توديع مجده وانبياره وانطفاء الأخير من أنواره
 ١٨ شام عبد الرحمن في القصر ضوءاً لاح خلف الكيف من أستاره
 حسبوه بقية البدر، حين الضوء في الحق، أو قبيل سراه
 قلما يلمح الرجاء مريض كل ما حوله نذير احتضاره
 ما درى أنه الوليد الذي يفتّر ثغر الزمان عن أخباره
 فيباهي تشرين كل شهور العام، حتى الربيع في أياره
 بوليد جاء الزمان شهاباً فأغار البدور من أقماره
 ذوّبت مقلّة الجزيرة جفنيها، وأفنت سوادها في انتظاره
 هان أولادها فلم يبق إلا واحد ترجي منيع جواره
 واحد عدل أمة تبتغيه لتغطي صغارها بوقاره
 مجدّها كان، يوم كانت فتوح يوم عز النبل في بتّاره

١ السرار : اليالي الثلاث من آخر الشهر القمري .
 ٢ في صباح يوم من تشرين الاول سنة ١٨٨٠
 (عن كتاب سيد الجزيرة العربية
 لعمر أبي النصر)

٣ العدل : التظهير المثل .

سَقْدَرُهُ قَدْرُ مَا يَجْنَدِلُ فِي الْمِيدَانِ، إِذْ يَرْتَمِي عَلَى تَيَّارِهِ
 لِسَانُ صَدَقِ الْأَنْبِيَاءِ، عَسَّالِ الْخَلَايَا، سَبَطِ الْقَنَا خَطَّارِهِ
 صَنْعَةُ «الْخَطِّ» فِي «الْقَطِيفِ» كَانَ «الْخَطُّ» أَوْرى سَنَانِهِ مِنْ نَارِهِ
 تَلْمَحُ الْعَيْنُ، غَيْرَ زَائِغَةٍ إِلَّا حَاطِظٍ، فِي النَّقْعِ، سَائِلًا مِنْ شَرَارِهِ
 وَيُورَى طَيِّ الصَّدُورِ، فَمَا لِلظَّهْرِ فَضْلٌ بِسْقِيهِ فِي أَوَارِهِ
 لَا يُلْمَى بِهَارِبٍ فَاَلْمَوْلَى رَعِشَةُ الْمَوْتِ، حَسْبُهُ، فِي فَقَارِهِ

....

يَوْمَ قَدْرُ الصَّنِيدِ قَدْرُ حَسَامٍ يَنْزِعُ النُّصْرُ مِنْ رَهِيْفِ غَرَارِهِ
 صَنْعَةُ الْهِنْدِ، تَحْسَبُ «الْكَنْجَ» بِحَرِيِّ فِي التَّمَاعِ الْفَرَنْدِ عِنْدَ اسْتِعَارِهِ
 فِيهِ مِنْ غَضَبَةِ النَّمُورَةِ «بِالْبَنْغَالِ» وَالصَّلَ فِي هَجِيرِ حِرَارِهِ
 كَافِرٌ حَدُّهُ بِشَرْعَةِ بُوذَا وَتَفَاضِيهِ عَنْ أَذَى وَاغْتِفَارِهِ
 قَاضِبٌ لَا يَعْفُ عَنْ «بَرْهَمِيٍّ» شَامَ رُوحَ الْإِلَهِ فِي أَبْقَارِهِ

....

سُودُ الْفَتْحِ كَالضَّبَابِ تَلَاشِي لَيْسَ إِلَّا الرَّمَادُ بَعْدَ جَمَارِهِ
 لَيْسَ يُغْنِي ذِكْرُ الرَّشِيدِ فَقِيرًا كَفَنَتْهُ الْحَيَاةُ فِي أَطْمَارِهِ

١ الخط: بلد في القطيف وقد اشتهر بصناعة الرماح .
 ٢ الكنج: هو نهر الهند الذي يقدسه
 ٣ البنغال: مقاطعة في الهند تكثر فيها
 ٤ إشارة إلى البراهمة وتقديسهم للبقرة .

لا تساوي «زبيدة» وحلاها خرقّة الدِف من حقير إزاره
 ما لذكرى أسبانيا، والجنان الفيح، والقصر غارقاً في احمراره
 بأبه ساحة السباع، كأنّ الأسد حُرَّاسُ تاجه ونضاره
 أو دُمى للمليك أو للجواري ناطقاتٍ بعزه واقتداره
 إنه سيد السباع، فما الآساد إلا زخارفٌ لحجاره
 إنَّ أشداقها ميازيبُ سلسالٍ رهينٍ بأمره واحتكاره
 إنَّ «أشبيليا» و«غرناطة» الحمراء ركنان في منيع جداره
 إنَّ ريحَ الزمان تجري بما يهوى، فتأقي الأقدارُ من أقداره
 يا لها نشوة أطاحت عُروشاً وأمدتْ مُخدراتاً في دُواره
 يحسب الفجر طالعاً، ويكون الضو في درب مَحَقِّه واندثاره

...

قَيْدَ العُربَ في الجزيرة جهلٌ وانقسامٌ وعزلةٌ ومكاره
 هَمَلٌ كالقطيع إذ كلَّ رأسٍ لسواه من الرعية كاره
 كل فخذٍ قبيلةٌ، كل بطنٍ دولةٌ في انعزاله ونفاره
 يعربُ ذلٌّ في الضمائر، بعد العزِّ، بعد ارتقاعه واشتعاره
 - مَطْلَعُ الشمسِ مَطْلَعٌ لَأَمَانِيهِ، وَأَفَقُ الغروبِ حَدٌّ انْتِشَارِهِ

١ هي زبيدة زوج الرشيد المعروفة بالبذخ والإسراف والفلو في التزيّن . ٢ المقصود قصر الحمراء في غرناطة، وعز العرب في الأندلس . ٣ ساحة السباع واقعة أمام القلعة الحمراء الشهيرة . ٤ في أشبيلية قصر من أجل قصور الدنيا، وأجل ما فيه قاعة الملوك وقاعة السفراء . ٥ ليس المقصود هنا يعرب ابن قحطان بل العرب مطلقاً .

فقد ريشة بملعب أرياح هلو ع الجنان في كسر داره

...

من لها مقلة الجزيرة يأسوها فيشفي عماءها بانتصاره
يبعث القفر بعد جذب ربيعاً سندسياً يخال في آذاره
طلعة اليمن في زنا بقة بيضا، وحلو الرجاء، لون اخضراره
ينعش الهند والخليج وبحر الروم والفرس من شذا أزهاره
ويؤاخي بين الحجاز ونجد ويعيد «الحسا» الى أمصاره
فتعود الجنان خضراً فساحاً ويهل المرجان من جلناره
وتوآتي «نجران» بعد جموح و«عسير» تكون في أقطاره
كعبة الضاد قصره، وقلوب العرب عقد منظم، في إطاره
تلتقي حضرموت مصرأ ولبناناً وفوج الشام تحت مناره
كل وفد يلقي - على شاسع الأبعاد - في الدار فلذة من دياره
وتكون الأقطاب، من جبهة الشمس، وأفق الغروب في زوآره
يستبهم وقاره، وجلال القول، والعمق في مدى أغواره
فالتماع الشهاب، في الجلد الصاحي، كوميض الذكاء، في أفكاره
يوجز النص في الحديث كلعع البرق، والبرق سره في اختصاره
يكثر القول هاذر غير فعال، يغطي جذامه بخماره

١ أي المحيط الهندي وخليج السويس والبحر المتوسط وخليج فارس والمقصود بهذا البيت حدود الجزيرة العربية . ٢ الحسا: منطقة الأحساء .

أو بخيلٌ يذرُ بالكلمِ الجوفاءُ، سترًا لشحِّه وصغاره
يمسك الفلَسَ إذ يقيم جداراً دُونَه بالسخيِّ من أَعذاره
لا كريمٌ يجود بالدم في الهيجا ويكسو الترابَ من ديناره
جودٌ معنٍ وبرمكٍ وابن طيٍّ لا يساوي هبةً من غباره

...

إبشري يا جزيرةَ العربِ، فالمولودُ صبحُ الرجاءِ، غبٌ اعتكاره
يطلع الفجرُ أشقراً من سجاياهُ، وغيدُ الرؤى بناتُ استمراره
سيكون الليثُ الذي ترجف «الدهناء» و«الجوف» من صدى تَرَّاهُ
ستكون البيضُ الرقاقُ نداماهُ، وزُرُقُ النصولِ في سُماره
حرمٌ غابُه على مُبتغيه فطوال الرماح في أشجاره
وشواظُ البنادقِ السُمرِ، أفواه المنايا، تكون في أثماره
تتحامى العقابُ أجواءَه الحرَّى، فراراً من وقده وبُخاره
غابُه «نجد» و«الحسا» و«عسير» وقفارُ الحجاز أدنى قفاره
فاذا لعلَّتْ رعودُ المنايا أو أَلَمَّتْ بريشةً من صغاره
أو تعدَّتْ ريحُ الشمالِ مجاريها، تروم القريب من أوكاره
زعقُ النسرِ زعقةً ترعبُ الرُّبُالَ حتى يقرَّ في أخذاره

١ المقصود معن بن زائدة وجعفر البرمكي وحاتم الطائي . ٢ نستعمل غباً بمعنى بعد وفقاً لما جرى عليه المحدثون . ٣ الدهناء والجوف : علان لمكانين معروفين . ٤ المقصود بريح الشمال شمالي نجد وقد كانت هذه المنطقة يومئذٍ موالية لابن الرشيد .

أو تبثُّ الإرهابَ في قلبه المرتجح حتى يسيل من أظفاره
 ذلك النسر طوق العزم جنبه، وأورى الفولاذ في منقاره
 سوف تهوي الصقور، في جوهه العالي، فكيف الجياد في مضاره
 الجواد الجواد يكبو، فإن ينهض سليماً، فقد تردى بعاره

....

ان هذا الوليد في الغرب قطبٌ دورة الضاد كلها في مداره
 حملته الأجيال عب تراث المجد، منذ العريق من أطواره
 منذ أعلام وائل، مذ كليب حطم الأجنبي في ذي قاره
 شاق عدنان أن يعيد فخار العرب، للعرب، أروع من نزاره
 شاقه أن يعيد مجداً دفيناً فيلم الشتيت من أدواره
 موقناً أن جوهر الأصل يبقى رغم جذب السنين طي يذاره

....

عمر هذا الوليد أمس عريقٌ وغد لا تغيب شمسُ نهاره
 ليس عمر الإنسان رقماً ولكن هو عمر الخلود في آثاره
 ومدى نشوة المسامع إن يذكر، وأصداء صيته واعتباره
 وابتسام الآفاق جيلاً جليلاً عند ترجيع سفره وإدكاره
 إذ يقولون خطوه معجز الأبصار، فهو الشهاب في تسيره

والمسافات من «عسير» الى «الدهناء» «فالشام» كن من أشباهه

....

يا لطفلٍ سيحمل الأُمس، كلَّ الأُمس، في مجده وفي أوزاره
لا تطيق الجبال ما طقت لكن كلُّ بحرٍ يُعطى على مقداره
عمقُ لجّاته، وبعد شواطيه، يسعن الغار من أنهاره
يفتح الساحل المديد إذا ما السيل صكَّ الأذان في تهداره
وكذلك الصبورُ يُعطى من الأرزاء مقدار برّه واصطباره
٢٨ فتعالت يدُ هي اللغز في الألفاظ، والسرُّ في عميق استتاره
هي أصلُ الوجود من لا وجودٍ ومدارُ الأسرار من أسرارهِ
حسبها، إن تشأ، هنيهة إهمالٍ تؤدي لحقه وبواره
فارتداد الأخطأ أبطأ عوداً من تهاوي أركانه وانهاره
رحمة الله بالخالق أسمى من مداراة صانعٍ لجراره
جلَّ قدرًا عن التلّهي بتعظيمٍ وصدع الرقيق من فخّاره
شمسه تشمل الوري، لا تصدُّ النور، عن وحله، وعن فجّاره
رُبَّ من يُبتلى بداءٍ ومكروهٍ يكون الأجلُّ في أبراره
حكمه غير ما يُؤوّلُ زنديقٌ يشيمُ الآفاق من منظاره
سلَّ رَوابي حورانَ عن خطبِ أيوب، وعن دمع قلبه وانكساره

١ إشارة الى زندقه الشاعر الفارسي عمر الخيام وأمثاله من الزنادقة، الذين يهكمون بتدابير العناية الالهية.
ولا مجال هنا لبحث مشكلة الشر التي يتفرع عليها تشاؤم المتشائمين والمُحَادِم. ٢ كان أيوب الصديق
يقطن حوران.

٢٨. أَزَحَتْ لَافِحُ الْمَصَائِبِ عَيْنِيهِ، وَعَذَبَ الْمِيَاهُ مِنْ آبَارِهِ
 سَرَحَ الدَّودُ فِي تَقَرُّحِهِ الدَّامِي، وَضَجَّ الصَّدِيقُ مِنْ أَقْذَارِهِ
 كَادَ لَوْلَا مِجَنَّةٌ مِنْ صِلَاحٍ يَصْدَعُ الْأَرْضَ مِنَ الْيَمِّ انْفِجَارُهُ
 تَهَانَ فِي عَيْنِ صَاحِبِهِ، وَهُمْ الْخَلَّانُ، إِبَّانَ خَصْبِهِ وَيَسَارِهِ
 صَعَدُوا فِي صَعُودِهِ وَتَوَلَّوْا حِينَ لَاحَتْ بِأَسَاؤِهِ مِنْ عَوَارِهِ
 مَا دَرَوْا أَنَّ رَبَّهُ سَيَجَازِيهِ، وَيُعْلِيهِ مِنْ خِلَالِ انْخِدَارِهِ
 أَنَّ آلَامَهُ شِعَاعٌ لِهَذَا الشَّرْقِ، يَوْمَ ادَّعَاهُ وَافْتِخَارِهِ
 يَسْفِرُهُ آدَمُ الرِّوَانِعِ وَالْأَسْفَارِ فِي صَفْوِهِ وَعُمَقِ ابْتِكَارِهِ
 سَيَكُونُ السَّدى لِمَزْمُورِ دَاوُدَ وَلَحْنِ الْخُلُودِ فِي مَزْمَارِهِ
 بَعْدَ مَا كَانَ مَلْ خَاطِرِ مُوسَى أَوْ ضِيَاءِ يِهْلُ فِي أُسْفَارِهِ

...

٢٩. إِنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فِي ابْتِلَاءِ الْمَرْءِ عِنْدَ اطِّرَاحِهِ وَاخْتِيَارِهِ
 بِالْإِلَهِ مَرْدٌ لِحُكْمِهِ حِينَ يَبْلُو أَوْ يَخْصُ الْمُنْكَوبُ فِي إِثَارِهِ
 فَيَرِدُ الْعُرُوشَ بَعْدَ انْهِيارِ وَيَغِيثِ الْهَيْمَانِ بَعْدَ أَوَارِهِ
 إِيَّاهُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بُشْرَى بِطِفْلِ هُوَ فِي الْعَصْرِ وَاحِدٌ مِنْ كِبَارِهِ
 حَامِلٌ فِي جَبِينِهِ وَهُوَ طِفْلٌ مَا سَتَمَلِي الْأَجْيَالُ مِنْ إِكْبَارِهِ
 سَيَكُونُ الذَّخِرَ النَّفِيسَ لِهَذَا الشَّرْقِ، يَزْهَوُ بِكَتْرِهِ وَادِّخَارِهِ

١ اللافح: النار أو الشمس المحرقة. ٢ المِجَنَّة: الترس. ٣ العوار هو الخرق والشق في الثوب. ٤ السدى: ما مُدَّ من خيوط الثوب وهو خلاف اللحمة.

سُبَاهِي بِسَيْفِهِ الْعُضْبُ وَضَاءً ، كَإِشْرَاقِ صَيْتِهِ وَنُجَارِهِ
 - بِاسْمِهِ تَهْتَفُ الْعُرُوبَةُ ، إِنْ مَالَ الْمَغْنِي ، وَشَدَّ مِنْ أَوْتَارِهِ
 مِنْ رَوَابِيهِ تَسْتَمِدُّ شَذَاهَا وَتُعَلِّي شَعَارَهَا بِشَعَارِهِ
 بِاسْمِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَهْتَفُ نَجْدٌ وَيَغْنِيهِ فِي بَعِيدِ قَرَارِهِ
 ٢١٠ تَشْرِبُ الْعَيُونُ تَنْشُدُ رِيَاءُ وَتَأْوِي الْعَلَى ، إِلَى تَذَكَارِهِ
 تَخْرُسُ الْوَرَقُ وَالْبَلَابِلُ إِلَّا سَجْعَةً مِنْ «رِيَاضِهِ» وَهَزَارِهِ

...

كُلُّ زَهْرٍ عَلَى الْجَزِيرَةِ مَزْهُوٌّ عَجِيبٌ ، يَتِيهِ فِي اسْتِكْبَارِهِ
 كُلُّ وَرْدٍ يَنْ بِالطَّيِّبِ ، أَوْ يُعْيِي بِجَالِ الْعَيُونِ فِي إِبْصَارِهِ ^{أرضه}
 وَاهِمًا أَنَّهُ الْفَرِيدُ ، عَلَى الْأَرْضِ ، مُدَلًّا بِكِبَرِهِ وَازْوَرَارِهِ
 مَعْنًا فِي اخْتِيَالِهِ ، فَكَأَنَّ النَّاسَ عِبْدَانُ زَهْوِهِ وَاحْتِقَارِهِ
 فَإِذَا لَاحَ لِلْعَيُونِ لَمَامًا أَتَعَبَ الْأَغْنِيَاءُ مِنْ نَظَارِهِ
 يُوْهِمُ النَّاضِرِينَ بِالْفُوحِ وَالْأَنْدَاءِ ، حِينَ الْحَمَاتِ فِي أَزْوَارِهِ
 صَوِّحَتْهُ الشِّفَاءُ لُثْمًا وَتَقْبِيلًا ، فَنَادَتْ أَوْرَاقَهُ بِاصْفَرَارِهِ
 كُلُّ وَرْدٍ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، إِلَّا الْطِفْلُ ، وَرْدٌ مُعَقَّمٌ فِي مَزَارِهِ ^{مريض}
 ٢٢٠ هَاتِ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَوْحًا جَدِيدًا يُفْعَمُ الْخَافِقِينَ بَعْدُ انْتِشَارِهِ
 لَا رَجَاءَ إِلَّا بِنَجْدِكَ فَأَمْلَأْ جَنَابَاتِ الدُّنْيَا بِطَيْبِ عَرَارِهِ

٩- الطفولة

لم يُمتنع بالطيبات الصغير ' لا دمي ، لا مباهج ' ، لا حرير
كان في عتمة الهموم أبوه ' عندما طلّ مقلتيه النور
حجب الغيم شمس آل سعود فعليها من الرزايا بُشور
ليس فيها من « فيصل » ألق الوهج ، ولا رأدها « السعود » الكبير

...

جلّ المهد في الطفولة أمّ ما لها ، الدهر ، في اللبّاء نظير
جبة الدين والمبرات ، فالأخلاق ما ينشر الندى والعبير
زهرة القلب « الدوايسر » أبطال المواضي حين الرؤوس تطير
نعم الطفل بالعمومة آسداً ، وقد كانت الحؤول النمرور
وبأخت بعيدة الهم « نورا » خير من ظلّلت بنجد ستور

١ اللبّاء : مفردتها لبؤة ولقد كانت السيدة الجليلة والدة الأمير عبد العزيز من قبيلة الدوايسر المشهورين بالبسالة .
٢ نورا أخته الكبيرة المعروفة بالفضيلة والبسالة وكثيراً ما كان الأمير ينتهي باسمها في الوقائع .
واننا تأخذ معظم مصادر هذا الفصل وبعض مصادر الفصول المقبلة عن المؤرخ انطون زيشكا ، الذي اشرفنا اليه في المقدمة فتعتمد في الحوادث التي لم يذكرها الريحاني ووجهه ، بدون اثبات الفقرات التي اعتمدها خلافاً لما درجنا عليه حين نعتد المصادر العربية . لذلك فسكتني بالإشارة الى المؤلف ، أو تقتضب بعض التنبذ .

كَلَّاتُهُ بِقَلْبِهَا السَّمْحَ طِفْلاً وَكَبِيراً حِينَ الْوَعْيِ تَنْوُرُ
يَنْتَخِي بِاسْمِهَا إِذَا لَعَلَعَ الْبَارُودُ، وَاسْتَوْقَفَ الْأَصَمُّ الْهَدِيرَ

...

فَطَمَوْهُ فَرَّاحَ يَجْبُو، كَمَا تَجْبُو شَبُولٌ، ضَاقَتْ عَلَيْهَا الْخُدُورُ
بَيْنَ أَتْرَابِهِ، يَحْيِيُونَ أَسْرَاباً، كَمَا تَأْلَفُ الطُّيُورَ الطُّيُورُ
الرِّفَاقَ الزَّغْبُ الْخَوَاصِلُ أَخْدَانٌ، عَلَى الْعَمْرِ، لَيْسَ فِيهِمْ غَدُورُ
مِنْهُمْ الضَّيْعُ الْحَمُولُ الْبَلَايَا وَالْجَلْبِي إِذَا الْمَنَايَا تَغْيِرُ
وَالْمَقْدِي إِذَا تَخَلَّفَتِ الْهَامَاتُ وَالْمَجْدُ صَاحَ هَلْ مِنْ يَغِيرُ
وَالَّذِي هَدَاهُ السَّرَى، وَطَوَاهُ الْجُوعُ، أَوْ غَاضَ لَوْنَهُ الزَّمْهَرِيرُ
وَالْحَكِيمُ اللَّيِّبُ، حِينَ يَفِيلُ الرَّأْيُ، وَالنَّاصِحُ الصَّدُوقُ الْوَزِيرُ
صَلَةُ الْمَرْءِ بِالطُّفُولَةِ أَبْقَى مِنْ نُقُوشِ تَقَمُّصَتِهَا الصُّخُورُ
ذِكْرِيَّاتٌ يَأْوِي الْفُؤَادُ إِلَيْهَا وَيَحْنُ الْمَعَذِبُ الْمَمْرُورُ
هَمْسَاتٌ لِلْقَلْبِ مِنْ أَمْسِهِ الصَّاحِي، وَضَوْءٌ مَا شَابَهُ الدِّيْجُورُ
عَالَمٌ فِي الْهَوَا، مُزْدَحِمُ الْأَلْوَانِ، زَاهٍ مُزَخْرَفٌ مَسْحُورُ
وَنَقْيُ الْأَحْلَامِ أَجَلٌ مَا فِي الْأَرْضِ يُبْنَى، فَأَيْنَ مِنْهَا الْقُصُورُ
سَيَكُونُ الرِّفَاقُ خَيْرَ دُرُوعٍ عِنْدَمَا يَطْلُبُ الدَّرُوعَ الْأَمِيرُ
خَشِنًا مِثْلَهُمْ يُرَبِّي لِيَوْمِ جَوْهٍ عَابِسٍ الرُّؤْيَى قَطْرِيرُ
فَيُمَشِّي عَلَى الرِّمَالِ، بِلَا نَعْلِ، وَقَدْ ضَرَمَ الصَّعِيدَ الْهَجِيرُ

وَتَسِيخُ الرَّجُلُ الطَّرِيقَةَ فِي الرَّمْضَاءِ ، لَا تَشْكِي وَلَا تَسْتَجِيرُ
كُلَّ رَمَحٍ مُثَقَّفِ الْكَعْبِ ، عَسَّالٍ ، بَرَاهِ الصَّنَاعِ ، وَهُوَ طَرِيرٌ
كُلَّ سَيْفٍ يُعَدُّ لِلضَّرْبَةِ الْكُبْرَى ، فَسَيْفٌ مُطَرَّقٌ مَسْجُورٌ ٥٠٠

...

عَوْدُوه أَلَا يَكُونُ كَسَوَّلَا هَهُمُ النَّوْمُ وَالْفَرَّاشُ الْوَثِيرُ
يَسْبِقُ الضُّوْءَ فِي الطَّلُوعِ ، وَيَلْقَاهُ ، كَمَا يَسْبِقُ الضُّيُوفَ الْمَزُورُ
مَا رَأَتْهُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ وَشَنَانٌ ، وَلَا صَدَّهُ السَّحَابُ الْمَطِيرُ
وَكَذَلِكَ الصَّقُورُ فِي بَغْتَةِ الْأَسْحَارِ ، وَالْعَزْمُ فِي الصَّقُورِ بِكُورِ
يَنْفُضُ الْفَرَخُ رِيشَهُ فَيَفْضُ اللَّيْلَ ، وَالصَّبْحُ بِالْنَدَى مَغْمُورِ
يَقْصِدُ الشَّرْقَ حَيْثُمَا تُولَدُ الشَّمْسُ ، وَحَيْثُ الْمَرَادُ وَعَرُّ عَسِيرِ
لَا تَسْلُ كَيْفَ يَضْرِبُ النَّجْمُ بِالْمَنْقَارِ ، أَوْ كَيْفَ يَعْتَلِي ، أَوْ يَطِيرُ
فِي جَنَاحِيهِ عَزْمٌ بَضْعَةٌ أَجْيَالٍ تَدُلُّ الصَّغِيرَ كَيْفَ الْمَسِيرِ
مِثْلَهَا تَعْرِفُ الْكَوَاكِبَ مَسْرَاهَا ، وَيُلْقِي تَغْرِيدَهُ الشَّحْرُورِ
لَا تَقُلْ بِأَشَقُّ صَغِيرٌ ، ضَعِيفٌ الْحَيْلِ ، كَلًّا ! مَا فِي الْبُرَاةِ صَغِيرِ
لَا يَقْرُ الشَّاهِينَ حَيْثُ يَعِيشُ الْبَوْمُ ، أَوْ حَيْثُ يَنْعَمُ الزَّرْزُورُ
يَقْلُقُ النَّسْرُ فِي السَّهُولِ وَيَأْبَاهَا ، فَيْثُ الْعُلَى ، هُنَاكَ النَّسُورُ ٥٠٠

...

١ سَجَرُ التَّنُورِ: وَضِعَ فِيهِ الْوَقُودُ وَأَحْمَاهُ . ٢ فِي هَذَا الْمَقْطَعِ إِشَارَةٌ إِلَى تَأْسِيرِ الْإِرْثِ فِي النَّسْلِ
وَأَهْمِيَّةِ فِي الصَّبَاغِ ، وَالْأَثَرِ الْطُفُولَةِ وَالتَّرْبِيَةِ فِي الْإِنْسَانِ .

الأمير الصغير يجري الى الأفراس طفلاً، يدور حيث تدور
 يمتطيها كأنها مهده الثاني، ونعم الخيل المهود تمور
 لا يهزون في «الرياض» سريراً لوليد، سرج الحصان السرير
 فاذا رام أن يقبل، على الحر، وطال النهار والتهجير
 أو دَعَتْهُ الى الظلال الضواحي ترك المهر فاستنخ البعير
 كان لا يحسن الكلام ولكن حسبته الطرف والبنان المشير
 المطايا تكاد تفقه ما ينبغي، فتمشي الى الركوب الظهور
 ٧. فطرة في «كحائل» معرقات لم يُجرح خصورها التضمير
 لغة الخيل والفروسة سفر عربي هجاؤه والسطور
 بلسان الصيد المغاوير مكتوب، بأختام يعرب مهور
 لهجة تستفيق، منذ يطل الوعي من مهده، ويصحو الضمير
 يسبق العلم بالكتاب حسام بين حديه يكمن المقدور
 ورهاف قذائف تسطع الآجال منها، اذا يدق النفير
 لغة الكتب في المامع لا تجدي، فلا أخطل ولا شكسير
 وأمير تعمير النصر كفاه، يرّبي كما يرّبي المحصور
 فله القطن والحديد لباس لا الحرير الزاهي ولا البرفير
 الحشايا لغيره فعليه للمواضي وللرماح نذور
 ٨. فلننم غيره اذا شاء نوماً إن ليل الخشين شخير

١ الركوب وزن فعول هو الكثير الركوب . ٢ الكحائل : الخيل المنسوبة الى الكعيلة : الفرس العربية المعروفة، وهي من الأصالة بحيث لا يحتاج الذي يضرها الى نخسها بالمهاز .

ليعثون الجنودَ للموت، إذ يقضون، ما يطلب الخنى والفجور
 في بطون الأتباع يصرخ جوع في بطون المرفهين خمور
 في أكف الجند الغرائي جراح في أكف المنعمين خصور^١
 غلبتهم أهواؤهم فاذا يعلون فالجند وحده منصور
 غير هذي الفتوح ينبغي أمير^٢ «مانعي» وفر الطاح جسور^٣
 يديه يُعيد ملكاً سليباً لا يقولون ردّه الناطور

...

يقراً «الفتح» و «المعارج» و «الأحزاب» و «النصر» أو يُرام «الطور»
 ويُثنى «بالعادات» و «بالأنفال» و «الملك» إذ يحين السحور^٤
 صائماً قانتاً، كذاك أبوه وأبوه الشهم الإمام الذكور^٥
 لا قباب ترخف المبدع الساجي، ولا فضة ولا بلور^٦
 بل نفوس تقيّة، فكان اللفظ، في نبرة الشفاء بخور
 وقلوب إلى الإله تسمى كلما رنح العلى تكبير
 ما القباب السماء، ذهبها العقيان، أو هل فوقها السامور^٧
 وجلال الأهرام، وهي دراج^٨ للثريا، لا جنة وقبور^٩
 ومياه الإيوان إيوان كسرى مشرقاً فوق عرشه أزدشير

١ الغرائي: الجياع. ٢ مانعي في النسبة إلى مانع جد مرخان جد سعود. ٣ إشارة إلى سور قرآنية مقصودة في هذا المقام. ٤ الذكور هو الذي يذكر الله كثيراً. ٥ إشارة إلى بساطة السجد الجامع في «الرياض». ٦ السامور: الألباس. ٧ الجنة بضم الجيم هي السترة. ٨ دراج: إشارة إلى

وبساتين^١ بابل عالقات هادلاً فوقها الحمام الصبير^٢
وتهاويل قصر غمدان شعت وتلاها خورنق^٣ وسدير
وأعاجيب «يلدز»^٤ يوم إسطنبول نجم^٥ حمامه البسفور^٦
وصرود الأرض الشموخ وفيها نظم^٧ من غمامه ونثير^٨
... ومَنار^٩ الإسكندرية دنيا من ضياء تعشو اليها البحور
ورؤا^{١٠} اليونان في المرمر المسحور^{١١} كون^{١٢} بديعه التصوير^{١٣}
وخلود^{١٤} الجمال في فن روما حيث أمضت صك^{١٥} الجمال الدهور
لشساوي في الوزن خلجة قلب^{١٦} طيرتها الى السماء الصدور
بين جدران معبد^{١٧} كجبين الحق عار^{١٨} كما تجرد نور
لا بها^{١٩} يشت بال المصلي فتسود الأحلام واللاشعور^{٢٠}
إن في المعبد البسيط حصيراً طالما علم الخشوع الحصر

...

ونما الفارس^{٢١} الغلام^{٢٢} كما يستيقظ الدوح^{٢٣} لو سقاه الغدير
تعرف^{٢٤} الدوحة^{٢٥} الحمولة^{٢٦} قبل الحمل^{٢٧} فالزهر بالثمار يشير
لفتات^{٢٨} النمر^{٢٩} الحاظ^{٣٠} عينيه^{٣١} اذا عكّر^{٣٢} الوداد^{٣٣} عثير
٤١٠ الأزهير^{٣٤} مثله حين يرضى العفرتي^{٣٥} مثله لو يثور^{٣٦}

١ الحمام الصبير: هو الحمام الأبيض . ٢ يلدز: هو القصر الشامخ العز في عهد اللاتين .
٣ نظم: مفردتها نظام وهو العقد . ٤ البديع أي المبتدع الموجد . ٥ أشت بمعنى شئت والمقصود
هنا التقوى مطلقاً وقديسية الصلاة التي هي مناجاة الخلق للخالق وأفضليتها على المظاهر الخارجية .
٦ البسفور: الأسد .

ويجرون، من صلابة زنديه، صريعاً فلا يُصدُّ الحجير
 منية الليث مغلب لا انتقام للرعاع التنكيل والتدمير
 يُطنن الحقد ثعلب أو جبان ويسري عن الأسود الزئير —
 آية الصفح كان وهو صبي وكذا دام وهو شيخ وقور
 الصبا صورة الحياة، بما فيها، فما شاب صدقها التصغير —
 وسجاي الإنسان مذ هو طفل منبئات بما اليه يصير —
 لا تقل قاصر، فكل معانيه، حواها ذاك الإطار القصير —
 كل أمس غدائه في ثناياه، كما تضمّر النبات البذور —
 صفحة توجز الكتاب لتصدير، وصدر العمر الطويل شهور —
 بحقبة ينهل الصغير حياها، كما تنهل التراب الجذور

...

مدَّ عبد العزيز طرفاً حديداً فاذا نقطة المسير وعور
 عامل ابن الرشيد، من لومه العاتي، ومن مجد «حایل» مخمور
 شاقه للدماء قلب أصم لا عروق تشده بل سيور
 آلمته رؤوس آل سعود قائمات وما عليها خفير
 فليعجل قطافها، فإلى مولاه، تهدي من الرؤوس المهور
 حزن بالأمس مثلها، وعلى مقدار ما يحثني توفى الأجور

١ اعترم سالم بن سبهان إفاء آل سعود جميعاً . فدعاهم إلى بهو القصر في موعد معين على أنه يعمل اليهم الهدايا والسلام من ابن رشيد . وأدرك الأمير عبد الرحمن الخديعة فتقدمي أعداءه قبل أن يتعشوه . وكان الأمير عبد العزيز حاضراً هذه المذبحة، وهو يومذاك في العاشرة من العمر .

غال أبناء عيهم، فليتم الذبح وليستر الجميع الحفير
 - تنكر الضوء بومة أو خفافيش، كما ينكر الظلام البصير
 فليدبر أنسال «تركي» فلا يبقى على «حاييل» عدو مغير
 ٢٤. نصب الفخ للكواسر نكس نفسه عتمة، ومعناه زور
 عصم الله أن يصيد البزاة الشهب، في حبل مكره، عصفور
 أن توارى في مهدها شمس نجد وتهاوى مع الرجا، البدور

...

عقد العزم سالم أن يكون الغدر سيأفه، فبئس السفير
 نهج عبد الحميد، في الختل والإفناء، يوم الخديعة الدستور
 فدعا أسرة السعود الى عيد، أغر، تبيض فيه الأمور
 صبحه ملؤه سني الهدايا وضحاها أطايب وسرور
 «لا يغيب واحد فالهدايا طرف خصصت بهن الذكور»
 وأسر الذئب العتيق الى الأعوان قولاً تقف منه الشعور
 «لا يفوتكم ولو طفل عام انما يتبع العجين الحخير»
 ٢٥. «فانجروهم كما تذبح أغنام» وما دام في السعود نحور»

...

١ سبق لابن سبهان أن بطش بأبناء سعود بن فيصل الثلاثة ومحمد وسعد وعبد الله، بدون ما ذنب.
 ولم ينج منهم سوى عبد العزيز وكان يومئذ مع الذين أجلوا الى حاييل. (تأريخ نجد الحديث لأمين الريماني)
 ٢ أنسال مفردتها نسل وهو الولد. ٣ الأبيات التي نضعها بين قوسين لا تعني ان قائلها تلفظ بالكلمات
 نفسها بل بمعانيها.

شامَ عبدُ الرحمن في الأفق غيماً فتحاماهُ واللبيبُ حذور
 ودَرى أن كلَّ غصن « لتركي » دُمهُ مثل مالِه مهذور
 فليَلِبْ النداءُ للدعوة الحمراء ، وليشربِ السامَ المديرُ
 صحب الولدَ والعبيدَ وشجعاناً ، الى الموت ، ما ثناهم عبور
 ظاهرٌ بأسهم وحبٌ موالِيهم ، وماضي سلاحيهم مستور
 قبل أن يسطرَّ البغاثُ جناحاً لوثوبٍ ، شدت عليه الصقور
 وتردَّى البغاةُ ، في ساحة الباغي ، وأودى بشره الشرير
 أسعروها لظى فكانوا وقوداً ربُّ وترٍ أثاره الموتور
 رب غمرِ شاء المصورَ عشاءً فاذا التمرُ للشُبُولِ فُطور
 فرشَ القصرُ أرجواناً سخيماً تارةً سائلاً وطوراً يفور
 غالباً من حفيظة وكنودٍ مثما جاش بالسلافة زير
 راء عبدُ العزيز وهو ابنُ عشرٍ كيف سَحَّ الدمُ الأثيم الفطير
 كيف حَلَّت للذائدين دماءُ ساقها صوب حتفها مغرور
 أبطرته ولايةُ ، فاذا رُدْناه زهوً ، وخذَه تصعير
 ليست الكبرياءُ شأنَ كبيرٍ بالمبراتِ قلبه معمور
 ما فقيرٌ من بات دون عشاءٍ انما فاقدُ الشعور الفقير

...

ويلَ باغِ جمِّ الرذائلِ إماماً يستفيق من سباته الجمهور

تستجدُّ الكلومُ بعد الثَّامِ ويعيد الأَمْسَ الأَليمَ النَغيرُ
وعلى حارقِ الكبودِ اعتسافاً يُنثرُ الجمرُ أو تُهالِ القدورُ
يَهْظُ الناسُ نيرَهُ فليُعاقبْ وعلى عنقه يُشدُّ النيرُ
«سالمٌ» غيرِ سالمٍ، بعد ما لاقى، فقد ذُلِّلَ العتيُّ الفخورُ
شَهَرُوهُ على حمارٍ وِطِي حَزْمُوهُ كما يُشدُّ الأسيرُ

...

وَلَوَلَتْ «حَايِلٌ» وَكَانَتْ تُرَجِّي أَنْ يُوَافِيَ بِمَا يَسُرُّ البَشِيرُ
فَأَغَارَتْ عَلَى «الرِّيَاضِ»، كَمَا تَجْرِي إِلَى الْقَعْرِ، فِي الشَّتَاءِ، النُّهُورُ
هَادِرَاتٍ صَوَاحِبًا مَزِيدَاتٍ مُرَغِيَاتٍ، رَشَاشُهَا مُسْتَطِيرُ
لِلْمَغِيرَاتِ صَهْلَةٌ وَضُبَّاحٌ لِلْمَهَارِيِّ عَجَّةٌ وَهَدِيرُ
نَطْحُوا السُّورَ مَرَّتَيْنِ وَخَابُوا وَاشْتَقَى مِنْهُمْ الرِّصَاصُ الْمُبِيرُ
جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بِالْوَلَدِ الْغَالِي، يَرِيهِ، فِي الْحَرْبِ، كَيْفَ الْكَرُّورُ
كَيْفَ رِيحُ الْبَنَادِقِ السَّمَرِ يَسْتَهْوِي الصَّنَادِيدُ، وَالْجَبَانُ يَخُورُ
٤٧٠ كَيْفَ يَلْتَذُّ بِالْدَّوِيِّ شَجَاعٌ مِثْلَمَا رَاقَتْ الشَّرِيبُ الْخُورُ
فَكَأَنَّ الْحِصَانَ يَرْقُصُ جَذْلَانٌ، وَرَاعِيهِ، فِي الْوَغَى سَكِيرُ
الْوَغَى مَصْهَرُ الْبَطُولَةِ، فَالْعَقِيَانُ يَغْلُو، وَيُرْذَلُ الْقَصْدِيرُ
يَحْمَدُ الطِّينَ فِي اللَّظَى، وَيَسِيحُ السَّمْنُ، فَالنَّاسُ جَازِعٌ وَصَبُورُ

١ نقر الجرح : سال منه الدم بغزارة . ٢ ضبعت الخيل : أصمت من أفواها صوتاً ليس بالصهيل ولا بالجمجمة . والمهاري : التياق . ٣ المبير : المهلك . ٤ المقصود أن السبب الواحد يفضي إلى مفعول متناقض تبعاً لاستعداد الشخص .

...

سَرَّ قَلْبَ الْغَلَامِ أَنْ الْحَمِيسَ الْمَجْرَّ تَعْلُو أُمُوجُهُ وَتَقُورَ
 رَاقَهُ الْعَرَسُ، فَالْأَغَارِيدُ تَصْهَالُ، وَقَصْفُ الْبَنَادِقِ التَّعْبِيرُ
 تُرْقِصُ الْمُتَرْقِينَ رَنَّةُ عُودٍ وَيَهْزُ الْأَسْوَدَ لَحْنُ جَهِيرٍ
 فِيهِ لِلسَّيْفِ جَلُوءٌ وَصَلِيلٌ «لِلْبُورَايِدِ» شَهَقَةٌ وَزَفِيرُ
 قَرَمِ الْبَازِ لِلْحُومِ وَلَوْ فَرَخًا، فَعَبْدُ الْعَزِيزِ بَازٌ خَطِيرُ
 حَرَكَتْ رُؤْيَا الدِّمَاءِ جَنَاحِيهِ، وَأُورَى فَوَادَهُ التَّخْدِيرُ
 ١٨٠ وَعَزِيزٌ عَلَى النَّسْرِ، وَلَوْ زُغْبًا غَضَاضًا، أَلَّا تُصَانِ الْوُكُورُ
 فَلْيُخْضَبْ مِنْقَارُهُ الرُّخَصَ حَيْثُ الْقَشْعَمُ الْخَابِرُ الْجَوَاءُ عَثُورُ
 وَلِيَعْدِ السَّكِينُ لِلْفَتَكَةِ الْأُولَى، فِي نُجْحِهَا رَجَاءٌ كَثِيرُ
 طَالَمَا كَانَتْ الْفَوَاتِحُ إِيْدَانًا بِمَا كَانَهُ الْمَصِيرُ الْآخِرُ
 رَبُّ غَمْرٍ تَكُونُ ضَرْبَتُهُ الْعَذْرَاءُ مَا أَمْنَتْ عَلَيْهِ الْعَصُورُ
 خَفَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ بِالْخَنْجَرِ الْمَشْهُورِ، فِي حَدِّهِ الرَّدَى وَالسَّعِيرُ
 فَهَوَى تَحْتَ نَصْلِهِ «حَائِلِي» فَطَوَى الْمَوْتَ مَا أَفَاضَ الْغُرُورُ

...

عَقِبَتْ هَذِهِ الْوَقِيعَةُ أَحْدَاثٌ، فَصَلَحٌ، فَنَفْحَةٌ، فَحَرُورُ

١ العمر : الذي لم يحرب الأمور بعد .
 ٢ رويها هذه الحادثة، على غرابتها، اعتماداً على المؤرخ
 انطون زيشكا .

وَكَبَا الحَظُّ بِالْإِمَامِ فَكَلَّ الصَّحْبُ، وَاسْتَخَذُوا الحِصَانَ الدَّرِيرَ
 أَوْهَنَ الشَّعْبَ مَا جَنَاهُ سَعُودٌ وَأَخُوهُ، فَالشَّعْبُ مُضْنَى كَسِيرٍ
 ٥- آخر الليل عتمةٌ، ترهق الأنفاس منها، فالليل داجٍ ضير
 رَكَدَتْ يَهْمَةُ الفُؤَارِسِ مِنْ كَرْبٍ، وَأَخْنَى عَلَى الْقُلُوبِ الْفُتُورُ
 كَانَ سُورُ «الرِّيَاضِ» وَ«الْحَرْجِ» سُوراً يَوْمَ أَهْلِ «الرِّيَاضِ» وَ«الْحَرْجِ» سُورُ
 جَوْهَرُ السَّرْحِ لُبُّهُ فَإِذَا أَهْوَى فَمَا تَعَصَمُ الْجَذْوَعُ الْقَشُورُ

....

وَدَّعَ القَصْرَ وَ«الرِّيَاضَ» إِلَى الْمُنَى، فَقَدْ مَالَ بِيرَقٌ مَنْشُورٌ
 مَا أَمْضَى الْوَدَاعَ لِلهَاجِرِ الْمَأْسُورِ، وَالْقَلْبُ فِي الْحُمَى مَأْسُورٌ
 فِي الزَوَايَا مِنْ لَبْدَةِ اللَّيْثِ تَذْكَارٌ، وَشَعْرٌ عَلَى النُّصُولِ ذَرِيرٌ
 فَإِذَا أَقْصَتِ الرِّزَايَا كَرِيماً عَنْ حِمَاهِ وَدَالِ عَيْشٍ قَرِيرٌ
 ذَكَرْتَهُ الْآكَامُ وَالزَّهْرُ مُشْتَقَاً، وَأَنْتِ عِنْدَ الرِّحِيلِ الدَّوْرُ
 إِنَّ لِلْمَهْدِ وَالطُّفُولَةِ عَمَقاً دُونَهُ الْحَسِّ وَالْمَدَى الْمَنْظُورُ
 ٥- يَدْرِكُ الطَّرْفُ غَارِبَ الْيَمِّ زَخَّاراً، وَتَخْفَى عَلَى الْبَصِيرِ الْقُعُورُ
 ذَلِكَ أَنَّ الْأَوْطَانَ لَيْسَتْ جَسُوراً طَابَ فِيهَا لِلْعَابِرِينَ الظُّهُورُ
 بَلْ هِيَ النَّفْسُ، أَوْ هِيَ الْمَهْجَةُ الْأُخْرَى، وَلَوْ أَنَّهَا الصَّعِيدُ الْبُورُ
 فَتَدَاها لِلْسَّاكِنِينَ رَحِيقٌ وَثَرَاهَا لِلظَّاعِنِينَ طُهُورُ
 ذَكَرَهَا لِلْغَرِيبِ ظِلٌّ وَيَمْضِي لِلْجَوَالِي مِنْ أَهْلِهَا مَزْمُورُ

١ يقصد سعود وعبد الله ولدي الأمير فيصل كما تقدم . ٢ السرح : مفردة السرحة وهي الشجرة الكبيرة .

فاذا يُسألون عنها أجابوا هي حيث الريحان والكافور
حيثما تقرب السماء من الأرض، فالقلب فوقها تسمير

...

هياً الظعن للرحيل أميرٌ عن مغاني جدوده مدحور
واستبدَّ الشتاء بالركب والأولاد، فالليل فاحمٌ مقرر
المطايا قليلة، ولقد نام الموالون، أو تعامى النصير
٥١٠ أعوزتهم حتى الرواحل، بعد اليسر، حتى الأثاث، حتى الكور

...

رُدَّ عبدَ الرحمن طرفك وانظرْ في دجى الليل كيف كان المرور
ستعودون مثلما عادت الشمس، وهَلْ الضحى، وفاض العبير
أنيراً دونها الجبال شموخاً والثرياً إكليلها المصفور

١٥ - الى المنفى

ما ترى قصدُهم وأين السبيلُ أدجوا ليلَهم وحر الدليلُ
 وبيتُه الساري اذا لَفَّه ليلان، ليلُ الشقاء والمجهول
 الغدُ المظلم الجوانب والأجواء عبء على الصدور ثقیل
 لا رجاء يلوح في نجمه الداجي، فوجه العيوق جعدٌ بخيل
 ملؤه الذعر والمهالك والآفات، والدجن مطبقاً والسيول
 خلفهم كلُّ شامتٍ وحواليهم رقيبٌ وأرقطٌ زهلول
 . وعيونُ لابن الرشيد، وسراقٌ، ولُدُّ كثيرة، وذُحول
 . غدُهم شائكٌ فل امتداد البال بؤسٌ مهددٌ ونصول
 وأحدُ النصال ما راشتِ الحُمى، فعبد العزيز مضى عليلٌ

١ العيوق : نجم يتلو الثريا . ٢ الدجن : الغيم المظلم . ٣ الزهلول : الأملس والأرقط معروف والمقصود الذئب . ٤ اللد : الخصوم الأشداء في الخصومة . ٥ كان الأمير عبد العزيز مصاباً بحمى المغاغل مضافة الى الفظروف الخائفة . ولقد ارتحل الأمير عبد الرحمن الى الاحساء وكان حينئذ عاكف باشا متصرفها . ففاوضه المتصرف بواسطة الدكتور زخور العازار عارضاً عليه ولاية الرياض يحكمها من قبل الدولة، اذا اعترف بسيادتها . وكان الاجتماع على عين النجاء ، وقد حضره عبد العزيز . فرفض الإمام شروط الدولة بعنف . ثم رحل الإمام الى الكويت فنعهم الشيخ محمد الصباح الحاكم يومئذ من الدخول اليها فعادوا الى البادية وأقاموا بضعة أشهر مع العجمان الذين قبلهم مكرهين ثم أموا فطرح حيث أقاموا شهرين وكان حاكمها قاسم بن ثاني، ثم البحرين حيث بقيت العائلة . ثم انتقل الإمام مع ولديه محمد وعبد العزيز وابن أخيه عبد الله ابن جلوي الى بني مرة في الربع الخالي . (ملخص عن تأريخ نجد الحديث للريحاني وعن انطون زيشكا) ملاحظة : منذ الآن نشير بحرفي : ت . ن . الى تأريخ نجد للريحاني عند ما نعتده في سرد الوقائع .

أَخَذَتْهُ عَلَى الْمَفَاصِلِ حَتَّى كُلُّ عُضْوٍ عَنْ جَارِهِ مَفْصُولٌ
 نَفَضَتْهُ سَوَارَتَاهَا مِثْلَهَا فِي مَلْعَبِ الرِّيحِ يَرْجِفُ الْمُنْدِيلُ
 رَبِّ أَيْنَ الدَّوَاءُ لِلْمَوْجِعِ الذَّائِي، وَأَيْنَ الْمَنَاحُ، أَيْنَ الْمَقِيلُ
 إِنَّ شَرَّ الْأَسْقَامِ سَقَمُ أَنْوْفٍ قَدْ تَرَاهُ السَّمِينُ، وَهُوَ الْهَزِيلُ
 فَابْتَسَامَاتُهُ بِوَجْهِ الْعَوَادِي لِلْعَوَادِي وَلِلْسَوَى تَضْلِيلُ
 أَتَرَى ضَاقَتْ الْجَزِيرَةُ عَنْهُمْ أَمْ تَجَافَى «الْحَسَا» وَأَغْضَى النَّخِيلُ
 بَلَّغُوهُ عَقِيبَ وَخْدٍ وَإِبْطَاءٍ، وَقَدْ خَارَ شَامِسٌ وَذَمَّوْلٌ^١
 ٢٥ وَدَرَى بِالشَّرِيدِ «عَاكِفٌ» بِأَسَا فِتْرَاتٍ لِلْأَلْمَعِيِّ الْحُلُولُ
 سَيُؤَلَّى عَلَى «الرِّيَاضِ» إِذَا يَرْضَى، وَتُعْطَى الْقِيَادَ إِسْطَنْبُولُ
 يَكْسِرُ ابْنُ الرَّشِيدِ بَابَ سَعُودٍ وَيَبِيدُ الْقَتْلُ وَالْمَقْتُولُ
 تَتَفَانِي سَيُوفُ «يَعْرُبُ» أَزْوَاجًا، وَتَسْتَتِيعُ الْفُلُولُ الْفُلُولُ
 أَوْ يَأْبَى هَذِي الْهَدِيَّةَ مَوْتُورٌ، طَرِيدٌ، صَفَرُ الْيَدَيْنِ، مَعِيلُ
 شَهْوَةِ الْحِكْمِ كَالْمَلِيحَةِ يَلْقَاهَا عَشِيقٌ مُسَهَّدٌ مَتَبُولُ
 كُلُّ شَرْطٍ لَهَا فَسَابِقٌ حَلْمٌ كُلُّ قَوْلٍ فِي الْجَنَانِ مَقُولُ
 يَسْتَبْدُ الْهَوَى بِمَهْجَةٍ هَيَّانٍ، فَلَا مَعْجَزُ وَلَا مُسْتَحِيلُ

...

مَا السَّوَاقِي صَوَاخِبًا هَادِرَاتٍ مَا زُنَيْرُ الْأَسْوَدِ حِينَ تَصُولُ

١ الوخد : سير النياق السريع . الشامس : المطية التي لا تمكن راكبها من الركوب . الذممول : الناقة التي تسير سيراً ليناً .

ما احتدام الغابات، في لفحة التهجير، إذ يأخذ اليبس الشعيل
 ٥٤. ما انتفاض المهمل، الزير، غضبان، وفي عينه النجيع الطليل
 مثل عبد الرحمن يهدر غضبان وقد هاجه الكلام المذيل
 أفيرضى سيادة لغريب فيقولوا، عن الغريب وكيل
 فليُسود نسل الرشيد ولا يمتد ظل على «الرياض» دخیل
 ليس عبد الرحمن يحدث عزز همه، كيفما تأتي، الوصول
 ويغر المهر الهجين بقيق حين يستصغر المروج الأصيل

...

لم يُحير عبد العزيز أباه من أبيه فابن النبيل نبيل
 كيف تستغرب الهديل فراخ الورق، والشدو طبعها والهديل
 «عاكف» خاب حدسه وتهاوت أمنيات وأفلت المأمول
 فلينفر هذا العنيد عن «الاحساء»، وليعقب العناد الرحيل
 ٥٥. العصي الأني عب على الوالي، فكم روع الرماة الغيل
 فليهاجر حفيد «تركي»، وقد يستبعد الليث وهو عان كليل

...

قصد الهائم «الكويت» فهل في أزرق الشط نافع أم غليل

١ إشارة الى غلبة المهمل حين فاوضه أهل جاس في الصلح . ٢ المذيل : المهين . ٣ البقيع :
 المكان فيه أروم الشجر . ٤ الورق : مفردا الورقاء وهي ضرب من اليام .

أُرِدُّ التَّزِيلَ شَيْخُ صَبَاحٍ أُمَ يَحُلُّ الْبَهْوَ الرَّحِيبَ التَّزِيلَ
 قَصْدُوهُ، فَرَدَّهُمْ ذَلِكَ الْوَاهِي، كَانَ الْأَمِيرَ دَا، وَيِل
 كَادَ مَا الْخَلِيجَ يَحْمَرُّ خَجْلَانٌ، وَيَجْرِي إِلَى النَّخِيلِ الذَّبُولِ
 لَمْ يَصِدَّ الْعَرَبُ الْكِرَامَ زَيْلًا مِنْذُ شَادَ الْخِيَامَ إِسْمَاعِيلُ
 رَبُّ جَانٍ بِحِيرِهِ بَيْتُ شَمَطَاءَ، وَمِنْ أَهْلِهَا، يَكُونُ الْقَتِيلُ
 فِيمُدُّ السَّمَاطَ لِلضَّيْفِ أَلْوَانًا، وَفِي سَاحَةِ الْحَبَاءِ الْعَوِيلُ
 وَلَوْ أَنَّ الْأَعْرَابَ فِي عَهْدِ قَابِيلٍ، لَمَا ظَلَّ هَائِلًا قَابِيلُ
 كَانَ، عَبْدَ الرَّحْمَنِ، أَسْعَدَ حَظًّا مِنْكَ، فِي الْخُطْبِ شَاعِرُ ضَلِيلِ
 وَهُوَ الْفَاجِرُ الْخَلِيعُ، وَأَنْتَ الطَّاهِرُ الذَّلِيلُ، وَالْإِمَامُ الْجَلِيلُ
 وَدُرُوعُ الْحَدِيدِ صِيَنْتَ وَهَذَا دُمُكَ السَّمْحُ مُهْدَرٌ مَطْلُولُ
 «عَادِيَا» مَاتَ عَاشَ ذَكَرَ أَبِيهِ مَا تَوَالَتْ عَلَى الرُّؤُوسِ عَقُولُ
 كَلَّمَا رَدَّهُ إِلَى الْأَمْسِ جِيلٌ مَدَّهُ لِلْغَدِ الْمُؤَمَّلِ جِيلُ
 الْيَهُودِيِّ صَانَ بِالْدَمِ عَهْدًا وَالصَّبَاحِيُّ ضَيْفُهُ مَخْذُولُ
 صَانَعَ التَّرِكَ طَامِعًا بَوْلًا وَبَغْنَمُ يُوْحِي لَهُ مَا يَقُولُ
 لَمْ يَصِدَّ الْأَمِيرَ شَحًّا وَلَكِنْ فِي طِبَاعِ الْمُمْتَلِ التَّمْثِيلُ
 فِي اضْطِهَادِ الْإِمَامِ إِرْضَا «بَاشَا» فَلْيَقْرَبْ عَنِ الْكَثِيرِ الْقَلِيلُ
 ذَاكَ وَقَدْ السُّلْطَانُ، وَالْأَمْرُ النَّاهِي، وَسَيْفُ الْخَلِيفَةِ الْمَسْلُولُ
 لَهُ لَوْ أَتَى لِلْكُوَيْتِ مِنْهُ رَسُولٌ أَعْلَنْتَهُ إِلَى الْخَلِيجِ الطُّبُولُ

١ يقال إن إسماعيل أبو العرب هو أول من شاد الخيام . ٢ قَابِيلُ : هو قَايِنُ الَّذِي قَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ . ٣ عَادِيَا بْنُ السَّمُوءَالَ وَقَصَتْهُ مَعَ امْرَأَةٍ الْبَيْسَ مَعْرُوفَةٌ . ٤ الصَّبَاحِيُّ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ الصَّبَاحُ .

سوف يستقبل الأمير بشوشاً يوم يأتي من «عاكف» تنزيل
فاتة الحزم والشجاعة والاقدام والمقصد الجليل الاثيل
فاتة أن للمروءة نهجاً سرمدياً ما طاله التبديل
أن للحق شمس ما عراها رغم كيد المضللين أقول
نورها يملأ البسيطة وضاحاً، فلا تلحق الشعاع الوحول
أن عيسى مشي الى الحق مقداماً فهل الضياء والانجيل
أن طه خاض النوائب ليثاً لم يروّع فواده التهويل
أن سقراط جرّع الموت من كأس، حساها كأنها السلسيل
أن ذكر السماأل الفرد تغريد، وفي مفرق العلى إكليل
٥٨٠ أن للأنفس الكبيرة وثباً أين منه البيان والتعليل
هو سيف الحقيقة الصلب لا يخشى، ويخشى فرندة عزريل
يعتريه الحياء من وهجه الأسنى، ويحتل مقتليه الدهول
يبهر المبصرين خلق مشع مثلاً يبهز الملاك الجليل
فات شيخ «الكويت» أن صبياً هو في الركب قابع معلول
أن هذا السقيم سوف يطول النجم، فالبؤس كالزمان يدول
أن تاريخ «يعرب» بعد يأس بسجايا عبد العزيز حفيل
صفحات أقوت سحابة أجيال فضات على يديه الفصول

١ إشارة الى قبول عبد الرحمن في الكويت بعد استشارة الأتراك وذلك بعد رجوع الإمام من الربع
الحالي حيث أقام الأمير ضيفاً على بني مرة كما سيأتي.

من يديه «مبارك» سَيْرَ جِي الفوْثَ إِذْ تَدَهَّمُ «الكويت» الخيول
يومَ صاحَ النساءُ هل من مجيرٍ يومَ، عن أهله، توارى الحليل
يومَ للسيف والبنادق والنيران قصف مُرَدَّدٌ موصول
أتراه مباركاً مثلاً يُسمَّى، أم النعتُ خاطيٌ منحول
أتراه المكور من قيل فيه «كيفما مالت الرياح يميل»
«مكيافلي» حِيَالُهُ أهوجٌ غرٌّ، قصير الدهاء، خابِ ضئيل
هو في اللفِ والخديعة بدرٌ «مكيافلي» حِيَالُهُ قنديل
كل حرفٍ، له بمعجمه الضافي مآلٌ يمدُّه تأويل
المعاني لها مذاهب شتى طالما ضرَّ بُحَيْلاً تفصيل
مُبهمُ القول، كالسوائل مطواعٌ، ويأتي وفقَ المراد المسيل
والصدقات! ما الصداقة إلا غيمة بنت ساعة وتزول
عنده الحق والحقيقة أوهامٌ، فلا فاضل ولا مفضول
يتساوى في كفة الشيخِ صديقٌ، وشهمٌ، وأحقُّ، ونذيل
من أطاع الهوى، ولو عبقرياً جرفته الى الوهاد الميول -

١ الشيخ مبارك الصباح كان مضرب المثل في التلون والمراوغة وقد لقب «بالخوافة» وسنأتي على ذكره غير مرة نظراً لعلاقته بآل سعود وحسبنا الآن ان تشير الى دهائه اشارة عابرة . هذا مع احترامنا لآل صباح العائلة العريقة في الحسب والحكام الكويت القائمين على شؤونهم اليوم . ونزدد هنا ما قلناه في المقدمة من اننا لا نداري ولا نكذب على التاريخ واننا اذ نتحدث عن مبارك وأمنائه نستند الى الواقع التاريخي وأهم مصادرنا تاريخ نجد الحديث للريحاني، وجزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ وهبه، وابن سعود لانتون زيشكا . ان التاريخ لا يرحم أحداً فمن أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها . واننا نحارب الرذيلة اينما كانت ونقدس الغضبية بقطع النظر عن الاشخاص، فالمثالية هي رائدنا أولاً وآخرأ .
٢ مكيافلي : السياسي الداعية المشهور بالتقلب والغائلة .

يُسَكْتُ الْوَحْزَ فِي الضَّمِيرِ وَيُرْدِي أَخُوِيهِ ، وَيَفْتَرِي ، وَيَقُولُ

...

أَيْنَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ تَمْضِي ، وَقَدْ عَادَاكَ أَهْلُوكَ ، أَوْ جَفَاكَ الْخَلِيلُ
صَدَّكَ الْحَظُّ يَا أَمِيرُ ، وَأَنْتَ الْحَصْنُ بِالْأَمْسِ وَالسَّخِيُّ الْجَزِيلُ
مَلْجَأُ الْمَرْءِ فِي الْهَوَاجِرِ آكَامٌ ، عَلَيْهَا مَشَى النَّسِيمُ الْبَلِيلُ
أَيْنَ يَاوِي إِذَا تَعَطَّلَ رِيَّاهَا ، وَغَارَتْ دُونَ السِّيُولِ التَّلُولُ
أَيَكُونُ « الْحَثْلَيْنِ » أَجْرًا قَلْبًا أُمُّ بَحَارِي شَيْخُ « الْكُوَيْتِ » عَدِيلُ
قَالَ : فَلْيَنْزِلُوا عَلَى الرَّحْبِ لَكِنْ ذَلِكَ الرَّحْبُ كَالْخِيَالِ نَحِيلُ
مُكْرَهًا قَالَهَا ، صَيَانًا لَصِيْتٍ وَاجْتِنَابًا لِمَا يَقُولُ الْعَذُولُ
٦١. سُبَّةَ الدَّهْرِ يَصْبِحُ الشَّيْخُ « حَثْلَيْنِ » ، وَيَبْلِي مِنَ الْهَجَاءِ الْقَبِيلُ
فَيُقَالُ « الْعَجَّانُ » قَوْمٌ شَحَاحٌ جَارُهُمْ ضَيِّقٌ الْمَدَى مَرْذُولُ
قَبْلُوهُمْ كَجَزِيَّةٍ أَوْ كَدْنٍ رَاحَ يَقْضِيهِ عَنْ غَرِيمٍ كَفِيلُ
ذَلِكَ أَنَّ « الْعَجَّانَ » مِنْهُمْ جَوَاسِيسٌ ، وَمِنْهُمْ لَابِنُ الرَّشِيدِ ذِيُولُ
وَمَقَامُ الْأَمِيرِ فِيهِمْ ، وَإِنْ كَانُوا كَثِيرًا ، لِمَفْرَدٍ مَعْزُولُ
وَإِذَا أَقْفَرَ الْجَوَارُ ، مِنَ الْوَدِّ فَيَسِيَّانِ جَوْسَقٌ وَطَلُولُ
- قَدْ يَكُونُ الْأَسِيرُ أَيْسَرَ قَيْدًا مِنْ طَلِيقِ فَوَادِهِ مَغْلُولُ -
حَوْلَهُ أَلْسُنُ الصَّلَالِ ، وَفِي زَنْدِيهِ مِنْ لَقَّةِ الْأَفَاعِي كَبُولُ

١ إشارة الى ان الشيخ مبارك كان يمشي على الجثث توصلًا الى الحكم فقد قتل أخويه محمداً وجزاراً
غدرًا وبدون ما ذنب . ٢ ابن حثلين هو شيخ قبيلة العجَّان . قبل الإمام مكرهاً فإنه فضلاً
عن مشايخته ضمناً لابن الرشيد فقد كان عنده من آل سعود أقارب الإمام من يجرسه على العداوة .

أُطِيب المنام والبيت أدغال^١، وحول البيت الرهيب دُحُول^٢
 أُطِيق الأميرُ هذا المقامَ الرذلَ، وهو الشهم الأعزُّ النبيل
 ٦٤٠ يحمل البؤس والنوائب لكن لا يقولون «مانعي^٣» ذليل^٤
 حسيبه الهمسُ أو لحاظ لئيم أو عشير وداده مدخول
 ليُخَلِّي تلك الديار، ومن فيها، فلا تشمت العيون الحول
 تؤثر الموت، دون عرض كشلوج الروابي، ولا تهون البتول

...

وَأُتَى «قاسماً» ونعتُ ابن ثاني انه الماجد القوول الفعول^٥
 «قَطَرٌ» تحت بنده، لجميل الذكر، واللؤلؤ الرطيب، حقول
 ملا البرِّ والمساجد برّاً وسفيناً على الخليج تجول
 يجمع الدرّ ثم ينفلت الياقوت من لَجْ كَفِّه ويسيل
 وسع الجود، والفصاحة، والتقوى، وكان اجتماعها يستحيل

...

واستقرَّ العيال بعدُ على «البحرين» إذ هدها الطواف الطويل^٦

١ دحول جمع دحل، وهو شق في الأرض واسع الأسفل ضيق الأعلى. ٢ مانعي في النسبة
 الى مانع أحد اجداد الامير. ٣ الشيخ قاسم بن ثاني سيد قطر كان له خمس وعشرون سفينة للغوص
 يجمع المال من تجارة اللؤلؤ، ويبدله في سبيل البر والإحسان. يضاف الى ورعه وتقواه فصاحة اللسان
 والعلوم العربية والفقهية والى العلوم الضمير الحمي واليقين. والى ذلك كله الثراء والجود، فقد كان
 في قطر أميرها وخطيبها وقاضيتها ومفتيها والمحسن الأكبر فيها. (ت. ن.)
 ٤ المقصود بالعيال عائلة الإمام عبد الرحمن التي مكثت مدة في البحرين.

٦٢- الصبي المريض ما زال في ضنك، فقد غاض وجنتيه النحول
 بيد أن الهزال ما قل غريته، ولا جمّد العروق الخول
 كان في هدنة الوجيع من الحمى، مذ النافض الأليم يزول
 يضرب الأرض بالغطاء ويجري حيث للبحر ضجة وعويل
 - فيمد الطرف البعيد، الى أفق بعيد، مشى عليه الأصيل
 - حيث للماء بالضياء اعتلاق فكان المدى به مكحول
 - وكان الشعاع بالأزرق الضاحي، وبالنبير واللجين غسيل
 - شفق كالعروس أشرق خداه، وأورى حياها التقبيل
 - أعجبت تلك الشوامخ زرقاً تارة ترمي، وطوراً تشيل
 فترى العين ما يهيم به الوهم، ودنيا أثارها التخييل
 ٦٣- حسباً تنشد الميول يكون السطح واللون والرؤى والشكول
 فيراها عبد العزيز مجالاً فيه للخيال زحمة وصهيل
 إذ تهب الأمواج صفاً فصفاً ورعياً يفر منه رعييل
 تتوالى الأشواط في كرة الآذي فالصف هائل ومهول
 بين شواطئ تبدع الريح أغواراً، فيفنى المدى، وتمحى السهول
 وتطير اللجأت صوب الأعالى فالأعالى مغاور وسفول
 والمجلي في حلبة البحر أدنى لقناء، فوته التعجيل
 غاية الحلبة البعيدة شط فوق حصانه تذوب الخيول

ويعود الهواء يبعثها زرقاً خفافاً وقد عراها القفول
 ويُجِيل النسيم أعرافها الزرقاء ييضاً قَسَبَيْنِ الحِجُول
 ٦٥٠ فاذا كَلَّتِ الجيادُ وذَابَتْ وتلاشت بعد الهدير الفحول
 عادت اللَّجَّةُ العميقة سيفاً سعة اليمَّ عرضه والطول
 يخطف العين بَرَقَه فيردُّ الطرف، والطرف حاسرٌ مذهبول
 صقلته النجوم حين استحمت فيه فاستأنس العريض الصقيل
 وكان الرواء لَطْفَ حَدِيَهٍ فما يأخذ القلوب الصليل

...

وأما الفضول غوصٌ على الياقوت، والعلم للصغير الفضول
 ما ترى هذه الآلي؟ لماذا يتردى مغامرٌ أو جهول
 يفتح اليم غاطساً مستهيناً بحياة، فكل قعر غول
 تلتقيه النيوبُ غبراً حداداً فاذا شأوه الأخيرُ النزول
 يديه شقَّ الطريق الى ليل سحيق، ظلامه مسدول
 ٦٦٠ وأخسُ الأكفان أحشاء حوتٍ أو خضمٌ مثل الزمان أكل
 طالما نَوَّحت عليه الأيامى وأبٌ داعمٌ وأمٌ ثكول
 أعجيبٌ اذا تُسمَّى اليتامى؟ لؤلؤاتٌ جَلَّابها مأكول
 في سبيل المَوْتِقات الغواني كان هذا الإيتامُ والترميل

...

ويعود الأميرُ للبيت في الإِمْساءُ، والبالُ حائرٌ مشغول
 فيرى البيت عابس الوجه لولا ما تشيع الصلاة والترتيل
 من عزاءٍ للنفس حين توالى نكباتٌ وَيَدْلِهِمْ سبيل
 وتأنسى الشيخُ الإمامُ بطةٍ حينما أطبقت عليه السدول
 يومَ جارت على النبيِّ قریش و«ثقیف» صدَّت وجاع الرسول
 جاع لولا مروءةٌ في «عداس» فعزاءٌ به وصبرٌ جميل

...

٦٧٠ ضاقت الأرض بالأمير، فخذ الترك، في إثره هبوب شمول
 كيفما سار يلتقيه خصيم أو حسود على القلى مجبول
 فليظل الحريم في ذمة البحرين، حيث الهواء رطب بليل
 وليسر بالذكور، حيث يئن الفيل من لافح، وتحيا الشبول
 ضاقت الأرض فليجى ربعا الخالي، فليس الخلو خصما يحول
 ٦٧٥ ربما تشفق الذئاب على الإنسان، حين الإنسان ذئبٌ وغول

١ عداس هو العبد الذي تدارك جوع النبي بقطف من العنب يوم صدته ثقيف وردته ردأً فيجأ .
 ٢ الرطب هنا معناه المشيع بالطوبى . ٣ اللافح : ريح الصحراء المحرقة .

١١- في بني مرة

بلغوا الربع واستبان المكانُ بحرَ تيه ضاعت به الشيطانُ
 أهله البومُ، والعقاربُ، والأصلالُ فحَّتْ، والضبُّ والسرطانُ
 وبني مرةُ، ذئابُ البوادي في أناويه غمره، قرصانُ
 يسلبون الصلَّ المقطَّرَ سماءَ نابه، لو يُكشِّرُ الأفوانُ
 يطلبون الغزلانُ شعناً حفاةً فتهاوى من عجزها الغزلانُ
 ضمَّ السوقُ والبطونُ عجافاً قلماً قام بينهم شبعانُ
 يفرض الجوعُ صومهم لا كتابُ تينُ آيةُ ولا رمضانُ
 ما الأحاديثُ، ما صحيحُ البخاري؟ ما قوامُ الإسلامِ، ما القرآنُ
 ما الدياناتُ والفضيلةُ، والتقوى، وصوت الضميرِ، والوجدانُ
 ليلةُ القدرِ غزوةُ تكثر الأسلابِ فيها، وترخر الأعطانُ
 غدوةُ الفطر حين يعلو قطارُ ومع البحرِ يستساغُ الضانُ

١ الربع : الخالي . ٢ الأناويه : مفردتها التيه وهو القفر يُضَلُّ فيه، والقرصان هم لصوس البحر .
 ٣ الأعطان : مبارك الإبل .

لم يزالوا كعهد حارث المري، ما بدل الحجي أزمان^١
 أنف دينهم وذمة جار وحسام مشطّب^٢ وستان
 واعتزاز بغزوة سيقّت الحملان فيها، وعجت البعران
 في الدياجير يفجأون المراعي مثلما تفجأ القطا عقبان
 طلبها باغتوا الصباح، وجفن الضو، في لذة الكرى، غرقان
 فاستفاق الفجر الفتيق على ذعر وأرخی ضياءه الكسلان
 وا صباحاه! رجّع الحي مرعوباً، ومدّت صريخها النسوان^٣
 لا حراب الرعاة أجدت، ولا ردت «حلالاً» لأهله الفرسان^٤
 حطار بالمغم النفيس غزاة سيرهم في ذمولهم طيران^٥
 ما سواد العراق عنهم بعيداً ما قصي «الحمد»؟ ما «حوران»
 قد يبيتون في «النفود» ولا يمسون إلا وقد تبدت «عمان»^٦
 زادهم في الجراب قرص شعير أو سويق إدامه الثمران^٧
 سكن الفقر كله جانب الدهناء، حيث الهجير والكثبان
 كل حي حتى العطاء والضبان فيها فجائع عطشان^٨
 فاذا درت السماء بغيث بلع الغيث فدقد حران

١ الحارث: هو الفارس المشهور بن ظالم المري. وفي أمثال العرب أفكك من الحارث بن ظالم. وكان لا يبالي على أي حاله يقع الأمر، بلقي نفسه في المهالك إذا بدت له خطلة يريد تحقيقها. يقترف أفضع الجرائم وانكسر إذا هاجت ثورة الانتقام في نفسه. يستحل الغدر والخيانة ليحامي عن جاره أو يحمو إهانة لحقت به وقد كان من أوفى العرب للجار، فكان مثال الوفاء على جلاله ومثال الغدر على قبحه، فاجتمع له التقيضان. (الشعراء الفرسان: لبطرس البستاني)
 ٢ لا يكون الغزو إلا في الصباح على الغالب. ٣ الحلال عديم يعني المواشي. ٤ الذمول: المشي البطيء. ٥ الحمد وحوران والنفود وعمان أعلام أمكنة. ٦ الثمران مفردتها تمر. ٧ العطاء: هي النوبة المعروفة في لبنان «بالسقاية». والضبان مفردتها الضب.

وتدور الأنظار تنشد كنزاً كل كنز حياه دُخان

...

بلغ النازحون واحة جبرين، وقد غص بالرجال المكان
ما عرا هذه الجماهير حتى أخذتهم جلالة فاستكانوا
شخصوا بالعيون حتى كأن العين كمنها، ما بها إنسان
أبصلون قائمين، أم الأكباد زاغت فعمها بحران
إنها خشعة المصلين كيلا تنزع البئر، أو يغور الجمان
وقف الشيخ، ساير الماء، عريانا عليها، تشده الأبطال
غير ما يفعل المغامر «بالبحرين»، أو حين ينشد المرجان
١٨. أفيناك الطموح والأمل الزاهي، وخلف الجواهر الحيتان
وهنا الموت، في سبيل حياة خلفه المرحمات والرحمان
ويغوص العريان كالسهم منقضاً، ويفجو فيطفر العقيان
ثم يعلو الغواص وثباً، كما شقت، إلى النجم، دربها البيزان
فيصيح الجمهور صيحة فوز وإلى فوق تعرج الأجفان
ملوؤها الحمد للذي من يديه يستفيض الندى، ويهيم الحنان
ذاك أن النفوس مهما تعامت فيها خلف عشوها إيمان
خشنت «مرة» طباعاً ولكن ظل، في الجلمد الأصم ليان

١ واحة جبرين: تقع على طرف الدهناء. ٢ الكهلاء مؤنث الأسمه وهو المولود أعمى وإنسان العين سوادها. ٣ روى قصة الغوص في البئر مفصلاً المؤرخ الطوان زيشكا في الصفحتين (٣٥ و ٣٦) من كتابه ابن سعود. ٤ الأبطال مفردا شطن وهو الجبل. ٥ البيزان مفردا باز.

من خلال الظلام، يخفق في الأكباد نور، ويلمح الديان
والمروات كالشجاعة فيهم مل ما يطلب الندى والصيان
٧٤. هَلَّلُوا لِلأَمِيرِ، وانتشر البشر، وَحَلَّتْ قِلاصُهَا الضيفان^١

...

شام عبد العزيز كيف يُرام الماء، والقفز جاحم صديان
كيف يُستجد القلب، فإن يرشح بما، فالعيد والمهرجان
أَتَكُونُ المياه أثن ما في الكون، أغلى ما يُحرز الإنسان
لم يكن في «الرياض»، أو خضرة «البحرين»، يدري ما الظلم ما الظمان
أو بسيف «الأحساء»، حيث يوج الزهر، أو حيث يضحك الرُمان
يجل المر قبل فقد نفيس ما يكون الفوات، ما الحُسران
من رأى الشمس في بها ضحاها غاب عنه الكسوف والنقصان
أيقظ الماء بالأمر شعوراً لا يُعفي آثاره النسيان
سيتق السهول واحاً وآباراً فييدي كنوزه الصحصان
٧٥. «هَجَرَ» ينعم العطاش برّياها، ويرى في ظلها العمران^٢

...

١ الفلاس هي الطوال القوائم من الإبل. الضيفان: مفردهما ضيف. ٢ القلب: البشر.
٣ السيف: الساحل. ٤ الصحصان ما استوى من الأرض وكان أجرد. ٥ الهجر مفردهما
هجرة والمقصود هنا الآبار التي حفرها فيها بعد الملك عبد العزيز وبث الحفرة والعمران بواسطتها وسيأتي
الكلام عليها مفصلاً.

عالم من بدابة وشقاء غاص فيه الثلاثة الفتيان
 خاض فيه محمد وابن جلوي والأمير الذي رواه الزمان
 خشن الجسم يا أمير، فللغابات والقفر بالأسود افتتان
 لا يشب الرئبال في روضة غيناء، حيث التفأح والريحان
 تنشطى على القتاد لبود الأسد، حيث الأدغال والغيران
 شطف العيش، والبلاء الذي تلقى، سبيل الى العلى ويران
 خذ من الحنظل المذوب كأساً رب يوم أتتك منه دنان
 لوح الجسم بالهجير، فلا تأبه لحر، ولو طعى بركان
 واذكر الخل إن فقدت رضاباً وتلظى من الجفاف اللسان
 ٧٤٠ فلعل الوهم المجيم يجدي حيث صن السحاب والغدران
 لا سموم تؤذيك لا زمهرير لا رقاد مقطوع وسنان
 لن تذوق المنام إلا غراراً فتحشن فالغائم اليقظان
 من اذا نام ظل في أهبة الواعي، فا سائر العلى غفلان
 لم ينم مل، وعيه عبقرى فهو كالنجم ساكن سهران
 عقله الباطن الذؤوب على الجلى، فعول، وإن وئت أجفان
 تعمل الروح، إن تكن فذة عليا، ولو نا متعباً جثمان
 فتخط الغد المحجل ملان ورسو على الخلود الآن
 لا تنم ايها الأمير المرجى وليؤبد منامها الأوثان

...

١ اصطحب الأمير عبد الرحمن الى البادية ولديه محمداً وعبد العزيز وابن أخيه عبد الله بن جلوي .

٢ لبود مفرداً ليد . وغيران مفرداً غار . ٣ السموم : الريح الحارة .

عَوْدِ الطرفَ أن يرى، من وراء النقع، كيف الوطيسُ والمعمعان
 ٧٥ - أن يلفَّ المدى بدورة عينٍ فترى أين يُؤثرُ الميدان
 عَوْدِ الطرف أن يُحدِّقَ لِلهَيْجَا، فلا خفَّةٌ ولا زيغان
 شيمة النسر أن يرى الشمس ضحيان، وإنسان عينه صَوَّان
 عَوْدِ الأذن أن تحسَّ ديب النمل، في الليل، فالدجى آذان
 الثَّصِقِ السمعَ بالصعيد فتدري أخولُ مغيرة أم هجان
 عَوْدِ الصوت أن يجلجل رعداً فيهبُ الضياغم الشجعان
 يبعثُ العزمَ في رجالك مدراراً، ويودي من الزئير الجبان
 عَوْدِ الصدر أن يكون حديداً ربَّما استهدفَ الْجَنَانِ السنان
 وادْرِغ من خشونة وصقالٍ إنما تصدم الظبي الصفوان
 وَلْيَحْرَكْ بَنَانُكَ الرخصُ أُرْسَانُ المَهَارِي، وَلْيَتَرْجَفِ القيعان
 ٧٦ - وَلْيَتَصَرَّفْ كَفُّ الشَّالِ عَنَاناً حين يسخو من اليمين الطعان
 أو فَقَاتِلْ بِرَاحَتِيكَ فتعتزُّ المواضي وتزهو المرَّان
 واركب المهر عارياً فله من صاعق الصوت دِرَّةٌ وعنان
 فِحْصَانِ الحَيَالِ ما شاءه الحَيَالُ، ما همَّ أن يشاء الحصان
 واطْرَحِ اللِّجَمَ إن تشأ، فَلِأَهْلِ المَدَنِ كان الشكيم والأرسان
 وتراهم لولا الركابُ وسرجُ حزموه ليعدل الميزان

١ الهجان : الإبل البيض . والصاق الأذن بالأرض ولاسيما في الليل عادة درج عليها البدو ليتحسوا
 وقوع الخوافر أو الأخفاف فيتهبَّأون لدفع عدو مغير . ٢ الظبي مفردتها ظبية وهي حد السيف،
 والصفوان الحجارة الصلدة الضخمة . ٣ الدرَّة : السوط .

يَتَهَاوُونَ لِلْحَضِيضِ، كَمَا يَهْوِي دَجَاجٌ أَخَافَهُ الثَّعْلَبَانِ^١
 أَنْتِ فِي «مُرَّةٍ» فَأَكْمِلِ طَرِيقَ الشُّوكِ تَرَهْرُ^٢ مِنْ بَعْدِهَا الْأَغْصَانِ
 اجْعَلِ السَّاقَ لِلْأَيَّاطِ مَهْمَازًا^٣، وَرَأً لَا إِنْ يُطَلَّبِ الْعَدَوَانُ^٤
 وَسَتَسْمِعِي بِهَا فَأَيْنَ «أَخِيلُ»^٥ وَالْأَسَاطِيرُ شَادَهَا الْيُونَانُ^٦
 ٧٧- ذَاكَ وَهَمٌ، وَدُونَ فَعْلِكَ مَا قَالُوا، فَأَنْتِ الْمَصْدَاقُ وَالْبَرْهَانُ
 غَالِبِ الْجُوعِ طَالَمَا غَالَبَتْهُ فِي مَطَاوِي تَارِيخِهَا عَدْنَانُ
 فَتَمَثَّلُ بِأَحْمَدٍ وَعَلِيٍّ إِذْ تُشَدُّ الْحَصْبَاءُ وَالْبَطْنَانُ^٧
 وَالْأَلَى دَوَّخُوا الْبِلَادَ وَمِنْهُمْ كُلُّ لَيْثٍ طَاوِي الْحِشَا خَمْصَانُ
 دَانَتْ الرُّومَ لِلْخِصَاصِ، وَرِيعَ الْغَرْبِ مِنْهُمْ، وَزُلْزِلَ الْإِيَّوَانُ
 مِنْ عَرَاءِ طَالَ الْعِرَابُ الثَّرْيَا مِنْ سَمَاءٍ تَدْحَرَجُ الْأَسْبَانُ
 وَتَدَاعَتْ دُونَ الْخَفَاةِ عُرُوشُ^٨ وَتَسَاوَى الْعَقَالُ وَالتَّيْجَانُ
 إِنَّمَا رَوْضَةُ الْقُصُورِ زِيَانُ^٩ يَيْسَمُ الْوَرْدُ فِيهِ وَالْبَيْلِسَانُ^{١٠}
 فِي وَعُورِ الْغَابَاتِ تَسْمُقُ أَدْوَاخُ^{١١}، وَيَقْسُو الشَّرْبِينُ وَالسَّنْدِيَانُ
 وَبِهَا الْأَرُزُّ يَفْلُقُ الصَّخْرَ أُسْرَابًا^{١٢}، وَيَعْتَوِ وَيَشْرَبُ اللَّبَانُ^{١٣}
 ٧٨- ذَاكَ أَنَّ الْعَظِيمَ فِي كُلِّ شَأْنٍ كَانَ مِهْمَازَ^{١٤} وَعِيَهُ الْحَرْمَانُ
 فَبِتَأْمَلٍ تَجْدُ أَشَدَّ غَرَامٍ^{١٥} حَيْثُ كَانَ اللَّهْيِبُ وَالذَّوْبَانُ^{١٦}

١ الثعلبان: ذكر الثعالب. ٢ الرأل: هو فرخ النعام. ٣ أخيل: أعظم أبطال الإلياذة
 هوميروس وكان يسمى الطيار الخطي لسرعة عدوه. ٤ كان النبي والإمام علي وأبطال العرب القدامى
 إذا عضهم الجوع يربطون على بطونهم الحجارة ويشدون بها. ٥ الزيان: ما يتزين به. ٦ الأسراب
 مفردا السرب بفتح السين والراء وهو السرداب. اللبان: هو الصنوبر.

حيث غاضت من السعير دموع^١ واستحرت في الأضلع النيران
 فاستحالت شعراً يهز الصحارى وتندى من القريض البان
 حيث لا طيب نور الندى فواحاً وطراً النسرين والزعفران
 فبنو «عذرة» بشعر «جميل» ربعم طيب الثرى نديان
 ويحي «عزة» «كثير» أولاه فخاراً، على الزمان يُصان
 ما بنو «عبس» ما الفوارس لولا «عبلة» وابن عمها الوهان
 ما «الجنكدا» لولا عشيق لهيف^٢ ألهمته، على الهيام، حصان
 فاستبان من خلف ريشته دنيا، ودلّ الجمال والألوان
 ومن الكبت غردّ البلبل الشادي، ومالت بسحره الأفنان
 واسترقت، على اللهاة، أغاريد غذاب وأغنيات حسان
 ألم الجوع ألهم الصيد والمحراث فاخضضت غراس لدان
 ألم البرد أيقظ النول والمغزال، فاحتلت الدنى خيطان^٣
 ألم العزلة الرهيبة بثّ النطق، فالجامع الأنام البيان
 فتمرس عبد العزيز بحرمان، سيأتي بعد الشتا نيسان
 - أمراء القصور في زفة الدنيا وأنت المسهد اللهفان
 - لهم العيش ناعماً فخمور وخصور ومزهر وقيان
 في نعيم أكنافه السمر الحالي، وقرع الكؤوس والمجان

١ الجوكوندا هي رائحة ليونار دي فنشي وهي من أعظم روائح التصوير ولم تزل هذه الصورة محفوظة في متحف باريس وقد كان ليونار يحب صاحبها حباً مكبوتاً . ٢ ورد في المعجم في تعريف الخيط انه السلك يجمع على خيوط وخبوطة وأخياط وان الخيط من العام أو الجراد الجماعة ويجمع خيطان ونمن جمعاه على خيطان والمقصود الأسلاك .

لهم الملعب المصْفَقُ، والأزهار، والغنج، والرؤى، أحضان
 ٨٠ فاذا يشتهون في السرِّ أمراً أعجلتهم . لجهره الأعوان
 بهذا ناصح، وأين تلاقيه بعصر أحراره عبدان
 المحلي، هو المحلي نفاقاً والحقير المصانع الدهان
 وإذا اختال فاختيال ابن آوى عن صغار في نفسه إعلان

...

وبيت المنعمون ثقلاً القوارير أصفرت والجفان
 وتبيت العشي، رب عشي لم ينم فيه ساهد غرثان
 يتمنى عبد العزيز رغيماً أين في القفر تقنص الرغفان
 في رحاب القصور تبتدع الحلوى، ويشكو دسم الدجاج الخوان
 وهنا، في القفار يغنى سماط^١ ويغني، من فرحة، جذلان
 إن يجد للغداء ضباً حنيذاً بنس ذاك الغداء واللحمان
 ٨١ وهناك المذهبات الصواني^٢، وكأس اللجين، والفتجان
 والجواني بالدهن والسمن ملائ ومن الشهد تطفح الكيزان
 وهنا القعب من جفاف تشظى فن الضرع تنزع الألبان
 وهناك الدمقس والمحمل الزاهي، وجر الذبول والطيلسان
 وهنا متحف تجمعت الأسمال فيه وندت القمصان

١ الخنيز: المشوي. واللحمان مفردا لحم. ٢ القعب: القدح الكبير من خشب يسكب فيه
 اللبن والمقصود بهذا البيت أن القعب انشق لانه فلما يربط باللبن، لأن البؤس كان يحمل بعض الجائعين على
 امتصاص اللبن من الضرع.

وهناك المزمارة، والنأي صداحاً، تليه الدفوف والعيان
وهنا يؤنس الدجنة يوم أو عوا تثيره الذوبان
وهناك الهزار والببل الصداح، والظل ضافياً والجنان
وهنا إن يداعب السمع صوت فنعيب ترفه الغربان
وهناك الجريح يلقى أساة ويسلى عن هميه الأسوان
في سرير كفلقة الصبح لونا أو كثلج تقمصته الرعان
أنقته أنامل كبياض العاج، أو حين يسم الأقبوان
وجريح القفار شلو طريح يتولى كلومه الديدان
أوينسى عبد العزيز جريحاً وهو المسعف الشهيد العيان
يوم نصل الخطي جندل «مرياً» جئات بطيها العربان
جي بالشيخ آسياً أو جراحياً، تغشي سكينه الأدران
خنجر كالللال أسود محني صبيغ، كأنه القطران
شكه الشيخ بالصفاء ففاقت يده حيث تلمس المصران
خصف الحاذق الماء كما تخصف نعل أو يرفع الحميان
بعد ما صب في الجراحة سماً نش حتى نشيه غليان
ثم خاط الثلم الرهيب بشوك مثلاً مد ظفره الضبعان
عجباً للصبور ما قال أف أهو الصخر أم هو الشيطان

١ الطب: هو العارف بالطب. وقد وصف هذه العملية الجراحية الهائلة انطون زيشكا في الصفحة ٣٧ وما يليها. وكان الأمير عبد العزيز وأخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوي حاضرين يصفون الجريح بما تيسر. ٢ الماء مفرداً المعى وهو مصران البطن. والهميان: الكبس. ٣ الضبعان: ذكر الضبع.

ولكان الصراخ مَزَقَ «شَهْلَانَ»^١، لَوْ انْقَدَّ مثله «شَهْلَانَ»^٢
 عَضَّ بِالْقَطْعِ النَوَاجِذِ وَالْأَنْيَابِ حَتَّى تَشْطَّتِ الْأَسْنَانُ
 أَجَّتِ الْأَرْضُ مِنْ صَلَابَتِهِ الْقَصْوَى، ففُطِّي لَهْيُهَا عِرْقَانُ
 غَمْرُوهُ تَقِيَّةَ الْبَرْدِ بِالْأَطْمَارِ، لَا خِيْمَةٌ وَلَا صِيَوَانُ
 لَيْسَ إِلَّا النُّجُومُ فِي اللَّيْلِ تَرَعَاهُ، وَيَرْعَى وَجْدَانَهُ الْهَذْيَانُ
 وَبَعِيرَانِ حَوْلَهُ يَبْعَثَانِ الدَّفْءَ، لَوْ قَارَبَ الْحَضِيضُ الْجِرَانَ^٣
 وَبَرْدَانِ فَاَرَةً عَنْ سَطِيحِ رَبٍّ سَاجٍ تَلْهُو بِهِ الْجُرْدَانُ
 وَزُبَانِي عَقَارِبِ شَائِلَاتٍ أَوْ يَمَالُ تَوُثُّهَا الْجَعْلَانُ^٤

...

٨٤. مَرَّ شَهْرٌ فَهَبَّ مُخْتَضِرُ الْفَقْرِ، وَوَلَّى عَزْرِيلُ وَالْأَكْفَانُ
 يَطْلُبُ الْغَزْوَ أَوْ يَرُودُ الْمَرَاعِي حَيْثُ يَنْمُو الْقَنْدُولُ وَ«الْبَلَّانُ»^٥
 لَا تَنِي «مُرَّةٌ» تَجُوبُ الْفِيَاثِي كُلُّ قَفْرِ «لَمُرَّةٍ» أَوْطَانُ

...

لَكَ عَبْدٌ الْعَزِيزُ مِنْ هَذِهِ الْأَلَامِ أَجْرٌ وَدَرَبَةٌ وَامْتِحَانُ
 لَكَ مِنْهَا حَظٌّ النَّضَارِ مِنَ النَّارِ، فَهِيَ الصَّفَاءُ وَاللِّمَعَانُ
 رَوْضَةُ الصَّيْفِ بَنَتْ بَرْدٌ أَلِيمٌ غَبَّ كَانُونَ يَزْهَرُ الْبَسْتَانُ

١ شهلان : علم جبل . ٢ الجران : مقدم عنق البعير وهو يقارب الأرض عند البروك
 ٣ الزباني : الإبر التي تلسع بها العقارب . ٤ الجعلان : الخنافس . ٥ القندول والبلان : ضريان من
 الشوك المعروف .

لم يغرد لولا الزمهرير قمرى، ولا أطرب الضحى كروان
 فليمرس محمد وابن جلوي وليعد الثلاثة الإخوان
 بين عبد العزيز والشهم عبد الله ما ليس تبلغ الأخدان
 ألفة في العظام رجعا قلب، وآوى ضامها شريان
 ألفتهم فوق النسابة، أرزاء جسام، وصحبة، ومكان ٨٥٠
 سنبلات مباركات ثلاث لم يخالط تضيدهن الزوان
 سيكون الشهم النصير ابن جلوي خير من قيل: ناصر معوان
 هو ركن على الحياة مكين يوم تهوي من شدة أركان
 سيخوض الوطيس، يوم لوقع النار قصف، وللظبي إرنان
 فتسير الركبان باسم عقيد وتحامى بذكره الأظعان
 لن ترى البید حاكما كابن جلوي فالنظيران صيته والأمان
 خاطر اللص لو يهيم بشير لاعتراه لذكره الرجفان
 يسقط الكيس بالنضار مليئا في البوادي فيبقى ويصان
 ليس تدري الظنون هل ذاك رمل؟ أم شعير أم أصفر رنان
 ٨٦. و«بباريس» أو «شكاغو» و«روما» حيث ضاقت بالشرطة البلدان
 ينعم السارق الذكي بأمن فله الغيد والطلا والخان
 ويظل المسافرون حذاري كالذي تحت سقفه ثعبان
 يوسر اللص حيث يزخر قانون وعلم، وتضعف الأديان
 حيث للمجرم الأنيق بدست الحكم، أو خلف دسته، أقران

من ثنى هذه الأبالس، في الصحراء، حتى تعفّف الجوعان
 ليكاد البعير يسقط مجروحاً، فيخشى غشيانته الذبان -
 أفلح الشرع حيث أخفق تدين، وحيث الجريمة الغفران -
 رَهف الحدّ يا ابن جالوي فما باللمس والطيب يُنزع السرطان -

١٢- في الكويت

— سائل ابن الرشيد عن أحواله والرعايا عن بطشه واختياله
 ٨٧ — بلغ الأوج ذلك الناحت الأذراج، للعرش من جماجم آله
 لآمتة الرياح، وانجلت الأنواء، فالسعد في طريق اكتماله
 أو جس الترك أن يشعشع بدرأ وهم الكارهون ومض هلاله
 فليعنهم شيخ الكويت عليه فيكون الأداة في إذلاله
 أو، يكون السلال، في جسمه الطاغي، كفيلاً بضنكه وانحلاله
 الصباحي شيخ من خاتل الصيد، وألقى نفوره في حباله
 ابن عبد الرحمن؟ في القفر منسي، بعيد عن خدره وعياله
 فليجي بالشريد ضيفاً كريماً وليجد المطوي من آماله
 صدى السيف مغمداً وتناست «حایل» ما يكون يوم استلاله
 لاح للشيخ في مدى الأفق دوح أ يكون الأخير في استغلاله

...

١ قتل محمد الرشيد أبناء أخيه الخمسة . وروى عنه قوله : لا يغمد سيف ابن الرشيد حتى يقتل أهل هذا البيت أجمعين . ٢ السلال : داء السل .

٨٨ هبط النازح «الكويت» فآل في منزلاً حاداً من بديع خياله
 غرفاً أربع تقصُّ حديثَ الدهر، من عهد جرهم، أو خياله
 من رآها رأى ضريحاً خلا، أو يتيماً يُطلُّ من أسماه
 كان ذاك المضيف، من مال تركياً، ضنيناً على الأمير بـماله
 يتقاضى جمالةً فيؤدي نصفها معجباً بفيض نواله
 فكان المضيف يعطي أسيراً مَدَّ نَسَجَ الحرير في أغلاله
 مغريات تلك القيود لطاف حاكها مدره على أنواله
 مسرفاً كان حين تدعوه كأس أو تثير القيان من أمياله
 أو يوافي، ذاك البلاط، فرنجي، فبحر السخاء في استقباله
 موقناً أنه غداً سيؤفي بدرات النصار عن مثقاله
 ٨٩ قصره ملقى أساطين أورباً، ورَكِبُ الزمان في إقباله
 ينشدون النفط الذي استعبد الدنيا، فسارت على ضياء اشتعاله
 يقصدون الشيخ المبارك أفواجاً فيبدي من دله واعتلاله
 تارة يلبس الوداعة وجهاً فيخال الصوفي عند انتقاله
 فاذا را، في الغريم لياناً عاد ملكاً يحرق من أذياله

...

١ كان الشيخ مبارك يتقاضى مئة وعشرين ليرة إنكليزية شهرياً من الاتراك، يؤدي نصفها للأمير عبد الرحمن وقلما كانت تدفع اليه، فكان في بؤس ما بعده بؤس . (ت. ن.)
 ٢ المدره : الحبر المجرَّب . ٣ كان الفرنجة من ألمان وانكليز وروس وفرنسيين يسابقون في تلك الحقة لخطب ود الشيخ مبارك من أجل بترول الكويت . ٤ بدرات : مفردتها بدرة وهي الكمية الكبيرة من الذهب، والمقال يساوي درهماً أو نصف درهم . ٥ را : لغة في رأى .

كان عبد العزيز يشهد ذاك البحر، في جزره، وفي استرساله
 بين ترك وساسة إنكليز كيف يبدي من لينه ومطاله
 يُغرق الدولتين، في غمره الساجي، وفي عمق لفه وجداله
 يتأتى فليس يفلح وعد أو وعيد يرمي إلى إعجاله
 - الجبوب الكبار! أكبر منها ثغرات الدهاء في غرباله
 ٩٠٠ الأسارى في بحياه غيم حار طرف اللبيب في أشكاله
 فإذا تم عن رضاه ابتسام راح يخفي ابتسامه بسبيله
 درس الناشئ الأمير عليه حكمة يستفيدها من خصاله
 جنكة أو مرونة يتملأها، ويدري ألوانها من خلاله
 ناقلًا عن جنانه أرج الورد، رفيع الذبول عن أحواله
 كان ذاك المقام لابن سعود مدرجاً لا ترانه واعتداله
 أطلعت الدهناء ليلاً هصوراً أو يصيد الهصور من أدغاله
 أو عموداً من الرخام خشيئاً ما رأى الشرق مثله في جباله
 فتولى «الكويت» ثغر الآلي سيف نجد مبالغاً في صقاله

...

لوح القفر جلده فليُرطب زبد البحر جسمه في اغتساله
 ٩١٠ ذلك الشط لو تدفق ثلجاً لم يُبرد ما هاج من بلباله

ولحالتُ أمواجه غمرَ نارٍ لو دَرَّتْ بالذي يحيش بباله
 بين جنبيه ملتقى ألفَ يَمِّ كلُّ يَمِّ يزيدُ مرّاً نكاله
 نارةٌ ينشق النسيمَ عن الغربِ، وطوراً يشمُّه عن شماله
 علَّ نجداً، أو ما يُطَيِّبُ نجداً من عرارٍ في نفحه وابتلاله
 أترى في «الرياض» شوقاً إليه؟ وعلى القصر مسحة من ظلاله
 أو نسيمُ «الدرعية» الطلق يجري من «طويق» بين المسيل وضاله
 أجفاه الأتراب أم تارت الذكرى، وحنَّ الأمس الحبيب الواله
 وادِّكارُ السعود «بالعارض» الميمون هاجَ الوفاء في أبطاله
 فتراهم يزجرون كهذا الموج، في رَغْوِهِ وفي إرقاله
 مثله في السوايح الزُرْق، في لمع المواضي، وفي رحيب بحاله
 مثله حين يصفع الموج صخراً فتמיד الصفاة من تصهاله
 ويكاد المهرُ المحممُ يُغْنِي في قراع الرؤوس عن خياله
 كاد عبد العزيز يسمع أصواتاً، وهمساً يطنُّ في أوصاله

...

ويراه الأبُ الشفيقُ مكباً ممعناً في سكوته واعتزله
 فتحزُّ النصالُ في قلبه الدامي، فذلُّ الأشبالِ فوقَ احتماله

١ الدرعية : موطن آل سعود قبل انتقالهم الى الرياض وفيها مواطن أجدادهم . طويق : علم جبل مشهور . والضال : نوع من نبات الجزيرة . ٢ العارض : هو الإقليم التجدي الذي في جهة بلدانه الرياض والدرعية . ٣ الإرقال : الإسراع .

هو ذاقَ الزمانَ شهداً وصاباً وابنُهُ لم يَذُقْ سوى أهواله
رَضَعَ الهمَّ والنوازلَ طفلاً واستقلَّ الأرزاءَ منذ فصاله
لم يرَ عزَّ جَدِّه وعُلاه بل رأى بؤسَ والدٍ في انخذه

...

عجباً للزمانِ يستنزلُ العالي، ويضفي السنا على أنذاله
أترَاهُ بعد الليالي الدواجي؟ يسطع الضوء باهراً من ذباله
والزمانُ الذي مَنَاهُ بشوكٍ هل يفيض الأعتاب في أنساله
فيرى عزَّ فيصل من جديد ويلاقى النهارَ قبل انساله
وخط الشيبِ عارضيه، وأورى فرقه، واستشاط عند قذاله
شيبته غبر الهموم وكهلاً صارَ قبل الأوانِ قبل اكتاله
ويعد الجفونَ في زرقه اليمِّ، وعمرُ النهارِ في آصاله
فيرى، في مراكب آفلاتِ غائتٍ في الأفق، مرآة حاله
أذنتُ بالغياب، عقبَ صراع الموج، أو بعد وهنها وكلاله
أتراها تعود للشعر، أم يكبو شرعُ يئسُ من أحماله
انه الشيخُ يغرقُ البالَ في الماضي، ويخشى الزوال قبل زياله
ليس إلا الرحمن يلقى إليه بخفايا فؤاده واتكاله

...

وهناك الشبُّ الذي يرمق البحر، ويرجو فكأكه من عقاله
لا ينجيه كأمري القيس نوحاً كثيراً البكى على أطلاله
بل يراه كالانهاية يُذكي بأسه، واسعاً كبعد مناله
لونه خضرة الرجاء، وطيفُ الجلد الحلو باسطاً من جلاله
غوره لجة السخاء، فهذا الدُرُّ نديان في يدي لآله
وهو الناشر العطاء سحاباً والدرير المسماح قبل سؤاله
وبياضُ الشارع قال بشيرٌ بغدٍ كالأريج عند انهماله
قد يشيب المريض من وجع مرٍّ، وينسى الآلام في إبلاله
فيعود الرواء في وجهه الخابي، ويطوي الفضاء بعد شلاله
وهو، عبد العزيز كالبحر جياش، رهيب في كره وزاله
سوف يجري إلى المصاعب مغواراً، ويفري أشواكها ينعاله
فيهلُ الخلود من راحتيه ويدوم الخلود في أنجاله
عرش نجد يصير ملتفت الشرق، ومهوى أعلامه ورجاله
عزُّ غمدان دونه، وحواليه، سمات الجلال من أقياله
البلايا تُشدُّ الليث، مأسوراً، وتوري من عزمه وارتجاله
أبدأ جرحه يزجر للثأر، فلا تأذن العلى في اندماله
من وراء الحديد والققص الداجي، يُعدُّ القوى ليوم صياله
فيصكُ القضبان بالخلب الدامي، لعل الفولاذ يدري بحاله

فتحول الصمُّ الدقاق حراباً أو سيوفاً قواضباً في قتاله

...

٩٦. طال ليل المنفى في الثغر أعواماً، فكيف السبيل لاستبداله
يستفزُّ الجوادُ مُنْبَسَطُ السهل، ولكن يثنيه قصر شكله
راحة الضيغم، المقيم على السأم، لحال شبيهة باعتقاله
ليس حرٌّ في الثغر إلا وليُّ الثغر، حرٌّ في غيِّه وحلاله
قصره قبلة الحسان، ورؤاد الملاهي، في نعمة من ناله
ما الربيع الفواح خصب المجاني يرفد الغوطتين فيض زلاله
تتميل الأدواح من طيبه نشوى، تدلي الشعور في سلساله
فيرش الأملود من زهره الفساغي، ويكسو اللجين من سرباله
ما الأفاحي تنطق الحور بالأنوار بيضاً، تلوح في خلخاله
والكنار المرشح الأفق صدأحاً، وفرخ اليام في أزجاله
٩٧. ما الصباح الطلق الحيأ بأبهي من ليالي أفراحه وضلاله

...

خاف عبد الرحمن عدوى جوار يلحق الخلق منه بعض وباله
فرائ أن يزوج النجل صونا لشباب ما زال في أقفاله

١ الشكال : الوثاق بين يدي الجواد ورجليه . ٢ النال : العطاء . ٣ غوطنا دمشق : الشرقية والغربية . ٤ الحور : الشجر المعروف وهو كثير على ضفاف بردى .

لا تخف يا ابن فيصل، فطاحُ الشهمِ سدُّ، يحول دون ابتذاله
والذي همُّه بناءُ خلودٍ كيف يُلقى الى الهوى رأس ماله
زوجه فيا لعرسٍ مُقلِّ مائلٍ الناسكين في إقلاقه
الفراغ الرهيب في كيسه الخالي، وفي عدل بيته وإقلاقه
«ربنا قوت يومنا وكساء» ولك الحمد من إمام وآله
خاشعاً ضارعاً يصلي إمامٌ فيشير الشؤون عند ابتهاجه
وتكاد الدموع تطفرف لولا أنها محرمٌ على أمثاله
١٨٠ يصمدُ الليثُ للخطوب ويخفي ناغرات الجروح عن أشباله
اذ يكون البركان والحممُ الحراقُ بعضاً من همِّه وانفعاله
ذاك ان الشاكي، ولو لذوي القربى، تريد الشكاة في إعلاله
رُبَّ سهمٍ يكون آلمٌ ما فيه، هنيئات تزرعه وانتشاله

....

رفع القلبَ للذي بدع القلب، وأحصى الخفي من أعماله
للذي أدرك الشكاية والشاكي، مذر الكون بعد في آزاله
وكان الإمام في شبه نجوى والملاك السميع أصغى لقلبه
قال: ربّي يا مالك الملك، في كفيك معنى ثباته وانتقاله
فتعزُّ الذي تشاء وتردي عالياً أو تكبُّه من رعاله

١ الرعل: أنف الجبل وفي هذا البيت والبيت السابق إشارة الى الآية «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعزّز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير» .

وَتَبَثَ الْبَعُوضُ، فِي الْحُدُرِ، أُسْرَابًا، فَتَدْمِي الْجَفُونَ مِنْ رُبَالِهِ
 ٩٨. وَيَقُولُ الذِّبَابُ غُرُودًا الْعَاقِي، وَلَا مَأْتَمٌ عَلَى مَغْتَالِهِ
 وَلَتَبْلُو الصِّدِّيقَ بِالْخَوْفِ وَالنَّقْصَانِ فِي مَالِهِ، وَفِي أَطْفَالِهِ
 يَشْتَفِي حُسْدًا، وَتَفْرَحُ بَغْضًا، وَيَعْلُو الْأَذْلُ مِنْ عُدَّالِهِ
 وَيَمَارِي مَنَافِقُ نَامَ عَنْهُ دَهْرُهُ فَاسْتَفَادَ مِنْ اغْفَالِهِ
 مِثْلَهَا يَرْتَقِي اللَّصُوصُ لِقَصْرِ غَفْلِ الْحَارِسُونَ عَنْ إِقْفَالِهِ

...

«وَأَعِدَّ الصَّابِرِينَ رِزْقًا وَفَرْدُوسًا تَشِيبُ الْآبَادُ قَبْلَ زَوَالِهِ»
 دُفِرْفُ عَرْضُهُ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَعَرَسَ أَلْمَى رَفِيفُ اخْضَالِهِ
 ظِلُّ طُوبَى، وَكُوِثَ الشَّهْدِ رُقْرُقًا، يَصْبُ الْمَآذِي فِي سَلَالِهِ
 رَبَّنَا! إِنَّا الْحَيَاةَ سَرَابٌ أَوْ رِذَازٌ يَجْفُ غَبَّ انْهِلَالِهِ
 رُبِنَتِ الزَّعْفَرَانُ فَتْنَةً أَبْصَارُ، وَيَذْوِي النَّبَاتُ قَبْلَ اكْتِحَالِهِ
 ١٠٠- أَنْتَ سَبْحَانِكَ الْقَدِيرُ، بَرَأْتَ الْكُونَ، مِنْ قَلْبٍ عُدِمِهِ وَمَحَالِهِ
 خَلَقْتَ الْفَدُّ بِالْعَنَايَةِ مَوْصُولُ، تَشِيعُ الْحَيَاةُ فِي آجَالِهِ
 حَسْبِهِ إِنْ تَشَأْ فَنَاءٌ فَخْشَرًا خَاطِرُ يَنْطَوِي عَلَى اسْتِصَالِهِ

١ إشارة إلى الآية «ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين». ٢ هذا المقطع تنمة لمناجاة عبد الرحمن. ٣ طوف: شجرة في الجنة. والمآذي: العسل. ٤ الرذاذ: المطر الخفيف. ٥ إشارة إلى الآية: «اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم، وتكاثر في الأموال والأولاد، كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً، ثم يكون حطاماً النح». ٦

فاذا الكونُ راجفٌ والبرايا قطراتٌ تذوبُ في زلزاله
 نحن في غربةٍ فرحناك ربّي بِشريدٍ قد ملّ من تجواله
 مُشبعَ العالمين من رزقه الطامي، وكاسي العراة من أفضاله
 أنت أدري بما يضير، وما يجدي، ومُغني السؤلِ عن تسّاله
 طالَ عهدُ الشقاء هل من سبيلٍ لرجاء، أو مسحةٍ لحياله

١٣- الصريف

في مهب الأضغان بات الغاصب حوله الثار كامناً والمعاطب
 نام شيخ الكويت ما نام إلا هجعة الفلك في العباب الصاحب
 ١٠١٠ القتيلان الشقيقان ظلاً جذوة الحقد في صدور الأقارب
 النسيب «القارون» يوسف إبراهيم خلف الدماء ليث غاضب
 صدره مل ما يروم انتقام ماله فوق ما يعد الحاسب
 من سوى الترك يرتجي لانتصار وسوى ابن الرشيد سيفاً قاضب

...

جاءه فانتخى وسفّه رأياً كان كالرّمية السديدة صائب

١ يوسف آل إبراهيم خال أبناء القتيلين شقيقي مبارك كان أكبر تجار الدُّلُو في أيامه وأغنام وقد بذل ثروته كلها ووقته وجهده مجازفاً بحياته طالباً الانتقام . سافر إلى قطر والبصرة وحائل والحجاز يعرض الأمراء والحكام على الشيخ مبارك . واستنجد محمد الرشيد وهو يومئذ كبير العرب عقلاً وحسكة واقتداراً فما استغوثه أموال ابن إبراهيم . وقيل انه أوصى وهو على فراش الموت ابن أخيه عبد العزيز الذي تولى الإمارة بعده ، ألا يطمح بأنظاره إلى الكويت ، وألا يباشر صاحبها العداء . ولكن الأمير عبد العزيز لم يحفظ وصية عمه . وعندما جاءه يوسف آل إبراهيم وأحد الموتورين خالد بن محمد يحرضانه على مبارك نهض للأمر يشن الغارات على الكويت تمهيداً لهجوم والاستيلاء .
 (ت . ن .)

جاز عبدُ العزيزُ نصيحَ نصوحٍ قَلَّ من بَدْءٍ فهمَه في الأُعارِبِ
قالَ، في يومِ موته، ومَقالُ المرءِ، في التزع، فضليات الرغائب
«لا تحاربُ شيخَ الكويت» إذا ما رُمْتَ عيشاً خَفَضاً عزيزَ الجانبِ
ذلكَ الشَّعرُ إن تَنَلَّهُ بِشَرٍّ تَتَفَجَّرُ عليكِ منه المصائبُ
هو لابنُ «الصَّباح» بحرُ جمانٍ ولبيتُ «الرَّشيد» بحرُ نوائِبِ

....

١٨٤. غرَّ عبدُ العزيزُ قوَّةَ زنديهِ، وصدرُ كالطود، صلبُ الترائبِ
ومُرودُ على الشعور، ولو دَبَّتْ، على وجنتيه، شُقرُ العقاربِ
وحسامٌ مثلُ المنيةِ خطَّافٌ، رهيفُ الغرارِ، صدقُ المضاربِ
إستجارَ الشيخُ المباركُ «بالسعدون» من ذلكَ العدوِّ الرابعِ
وبعدَ الرحمنِ، آنَ أوانُ الضيفِ أن يُصطَفَى لدرِّ المراهِبِ
وبذاك السبلَ الذي يتلظى للمواضي، شوقَ الفتى لكاعِبِ

....

وأغارَ الأميرُ يطلبُ «قحطاناً» وقد أسعرت شباها القواضبِ

١ كان عبد العزيز الرشيد ذات يوم جالساً للناس في الغلاة فأحسن بشيء يلدغه في ظهره فخاف أن تكون حشرة لا تستحق الاهتمام، فسكت وتجلد حتى انتهى من عمله . ثم دخل الخيمة وطلب أحد عبيده فرفع العبد ثياب مولاه فإذا بين كتفيه عقرب كبير يقرض جلده فصاح العبد مذعوراً وخشي أن يمس العقرب . فتناوله ابن الرشيد بيده ورماه خارج الخيمة ثم أمر العبد أن يذره على مكان اللدغ رماداً حامياً ففعل ونام الأمير بعد ذلك كأن لم يكن شيء .

٢ استجد مبارك بتركيا فرفضته، إذ كان يوسف آل إبراهيم قد سبقه إليها فعالت ابن الرشيد عليه . ولقباه أبو عجيبي السعدون الزعيم العراقي رئيس قبائل المنتفق ٣ المراهب : الأهوال .

عَادَ من غزوة العشائر منصوراً، رفيع الجبين، جذلان كاسب
 صدّه عن زيارة الأهل شيخ يطلب الصلح خلسة ويوارب
 يستشير الدنيا على ابن رشيد ويأمره وهو في السلم راغب
 ١٠٢. «فعلى سطحه شتاءً وصيفاً» ولد الشيخ بالمواثيق لاعب
 تجهل خلف تجهل بين جنبيه، فأكرم به خضم غرائب
 وأكبتة «العجمان» ثم «مطير» وبنو «مرّة» الحداد الخالب
 ورجال «السعدون» فاخترج «الصمان» من وطأة الخميس الجالب
 وأجاز «الدهناء» حتى أتى الماء، على «الشوكة»، الكماة الكتائب
 وأساغ الولي لابن سعود أن يخوض الوغى بألف محارب

...

قادهم ذلك الفتي المرجى مثلما النسر أم غلب العصائب
 يهتدي «للرياض» بالشوق لهباً، وبالطيب من عرار سارب
 ود لو كانت الرياح المطايا، أو متون البروق كانت ركائب
 وكان النياق حسّت فحفت مرسلات الأرسان فوق القوارب

١ خرج الأمير عبد الرحمن بعيش من الكويت وأغار على عشائر قحطان الموالية لابن رشيد. أما الشيخ مبارك فكان قد رمى بشبكتين يستنهض التجديدين ويفاوض ابن الرشيد بالصلح. وعندما عاد عبد الرحمن من غزواته أمره مبارك ألا يرجع للكويت ولم يأذن له أن يدخلها ليشاهد عائلته. ولما رفض ابن الرشيد الصلح عاد مبارك بجهز الجيوش وليّاه العجمان ومرّة وغيرهم من بوادي الجنوب والسعدون من الشمال وآل سليم أمراء عنيزة وآل مهنا أمراء بريدة. فزحف الجيش وعدده عشرة آلاف يقوده مبارك فقطع الدهناء ونزل على ماء دونها يعرف بالشوكة وهناك أذن لعبد العزيز لإجابة طلبه أن يسير بفرقة قسدها ألف محارب من البدو لأخذ الرياض. فزحف إليها عبد العزيز ووصلها بعد يومين وكان في باكورة غزواته موقفاً فاحتلها عدا الحصن الذي تحصنت فيه حامية ابن الرشيد فعزم على حفر نفق إليه وبأمر رجاله العدا. (ت. ن.)

١٨٤... أَجْفَلْتُ مِنْ عَجِيجِهَا أُسْبَعُ الْوَحْشِ، وَكَفَّتْ عَنْ الصَّرِيرِ الْجَنَادِبِ
وَتَحَامَى إِسْرَاهُمْ كُلُّ ذِي رُوحٍ، فَا لَاحَ فِي الظَّلامِ حُبَابِجُ^١

...

شَاقَ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَوْطِنُ أَجْدَادِ، وَأَرْضُ حَبِيبَةٍ وَمَلَاعِبِ
فِي ثَرَاهَا مِنْ خَطِّ رَجْلِيهِ بِالرَّمْلِ، وَمِنْ رَدْنِهِ الطَّوِيلِ مَسَاحِبِ
جَاهَا وَامْقَا، فِهْلَ تَتَنَاسَاهُ، وَتَغْدُو الْمَنَى نَسِيجَ عَنَاكِبِ
جَاءَ فَاحْتَلَّهَا، فَضْرِبَتُهُ الْبَكْرُ كَضَرْبِ الْقَرَمِ الْعَمِيقِ التَّجَارِبِ
صَمَدَ الْحَصْنِ شَانِحًا يَتَحَدَّاهُ، وَلَا دَرْبَ مِنْ خِلَالِ السَّحَابِ
صَدَّهُ الْجَوُّ، فَلَيْشَقُ أَدِيمَ الْأَرْضِ، وَلَيَفْتَحِ الصَّعِيدَ مَسَارِبِ
نَفَقًا مُوَصَّلًا فَإِنْ أَسْلَمُوهُ فَسَلَامٌ، أَوْ فَالْبُرُوجِ خِرَائِبِ
بَدَأَ الْخَفَرَ فَاسْتَحَرَّتْ زَنُودُ وَأَشْرَأَّتْ مِنَ الْكَفُوفِ الرُّوَاكِبِ^٢
١٨٥... وَاسْتَشَاطَ الْأَبْطَالُ، فَالْنَصْرُ مَرْهُونٌ بِمَا تَفْتَقُ الْعِرَاضُ الْمَنَاكِبِ
أَوْ لَيْسَ الْجُنْدُ الْمُظْفَرُ فِي نَجْدٍ يَخُوضُ الْبِلَادَ نَزْهَةً جَائِبِ
لَا سِمَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ تُفْتَحُ أَبْوَابُ، وَتَفْتَرُّ أُنْجُدُ وَسَبَاسِبِ
فَكَانَ الْآكَامُ تَبْعَتْ رِيَّاهَا وَتَسْتَقْبِلُ الْأُمِيرَ مَوَاكِبِ -
طَالَ عَنْهَا غِيَابُهُ، فَعِیُونَ الزَّهْرِ تَمُشِي إِلَى الْإِمَامِ الْغَائِبِ
فِي غِيَابِ الرَّبِيعِ يُفْتَقَدُ الْوَرْدُ وَقَدْ يَجْهَلُ الرَّبِيعُ الْمُصَاحِبِ

...

١ الحباب : ذباب ذات ألوان يطير في الليل، في ذنبه شعاع كالسراج . ٢ وامقًا : محبًا .
٣ الرواجب : العروق التي بين الأصابع .

ظنَّ شيخُ الكويت وهو الذي ما عرف الحربَ غيرَ صيدٍ مكاسب
 أنه الظافرُ الذي يتقصَّى إثرَ خصمٍ مُروِّعٍ القلبَ هاربٍ
 جرَّه «للقصيم» ليثٌ رهيبٌ له بالكرِّ والفرارِ مذاهبُ
 قد ينامُ السرحانُ غيرَ جريحٍ فإذا أطمعَ الخصيمُ يُوائبُ
 ١٨٦- إنما الحربُ خدعةٌ، وبعيدُ الرأي لا يسلكُ الطريقَ اللاحبِ
 بل يقاويُ خصومه ويُمَارِيهِمْ، ويبيدُ نيوْبَهُ ويواربُ
 عند «طرفية» تحصنَ مهزومٌ، وعادَ الطلِبُ المختلِ طالبُ
 يا ليومِ «الصريف» كم من حديدٍ ذاب في ذلك الغظمِ اللاهبِ
 «ألبواريد» بالتحوفِ حبالى ومواليدها اللهبُ الحاصبُ
 مُرعداتٌ حمر القذائف والأنواءُ، في غمرة الصدى المتجاوبِ
 مسبلاتٌ على العجاج قتاماً ناشراتٌ من الدخان غياهبِ
 الرصاصاتِ في خضمِّ المنايا عاثاتٌ وفي القلوبِ رواسبِ
 كم جوادٍ مُغْبِرٍ العرفِ، مخضوبِ الأطاريفِ، شارِدِ الوعي سائبِ

١ اللاحب : الواسع . ٢ احتل الشيخ مبارك بلداناً عديدة في نجد بدون قتال، بل كان أهلها يرجون به عليهم أنه حلف ابن سعود . أما ابن الرشيد فكان قد تقهقر، وهو لا يريد أن ينازل جيشاً أكبر من جيشه . ظلَّ يتقهقر حتى جرَّ العدو إلى قلب القصيم فوقف له عند الطرفية على مقربة من بريدة .

(ت . ن .)

٣ الغظم : البحر . في مكان بدعي الصريف اشتبك الجيشان وكانت الواقعة من أعظم وقائع العرب الحديثة . وانكسر مبارك وحلفاؤه انكساراً هائلاً وكان ابن الرشيد قاصياً عتياً فأمر بقتل الأسرى أجمعين . ونكل بالرؤساء التجديدين وترع سلاحهم وأرهبهم بالفرائب وعاد عبد العزيز آل سعود إلى الكويت بعد أن احتل الرياض أربعة أشهر .

مارسهل «الصریف» من صقعة الموت، ومن كرة الخيول الشواذب^١
 ٧. طائرات لغير حلبة سبق ليس فوق السرج المضرّج راكب
 فالرعيل اليتيم يتلو رعيلاً خلفه تنشد الفرار مقانب^٢
 وأغش «العجمان»^٣ وانقلب السعدون^٤، فالجيش كالغمام الذائب
 ليس في الناكسين غير أجير أو مداح^٥، أو مكره^٦، أو ناهب
 أتراهم يستبسلون؟ لماذا يرتضون الأذى وخوض الكرائب^٧
 أذباداً عن الكويت، ومن فيها؟ وهم رحل^٨ عراب^٩ أجنب
 أم غراماً بقائد لم يروه بسوى الناس والجمان يضارب
 لم يصف^{١٠} الرجال إلا لنفع حول رقص معربد ومآذب
 وصراع الأبطال أبعد شيء في الأفانين من صراع الكواعب^{١١}

...

يلغ الفاجع^{١٢} الرياض فأنت^{١٣} واكفهرت بعد الشروق الحواجب
 ١٨. وتراخى العربان^{١٤} من حول مولا^{١٥}هم، وعادت^{١٦} خمس^{١٧} النور أرناب^{١٨}
 كاد عبد العزيز ينشق غمّا أيعود المنصور^{١٩} لهفان^{٢٠} خائب
 ليته ظل في الكويت قعيداً لم تلوح^{٢١} له الرؤى والأطايب
 ألم الظم^{٢٢} ان يقطر سلسال^{٢٣}، ويبنى عن مائه العذب^{٢٤} لايب^{٢٥}
 عاد شبل السعود للشعر مدحوراً^{٢٦}، خسوف الهلال غطاءه حاجب

...

١ الشواذب: الضواير. ٢ مقانب: جماعات الخيل. ٣ الكرائب: الأهوال.
 ٤ الأفانين: مفرداتها فن. ٥ خمس: شجمان. ٦ اللائب: الظلمان.

سبكر ابن الرشيد بالنصر حتى نصره بات مطلعاً للمثالب
 نكّل الظافر الوحيش بأسراه^١، فبئس النمر الغدور الغالب^٢
 أسلموه السلاح يرجون أمناً فإذا قلبه من النبل ناضب
 إنما العفو شيمة الأسد الرئبال، والبغي في طباع الثعالب
 كنت ليثاً يا ابن الرشيد ولكن كنت جلف الجنان غث المواهب
 ١٨٩. بين جنبيك قلب فرعون ذي الأوتاد، والرافع الجذوع الصالب^٣
 قد أذل الأتراك نجداً فهلاً صنت نجداً من الحليف المعاقب
 دخلاً يروعون الجبال والعداري، فالظفر بالعرض ناشب
 أضرموا النار في البيوت فلم يحترق فهو للخيول زرائب
 وأبادوا النخيل فالغيضة الشجراء، والجني كالنمام الذاهب
 ثم طمّوا الآبار وهي بنجد رحمة الله والحنان الساكب
 ليس إلا الأوحال، والجمأة الغضراء، والآسن^٤ المسيط الراسب^٥
 علّ فيها طراوة أو عصيراً يخمّد النار في لهأة الشارب
 أحسام لمن يحبّ سعوداً؟ وحريق وجزية^٦ وضرائب

١ الوحيش: الوحش. ذكر المؤرخ انطون زيشكا صفحة ٥٦ - ٥٨ الفطائع التي ارتكبها ابن رشيد وحلفاؤه الاتراك في نجد وكيفية الانتقام البربري مما يسود صفحة عبد العزيز الرشيد على الرغم من بسائته النادرة. وقد أثبتت هذه الواقعة ان ابن رشيد كان سقاحاً لا تعرف الرحمة الى قلبه سبيلاً فان اكثر من قتلوا لم يقتلوا في المعركة بل بعد ان سلّحوا سلاحهم. ٢ فرعون ذو الأوتاد: كان يتغنى في التعذيب وخصوصاً في الصلب وتزريق أعضاء المحكوم عليهم. ٣ المسيط هو الماء الكدر، والجمأة الغضراء الطلين.

فُتَّتْ «جنكيز» في المشارق ظلماً و «أتيلا» ضراوة في المغارب^١
 ١١٠٠ ناكِبَ الشَّيْبِ والأرامل والزَّمنَى، ومجري على الضلوع السلاهب^٢
 لم تخلف بين الكويت ونجد منزلاً لم تضح فيه النوادب
 كل بيت ينوح من حكمك الضاري، ومن سيفك الأثيم الخاضب
 رب نصر أجل منه انكسار^٣ إن يك النصر مدرجاً للمعائب
 سيفك المستبدُّ أرهب منه قلم الحق في بنان الكاتب
 ليس يحو الزمان فعل أثيم في فم الناس جرمة متعاقب
 يصحب المرء فعله أبد الدهر، فنعم الخلق الرفيع صاحب
 ليس إلا الأخلاق تفتتح الخلد، فمنها العلى، ومنها العجائب
 بطل الحرب عارياً من خلاق جدول الماء رنقته الطحالب^٤
 يكسف العار مجده، ويواريه ظلام ذلك الصبح شائب
 ١١٠٠ فاسمه رُغم بطشه ومزايه، بغيض محلولك اللون شاحب
 إن عمر الأخلاق غراً حسناً هو عمر المخلدات الكواكب
 تعلق النفس بالشجاع صفوحاً وافر النيل والحجى والمناقب^٥
 وتعا ف الجزار، والأهوج الفطريس، والجاحد الهدى والواجب
 إن للحرب منهجاً كوضوح الصبح، لا غيباً وليلة حاطب
 المناجيد قدسوا مقبض السيف، كما قدس الدُّيورة راهب

١ جنكيز: هو جنكيزخان المعروف بقسوته وميله الى التهديم. وأتيلا: هو الغاتح الفرنجي القاتل:
 حيث يمر حصاني لا ينبت العشب. ٢ الزمنى مفردا زمن وهو المصاب بعاقة. السلاهب: الجياد
 الطويلة. ٣ رنقته: كدثرته. الطحالب مفردا الطحلب وهي خضرة تعلق الماء المزمين.
 ٤ النيل: العطاء.

يشرفُ العُصبُ أو يذلُّ، فما البتَّارُ إِلَّا مرآةُ خلقِ الضاربِ
ويكادُ القرارُ يُمُتُّ ربًّا ليس من ربِّه إلاَّ بهائبِ
فيوآتيه مكرهاً كفتاةٍ جرَّها الأهلُ للعجوزِ الخاطبِ

....

وأني يطلب «الكويت» ليفنيها، وطارت بابن الرشيد النجائب
١٢٠ يجلب البؤسُ مثله، وكذلك الفوزُ للفوزِ والمغانمُ جالبِ
رَوْقِ الذعرِ في الكويت، فقلب اللؤلؤ الرطبُ مستطاراً هارباً
سالبُ الماء من شفاة الصوادي كيف يعفو عن الجمان الخائبِ
أو تُثنِيه حرمةٌ لحريمٍ أو يحافظُ يَمْلِيه قلبٌ حادبِ
أم يُولِّي أحلافه التركَ صونَ الطهر في ذلك السعير الخازبِ
وهمُ الطامعون بالثغر، فالألمان والترك في الخليج أقارب
«يلدز» تبعث الجيوش لإفناء، وغليوم في الخفاء المحاربِ
ألَّف الدولتين شهوةً نفطٍ وعهودٌ قديمةٌ ومشاربِ
لم يُروغ شيخ الكويت، ولم يبدل سنيُّ الرؤى بهمٍ ناصبِ
مل، عينيه نامَ غير حفيٍّ بخطوب، أو خائفٍ من عواقبِ
١٢١ يقطع الليل هانئاً، ولتلقاهُ قريراً في صبحه متائبِ
قل هذا نظيرُ عنترَةَ العبسي، فوق الأهوال، فوق المصاعبِ

١ رَوْق: مدٌّ رواقه . ٢ يلدز: قصر السلطان عبد الحميد والمقصود هنا السلطان نفسه . وغليوم: هو إمبراطور ألمانيا .

لا تصدِّقُ ما يَأْفِكُونَ، فعزمُ الشيخ أوْهي من واهياتِ العناكب
 كان حلفاً للانكليز، فكان الثغرُ كالاً بَلَقِ المنيعِ الجوانبِ
 هم غزاة البحار منذ استجدَّ البحر واستعبد البخارُ المراكبُ
 كلُّ ما على البسيطة غمرٍ فليم فيه مركب ومآرب
 وعيونٌ على المضائق أرصادٌ، وفي الأرض والسماء جوائب
 أترك ابن «متعب» تدفعُ الأسطول، أو السنَّ الجحيم السواكب
 وسفين الأتراك والروس والألمان في جنبه صفار القوارب
 فارجع ابن الرشيد عن حاكم الزاهي، فنصر «الصريف» بدء المتاعب
 ١٤٧ ربُّ نجم يضلُّ الهائم الساري، فذاك الضياء، صبح كاذب

١ استجد: صار جديداً والمقصود سيادة الانكليز على البحار في العصور الحديثة . ٢ عندما حاقَّت (بالخوافة) الأخطار أي بالشيخ مبارك فتح قلبه للانكليز فجاءه مركب حربي ورسا في الثغر عشرين يوماً، ولم يطلق مدفعاً واحداً . إلا ان الريان أذن ببعض المدافع الرشاشة، فأُنزلت في الزوارق الى البر ومعها ضباط علوا الكوئينين استخدامها . ثم خطر للريان الذكي ان يهرب العربان بالأسمم النارية فأرسلها ليلاً في الفضاء وكان لها التأثير المطلوب . قيل : ان ابن الرشيد ورجاله لاذوا بالفرار عندما رأوا النيران تشتعل في كبد السماء .

١٤- واحة جبرين

جاوزَ الدهرُ حَدَّهُ إيلاماً فالملاماتُ قد حَطَمْنَ الإِماما
 غَلَفَ الهمُّ أَصْغَرِيه فلا يُيرِمُ رأياً، ولا يطيقُ كلاماً
 وإذا جَلَلِ الظلامُ فؤاداً أبصر الشمس في ضحاها ظلاماً
 لا ترى العينُ غير ما لَوْنُ القلبُ، كما لَوْنُ الضياءِ الغماما
 ألهذا المصيرِ غالبَ صَرْفِ الدهرِ جيلاً، وصَارَعَ الأيَّاماً
 أمسه كان فَقْدَ عرشِ أبيه يومه عادَ خيبةً وانهباماً

...

علقمُ اليأسِ في إمامٍ كبيرٍ هاج في شبلة المرید الضراما
 غضبٌ أيقظَ السهادَ بعينه، فما تغمضان إلا لماما
 وصمة الذلِّ إن أصابت أنوفاً حرمتُه طعامه والمناماً
 ١٥- ما انتفاض النمر الجريح مغيضاً سلبوه الفرائسَ الأغناما
 ما الخضمُّ الهدار غضبان محتاحاً يدكُ السدود والآطاما

ما أسود الثرى بأرهب منه قائماً قاعداً يودُ انتقاماً
 منْ حوَالِيهِ؟ ما حوَالِيهِ إِلَّا عَصْبَةُ خُلَصْ صَحَابٍ قَدَامِي
 عَدُوَّهُمْ أَرْبَعُونَ مِنْ أَنْسِبَاءِ وَعَبِيدٍ مَا أَخْلَفُوهُ الذَّمَامَا
 وَأَجَلَ الْكَنُوزِ قَدْرًا وَأَعْلَى صَاحِبٍ إِنْ جَفَا زَمَانُكَ دَامَا
 عَصْبَةُ عَزَلٌ وَلَيْسَ بِمُعْنٍ أَنْ فِي كُلِّ مَهْجَةٍ صَمَامَا
 جَوْهَرُ اللَّيْثِ مَخْلَبٌ وَنِيُوبٌ كَيْفَ يَدْعَى بِدُونِهَا ضَرْغَامَا
 جَاءَ عَبْدُ الْعَزِيزِ يَرْجُو عِتَادًا مِنْ وَلِيٍّ أَمْوَالَهُ لَا تُسَامِي
 فَتَنِي الشَّيْخُ أَرْبَعِينَ ذُلُولًا أَكَلَ الدَّاءُ حَيْلَهَا وَالسَّنَامَا
 ١٦٠ وَقَلِيلًا مِنَ الْبِنَادِقِ وَالزَّادِ، كَمَا يَرْفَدُ الشَّحِيحُ الْيَتَامِي

....

وَدَّعِ الْوَالِدِينَ، فَالْغَصَّةُ الْخَرَى بِصَدْرِيهَا شَوَاطِ أَقَامَا
 إِنْ سَلَخَ الشَّغَافُ مِنْ قَلْبِ أُمٍّ كَانَ أَدْنَى مِنْ هَجْرِهِ إِيْلَامَا
 «مَا نَعِيٌّ» يَسْتَعْجِلُ الْمَوْتَ جَذْلَانِ، كَأَنَّ الْحَيَاةَ بَاتَتْ حَرَامَا
 أَرَاهُ بِالْأَرْبَعِينَ يُقَاوِي ضَيْغَمًا رَاعِبًا وَجَيْشًا لُهَامَا
 تَشْهَقُ الْأَرْضُ فِي «الصَّرِيفِ» مِنَ الطَّاعِي وَتَبْكِي، وَفِي «الْكُوَيْتِ» الْإِيَامِي
 كُلِّ مَا حَاقَ بِالْأَمِيرِ مِنَ الْأَرْزَاءِ وَالْهَوْلِ مِنْذُ كَانَ غَلَامَا

١ كانت عصابة الأمير عبد العزيز مؤلفة من أربعين رجلاً من عائلة آل سعود وخدامهم السابقين، لا يلزمهم غير الركائب والبنادق والزاد وشيء من المال فأعطاهم الشيخ مبارك أربعين ذلولا وثلاثين بندقية ومئتي ريال وبعض الزاد .
 (ت . ن .)

٢ مانعي : في النسبة إلى مانع جد السعوديين .

لم يُعادلْ تلكَ الهنيهةَ حزناً شَرِقَ الطرفُ بالدموعِ وغاما
أجهشتُ «سارة» ودمعُ اللُبابِ «الدوسريَّاتِ» لا يَهْلُ سجاما
هو عبدُ العزيزِ إنْ ثكلتهُ فقد البيتُ نوره والدعاما

....

١٧- بَارِكاني: قال المغامر، جِيَّاشَ الحنايا، مُعَبِّساً بَسَّاماً

— إنْ أَوْفَقُ فدارةَ العزِّ داري أو أُمْتُ مرَّةً بلغت المراما

— كلَّ يومِ أموتُ شيئاً فشيئاً أو ما أعذبَ المماتِ الزؤاما

— بين جنبي خافقٌ يأنفُ الذلُّ، ويأبى على الهوان المقاما

«وَيْكَ عبدَ العزيزِ» يصرخ في صدري، ألا قُمْ فجاوبِ الأعماما

من خلال العجاجِ أَلْمَحْ جَدِّي فيصلاً، كيف يَسْتَطِيبُ الحماما

فيدقُ الفرسانُ صفّاً بصفٍ ويُذَرِّي على الخضيضِ الهاما

ولمحتُ الأجدادَ، وُلِدَ نزارُ يومِ «ذي قار» تحصدُ الأعجاما

وَكَلْبِياً يحمي الحِمَى فيخرُ النسرُ، من هول بطشه، لو حماما

وَحَمَانَا! لابن الرشيد مشاعٌ وَتُرِيدَانِ هَمَّتِي أَنْ تناما

١٨- خَلْيَانِي فَإِنْ أُمْتُ مُتْ لَيْثاً دمه السمعُ يَخْضِبُ الآجاما

لا على البحرِ خاملاً حيثُ ينسى النسرُ أجواءه فيُودي حماما

....

١ سارة: اسم والدَةِ الأمير عبد العزيز، وهي من قبيلة الدواسر الأشداء على ما أكَّده المؤرخ انطون

زيشكا.

ومضى والرفاق في هجعة الليل ، وقد طَوَّقَ الكرى النواما
 جرة في الدجى تثير البوادي زادها القفر والهجير احتداما
 عطفت «مرّة» وهبّت «سُبَيْعٌ» وفَرَادَى أَلَقُوا اليه الزماما
 فإذا العصبة الصغيرة جيشٌ باسمه ، سار يرفع الأعلاما
 كِرّةُ الثلج ملمت ، من حُني الطود ، ما قرّ في السفوح رُكاما
 وأجاز «الدهناء» حتى أتى نجداً عقيداً مظفراً قَحَاما
 جاء «قحطان» غازياً فرأوه وهم السرب ، في الكرور ، قَاطِما
 ورآه أنصاره كيف يرضي تابعيه ، وكيف يرضي الحساما
 ١٩٠ لرفاق الوغى مغانم شتى وَيُبْقِي مَطِيَّةً وطعاما
 وأذلّ الغازي «مطيّراً» فزاد الجيشُ عدّاً ورأسه إقداما
 أوجس ابن الرشيد ، بعد ازدراء من خصيم سحابه يتسامى
 كان بالأمس في السفوح بخاراً وهو اليوم يغمر الآكاما
 أيلقيه في القتال فيرديه؟ ويغدو ذلك الصباح ختاماً
 إنه ابن الرشيد جلّ مقاماً فَلْيَسْخَرْ لطرده الحُكَّاماً

١ خرج الأمير عبد العزيز في آخر صيف سنة ١٩٠١ بهذه الشريعة من الكويت يقصد البوادي على
 يزيد في الأمل عدد رجاله . وقصد المعجمان فتردد رؤساؤهم وانضم اليه كثيرون من العامة وكذلك آل مرّة
 وسبيح والسهول فاشتد ساعده وأصبح معه بدل الأربعين ذلولا ألف ذلول وأربع مئة خيال ، وهو في البادية
 جيش يذكر . (ت . ن .)

٢ عندما علم ابن الرشيد بغزوة قحطان هجم في أطراف الكويت على قبائل عريدار (وم خليط من
 القبائل) ليظهر انه لا يبالي ببن سعود . ولكن لما تكاثرت الانتصارات أرسل الى الشيخ قاسم ابن ثاني يستنهضه
 على العدو الجديد . ثم كتب الى حكومة البصرة لتوعز الى حكومة الحسا بطرد ابن سعود من تلك النواحي ،
 وبحريش البوادي عليه . (ت . ن .)

زَجَرَ التَّركَ منذرينَ فَعَادَ الجِيشُ ، في غضبة النمر سَوَامَا
 كِرَّةُ الثلجِ في الهجيرة ذَابَتْ ثَبَتَ الاربعونَ والجِيشُ هَامَا
 لَيْسَ يَبْقَى إِلَّا العَتِيقُ ، عَلَى الخُطْبِ ، فَعَتَقَ أَحَبَّةً وَمُدَامَا
 الْأَجِيرَ الزَّئِيمُ يَرْعِبُهُ الذُّئْبُ ، فَيَمْضِي وَيَتْرَكَ الْغَنَامَا
 ٢٠٠ - إِنْ يَكُ النِّهْبِ قِمَّةٌ لِلْأَمَانِي فَالْأَمَانِي مَا بَرَحْنَ قِرَامَا
 لَمْ يَغِرَّ الْأَمِيرَ طُلَّابُ غَزْوٍ نَشَاوُ قُلُبَا رِعَاعَا طَغَامَا
 وَتَرَاهُمْ فِي السَّلْبِ وَالنِّهْبِ آسَادَا ، وَفِي غَمْرَةِ الْوَعَى أَرْقَامَا

...

وَأَحَاقَتْ بِالْأَرْبَعِينَ الدَّوَاهِي كُلُّ أَفْقٍ بَدَا عِبُوسًا جِهَامَا
 أَنِنَا يَمُمُوا سَحَابَةً خَيْرَ فَوْقَتْ دِيمَةُ الرَّجَاءِ سِهَامَا
 لَيْكَادَ الثَّرَى يَكُونُ خَصِيمًا إِنْ يُمَرُّوا مِنْ فَوْقِهِ الْأَقْدَامَا
 هَالِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ طُودٌ هُمُومٌ خَدٌّ فِي قَلْبِهِ الْحَزِينُ كِيلَامَا
 فَابْنُهُ عَنْ مَنَازِلِ النَّاسِ مَقْصِيٌّ يَعَانِي بِجَاعَةٍ وَأَوَامَا
 بَثٌّ وَفْدًا إِلَى الْمَجَازِفِ يُغْرِيه بَعْدُ ، وَيَغْلُظُ الْأَقْسَامَا
 « قُلْ لَهُمْ لَنْ أَعُودَ إِلَّا أَمِيرًا أَوْ قَتِيلًا وَاقْرَأْ وَلِيَّ السَّلَامَا »
 ٢٠١ هَكَذَا جَاوَبَ الطَّرِيدُ وَزَكَّى زَاوَةَ اللَّيْثِ أَرْبَعُونَ رِقَامَا

...

١ السَّوَامُ : الْمَاشِيَّةُ . ٢ الزَّئِيمُ : الدَّعِيٌّ أَوْ الشَّيْمُ . ٣ خَدٌّ : فَسْحٌ ، وَالْكِيلَامُ مَفْرُوعَا الْكَلَمِ وَهُوَ الْجَرْحُ .

تَبَدَّتْهُمْ مَأْهُولَةٌ الْأَرْضُ مِنْهَا مَثَلُهَا حَاذِرُ الصَّحِيحِ الْجَذَامَا
 لَا مَلَاذٌ لَهُمْ سِوَى رَبْعِهَا الْخَالِي، فَقَدْ أُرْعَ الشَّقَاءُ الْجَامَا
 لَيْسَ فِي الْوَاكِ غَيْرُ وَاحِدَةٍ «جَبْرِينَ» تَوْدِي لِمُطَرِّدٍ إِكْرَامَا
 يَنْهَلُ الضَّوْءَ مِنْ مَنَاصِكِبِهَا حُرًّا، وَحُرًّا فِي اللَّيْلِ يَاوِي الرِّغَامَا
 فَكَأَنَّ الْحَرِّيَّةَ الْبَكْرَ يَذْوِي طَهْرُهَا حَيْثُمَا تَلَاقِي أَنَامَا
 يَا ابْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّ لَتَلُكَ الْبُرَّ بِالْبُؤْسِ وَالْخُلُودِ غَرَامَا
 جَنَّتِهَا وَالْهَمُومُ بَعْدُ صِفَارُ وَالرَّزَايَا تُقَارِنُ الْأَحْلَامَا
 فَاجْلِسِ الْآنَ لِلنَّصِيحَةِ وَالشُّورَى، فَقَدْ صَارَتْ الْخُطُوبُ جَسَامَا
 صَحْبُكَ الْمُخْلِصُونَ غَارَتْ أَمَانِيهِمْ، وَقَدْ يَوْرَثُ الشَّقَاءُ الْخِصَامَا
 حَلَمُوا بِالْفَتْوحِ وَالْعَيْشِ مَرْضِيًّا، وَهَاهُمْ لَا يَمْلِكُونَ خِطَامَا
 يَكْتُمُونَ الْيَأْسَ الْمَزْجَجَ فِيهِمْ عَنْكَ حَبًّا وَرَافَةً وَاحْتِشَامَا
 الْقَعُودَ الطَّوِيلَ، وَالسَّأْمَ الْمُوصُولَ، دَائُ يَجَاوِزُ الْأَسْقَامَا
 الْبَطُولَاتِ لَا تَطِيقُ رُكُودًا أَزْنُودًا تَكُونُ أُمُّ أَفْهَامَا
 فَنَعِيمُ الْأَفْهَامِ فِكْرٌ بَدِيعٌ وَنَعِيمُ الْأَبْطَالِ أَنْ تَتَرَامَى

١ أجابت الحكومة طلب ابن الرشيد فشرّد خوفاً منها ومنه أكثر من ألف هجان ومئة خيال من جيش ابن سعود فلم يبال بذلك لأنه لم يكن ليركن إلا لرجاله الأربعين الأولين . وكتب اليه والده والشيخ مبارك يسألانه الرجوع للكويت فأبى . وعندما اشتدّ عليه ضغط الحكومة التحى ورجاله ناحية واحة جبرين . قطعت الدولة معاش عبد الرحمن وسدّت أبواب الأحياء على عبد العزيز فلم يبق أمامه سوى الربيع الخالي .
 (ت . ن .)

٢ المطرود : هو من أمر بطرده فصار طريداً . ٣ إشارة الى مجيئه مع الأمير عبد الرحمن وأخيه محمد وابن عمه عبدالله بن جلوي يوم قدموا على بني مرة فأقاموا بينهم كما تقدم . ٤ البديع : المبدع والمراد هنا الفكر المولد .

أَوْ نُحَدِّدُ السِّوْفَ لِلْمَطْلَبِ الْعَالِي، وَتَسْتَقْدِمُ الْأُمُورَ الْعِظَامَا
لَا تَقَرُّ الْهَمَّاتُ فِي الْمَفْرَغِ الْخَالِي، وَلَا الْعُدْمُ يَبْدَعُ الْإِلْهَامَا
جَدِّدِ الْعِزْمَ فِي الْقُلُوبِ الْحَيَارَى فَلَا مَانِي تَخْلُقِ الْمَقْدَامَا
مِنْهُمْ بِالْفَلَّاحِ، وَالضَّرْبَةِ الْكَبْرَى، وَبَيضِ الرُّؤْيِ، وَلَوْ أَوْهَامَا

...

صَاحِبُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بِالصَّحْبِ هَيَّا أَتَشَاوُونَ أَنْ نَمُوتَ كِرَامَا
أَوْ نُنَالَ الْخُلُودَ وَالْعِزَّ أَبْطَالَا، وَنَسْتَنْقِذَ «الرِّيَاضَ» اقْتِحَامَا
سَنَحْتُ لِي غَنِيمَةً فَهَلُمُّوا أَطِيبُ الرِّزْقُ مَا يُنَالُ اغْتِنَامَا
نَتَخَفَّى فَلَيْسَ يَدْرِي بِمَسْرَانَا، سَوَى السَّاهِرِ الَّذِي مَا نَامَا
نَتَحَامَى الْإِنْسَانَ، أَوْ حَيْثُ مَرَّ النَّاسُ مَرًّا، فَأَزْعَجُوا الْإِنْسَامَا
نَتَحَاشَى إِطْلَاقَ نَارٍ عَلَى صَيْدٍ، فَغَضِي وَنَتْرِكُ الْآرَامَا
نَحْنُ صَحْبُ الظَّلَامِ، لَا الشَّمْسُ تُفْشِينَا، وَلَا الْبَدْرُ، فَاضْحًا تَمَامَا

...

وَتَوَارُوا فَشَاعَ فِي نَجْدٍ أَنَّ الْقَوْمَ بَادُوا أَوْ أَصْبَحُوا هَيَّامَا
فِي هَلَالِ الصِّيَامِ أَدْلَجَ صَوَّامٌ، وَيَوْمَ الْبُؤْسَى يَعَادِلُ عَامَا

١ العدم : بضم العين كالعدم بفتحها . ٢ الهيام مفردا الهائم وهو الخائر الموسوس . غادر الأربعون
واحة جبرين في طريقهم إلى الرياض التي تبعد عن الواحة مسافة أربع مئة كيلومتر . وكان ذلك في غرة رمضان
ونماوتوا ونكبوا عن كل طريق مملوك ولغوا من الجوع والأهوال ما لا يوصف . فبلغوا ضواحي الرياض
بعد مسير شهر كامل وهم من جراء الحرمان والتخفي على أشد ما يكون الضنك .

فَطَرُ أَهْلِ الْيَسَارِ كَبَشُ سَمِينُ^١ فَعَلَامَ الْفِطْرِ السَّعِيدِ عَلامَا
 أَعْلَى تَمْرَةٍ وَقَرَصِ شَعِيرٍ^٢ أَوْ ضَيْبٍ^٣ نِيَّ يَكُونُ إِدَامَا^٤
 ٢٤٠- أَيْنَ تَشْوُونَهُ، وَتَفْضَحُكُمْ نَارُ^٥، وَأَنْتُمْ تَبْغُونَ سِتْرًا قَتَامَا
 كَمْ عَدَلْتُمْ عَنِ الطَّرِيقِ رَحِيبًا كَسَلِيمٍ^٦، جُرْبَ الرِّجَالِ تَحَامِي
 أَوْ ظَمِي^٧ مُفْلَجِ الْخَلْقِ مَكْرُوبٍ^٨، عَنِ الْجَدُولِ النَّمِيرِ تَعَامِي
 تَسْلُكُونَ الشَّعَابَ حِينًا، وَحِينًا تَقْطَعُونَ الْأَرْضَ الْبَرَّاحَ الصَّوَامَا^٩
 وَتَسِيخُ الْأَقْدَامُ فِي الدَّعْصِ^{١٠} لَهَابًا حَمِيمًا فَتَكْرَهُ الْحَمَامَا^{١١}
 وَالزَّمْهَرِيرُ فِي الْمَسَاءِ يَشْلُ الْكَفَّ حَتَّى لَتَجْهَلَ الْإِبْهَامَا
 يُجْمَدُ الْبَرْدُ فِي الْأَنْأَمِلِ شَرِيَانًا^{١٢}، فَا تَمْلِكُ الْبَنَانَ اسْتِلَامَا
 فَتَرَاهُنَّ كَالضَّرَائِرِ جَارَاتٍ^{١٣}، وَيَأْتِينَ لَحْمَةً^{١٤} وَانْضِمَامَا
 شَتَّتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ رَغْمَ الْعَذَابِ الْمُرِّ وَالضَّنْكَ تَلْزِمُ الْإِحْرَامَا
 يَا لَكَ اللَّهُ مِنْ تَقِيٍّ عَجِيبٍ رَاحَ يَبْغِي فَوْقَ الصِّيَامِ صِيَامَا^{١٥}
 ٢٥٠- لَيْسَ بَدْعًا أَنْ تَقْتَدِيَ بِإِمَامٍ صَرَفَ الْعُمُرَ قَانِتًا قَوَّامَا
 نَقَلَ الصَّحْبَ عَنْكَ غُرَّ السَّجَايَا مِثْلَمَا الرَّسْمُ يُلْهِمُ الرَّسَّامَا
 هَكَذَا سَارَ كُلُّ مَنْ شَادَ دُنْيَا دَعَا فَرَاغَ الطَّبُولِ وَالْأُورَامَا

• • •

وَنَمَّا الشَّهْرُ فَالْهَلَالُ، عَلَى الصَّحْرَاءِ، يَلْقَى مِنَ الضِّيَاءِ خِيَامَا

١ الضيب : تصغير الضب . ٢ إذا اتسعت الأرض ولم يتخللها شجر فهي البراح والأرض الصوام هي اليابسة التي لا ماء فيها . ٣ الدعص هو كتيب الرمل . ٤ فوق الصيام صياما المقصود بالصيام الاول ما فرضه الجوع والثاني ما فرضه الدين .

فأرفع الطرف يا سمير الدراري لا سمير الهوى، وإلف الندامى
 كان هذا الوضأ مثلك مهزولاً، فعلى وصار بدمراً تماماً
 سَقَفَكَ الأُزْرُقُ الرفيع، نسيج الله، فاجمع نجومه أكواما
 سَرَحَ العينَ في مباهجه الغراء، وأغسل بصحوه الآلاما
 وأصخ! إن للكواكب إيقاعاً وجرساً ورونقاً وانسجاما
 وتَرَوَّدُ من الليالي الزواهي واستمع كيف تهمس الأنعاما
 أنت في عزلة وإن كنت مصحوباً، فدع رفقة الجهاد نياما
 وحدة المرء في التأمل أياماً تُملِّي من عمره أعواما
 طالما مَوَّنَ التأملُ عزمًا ومضًا وألهم الأعلاما
 فادخر من قرارة الليل عمقاً ومن الأُزْرُقِ العريض ابتساما
 إن في مرقص الطبيعة أبكاراً فزحزح عن حسنها اللثاما

...

واشكى رفقة الأمير من الضنك، وبث الشيطان فيهم سماما
 ليس مثل السقاب يهدم أرواحاً، فيضني من قبلها الأجساما
 أسن الماء في السقاء، وجف الثمر، واصفرت الوجوه سقاما
 وانبرى الشك في النفوس يلاشيها فيوري إبليسها الهداما
 آمنوا بالعقيد فاتبعوه واتى الريب ينطق اللواما
 ليس إلا الايمان يحترح السحر، ويحيي بعد الجفاف الحطاما

انما المعجزات تعقبُ إيماناً، كما تعقب الثمار الكفاما
 كان، بعد الايمان، عيسى يعيد الميت حياً ويقلب الأجراما
 وعميق الايمان شقَّ لموسى البحر والصخر والعمود الغماما
 وأتى بالوليد إسحاق للذبح، مشيراً لذبحه «أبراما»
 والفراعين آمنوا بخلود وعلى الخلد ركزوا الأهراما
 آمن الفاتحون، رفقة كولب بكونهم فصاروا عظاما
 أنت «كولبس» القفار فجدد يا ابن عبد الرحمن فيك اعتصاما
 في نحيبك يقرأون فحاذر أن يروا في سطورك الإحجاما
 ليلة القدر، أن تعيد الى الفرقى رجاء، وللظلم نساما

...

٢٨٠ يا رفاق الجهاد صاح: أسيخوا وأجيبوا فقد سئمت الملاما
 أولستم أعقاب من طاولوا النجم فشقوا بصدرة أثلاما
 هم علام الإقدام، ليس لهم خلف، فما يعرفون إلا الأماما
 لفت الشرق بطشهم، وطوى القطب، فأعلوا من فوقه الإسلاما
 في مقام الفرار أبطأ من صخر، وفي الكر يسبقون النعاما
 المنايا تفر منكم، كأن الموت، في وجههم، يسد الرجاما
 أو يهاب الجراح إذ كل جرح في صدور العراة يبدو وساما

١ عمود الغمام الذي رافق الإسرائيليين في صحراء النيه . ٢ أبرام هو في الأصل اسم إبراهيم الخليل .
 ٣ هو كريستوف كولب مكتشف أميركا . ٤ العلام : مفرد ما علم وهو شيء ينصب فيه تدي به أو هو
 النارة وهو المقصود هنا . ٥ الرجام : القبور .

يحقرون الدروع يوم «ضرار» عارياً صدره يصد السهام
 وبذات «الرقاع» حفنة أبطال يلقون بالرقاع الكلاما
 يطفنون الرمضاء بالعرق المصبوب، يجري على الرمال سجاما
 ما تشكوا من قلة فالسرايا منهم تصدم الخيـس العراما
 جذوة النار تأكل الغاب ألفافاً، وتأتي على الهشيم التهاما
 كل فرد منهم يقاس بجيش حين يستل سيفه الصراما
 وكذلك الدينار يعدل ألفاً من فلوس إذا المساوم ساما
 يرجح الكيف بالموازن، ليس الكم للمعدن النفيس قواما
 ولو أن الجعلان كانت ألوفاً لا تبـد الغضنفر الهـماما
 كان أجدادكم يرون بخفض العيش، واللين للهوى آثاما
 ذلك العزم ثل إيوان كسرى وهرقـل وحطـم الأصناما
 وسعوا رقعة الحجاز الى الهند، ومدوا الى قرنا الشاما
 الحفاة العراة، من هذه الآفاق، ألقوا الى الزمان لجاما
 فكان الحفاء والجوع والحرمان كانت لعزمهم أرحاما
 وتحدوا ريب الزمان فداـسوه ليوثاً، وألـموا الآلاما
 العوادي منابت القلب الأبطال، كالغصن ينبت الأنكاما

١ ضرار ابن الأزور وكان يقاتل عارياً . ٢ الكلام بكسر الكاف الجروح وذات الرقاع احدى
 غزوات النبي وكان اصحابه نفرأ لا يملكون سوى بعير فنقت أقدامهم وسقطت أظفارهم ولفوا على أرجلهم
 الرقاع . ٣ العرام : الجيش الكثير . ٤ الألفاف مفردهما ألف وهو المكان المجتمع الشجر .
 ٥ الجعلان : الخنافس، والهـمام : الأسد .

إنما يسبق الربيعَ شتاءُ فالزَّمَّهْرِيرُ مطلعُ للخزاسي
 انظروا هذه السماء، فجنح الليل أبدى نجومها والنظاما
 وظلَّ النهار يخفي سناها مثما العيد يحجب الأيتاما
 فأجابوا: لبيك لا تجدنَّ الصَّحْبَ في الحازبِ الخطيرِ لئاما
 ٧. سنخوض الدنيا حفاةً، إذا شئتَ، ونحتلُّ قطبها صواما

١٥ عيد الرياض

أَفْلَ الصَّوْمِ وَالْهَلَالِ أَضَاءَ فَأَجَدُ الْمَنَى وَمَدَّ الرَّجَاءَ
وَعَ «طَوِيقُ» بَدَا قَرِيرَ الْحَوَاشِي مِنْ عَيُونِ الرُّؤْيَى يَعْجَبُ السَّنَاءُ
٢٨ لَبَسَ الْعِيدَ فِي الضَّحَى عَسْجِدِيًّا وَارْتَدَى اللَّيْلَ حَلَّةً زَهْرَاءَ
أَيُّهَا الصَّائِمُونَ إِمَّا حُرِّمْتُمْ طَرَفَ الْعِيدِ فَاسْتَحْلُوا الْبَهَاءَ
يَمِّمُوا جَبَّةَ الشَّمَالِ وَجُوزُوا جَبَلًا يُنْبِتُ الْعَرَارَ سَخَاءَ
وَاعْبُرُوهُ خَرْسَ الشِّفَاهِ خَفَافَ الْوُطَى لَا نَبَاةَ وَلَا ضَوْضَاءَ
فِي خَشْوَعِ الْيَهُودِ يَوْمَ أَتَى مُوسَى يَقِلُّ الْأَلْوَحَ مِنْ سَيْنَاءَ

....

مثلاً يهبط الغمام على التل، وتستقبل القفار المساء

١ طويق : اسم الجبل الذي يكتشف العارض ومنها الرياض . وقد وصل الأمير عبد العزيز ورجاله ليلة عيد الفطر الى مكان يدعى «أباجقان» . وساروا منه في اليوم التالي فوصلوا في ٤ شوال الى حدود الرياض وتزلوا في الساعة الثالثة عريية «التاسعة ليلاً» في ضلع يبعد ساعتين عن العاصمة . وترك الأمير هناك عشرين من رجاله كجيش احتياطي . «وهؤلاء العشرون كانوا قد انضموا اليه فضلاً عن الاربعين الرفاق الاصليين» . وتقدم بالاربعين الآخرين وفيهم أخوه محمد وعبد الله بن جلوي . فلما وصل الى البساتين خارج السور أقام أخاه محمداً ومعه ثلاثون رجلاً هناك ومضى بالعشرة الباقين الى غرضه . ولكنه لم يتمكن من الدخول الى الحصن الخارجي، اي حصن السور، إلا من البيت الخاوي وهو لفلاح يتجر بالبقر . (ت . ن .)

في جوار «الرياض» حلَّ أميرٌ ورفاقٌ توشحوا الظلما
 ظلَّ عشرونَ منهمُ في الضواحي حرساً، أو نواظراً رقباء
 «قال عبد العزيز: إن لم اجنكم في غدٍ فاعلموا: لقيت القضاء»
 وعزاءٌ للمجد مصرع نسرٍ مات قتلاً، ولم يمت إعياء
 ٢٤ - ومشي الأربعون للسور، مشي العاشق اللابس الحفاء رداً
 يتوقى العيون والنسم الواشي، فمن دربه يُزيح الهواء
 لا سُعالٌ، ولو تكسَّر في الصدر، وهدَّ الشفاف والأحنا
 لا عطاسٌ، ولو تمزَّقت الأوداج، أو شَبَّت العيون الصلا

...

واصطفى عشرةً، وبقي على الباب ثلاثين، نجدة خفراء
 يستجيبون صوته حين يدعو ويلبّون للحام نداء
 عشرة سبق فاماً يزولوا فالثلاثون لن يروموا البقاء
 عشرة أسندوا إلى السور جذع النخل، يمشون للمنون ارتقاء
 أيها الجذع كنت معراج خلدٍ فمن الحيف أن تعود هباء
 كان أولى بك البقاء، فلا تفنى أداة تُبلغ العليا
 ٢٥ - عجباً كيف لم تئن من الوقر، فهل كنت صخرة خرساء
 جاز من فوقك الأسود، ولو مرؤوا بطود من الجبال لنا
 تحذَّ الدهر في جذورك مأواه فجمعت قوة غلباء

زَيْنَ اللَّهِ بالنجوم السماوات، وبالنخل رَصْع الصحراء
وتَفَرَّدَتْ سُلَمًا يعربياً للمعالي يُعَبِّرُ العظما
إِنَّ عَبْرَ الصراط، لاح كحدِّ السيف، ضيقاً وَرَقَةً ومضاً
تحتَه لُجَّةُ الظلام، فلو مَسَّتْ ذُكَا، لأصبحت سوداً
الأفاعي تنيرها بعيونٍ وُجُلُودٍ تَعْرِجَتْ رِقْطاً
فاغرات أشداقها، باعثاتِ النتن كالقبر، إذ يُفَضُّ مساءً
فَجْها يصدع الغياهب حتى تتهاوى سدوُها أشلاً
وتمنَّى الآذانُ لو أصبحت غُلفاً، وعادت صفائحاً صمّاً
دون عبر السور، الذي خلفه المجهول، يوحى لعابريه الفناء

...

شيمة الدهر أنه حين ينبغي في لياليه ليلة غراً
يؤثر البائع الحياة لعزٍّ أو لِمَوْتٍ، ويفغل الرصنا
وكذا الجهل يفضح العقل أحياناً، ويرمي بالذلة العقلا
آية الأسد أن تُمَجَّدَ هُوْجاً أو غضاباً وتُردَرى ودعاء
لم تُحاذر تلك العصابة، إذ ترقى الى السور، ما تلاقي وراء
كلُّ شيءٍ ينمُّ عنها، فإن تُفَضَّحَ، فنهرٌ يُغالبُ الدأما
سرُّها عالقٌ بنبحة كلبٍ أو بهيرٍ يُشَهِّرُ الغرباء
يا مصيراً يغيِّره الكلب نبأحاً، أو الهرُّ لو أراد مواً

١ غار يغير بمعنى غيَّره وبذله . ولا يخفى ان هذه الساعة كانت من أروع الساعات التي مرَّت بالامير
ورجاله وقد كانت أقل حركه تقطع الصمت منذرة بالغسل الذي لا فلاح بعده .

٢٥. كنت أوهى من الدخان، إذا هبت رياح فصارع النكباء
يا لها ساعة تبدت ثوانها قروناً، بالمدهشات ملا،
في ثنايا الآناء مولد تأريخ يهز الجزيرة العرباء
ألم الوضع في المخاض يساوي ألم النزع يسلب الحوباء
ساعة من غيابة الدهر ذرت كشهاب يمزق الدهماء
شهدت مثلها الفتوح ولكن لم تر مثل وهجها لآلاء
لم تشاهد مثل الأمير بعد الأغل العشر بيده الأرزاء
يقصد الحصن حصن آل رشيد والحماة الأشاوس البسلاء
سيجوه بكل قذاف نار يسكب الموت ديمة وطفاء
فإذا حاول الهواء عبوراً ما أجاز البنادق السمراء
٢٦. تتراعى من الكوى، أو عيون الموت، للطرف غابة شجراء
لا سبيل إليه إلا مقر الجار، والجار يفضح الدخلاء
أدموراً فضجة فعويلاً فصريناً يؤلب الفوغاء
أم دخولاً بحيلة فيظل الطرف يقظان واللها خرساء
صاحب البيت كان تاجر أبقار ففتاحه : نريد الشراء

١ الغيابة : القمر . ٢ وهو باب الجار تاجر البقر المخاذي للحصن والذي لا سبيل إلى الدخول
بدونه ولما فرعه الأمير أجابت من الداخل امرأة تقول من أنت ؟ فقال عبد العزيز : رجل من رجال الأمير
عجلان « أمير الحصن » وأريد من زوجك أن يشتري لنا بقراً صباح الغد . فقالت المرأة خست يا شبه
الرجال ما جئت تبغي البقر يا فاجر، بل جئت تبغي الفساد . قال الأمير : لا والله ليس هذا ما أري بل أبغى
صاحب هذا البيت، فإذا لم يخرج إلي الآن فإن الأمير يقتله صباح الغد . فلما سمع الرجل التهديد قام يفتح الباب
وكان عبد العزيز يعرفه من الهجوم الأول في السنة الماضية ويعرف حريمه، وفيه من كن خادماً سابقاً في
بيت سعود . فلما خرج أمسكه بيده قائلاً إذا تكلمت قتلتك في الحال . ٣ دمر دمووراً : دخل البيت بدون
أذن وهجم هجوم الشر . ٤ اللها : مفردتها الهامة وهي اللحمة المشرفة على أقصى الخلق .

طَرَقَ البابَ حاذراً فأجابت رُبَّةُ الدار: مَنْ غريبٌ جاء؟
 قال عبد العزيز: أوفدني «عجلان» قومي وحاذري الإبطاء.
 وهو يبغي الثيران، أسرع ما يُشرى فقالت: خَسِئَتِ رُمْتَ الزنا،
 أبهذا الآن المريبِ اتجار؟ رُحْ فما غرَّ خادعٌ حوا،
 فاجرُ أنت! «لا! وربي، أجاب الصوت، ما ابتغي بكم أسوا»
 «فليقم زوجك النؤوم، فإن يُججمَ يَذُقْ من يد الأمير البلاء»
 - ٤٧ - سَمِعَ الزوجُ لهجةَ الموقدِ الشاري فخافَ النكالَ والبرحاء،
 ذكرُ «عجلان» والذي خلف «عجلان» رعودُ ترعزع البيدا،
 وهي أخرى بأن تُرَوِّعَ فلاحاً ضعيفاً، وتُذهَلَ الفقراء،
 طالما انهالتِ السياط عليهم قاتماتٍ فأصدِرت حنأ،
 تتلوى أذناها كالأفاعي وتُخذُّ الجلود والأعضاء،
 وارداتٍ عُجفَ الظهور عطاشاً صادراتٍ من الدماء روا.

...

فُتِحَ البابُ والرجاء لو فِدِ لا اتجاراً بغي ولا إثرا،
 كاذَ ذاك الفلاح يصرخ ذعراً وعلى الليل ينشر الضوضاء،
 أخذته كَفُ الأمير بإنذارٍ، فعادت لُهاته شلاء،
 - ٤٨ - كاد لولا التأمينُ يفقد وعياً حسبه الآن، يفقد الأيما،
 وأطلت حريمه، وأطلَّ الليثُ، لا تاجرًا ولا زناً.

رَاعَيْنِ الْأَصِيلَ شَبْلُ سَعُودٍ وَلَقَدْ كُنَّ لِلسَّعُودِ إِمَاءَ
 عَمَّنَا صَاحَتِ النِّسَاءُ، وَمَا يَدْرِينِ هَلْكَأَ أَصْبَنُهُ أَمْ نَجَاءُ
 قَالَ: لَا خَوْفَ إِنْ لَزِمْتُنَّ صِمْتَا لَيْسَ غَيْرُ اللِّسَانِ يَرْدِي النِّسَاءُ
 حَجَزَ الْكَلَّ فِي مَكَانٍ حَرِيْرٍ مِثْلَهَا يَحْجِزُ الضَّنِينَ الشَّاءُ
 وَتَعَلَّى عَلَى الْجِدَارِ إِلَى بَيْتِ حَرِيْرٍ فَأَمَّهُ وَاسْتَضَاءَ
 وَلَجَّ الدَّارَ، كَالنَّمِيرِ إِذَا يَجْرِي بِحُذَعٍ، فَلَا يَضِيرُ اللَّحَاءُ
 فَرَأَى نَائِمِينَ تَحْتَ حَافٍ لَمْ يَكْدِرْ هَبُوطُهُ الْإِغْفَاءُ
 رَزَمَ النَّائِمِينَ رِزْمًا رَفِيقًا ثُمَّ أَرْخَى بَعْدَ الْقُفُولِ الْغَطَاءَ
 ٢٩٠ حَانَ أَنْ يَدْعُوَ الثَّلَاثِينَ، خَلْفَ السُّورِ، ذَابُوا تَطْلُعًا وَالتَّظَاءَ
 الْهَنِيهَاتِ عِنْدَهُمْ، بَعْضُ أَجْيَالٍ، وَرَتَلُ مِنْ الْقُرُونِ تَرَاءِي
 إِنَّمَا الْوَقْتُ، لِلْمُعَذِّبِ، غَيْرُ الْوَقْتِ يَمِضِي مَبَاهِجًا وَصَفَاءَ
 هُوَ صِنُو الضَّمِيرِ طَوْلًا وَقَصْرًا وَابْتِهَاجًا، أَوْ سَحْنَةً دَكْنًا
 ٢٩١ جَاءَ يَدْعُوهُمْ الرُّسُولُ فَخَفُوا هَبَطُوا الدَّارَ وَاسْتَبَاحُوا الْفَنَاءَ

...

١ في نجد والحجاز بنادي الحادى سيده عمى . ٢ قال عبد العزيز للنسوة : لا بأس عليكم اذا
 سكتن . قال هذا وقد أدخلهن الى غرفة وأقفل عليهن الباب . ٣ الشاء : مفردا الشاة . تسلق الامير
 الجدار الى البيت الآخر عند الحصن فاذا فيه شخصان نائمان على فراش واحد فلفها بالفراش وحملها الى غرفة
 صغيرة فأودعها هناك وأقفل الباب . عندئذ اطمأن بالله فأرسل يطلب أخاه محمداً والباقيين فجاءوا دون ان يشعر
 بهم أحد واجتمعوا كلهم في ذلك المكان . وكان البيت الآخر الى جانب حصن الامير عجلان وفيه احدى
 نسائه . وهو يزورها نارة في الليل وطوراً في النهار . مشى عبد العزيز وعشرة من رجاله الى ذلك البيت
 فدخلوه وطاقوا بغرفته فوجدوا في إحداها اثنين نائمين على فراش واحد ظنهما الامير عبد العزيز عجلان
 وامراته . ودخل منسللاً ومعه رجل يحمل سراجاً وأيقظ الشخصين فاذا هما امرأة عجلان واختها واستوتا
 جالستين دون ان يعرفوا شي من الخوف . (ت . ن .)

لم يزل بينهم وبين رتاج الحصن بيتٌ حوى الجمالَ فضاءً
 زوجُ «عجلان» بثَّتِ الأنس فيه وجهها الطلق نورَ الأمساء
 زوجها كلما تصرَّم ليلٌ أو نهارٌ الى المليحة فاء
 دَمَقُوهُ كما تنزلَ طُلٌّ أو كما ينسخُ الضياءُ الأفياءُ
 وَجَدَ اثنين في فراشٍ، ترى «عجلان»؟ أغنى يقارن الحسناء
 لا! هما زوجُه وبنت أبيها فتجافى طرف الأمير حياءُ
 شيمة الأكرمين، ما عنتر العبيُّ أوفى عن حرمة إغضاء
 أيقظ المراتين إيقاظَ أمٍ جلَّ شهمٌ أن يفزع الضعفاء
 القوارير! بالقوارير رفقا هكذا الله عَلمَ الأنبياءُ
 واستوت بالفراش زوجُ أمير الحصن لا ندلة ولا فتخاءُ
 ولكانت معذورة لو عراها نافضٌ يأخذُ الفصونَ شتاءُ
 أو ذبولُ الأوراقِ في هيجِ كانونٍ، يهزُّ المطارفَ الصفراءُ
 منظر الدامقِ الرهيبِ قينٌ أن يُمِثِّيَ بعظمها البرداءُ
 مارداً لاح، والسراجُ يزيدُ الحجمَ قدراً فيكبرُ الأشياءُ
 لم يرُعها الوهمُ المحيَّمُ والليثُ المفاجي بليلةٍ ليلا
 أتراها شجاعةً أم تراها كالحباري غيبةً بلها
 إنها الحرَّةُ اللبيلةُ رأتْ خلفَ هذا الطود المنيفِ إباءُ

١ دَمَقَ البيت : دخله بغير إذن . ٢ إشارة الى قول عنتره :

وأغضَّ طرفي ما بدَّت لي جارتِي حتى يوارِي جارتِي مأواها

٣ إشارة الى حديث مسند : رفقا بالقوارير . ٤ فتح : استرخت مفاصله وضعف ولان .

٥ البرداء : الحمى التي تصحبها قشعريرة البرد .

ترهب النعجة الذئب وهذا أسد يملأ المكان رؤا،
 ترهب الغادرين محصنة فضلى، ولكن تعظم الأقوياء،
 قرأت، في الجبين والمعطس الأقفى، سمات تعرف الكبراء،
 لم يدنس هذا الغريب صغار لم يقارف هذا الجبين ريا،
 جل عن وصمة المحبون، فلم يصرع بخمر، أو يصحب الخلاء.

...

لمحت خلف عتمة اللحظ نفساً شبه مثالوجة الربى بيضا،
 ليس مثل النساء حدساً وإدراكاً، لا يقصد الذكور خفاء،
 تدرك الخاطر المريب، ويستخفي على أرهف الرجال ذكاً،
 تحس الحب والحفيظة أدناهن علماً، أشدُهن غباء،
 أودع الله قلب حواء حساً قد يضاهي في عمقه الأبحاء،
 أنت عبد العزيز: قالت يقيناً فأعزت بذكره الأسماء،
 «أنا عبد العزيز». قالت: «فا تبغي؟» وأرخت جفونها استحياء،
 قال: «أبغي عجلان. قولي متى يأتي من الحصن» كي يزور الحباء.

١ الحدس: الوجدان الذي يقابله في اللغة الفرنسية لفظة (Intuition). ٢ عرفت زوجة عجلان الرجل فيادرتة بالقول: انت عبد العزيز فأجابها نعم. فقالت من تبغي. فقال أبغي زوجك فقالت وهي تقسم بالله اني أحب ان تقتل كل من في البلد من شئور إلا زوجي. ولكنني أخشى عليك منهم أخشى ان يقتلوك يا عبد العزيز. فقال الأمير، ما سألتك عن هذا الامر انما تريد أن تعرف متى يخرج عجلان من الحصن الداخلي. فأجابت لا يخرج إلا بعد طلوع الشمس ساعة. قال هذا كل ما تبغيه منكن ولا بأس عليكم. ثم ساق النساء جميعاً وجلسن في غرفة واحدة. واجتمع الرجال كلهم في بيت عجلان.

أشفقت مهجة الوفية أن تمنى بما يُفقد الحصان العزاء^١
إنما الزوج هامة المرأة الفضلى، فإمّا قضى غدت بترأ

...

وأحسّت بمثل مبضع جراح، يحزُّ الأوصال والأحشاء
غَيْضَ الزعفران نضرة خديها، وغضُّ الشفيرة^٢ اللمياء
قالت «اذبح ولا تدع شمرياً غيره في الرياض يلقى الضياء»
«بيد أني أخشى عليك الدواهي» قسماً بالذي أنار السماء
وحرام على الشجاعة أن تعمى فتودي فتوحش الأحياء
جمعت في مقالها رقة الراجي، ونصح التصوح والإغراء
شاع في صوتها خشوع مريض راکعاً يسأل السماء الشفاء
«ما لنصح جئت الرياض وجاوزت الفيافي والنجد والأوداء»
«أصدقيني متى من الحصن يبدو» ودّعي للمغامير الآراء
شعرة لا تزل إلا بإذن الله، فالكون كله أن يشاء
«ساعة بعد طلعة الشمس» قالت يترك الحصن خلفه وذكا

...

عزّلت نسوة وأوصد باب^٣ وغدا البيت للرجال وقاء

١ الحصان : المرأة العفيفة . ٢ الشفيرة : تصغير شفة . واللمياء : السمراء .

أَكَلُوا أَكْلَةَ الْمُقَلِّ وَنَامُوا نَوْمَةَ الْفُلْكِ صَارِعَ الْأَنْوَاءِ
يَلْمِسُونَ السِّلَاحَ لِمَسِّ شَقِيقٍ خَبْرُوهُ فَلَمْ يَكْذِبْ إِخَاهُ
دَغَدَغَتْ سَبَّةٌ زَنَادًا فَبَيَّتَتْ فِي خَلَايَا فَوْلَاذِهَا الْأَحْمَاءِ
وَلَعَلَّ الْحَدِيدَ بَرْدَهُ اللَّيْلُ فَرَدَّتْ لِقَلْبِهِ الْأَدْفَاءُ
الرَّمَاةُ الْأَلَى إِذَا مَرَّ صَقْرٌ صَيَّرُوهُ فِي الْجَوِّ لَحْمًا شَوَاءً
قَلَمًا يَحْذَقُونَ كَتَبًا وَلَكِنْ بِرِصَاصٍ يَنْقُطُونَ الشَّاءَ
لَا يَغْضُونَ لِلرَّمَايَةِ طَرْفًا عَوَّدُوا النَّارَ أَنْ تَصِيبَ السَّوَاءَ
فَكَانَ الرِّصَاصُ أَصْبَحَ عَفْوًا حِينَ يَبْغُونَ يَقْصِدُ الْأَعْدَاءُ
فَإِذَا سَدَّوْا السِّلَاحَ لِحَصْمٍ فَهُوَ أَمْرٌ لِمَوْتٍ يَمْشِي اسْتَوَاءً
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ سُورَةَ يَسٍ وَصَبُّوا عَلَى الْجُسُومِ الْوَضَاءُ
فَإِذَا يَلْتَقُونَ فِي الْغَدِ رَبًّا قَطَّهَارِي وَخُلَصَاءُ أَنْقِيَاءُ

. . .

١ بعد حبس النساء في غرفة واحدة، اجتمع رجال الأمير عند الساعة الثامنة عريية « الثانية بعد نصف الليل » في بيت عجلان . فاستراحوا وأكلوا التمر وشربوا القهوة وناموا قليلاً . ثم شرعوا عند انبثاق الفجر يدبرون طريقة للهجوم على الحصن الداخلي . وبعد قليل فتح ذاك الحصن فأخرج بعض العبيد الخيل إلى الشمس . فلما رأى عبد العزيز البوابة مفتوحة خرج عادياً فتبعه من رجاله خمسة عشر فقط . واتفق أن عجلان كان قد خرج من الحصن عند هجومه عليه وهو قادم إلى بيته . فلما رآهم عراه الدهش والرعب فكس ورجاله على أعقابهم وهم يبعون الرجوع . ولكن البوابة إلا الخوخة « الباب الصغير فيها » كانت قد أقفلت وبينما كان ورجاله يدخلون من ذاك البويع، أطلق عبد العزيز البندقية عليه فأصابه ولم يقتله . ثم أدركه وقد صار نصفه داخل البوابة فأمسكه برجله وسحبته إلى الخارج فتصارع الاثنان حيناً . (ت . ن .)

٢ السبّة : هي الإصبع التي بين الإبهام والوسطى وزناد البندقية أو المسدس مفردتها زناد هي الحديدية التي يضبط عليها بالسبابة ، في اصطلاح المحدثين . ٣ من الرماة من يستطيع كتابة اسمه بالرصاص ويروى أن السلطان عبد الحميد كان لكثرة تمرسه بالمسدس يستطيع ذلك . ٤ سواء الشيء منتصفه . ٥ الوضاء : مفردتها الوضوء .

٢٥ - طلع الفجر مبطناً يتهادى كعروسٍ تحصى الخطى إحصاءً
 قصرَ الخطو هيبه الليلة الأولى، وما يعقب الهوى واللقاء
 فهي في مُستهلِّ يومٍ تَمَنَّتْهُ، وظَلَّتْ من أجله عذراء
 وَتَمَنَّتْ على الجمال يؤاتيها، وَمَدَّتْ حبالها إغواء
 واستعارت من المفاقر ما من أجله يكره الكفيف العما
 نذرت للجمال صوماً، وحرماناً مديداً يعيدها هيفاً
 عرسها كان حالمها، منذ هاج السحر قلباً ومقلةً دعجاء
 مثلها الفجر في «الرياض»، بذاك اليوم، أبدى تدللاً وانثناً

....

وَأَشَمَّتْ شمسٌ، وَشَعَّ رِيَّاجُ الحصن أبهى من وهجها وضاً
 فَتَحَ الموت والحياة لمن يهوى، وَلَزَّ الغططمُ الرمضاء
 ٢٦ - ما وَثُبُ الرُّبَالِ من قفصِ ضنكٍ إلى ظِلِّ مرجة فيحاء
 سَرَحَتْ في ربيعها النعمُ الحمرُ، وقد سأل ريقه إطواء
 مثلَ عبد العزيز كَرَّ على الحصن، ولا مثل عدوه عداً
 وتلاه الرجالُ، خمسة عشر للمنايا يُسابقون اللوا
 هالَ «عجلان» مقبلاً، يعرض الخيل، أسودُ الشرى تهب افتجاءً
 فانشئ راجعاً وأقفل بابُ الحصن، إلا عن «خوخة» فجواً

١ الغططم: البحر. لز: لاصق. ٢ عداً: مشاء. ٣ فجاء افتجاء الرجل: هجم عليه أو طرقه بغتة.

قبلما جازها أتاه رصاص^١ من يد تغلبية^٢ أدما^٣
 تسكب الجود في القتال رصاصاً وهي في السلم تسكب الأنداء^٤
 لم يضره جرح^٥ الأمير، فند^٦ الصيد، وأنهالت الكوى حمراء^٧
 رسائل^٨ على المهاجم وبلاً قبل شي^٩ الصدور يشوي الجواء^{١٠}
 يأخذ^{١١} الحاسرين أخذ^{١٢} ضرام^{١٣} يستبيح^{١٤} السنايل^{١٥} الحصداء^{١٦}
 يستر^{١٧} الدافعين جدران^{١٨} حصن^{١٩} وبروج^{٢٠} تحملت^{٢١} شماً^{٢٢}
 ودروع^{٢٣} المغارين صدور^{٢٤} نصفها كان عورة^{٢٥} أو عراء^{٢٦}
 هي لولا حمة^{٢٧} وازدراء^{٢٨} بالعوادي كانت قفاراً خلا^{٢٩}
 لا دروع^{٣٠} سوى نفوس^{٣١} كبار^{٣٢} لبست^{٣٣} برودة^{٣٤} المنون كساء^{٣٥}
 وإذا المجد رام^{٣٦} عرساً فريداً^{٣٧} فمن الأسد^{٣٨} ينخب^{٣٩} الشهداء^{٤٠}
 رقصة^{٤١} لحنها البنادق^{٤٢} أزت^{٤٣} فترات^{٤٤} معازفاً^{٤٥} وغناء^{٤٦}
 يسمع^{٤٧} الفيل^{٤٨} قصفة^{٤٩} النار نعيأ^{٥٠} ويراهها^{٥١} الليث^{٥٢} الهمام^{٥٣} حداً^{٥٤}
 ينتشي^{٥٥} من دويها^{٥٦} كانتشاء^{٥٧} الشب^{٥٨} في العرس^{٥٩} عاقر^{٦٠} الصهباء^{٦١}
 يستبيه^{٦٢} الهوى فيسقي^{٦٣} ويسقي^{٦٤} أرجوانية^{٦٥} ويحسو^{٦٦} الدماء^{٦٧}
 لا انتصار^{٦٨} ما لم يجاوره^{٦٩} موت^{٧٠} ونجيع^{٧١} يخضب^{٧٢} الحصباء^{٧٣}
 أنا الأجر^{٧٤} للشقة^{٧٥} والأخطار^{٧٦} كانت للغلب^{٧٧} استهوا^{٧٨}
 يستمدون^{٧٩} للجسوم^{٨٠} ارتياضاً^{٨١} وصقلاً^{٨٢} وللقلوب^{٨٣} غذا^{٨٤}
 النفوس^{٨٥} العلى^{٨٦} بدون^{٨٧} صراع^{٨٨} تجد^{٨٩} العيش^{٩٠} رحلة^{٩١} قفراء^{٩٢}

١ الكوى الحمراء: هي المنافذ التي تفتح في الحصون لتصوب منها البنادق. ٢ العورة: هي موضع
 الخلل يخشى أن يصاب. ٣ المعازف: آلات الطرب. ٤ الفيل: الجبان.

شبه قلب الحسناء، مرّ بلا حُبٍّ، فجاز الحياة أرضاً عفاً
 وُلِدَ الليث للعراك، فإن يهجع أحسن البلى، أحسن الخواء
 ويساوي الموت البطي، على ذلٍّ، حياة خلية جوفاء

...

٤٩ - صمد الأربعون صمد جدارٍ حَلَّتِ الرياحُ بعضه أجزاءً
 ستة في الصعيد قتلى وجرحى وسواهم تمايلوا إعياء
 تعب اليم بعد ما لاطم الصلدة، وحنّت حمر الصخور الماء
 شخّصت عصابة الأمير إليه أوداعاً رامت أم استفتاء
 أم يلوذون بالموئل، بعد الله، يبغون في ذراه احتما
 وهو أدنى إلى الرزية منهم فلمنايا تستهدف الرؤسا
 فطرة في النفوس، يأخذها اليأس، فتأتي الموائل الزعما
 وحده يحسب الزعيم خميساً وجهه يكسب الشفار مضاً
 فكان الجنود أسلاك برقٍ يفعم الرأس متنها كهرباً
 إن للحرب مثلاً لسواها عند أبواب فنّها كيميا

١ انهالت التيران من كوى الأبراج المشرفة على السوق على رجال ابن سعود فجرح منهم أربعة وقتل
 اثنان . وقد تراجع الهاجون إلا عبد الله بن جلوي فكان أول من دخلوا الحصن . وراح يعدو خلف عجلان
 الذي كان قد تغلّست من عبد العزيز فرماه بالرصاص فغرّ لوجهه قتيلاً . نادى عبد العزيز رجاله واستغفرهم
 فاقتفوا أثر عبد الله . هجموا على الحصن هجمة واحدة فصاحوا بمن فيه وقتلوا بهم، إلا عشرين رجلاً كانوا
 قد تحصنوا في جهة منه . ولكن عبد العزيز أتمهم على حياتهم فسلّعوا . وبعد سقوط الحصن في الخامس من
 شوال سنة ١٣١٩ الموافق ١٥ يناير سنة ١٩٠١ تم الاستيلاء على الرياض . (ت . ن .)
 ٢ أي جعلت الماء حمراء بلون الحناء والحناء هي الحضاب المعروف . ٣ الموائل : مفرد المائل وهو
 الملجأ .

إذ تُحِيلُ الجرح العميقَ وساماً وتحيل الموتَ الذريعَ افتداءً
 قُوَّةُ الروح تورث الجسمَ حيلاً بعد ما قالَ عزُّمُهُ استرخاءً
 ولقد تبدع الأعاجيبَ نفسُ جسمها عاد رمةً أو داءً
 - - - وأجلُّ القواد من حَذَقِ العدوى، فأعدى قلب الجبان ثراءً
 وأشاع الإخلاص في القول فصلاً، وفي الخلق نفسه السمحاء
 إيه عبدَ العزيز والوقت هولٌ ظفراً، أم هزيمةً شنعاء
 لن ترى مثلها هنيهاتٍ روعٍ لَمَلَمْتُ في غُضُونِهَا الآثاء
 شَخَصَ الدهر نحو عينيك فأزارُ وأثرُ من رمادها الهيجاء
 فلتكن مهجة الرجال وقوداً لا نجيعاً يولي الجمار انطفاءً
 ها هو المجد عند رجلك جاثٍ كاد يلوي جبينه أَسْتَجْداءً

...

زأَرَ الليثُ زارةً هَزَّتْ الحصنَ، وهاجَتُ رفاقه القدماء
 أدركوها، مقالة الموتِ فصحي بيانٍ رُوعِ الفصحاء
 لغة تفهم الليوثَ معانيها، ويُعيي بيانها القراء
 ٥١٠ فكانَ الأميرُ قال هلمُّوا وَلَنَمْتُ، عَصْبَةُ العلي، شرفاء
 قد نشرنا بُرْدَ الصُّبُوةِ حيناً فَلْيُكَفِّنْ شَبَابَنَا رفقاء
 شِيمَةُ الشمس أن تسيرَ إلى الغربِ، فما يعرف الضياءُ انكفاءً
 يعلمُ النورُ أَنَّهُ لزوالٍ ثم يفني سَنَاءَهُ إِذْراءُ

مَنْ يُصَبِّ مَدْبِرًا إِلَى النَّارِ أَهْوَى وَإِلَى «مَالِكٍ» بِذُلِّ بَاءٍ^١
 مُضْمَرِ الشَّمِّ وَالْهَجَاءِ، عَلَى الدَّهْرِ، إِذَا شَاعِرٌ أَرَادَ هَجَاءَ
 إِنْ نَمَتْ مُقْبِلِينَ نَظِيرُ بَنِيرَانِ تَشَقُّ الضَّلُوعِ وَالْأَصْلَاءِ^٢
 مِثْلَهَا الرُّنْدُ، إِنْ يُقْصَى، يَفْخُ طَيْبًا زَكِيًّا يُعْطَرُ الْأَرْجَاءِ
 دَمْنَا السَّمْحَ يَسْتَفِيزُ أَرْجَاءَ وَالِى الْعَرْشِ يَرْفَعُ الْأَشْدَاءَ

....

وَمَشَى . وَالرَّجَالُ خَفَّتْ إِلَى الْحَصْنِ وَقَدْ زَادَهَا الدَّوِيُّ انْتِشَاءً
 ٥ < دُونَكَ اللَّيْثُ هِمَّةٌ يَا ابْنَ «جَلَوِي» وَلَكَ اللَّهُ طَائِرًا مَشَاءً
 زَلْزَلَ الْحَصْنَ حِينَ أَرْدَيْتَ «عَجْلَانَ» وَرَدَّتْ سَقُوفُهُ الْأَصْدَاءَ
 مِنْ سَعُودِ دَمٍ بِصَدْرِكَ يَغْلِي حَسْبَكَ الْخُلْدُ رَتْبَةً وَانْتِاءً
 يَا لَكُمْ عَصَبَةً الْأَمِيرِ صَنَادِيدَ صَحَابًا يَقْدَسُونَ الْوَفَاءَ
 إِذْ تَكْرُونَ لِلرَّصَاصِ رَمَايَا وَعَلَى النَّارِ تَرْتَمُونَ أَرْقَاءَ
 لَمْ تَكُنْ غَيْرَ سَاعَةٍ وَفَتَحْتُمْ مَعْقَلًا كَانَ يَحْضُنُ الْكُبْرِيَاءَ
 يَتَحَدَّى حَمَاتِهِ الْفِيلَقَ الْمَجْرَ وَرَيْبَ الزَّمَانِ وَالْأَنْوَاءَ
 فَصَدَمْتُمْ تِلْكَ الْبُرُوجَ حُفَاةً وَكَسَرْتُمْ فِي عَزَاهَا الْخِيَلَاءَ
 وَتَرَدَّى حَمَاتُهَا فَاسْتَجَارُوا فَأَجْرْتُمْ بَقِيَّةً أَسْرَاءَ
 قِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ وَنُودِي وَالْمَلَاوَاتِ أَرْهَفْتَ إِصْفَاءً^٣

١ مَالِكٌ : خَازِنُ النَّارِ . ٢ الْأَصْلَاءُ مَفْرَدُهَا الصَّلَا وَهُوَ وَسْطُ الظَّهْرِ . ٣ الْمَلَاوَاتُ : مَفْرَدُهَا
 مَلَاوَةٌ وَهِيَ الْبَرْهَةُ مِنَ الدَّهْرِ .

٥٤- حين نودي: الله أكبر، إن الله ولي «رياضه» الأمراء،
 عادَ عرشُ الأجداد لابن سعودٍ فهنا أهل الرياض هنا،
 فأجابوا آمين، والنخلُ حيَّاهُ، ودَلَّى الذوائبُ الخضراءُ،
 قد أظلل الصبي طفلاً لعباً فليسلم على الأمير انحناءُ
 غرسُ أجداده، رفيقُ مآتيهم سخاءُ ونضرةٌ واعتلاءُ
 مدَّ يا نخلُ في الصعيد جذوراً فِرَحَاتٍ ورَقَصَ الغبراءُ
 مدَّ هذي الجذور شرقاً شمالاً وتحيلُ وظللُ «الدهناء»
 طُلَّها بالندي فعماً قليل سترشُ «القصيم» والأحساءُ
 أيها النخلُ عيدك اليوم فأنشرْ أريجَ العيد وانفحِ الأجواءُ
 ولَدَ اليوم للأمير غلامٌ فعلى الطير قَطِرَ الحلواءُ
 ٥٥- إن هذي العنادلَ اللسنَ وافَتْ من «كويت» سواجعاً بُشراءُ
 بسعودٍ تبشُرُ الأفقَ الزاهي، وتروي القصيدة العصماءُ
 إن يفتها من القصيد القوافي فلقد بذَّ جرسها الشعراءُ
 خالفتهم على سرورٍ وبَثَّ خالفتهم عبارةٌ وأداءُ
 هم رواةُ الوحي البديع كلاماً وهي ترويه رقصاً وغناءُ
 فكان «الرياض» في عريِ كانون تجلَّتْ حديقةُ غيناءُ
 وكان السواجعُ اللسنَ مَسَّتْ كلَّ قلبٍ بنغمةِ عذراءُ
 قرأت في جبينه السعد وضاحاً، فخفَّتْ تهنئي السعداءُ

١ وافق احتلال الرياض مولد صاحب الجلالة الملك سعود بن عبد العزيز في الكويت . ٢ وقع
 الاحتلال في ١٥ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ .

إيه عبد الرحمن هذا حفيدُ كأييه، فاهناً بنجم أضأ
بدلَ الله غمرة البؤس فانعمْ موكبُ الحظّ مع سعودِ جا
عماتُ الليل الضرير تولّتْ واستحالت أسدافها أضوا
حان أن تترك «الكويت» الى العزّ، فقصر الرياض ملّ الجفاء

...

وأثأها ابنُ فيصل بعد عشرِ غربةٍ أسبغت عليه الشقاء
فقضاها عشراً وبعض شهور عيشة علقمية عجفاء
طوّحتك الهوجُ الرياحُ شراعاً فعدّ اليوم وادخل الميناء
أدخل اليوم بابَ مجدك وازلْ جوسقاً ضمّ أهلك النبلاء
ذلك البابُ رحّت منه طريداً تتهاوى بليلة دهما
لم تُصب من ثرائك الضخم إلا بعض زادٍ وناقّة جرباء
وتلفّت للوفاء فلم تلقَ على كثرة الورى، أوفياء
قصرٌ حولك العيالُ، وفي الرّحل غلامٌ يكاد يقضي عيا
إنّ ذاك الصبي ردّ لك الملك، فعجلْ وعانقِ الجوزاء
تخطر الأرض خلف موكبك الفخم كبغدان تلتقي الخلفاء
بابنك البدرِ صفحة العرب شعت وتعال سطورها خيلاء
من «أخيل» حياله، من «أذيس»؟ ما الأساطير غير وهم تناءى

١ ففى الأمير عبد الرحمن حوالي احدى عشرة سنة منفياً عن عرش آبائه واجداده وقد عان من المشقات في خلالها ما عرفه الفارى في الفصول السابقة . ٢ أخيل : أعظم أبطال الإلياذة وأذيس او ابليس بطل اشتهر بالنعاء وعليه ادار هوميروس ملحمة الأوديسه .

زَخَرَقَتْهُ يَدُ الْخِيَالِ وَرَقَّتْهُ، فَجَازَ الْحَقِيقَةَ اسْتِعْلَاءً،
وَعَجِيبٌ أَنْ يَشْغَلَ الْكَوْنُ وَهُمْ هَلْ وَحِيًّا بِمَقْلَةٍ عَمِيَاءُ^١
أَبْلَغَتْهُ السَّمَاءُ رِيْشَةً مَكْفُوفٍ عَدِيمٍ فَصَغَّرَ الْبَصْرَاءُ^٢
فَأَدَارَ الْحُرُوبَ مِنْ حَوْلِ أَنْثَى لَوَّثَتْ صَفْحَةَ «الْأَتِيكَ» بَغَاءُ^٣
الْأَسَاطِيرِ دُونَ نَجْلِكَ بُعْدًا وَعُلُوءًا وَرُوعَةً وَامْتِلَاءً^٤
هُوَ يَمُّ رَحْبُ الشُّطُوطِ عَمِيقٌ هُنَّ مِنْ قَطْرَةٍ مِلْآنَ الْإِنَاءِ^٥

...

٥٧. يَا لَهَا سَاعَةَ اللَّقَاءِ هَنِيْهَاتٍ تَحُولُ الْأَفْرَاحُ فِيهَا بُكَاءُ
إِذْ تَضُمُّ الْأَبُوَّةُ الطَّلَقَةَ السَّمْحَاءُ نَجْلًا يُشْرِفُ الْأَبْنَاءُ
أَدْمَعٌ أَوْجَزَتْ مَشِيْبًا رَحِيمًا وَشَبَابًا بَرًّا وَبِحْدَا فَا
قَالَ: أَنْتَ الْأَمِيرُ، وَابْنُكَ جَنْدِيٌّ، فَمُرْنِي أَطْعَمْ كَفَى أَنْ تَشَاءُ
لَا! أَجَابَ الْأَبُ الرَّحِيمُ وَحَسْبِي أَنْ أَرَى فَوْزَكَ الْعَظِيمَ جَزَاءً^٦
قَدْ نَسِينَا الْأَمْسَ الْمُثْقَلَ هَمًّا وَغَفَرْنَا ذُنُوبَ دَهْرِ أَسَاءَ^٧

١ المقلة العمياء : إشارة الى هوميروس، وكان أعمى . ٢ الأنثى هيلانة التي تركت زوجها والتحققت بعشيقها باري ابن ملك طروادة . والأتيك : منطقة في بلاد اليونان أطلق اسمها على بلاد اليونان كلها .
٣ خرج الأمير عبد العزيز ورجاله فساروا مسافة ثلاثة أيام ليستقبلوا الإمام الذي عاد الى الرياض عودة الظافر . ثم حدث خلاف بين الأب والابن نادر المثال . فقد أرسل عبد العزيز من القصر الى الوالد في بيته يقول : الإمارة لكم وأنا جندي في خدمتكم فجمع الوالد العلماء وأعلمهم بالأمر، ثم أرسل الى ابنه يقول : إذا كان قصدك في استدعائي الى الرياض ان أتولى الإمارة فهذا غير ممكن، ولا اقبله مطلقاً، ولا أقيم في المدينة إذا ألححت به، تدخل العلماء في الأمر فقالوا لعبد العزيز على الابن ان يطيع أباه، وقالوا لعبد الرحمن أنت كوالد عبد العزيز رئيس عليه وبالتالي على أهل نجد . فقال عبد الرحمن : ولكن الإمارة له . فقال عبد العزيز : اني قابليها بشرط أن يكون والدي مشرفاً على أعمالنا دائماً فيرشدني الى ما فيه خير البلاد، ويردعني عما يراه مضرّاً في مصالحها . وكذلك تمت البيعة لعبد العزيز . (ت . ن .)

بَلَّغَا فِي الْعُلُوفِ مَا يُحْسِرُ الطَّرْفَ ، وَيُوْهِى الْبَصَارَ الرَّمْدَا ،
 أَدْرَكَ النُّجْلُ ، أَنْ بَعْدَ سَمَاءِ اللَّهِ ، لِلْوَالِدِ الْجَلِيلِ سَمَاءُ
 أَنَّهُ فَرَعَهُ فَمَهَا تَسَامَى فِإِلَى أَصْلِهِ يَعُودُ انْتِهَاءُ
 أَنْ مَجْدَ الْأَبْنَاءِ مَجْدٌ مَشُوبٌ حِينَ يُقْصَى بِهَاوُهُ الْآبَاءُ
 ٥٨. لَيْسَ أَسْمَى مِنَ الْبُنُوءِ إِذْ تَبَغَى ، بِحَنْبِ الْأَبِ الشَّفِيقِ إِمْحَا
 يَا لَهَا مِنْ وَدَاعَةٍ بَذَّتِ الْبَدْرَيْنِ شَاوَأُ ، وَالْقَبَّةَ الزَّرْقَا
 كَانَ يَدْرِي فَضْلَ الْأَيْبِنِ أَبُو «تَرْكِي» ، وَبَرَّ الْأَبْنَاءَ وَالْإِيْفَا
 يَدْرِكُ الْمَرْءَ غَيْرَهُ حِينَ يَخْلُو بِحِجَاهُ تَأْمَلًا وَانْطَوَا
 يَقْرَأُ الْكَوْنَ وَاضِحًا فِي مَرَايَاهُ ، فَطُوبَى لِمَنْ أَجَادَ الْجَلَا
 فَفَنَى عَنْ صَقَالِهَا كُلَّ عَيْبٍ وَأَزَالَ الشَّوَابَّ الْكَدْرَا

...

وَرَأَى الْوَالِدُ الْأَمِيرُ سُوءَ النُّجْلِ فَازْدَادَ فِي الْخَنَانِ غَلَا ،
 كَيْفَ يَرْضَى إِمَارَةً شَادَهَا الشُّبْلُ ، وَلَاقَى مِنْ أَجْلِهَا الْأَوَا
 سَلَهَا مِنْ مَخَالِبِ اللَّيْثِ أَشْلَا ، فَسَوَّى دَعَامَهَا وَالْبِنَا
 مِثْلَ هَذَا النُّجْلِ الْفَرِيدِ قَيْنٌ أَنْ يُؤَلَّى النُّجُودَ وَالْبَطْحَا
 ٥٩. وَيُؤَلَّى جَزِيرَةَ الْعُرْبِ ، مِنْ بِيْدَاءِ سَيْنَا إِلَى ذُرَى صَنْعَا
 وَمِنْ الْخَيْرِ أَنْ يُحْجَبَ بَدْرٌ حِينَ الشَّمْسُ تَعْتَلِي شَقْرَا

١ الأيبن : مفردعا أب، والمقصود ان الابن يدرك على الاخص منزلة أبيه عندما يتزوج ويصبح أباً .
 وتركى هو بكر الامير عبد العزيز وقد توفي رحمه الله . ٢ غلا : غلوا .

غُبْطَةُ الْوَالِدِ الْكَرِيمِ بَنُوهُ إِنْ يَكُونُوا لَذَكَرَهُ أَكْفَاءُ
يَتَوَارَى لِيُظْهِرُوا، وَيَجِبُ الْعَيْشُ، مِنْ أَجْلِ مَنْ يَجِبُ، اخْتِفَاءُ
مِثْلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَيْفٌ رَهِيْفٌ كَيْفَ يَلْقَى عَلَى سَنَاهِ الْغِشَاءِ

...

وَأَتَى بِحَسْمِ الْجِدَالِ شِيُوخٌ حَذَقُوا فِي الْمَجَالِسِ الْإِفْتَاءُ
حَمَلُوهُ إِلَى الْإِمَارَةِ حَمَلًا فَأَهْلَتْ زُهْرُ النُّجُومِ اخْتِفَاءُ
عَاشَ عَبْدُ الْعَزِيزِ! فَانْطَلَقَ الْبَشَرُ وَأَدَّى الْمُؤَذِّنُ الْأَنْبَاءُ
فَرِحَ الشَّيْخُ فِي «الْكُوَيْتِ» وَأَبْدَى لِلْمَجْلِيِّ فَوْقَ الْوَلَاءِ وَلَا
ذَكَرَ الزَّادَ وَالنِّيَاقَ، كَانَ النَّوْقَ أَتَلَّتْ فَأَحْسَنْتَ إِبْلَاءُ
حَسَبَ الْعَيْرِ وَحَدَّهَا رَأْسُ مَالٍ وَانْتَصَارَ الْمَغَامِرِينَ رَبَّاءُ
حُبُّ عَثَانَ نِكَأَةُ لَعْلِيٍّ رَبُّ حُبِّ تَقْمَصَ الْبَغْضَاءُ
آيَةُ الشَّيْخِ أَنَّهُ فِي التَّلَوِيِّ وَالتَّثْنِيِّ يَسَاقُ الْحَرْبَاءُ

...

وَإِذَا النَّاسُ فِي «الرِّيَاضِ» تَشَاوَى بَعْدَ جَوْرِ تَنْفَسُوا الصَّعْدَاءُ
عَادَ بَهْجُ الرَّبِيعِ بَعْدَ غُبُوسِ وَانْبَرَى الزَّهْرُ يَنْسُخُ الْإِشْتَاءُ
كُلُّ مَا فِي الرِّيَاضِ، فِي عَيْدِهَا الْأَسْنَى، تَبَدَّى سُرُورُهُ فَأَضَاءُ

٦- انْخَرَجَ وَالْقَصِيمَ

لم يبدل زهو الرشيد انكسارُ ودوي تداوَلته القفارُ
 لم يكن قلبه كبيراً ولكن مده في عتوه استكبارُ
 وكم العجبُ أنبت الريش للناس، فباروا ذات أجناح وطاروا
 رفعتهم هوج الرياح، الى الجوّ، فتأهوا وزاغت الأبصار
 ٦١. ذروة المجد قمة تنبت العزة فيها، وتنبت الأخطار
 يعتريها، بعد الغرور، ضباب الوهم حتى لا يصدق المنظر
 كم عقاب معطل الحيل أهوى وعظيم أقى عليه الدوار
 ملاً الزهو كله فسواه، عدم، في اغتراره، أو غبار
 من يحس الكمال والمُل، ينف الله، ما بعد للإله افتقار
 كل عصر يُبلى بنمروده الطاغى، وما غير ربك الجبار

يَهْتَ يا ابن الرشيد إذ قلت: هذي أرنبٌ أُجَرتُ فأين الفرارُ
أزديراً بفتح؟ فجأ الحصنُ، فريعت لبطشه الأحجار
أرنبٌ قلت! وهو فوق العفري ذلك الفارس الفتى الزأرُ
لتروعنك النيوبُ حداداً ولتفري دروعك الأظفار
٦٤ إنما الكبرياء نشوة مغرور، فسكر، فزلة فأنحدار
فعليها، في النفوس، أشأم من بحران حُمى، أو ما يثير الخمارُ

...

لم يا ابن الرشيد أُجَمتَ عن جحر؟ وما راع مثلك الأحجار
كنت بالأمس تقنص الأسدَ مقداماً، وتغنو لذكرك الأخذار
فلماذا تستجد الترك حتى يُدرك الثأر، أو يُزاح العار
«يلدز» ودَّ لو اتيت «كويتاً» فهناك المرام والاثارُ
همُّه الشغُرُ «فالصباحي»، حول اللؤلؤ الرطب، لولبُ دوَّار
يا لسعدِ «المبارك» النعت يحميه، من البر، خصمك القهار
ومن البحر «لندن» ولديها المال، والمكر، والحجى، والبُخار

١ سمع ابن الرشيد خبر احتلال الرياض غير مكثرت به وضرب له الأمثال فقال: «أرنية عجرة وأهلها مقيمون» أي أنه يستطيع أي يوم شاء أن يخرج ابن سعود من الرياض. لذلك لم يترشح من الحفر فأقام هناك أربعة أشهر يفاوض الترك في بغداد وهو يعمل النفس باحتلال الكويت. (ت. ن.)
٢ العفري: الأسد. ٣ الخمار: الصداق من الخمر. ٤ الشيخ مبارك والى الإنكليز فسادوه على حماية بلاده، فاستحق نقمة الدولة العثمانية، ولكن تركيا كانت عاجزة عن إظهار تلك النقمة في مظهر من القوة يليق بعظمتها. فاكثفت بموالاة ابن الرشيد ومفاوضته في محاربة مبارك. الشيخ مبارك المسعد! جاء الإنكليز من البحر وابن سعود من البر. (ت. ن.)

خصمك الليثُ غادرَ الحدرَ للفتح، فلا أرنبٌ ولا أوجار
٦٢. الصناديدُ، نجبة «العارض» الفرد، على «الخروج» و«الحريق» أغاروا
فاستردوا «الأفلاج»، وانحازَ للبندِ المرجى الدوايسرُ الأتارُ
وأذلوا «قحطان» بعد قتالٍ أوفرٍ الحظ فيه كان الأسار

...

يئسَ ابنُ الرشيد من غوث تركيّا، وهالته أرنبٌ محضارٌ
أو هذي أرنبٌ أم ظبا، أم خيولٌ سلاهبٌ أم عشارٌ
لا يصير الشهمُ العظيمُ صغيراً إن يجهُ من خصمه استصغار
تحقق النارُ كلَّ دوحٍ مریدٍ وهي في أول الضرام شرار

...

«حابل»! أين «حابل» و«سدير» و«قصيم» و«شمّر» والديار
عاد مُستنقراً يعبى جيشاً لم يصدِ الخصم الكبير احتقار
فأنته الأعوان كالمطر الهامي، فأمسى وجيشه جرّار

١ مشى عبد العزيز إلى غرضه فاستولى على الخروج والحوطة والحريق والأفلاج والدوايسر. ثم أغار على قحطان في حلبان فأخذه. ولكنه مرض وهو على ماء الحسى شمال الرياض. ثم خرج أخوه محمد غازياً لفتح من عتية يرأسهم ابن ربيعان وهم في مكان قرب الشعري. أما ابن الرشيد فلما يئس من مفاوضات الترك ويان له من أمر «الأرنب المجرة» ما لم يكن ليخطر في باله أمر بشد الرجال عائداً إلى حابل فعبأ جيشاً جديداً من شمّر والقصيم وسدير والوشم وزحف به في ربيع الأول من عام ١٣٢٠ هـ ١٩٠٢ م. فأصدأ الرياض.

(ت. ن.)

٢ محضار: مسرعة في عدوها. ٣ العشار: مفردعا العشاء وهي الناقة التي مرتّ حملها عشرة أشهر أو ثمانية والمقصود بهذا البيت تعاطف الحُجَم من الأرنب إلى العشار.

٦٤. ومشي يقصد «الرياض» وكانت قلعة دون سورها أسوار
 المنايا في بُرجها تُحرمُ الجوّ، فما إنْ تمرُّ فيه النّسارُ
 حَدَبَاتُ السيوف حول ضواحيها، وتَيَّاهُ نخلها زُنَّار
 سطعت كالجمان في جلوة الشمس، وقد فَوَّفَ البريقَ اخضرار
 حلوة هذه العروس ولكن دونها السيف حارساً والنار
 ركبت همّةً ومالَ عنانُ فعلى طالب العروس انتظار
 فلعنُ الأتراك تصدق وعداً أو تَوَاقَى رياحه الأقدار
 وأطال المكوث في «المحمل» الداني، وفجأً ظلّ الجنى والثمار
 كلما ازداد للقطوف ارتقاباً أمنت في سُموقيها الأشجار
 فلْيُحاولْ حجب المؤونة عنها فتجفّ الرياض والأزهار
 ٦٥. قطعُ درب «الكويت» أو سُبُلِ «الأحساء»، فليهزم السعود الحصار

...

ودرى نيّة الرشيد أميرٍ ساهرٍ لا تُرِفُهُ السّمّار
 فرأى أن يعجلَ الحرب كيلا يفعل الجوعُ ما أבי البتّار
 إنْ شأنَ الرغيفِ، من بعد شأن الله، أولى ما تعلق الأفكار

١ تحرم الجوّ: نجعله حرماً. ٢ نزل ابن الرشيد في رغبة من بلدان العمل وقصد محاصرة الرياض ولكنه بعد محاولات عديدة عجز عن ذلك فأقام شهرين في رغبة واسبوعين في الحسي فلما بش من احتلالها رحل إلى الحفر ليحول دون تموين العدو من الكويت. (ت. ن.)
 ٣ لما علم الأمير أن ابن الرشيد ينوي مصادرة الأرزاق التي تنجي إلى نجد من الكويت والحسا تذاكر ووالده فعددت الثبة على حيلة تقربه منهم، فبتلاحون وإياه ويقضون عليه، أو في الأقل يحولون دون تنفيذ خطته. (ت. ن.)

أما القوتُ للجسومِ قوامُ فهو صنو الحياة، وهو المدار
في سبيل البقاء يستبسلُ الناسُ، ويُبغى العقارُ والدينارُ
الرغيفُ الرغيفُ! ينشده الجاني، وما إن تعافه الأبرارُ
كيف يسمو نحو الألوهة قلبُ خائرُ هذه الطوى والسُعار
حيثما تفرغ الجسومُ من القوتِ، فشيءٌ من الحجي ينهار
في سبيل الغذاء، جلجلت الأقلامُ، قدماً، وهبَّت الثوارُ

...

أفترضى عبدُ العزيز بعزل؟ ورحابٌ من حوله الأُمصار
يشرب الضيغمُ النجيعُ، إذا غارت مياهُ، وأجلدتْ أنهارُ
فليجرِ العدوُّ للحرب في «نعبان» فالصيدُ كله الصقَّارُ
وهناك الليثُ «السديري» حامي «دَلَم» «الخرج» حيدرُ هَصارُ
من «سدير» طابتْ خلافاً وخلقا فليعزَّ الأُخوالُ والأَصهارُ

...

١ أجلدت: أصابها الجليد. ٢ الصقَّار: هو الذي يدرب الصقر ويدبر الصيد. ٣ خرج
الأمير من الرياض ووجهته الجنوب. وأشاع أنه هارب من ابن رشيد، فأسرع خصمه ونزل على ماء بنيان،
على عشرين ميلاً من الرياض ثم جاءه الخبر اليقين أن الرياض محصنة وأن سيِّئه في الخرج. فراح يهاجم الدَلَمَ
عاصمة الخرج حيث لابن سعود سرية بقيادة أحمد السديري. فغضب إليه الأمير بألف وخمسة مئة مقاتل
اجتمعوا في ماوان وأسروا فوصلوا إلى الدَلَم قبل انبثاق الفجر. وكان ابن الرشيد قد نزل في نعبان على
مسير ساعتين من البلدة فلم يدر بدخول ابن سعود إليها، على أنه في عصر ذاك النهار أرسل سرية مستكشفة
فخرجت لها خيل ابن سعود فتهاجم الفريقان فالتهمزمت خيل ابن رشيد. (ت. ن.)
٤ السديريون: هم أنساب آل سعود عن طريق المصاهرة.

وتلاقى الخيلان، خيل السرايا أنبأ الفجر ما يكون النهار
أدبرت «شمر» وهم الأبطال في الروع، ما بهم خوار
وتلاها بين «العززين»، تحت النخل، حرب فلم يبل أوار
لم تفز «حابل» ولم تتخلف عن صراط المجد الأثيل زار
ثبتت سلطة السعود على «الخرج»، وفر الغضنفر الكرار
هزمت قلة خميساً لهاماً حممت في جناحه الأهمار
أقبلت صهلاً فلما تولت قيل ماذا؟ تصاهل أم خوار
أخيول الرشيد عادت قطعاً؟ أشياء تلاحقت أم صوار
جوهر الشي، كيفه، غلب الكيف، وخاب العتاد والمقدار

...

راح ذاك المهزوم يبغي «كويتاً» يطلب الشيخ من يفتته العرار
وتعزي الصياد قنبرة الحقل إذا ند بلبل وهزار
خاف شيخ «الكويت»، وارتعد الشط، وآوى للزورق البحار

١ زار: جد السعوديين. ٢ الغضنفر الكرار: ابن رشيد ولا ينكر أنه كان من أفرس
فرسان العرب. ٣ الخميس الأهم: الجيش الكبير. ٤ الصوار: قطع البقر. كانت المواجهة
الأولى بين العززين، خارج السلم وسط النخل واستمرت المعركة ست ساعات ولكنها لم تسفر عن شيء
خطير. ولم تكن الذخيرة متوفرة عند ابن سعود فتفدت أو كادت في تلك الواقعة فأرسل يطلب قسماً من
الحوطة. أما ابن الرشيد فشد في اليوم التالي ورحل إلى السليمية التي تبعد ست ساعات عن السلم. فتفقد ابن
سعود بعد وصول الذخيرة، ونأزله في السليمية فأخرجه منها. ولكنه لم يتمكن من تعقبه لقله خيله وركابه
وكثرتها مع ابن الرشيد فقد كان الجيش الشمرى مؤلفاً من أربعة آلاف ذلول وأربعمئة خيال. بيد أن
الجيش السعودي لم يكن يتجاوز الألفين، ولم يكن فيه غير أربعين من الحبل. ومع ذلك فقد انهزم ابن
الرشيد في الخرج وثبتت سيادة ابن سعود فيه، بل في النواحي الجنوبية كلها. (ت. ن. هـ)
هـ الكيف أو الكيفية نقبض الكم والكمية والمقصود أن قيمة الشي بجوهره لا بكثرة.

واستغاثت أرامل^١ ويتامى من تراه يغوث^٢ أو يستجار
 من على ابن الرشيد يستل^٣ سيفاً وهو ذاك المدمر^٤ الجزار
 لم يزل «للصريف» بالشعر جرح^٥ فعلى كلى^٦ أيم^٧ آثار
 من سوى يبرق السعود يظل^٨ الجار^٩، إن يفقد الرجاء الجار^{١٠}
 !؟ عسلان^{١١} الشيخ «المبارك» ذنباً غير ما يعسل^{١٢} القنا الخطار^{١٣}
 الرزق^{١٤} «إولدي» يصرخ المبارك أدرك^{١٥} قاب قوسين صار مني البوار^{١٦}
 فيلبي الوحي^{١٧}، بعشرة آلاف^{١٨}، وحيد^{١٩} الجزيرة المغوار^{٢٠}
 مستعير^{٢١} الأباغر الجرب وافي^{٢٢} وعليه من الوفاء شعار
 درهماً قد أعاره الشيخ^{٢٣} فلينعم^{٢٤}! أرضي طماحه القنطار
 لا! وإن الخلاق في جوهر النفس^{٢٥}، فلا يشتري^{٢٦}، ولا يستعار

....

لبس الثغر^{٢٧} حلة^{٢٨} لقدم الليث^{٢٩}، وافتر^{٣٠} للأمير الفار^{٣١}
 عاد^{٣٢} ذاك الليل المبطن^{٣٣} بالأكدار^{٣٤}، نوراً تحفه^{٣٥} الأنوار
 قيل^{٣٦} ذاك اللقاء^{٣٧}، والكرم الضافي^{٣٨}، عن الأمس^{٣٩} والقصور اعتذار^{٤٠}

١ باشر ابن الرشيد محاصرة الكويت فأرسل الشيخ مبارك يعلم ولده بذلك ويستنجده، فقد صار منجداً من كان بالأمس مستنجداً. فلي الأمير الدعوة وخف إلى الكويت بميش لا يقل عن عشرة آلاف وهو الذي خرج منها بأربعين ذلولاً أجرب منذ سنتين. فرجبت به الكويت وهلك له، وانضم منها إلى جيشه ما كان قد جشده مبارك، بقيادة جابر الصباح. ثم خرج الاثنان بهذا الجيش الجرار طالبين ابن الرشيد.
 (ت. ن.)

٢ أولدي، تحريف «ولدي» ولقد همزناها لتعذر الابتداء بالساكن وسترى كم من مرة غدر الشيخ بولده النبيل ورماء في المهالك. ٣ الوحي: الصوت ويقال في الاستعجال: الوحي الوحي: أي البدار البدار. ٤ الفار: إكليل الفار يقدم للمتصرين.

٦٩. ومشي فَيَلْقُ الكُويتُ، يزيد الجيشَ مَدًّا، عِبَابُهُ الزَّخَّارُ
 «حَفْرًا» يَقْصِدُونَ حَيْثُ رَشِيدٌ وَرَشِيدٌ مُخَادَعٌ غَرَّارٌ
 يَلْزِمُ الشُّطَّ، حِينَ يَصْطَخِبُ الِيمُّ، وَيُلْقِي آذِيَهُ التِّيَّارُ
 رَاحَ يَبْغِي «الرِّيَاضَ» إِمَّا يَنْلِهَا فَعَلَى دَوْلَةِ السَّعُودِ السَّتَارُ
 وَإِذَا «شَمَّرٌ» بَضَلَعُ «بُمُخْرُوقٍ» وَبِالنَّخْلِ وَ«الرِّيَاضُ» اسْتَدَارُوا
 جَنَّتْهُمْ حَالِكٌ تَعَالَى سَدُولًا حَبْكُهُ مُحْكَمُ النَّسِيجِ مُفَارٌ
 وَإِذَا شَارِدٌ يَصِيحُ، وَفِي عَيْنَيْهِ رَعْبٌ، وَوَجْهُهُ إِذَا
 «جَاءَ» كَمَ سَيِّدُ الرُّشِيدِ، فَظَلَّ الْمَوْتَ مِنْكُمْ تَحْدُهُ أَشْبَارُ

...

هَبَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ مِنْ رُبْقَةِ النَّوْمِ، عَلَيْهِ، مِنَ الْكَمَالِ إِذَا
 الْمَشِيبُ الْمَهِيبُ، وَالزَّهْدُ وَالتَّقْوَى، لِرَأْسِ الشَّيْخِ الْجَلِيلِ إِطَارُ
 ٧٠. أَنْجَدَتْهُ الْكِمَاءُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ هَزَّتْهَا الْحَلَمُ وَالنَّهْيُ وَالْوَقَارُ
 خَارِجَ السُّورِ، نَازَلَ الْخَصْمَ، فَارْتَدَّتْ سُرُوجٌ وَأَدْبَرَتْ أَكْوَارُ
 بَيْنَ «شَقْرَا» وَ«ثَرْمَدَا» وَ«سُدَيْرٍ» خَابَ قَالُ الْغُرُورِ، وَالْأَغْرَارُ

١ غادر ابن الرشيد الحفر عندما علم بقُدوم الجيش وقصد الرياض، والحرب خدعة. ٢ نوى ابن الرشيد مفاجأة العاصمة ليلاً فلما دنا منها عسكر عند ضلع بمخروق دون ان يعلم بذلك أحد من أهل المدينة. ولكنه عندما أصبح في ضلال تغلبها شرد رجل من عسكر الرشيد ودخل يصيح: العدو قريب منكم، العدو عند السور. ٣ مفار: مقتول. ٤ نهض الإمام عبد الرحمن بأهل الرياض للدفاع فنازلوا العدو خارج السور وردّوه خائباً.

العوالي «مساعد» و«ابن جلوي» و«السديري» للسعود جدار
من يلامسه يلمس الموت، فليعدد ضريحاً وليشرع الحفار
...

طمح الليث «للقصيم» ولكن هل توائي فتقطف الأثمار
الأماني في الصدور كبار والمغبآت دونهن كبار
أعوزته الأزواد والنوق، فالأمطار ضنت، وشحت الآبار
والثرى مجذب كوجه بخيل يلتوي في غصونه المسمار
البساتين والحقول عفاء كرجيف اللئيم يئس قفار
١٠. ٧ سأل الشيخ نجدة من «كويت» فأتاه مما بغى أنفار
مئتا راجل! بعشرة آلاف، فنعيم «المبارك» المدرار

...

«القصيم» البهيج حلم لذيذ ولو ان المسعى إليه عثار

١ في مناوشات عديدة جرت بين العزيرين في شقرا وثرمداء وسدير استنبل مساعد بن سويلم فاستولى
على المحمل والشعيب وقتل الصويغ في ثرمدا وألقى القبض على العنقري أميرها. ثم أخرجه منها عبد العزيز
الرشيد فاستعادها عبد الله بن جلوي واستولى أحمد السديري، خال الأمير، على الروضة بعد أن كسر سرية
ابن الرشيد فيها واستولى على سدير كلها، عدا الجمعية التي حافظت على سيادة ابن الرشيد. (ت. ن.)
٢ إشارة إلى العشرة آلاف التي أنجدها بها الأمير عبد العزيز يوم هدّد ابن الرشيد الكويت كما قدمنا.
٣ القصيم من أجل المناطق السعودية وأجل ما فيه عنيزة وبريدة. وما برحت فكرة احتلال القصيم تلازم
ابن سعود وكان جيشه مؤلفاً يومئذ من سبعة آلاف من المشاة وأربع مئة ذلول. فشى به إلى الغاط ثم إلى
الزلقي وكتب من هناك إلى الشيخ مبارك يسأله أن يرسل إليه من كان عنده من أهل القصيم مثل آل الحجيل
وآل سليم وما يستطيع من المدد. فأرسل مبارك أولئك الذين لا ذوا بالكويت بعد وقعة المليدة ومعهم مئتان
من الرجال فقط. وكانت تلك السنة قليلة الأمطار حتى أكل الناس لبّ النخل لفرط الجوع هذا فضلاً عن
قلة الركائب. ثم إن ابن الرشيد كان مستولياً على القصيم كله، ناهيك بالطريق وليس فيه بلد يأوون إليه.
وقد كتب الأمير إلى بعض الموالين له في القصيم ليؤلفوا سرايا تهجم على بعض البلدان تمهيداً لدخوله فلم يلبثوه.
ولما تيقن أنه لا يستطيع مهاجمة القصيم ولا البقاء في الزلقي لشدة القحط وضيق العيش عاد إلى الرياض.
(ت. ن.)

الأيثون مولعون بخوض القمر، إماً يُجْلجل الإعصار
 ذاك ان الإعصار في دمهم يغلي، ففي أنفاس الكبار بحار
 لا ينام الأمير إلا غراراً ما لفلك على الغدير قرار
 أوما الروض في القصيم فعجل وهفت نحو دوحك الأطيّار
 فهناك النسيم والجدول الشادي، يُغني فترقص الأوتار
 والمساء الساجي يذر، من الأنداء، ما ترقد العيون الغزار
 كل أفق على «عنيزة» حان كل صبح في روضها نوار
 وبشوف الى «بريدة» وانعم بسما نجومها أقمار
 وكان البهاء ما غاب عنها فالليالي ما بينهن سرار
 ويخال الأثير، في جوارها الصاحي، بنجوراً، فنقحه معطار
 فلك السحر في «القصيم» ينادي أين عبد العزيز، أين المنار

...

كان من عليّة «القصيم» «بشقرا» لسعود بواسل أنصار
 أفلا عن خدورهم، يوم دانت لرشيد، ودالت الأدوار
 الأيئون من «سليم»، وهل ينسى ليوم «المليدة» التذكار
 فأشاع الأمير فيهم: هلموا لتزور «الكويت»، نعم المزار
 كان ينوي «القصيم» والحرب مكر وكثيراً ما تغلب الأخبار

١ السرار: آخر ليالي الشهر القمري. ٢ صمم الأمير على احتلال القصيم في آخر شهر
 ذي الحجة فأرسل إلى أهل القصيم في شقراء وأخصتهم آل سليم أن يوافوه إلى ثاق لأنه يريد أن يتعذر إلى
 الكويت. وكان هؤلاء ممن أجلي عن القصيم بعد وقعة المليدة المشؤومة التي انكسر فيها أنصار الإمام عبد
 الرحمن. ٣ إشارة إلى الحديث: الحرب خدعة.

حيث لا تنجد السيوف، ولا سمر العوالي، والمدفع الهدار
 ٧٢. ينفع الرأي والأقاويل، يزجيهما حصيف، رسوله مهذار
 طالما سُخِّرَ الأثيرُ لمذيع، وهَزَّ المالكُ الإخبار
 واستطار القلوب، من شدة الذعر، حديث مُنَمَّقٌ طيار

....

وصل الجيش «للفود» لهاماً أو جيشاً يؤلف الزوار
 فطن البدو انهم لقتال يصبغ الأفق من جراه احمرار
 انه النقع حيث يعلو قتام لا «كويت» حيث القرى والفتار
 حيثما ترخر الفطارز والخلوى، ويسخو الضريب والمشتار
 ما لهم والرشيد؟ هم حيث دار الغنم والمطعم المدسم داروا
 ما لهم عند «حاييل» أي ثار بل على الرز والكباش الثار
 الأعراب، حين تعترك الأدواح، في شامخ الذرى، منشار
 ٧٣. صاعداً هابطاً، يحف من الجنين، لا خلص ولا أحرار
 فطرة في نفوسهم ما عساه من غراب يبيض القصار

....

١ راح ابن سعود بجيشه قاصداً ماجد الرشيد قائد دفاع القصيم. فلما وصل الى ماء الشريعة في وسط
 النفود، علم من كان معه من البدو انه يريد ابن الرشيد فشرذوا، فما بالى بذلك بل استمر مسرباً. فضل
 الدليل وتاهوا في النفود طول ذلك الليل ثم خرجوا منه فاذا بكشافه لماجد على حواشيه. ٢ القتام :
 غبار الحرب. والفتار : دخان الشواء والطبخ. ٣ الضريب : العسل.

شردوا والأمير غير مُبالٍ بدروعٍ فولاذها فخارٌ
 ما يضير الثوب الحرير الموشى إن تراخت في رذنيه الأزرار
 وسرى الجيش في «النفود» فتاهوا بخضمٍ عابيه موار
 زاغ طرف الدليل بالوعس والأشباه، والسبب الفضاء فحاروا
 وتجلّى الصباح، فانكشف التيه، فأثموا شطر «القصيم» فساروا
 عسكروا في النخيل والشمس مالت وتدلى مع الرطاب النضار
 وترات «عنيزة» كعروسٍ وعليها من الأصيل سوار
 أمر الليث أن يسارع بالكر، وأن تشرب السيوف الحرار
 ٤٥٠ صدينت في غمودها، وطهور السيف، أن ينهل الدماء القرار
 صومها طال، والمساء مساء العيد، فرض على الظبي الإفطار
 هجمت أنسر القصيم «سليم» ولهم في المعامع الأسفار
 صدمتهم من آل «يحيى» و«بسام» طيور ما فاتها المنقار
 وترامت قوادم وخواف وتهاوى من الطعان الدثار
 «شمر» تمنع الوكور، وقد غاصت، فعامت على الدم الأوكار

١ الوعس : هو الرمل الذي تسبخ فيه الأقدام ويصعب السير عليه . ٢ نزل ابن سعود في ذلك
 النهار قصر الحميدية، من قصور عنيزة على مسير أربع ساعات منها . وتقدم ساعة الغروب فوصل غنم المدينة
 وأمر من كان معه من أهل القصيم وفيهم آل سليم بهجاجة عنيزة تلك الليلة . وكان يومئذ بعض زعمائها كآل
 يحيى وآل بسام مع ابن الرشيد ورئيس سريته فهد السبهان . أما ماجد فكان نازلاً قرب المريبط وهو باب
 من أبواب المدينة . ٣ الطهور : ما يظهر به . وقرار السيف : حده . ٤ عندما هجم أهل القصيم
 على عنيزة اصطدموا بطلائع ابن الرشيد من أهلها ومن شتر . فتلاحم الفريقان فقتل فهد السبهان ، وما
 سلمت رجاله فطلب السعوديون المدد فارسل عبد العزيز مثنين من رجاله بقيادة عبد الله ابن جلوي . وكان
 عبد الله قد اشتهر بالبطولة فلما سمع أهل عنيزة بالنجدة التي جاء يقودها سلموا حالاً إلى آل سليم .

شهدتُ رأسها يخرُّ قتيلاً فاعتراها تفجعٌ وانفجار
 جندل «ابن السبحان» درع رشيدٍ فلتَقَصَّر من أجله الأعمار
 وأمدَّ الأميرُ آل «سليم» بـابن جلوي. البدور استتارُ
 سمعت باسمه «عُنيزة» فانهارت قواها، وجأشها الفوار
 ٧٦. يفعل الصيتُ في النفوس كفعل السحر، فالباب للخلود اشتجار
 من جرى ذكره بكلِّ لسانٍ لا انتهاءً لعمره واندثار
 يفرح القلب حين تخطر ذكراه، كما هزَّ مسمعاً قيثار
 لا تريد الأجيال، في قدره العالي، فنه تُعَطَّرُ الأعصار
 عرفوا أنه المظفر، لا يُثنى، وأن المغامرات انتحار
 أنه الموت قد تقمَّصَ إنسياً، وأن السيوف عنه قصار
 فلماذا تغدو المدينة أنقاضاً، ويحتاج ساكنيها الدمار
 أسلمت أمرها لآل «سليم» عليه زانهم حجى ونجار
 تشرفُ الغادةُ العروسُ بأن تهدي، الى خاطبٍ خلاه العار
 وأليمٌ هوانها في السبايا حيث يهوي حياؤها والجار

...

٧٧. أسلمت غير «ماجد»، ولقد ظنَّ تقيه الحصون والأغوار
 غرَّه أنه أمير السرايا وله في الوغى نهى واقتدار

بأكر الليثُ خصمه، بعد ما صلى، وندت أوزاده الأسحار^١
 معه الله أينما حلَّ صقعا كل دارٍ لبارئ الكون دار
 والإمام المختار لله درعا للمبرات والتقى مختار
 ماجد أين ماجد؟ فرَّ مهزوما، ولما يُغبر المضمار^٢
 يقسم الذئب أنه يقنص الليث، ويصمي فواده التزار
 ما حيت الأعوان يا «ماجد» الأصل، دَهْتَهُمْ ضرائب أبكار
 أخذتهم سنابك الخيل أشلاء، وغطى وجهه الحضيض النثار
 قَامَرُوا في العراك، دارين قبل الكر، أن الوغى عليهم خسار
 ٧٨ قَاتَلُوا عن يبارق فرَّ حاميتها فخابوا، وفي سبيلك باروا
 و«عبيدا» تركت في قبضة الليث، فحاقت بعنقك الأوزار
 أوحيدا دفعته للعنايا؟ ماله كان في النزال خيار
 أسكرتك العليا أمس فلما عسعس الليل ندَّ عنك العقار^٣

...

قيل عاد المهزوم. هل عاد حقاً؟ أم أراجيفُ بثها ثنار
 وعجيب أن يُشمر الغصن عريان، وأن يعقب الجليد النار

١ الأوراد مفردا الورد وهو الجزء من القرآن يقوم بتلاوته الإنسان كل ليلة. ٢ ركب الأمير
 بعد أن صلى الفجر على رأس سرية من الخيل وقصد المكان الذي كان فيه ماجد الرشيد فلما رأى ماجد خيل
 ابن سعود لاذ بالفرار فتمتقبه واستولى على مركزه بعد أن قتل أكثر قومه وفيهم أخوه عبيد.

(ت. ن.)

٣ عسعس: مضى. والعقار: الخمر.

جاء لكن خلف « العرايف » محيياً، كعين تصونها الأشفار
 قدّم الأقربين، آل سعود علّ بالأقربين يُحمى الذمار
 فتكون الأسرى مجنّ عدوّ تيسّ الترس من دم يختار
 ويظلّ الرشيد يرمي ولا يُرمى، وتُخفي رجاله الأستار
 ٧٩١ ومن الهزل أن خصم سعود بسعود من الأمير يُجار
 حيلة كان، في مغاينها الشيطان، يملّي فتنفذ الأوطار

...

لمح النسر في الطليعة فرساناً عليها، من الجدود شعار
 « مانعين » تهدّم ألم المنى، ففاض الروى، وشاب العذار
 الوجوه السباح حالت غصوناً والجباه العلى عراها انكسار
 سئموا العيش في ظلال رشيد حيثما العيش سامة واجترار
 للرياحين في الإباء ذبول فضمور فذلة فاصفرار
 ليس يجدي الورود صقل إباء فحياة المقيدين احتضار
 ساقهم ماجد الرشيد جداراً أسعود لدى الرشيد الجدار
 خيلهم لا تكاد تمشي الى الختل، فزحف مسيرها واضطرار

١ عاد ماجد ابن الرشيد الى المعركة ومعه بضع وعشرون من الخيل والركائب، وفيهم نفر من آل سعود الذين كانوا منفيين في حائل . جاء بهم ليرد العدو المنتصر لانه اذا عرفهم وهم من آل سعود قد يمتنع عن القتال فلا يقتل أحداً منهم . ولكن عبد العزيز عندما عرف أهله - وقد دعوا منذ ذلك اليوم العرايف - (اذا خسر البدو في الغزو جاهلهم ثم استعادوها يسمونها العرايف ومفردها عرافة اي المعروف فأطلق ابن سعود هذا الاسم على أبناء عمه هؤلاء) . ولقد أمر بعقر خيلهم ليتمكنوا من خلاصهم وكذلك كان فقد فازوا يومئذ بعد عقر الخيل أثناء المعركة بسعود ابن عبد العزيز وسعود بن محمد وفيصل ابن سعد فخلصوهم من القتل ومن الأسر .

(ت . ن .)

٢ مانعين في النسبة الى مانع . والروى هو الماء المروي .

٨٥٠ عَرِّقُوهَا: قال الأمير لا يُنْقِذُ الكرام الأعمام، طال الإِسار
 أَنْقِذُوهُمْ! «أَلِّلْعَرَايفِ» بعد اليوم عرفانُ مَنْتَهٍ وادِّكَارِ
 أَوْ يَنْسُونَهُ وقد حفظته في مطاوي آثائها الأدهار
 إِنَّ من ينكر المروءةَ وغدٌ ولئيم مضاعفٌ غدار
 إِنْ تَنَاسَتْ صَنِيعُهُ أَقْرَبَاءُ نَشَرَ الْفَضْلَ كَوْكَبُ سَيَّارِ

...

ومضى ماجدُ الرشيد ولا مجدٌ، فقبل المشرّدُ الغرّار
 وَتَرَات «عَنْزِيَّةٌ» فِي ربيعَيْن: انتصارٌ إِيَّاهُ آذَارُ
 طَيِّبَ الْوَرْدُ وَالْعَرَارُ حَوَاشِيهِ، وَأَلْوَى عَلَى الْأَمِيرِ الْبَهَّارُ
 أَسْلَمَتْ بَعْدَهَا «بُرَيْدَةٌ» إِلَّا حَصْنَهَا الشَّمَخُ فَاحْتَوَاهُ الْحِصَارُ
 دَامَ شَهْرَيْنِ ثُمَّ دَانَ لَهُ الْحَصْنُ، وَدَانَ «الْقَصِيمُ» وَالْأَنْصَارُ

١ في ٢٣ آذار سنة ١٩٠٤ بعد الكسار ماجد وفراره الى حاييل تم فتح عنيزة فدخلها ابن سعود وأقام
 فيها بضعة أيام. ثم شد على بريدة فسلم أهلها ولكن أمير ابن الرشيد والحامية فيها تحصنوا بالقصر فحاصرهم ابن
 سعود فثبتوا شهرين في الحصار ثم سلموا في ١٥ ربيع اول فتم بتسليمهم الاسيلاء السعودي على بريدة وعنيزة
 وبالتالي على القصيم كله.
 (ت. ن.)

١٦- البكيرة

٨٨. أَوْجَسَ التُّرْكُ مِنْ سَرِيعِ ارْتِقَائِهِ فَأَسْرَ السُّلْطَانُ خَنْقَ رَجَائِهِ
 هَالِ عَبْدَ الْحَمِيدِ أَنَّ سُرَاةَ الْعُرْبِ تَدْعُو لِنَبْذِهِ وَجَلَائِهِ
 كُلُّ قَطْرِ لَهِمْ عَدُوٌّ مَبِينٌ أَوْ صَدِيقُ الدُّودِ مِنْ أَعْدَائِهِ
 وَيَقُولُونَ: ظَالِمٌ أَنْتَ «الْبُسْفُورُ» مِنْ غَدْرِهِ، وَمِنْ أَسْوَأِهِ
 يَوْمُهُ مَلُوءُهُ الْجَوَاسِيسُ وَالْغُدَّارُ، وَاللَّيْلُ مَرْقَصٌ لِنِسَائِهِ
 «يَادِ شَاهِمٍ وَجَقْ يَشَا» غَمَغَمَاتٌ سَيَّمَتْهَا النُّفُوسُ مِنْ جَرَّائِهِ
 فَإِذَا يُكْرَهُ الْآيِيُّ عَلَيْهَا فَلَقَدْ تَنْتَهَى إِلَى إِنْغَمَائِهِ
 وَلِمِ الْعُرْبِ تَعْبِدُ الصَّنَمَ الْهَآوِيَّ، وَسُوسُ الْفَسَادِ فِي أَحْشَائِهِ
 هُمْ يَوْدُونَ مَشْرِقًا عَرَبِيًّا مِنْ فِلَسْطِينِهِ إِلَى دَهْنَائِهِ
 مِنْ جُلَيْنِ الْفِرَاتِ، مِنْ حَلَبِ الشَّهْبَاءِ، حَتَّى الْعَقِيقِ مِنْ صَحْرَائِهِ

١ ياد شامم 'جق يشا: عبارة تركية معناها فليبعش السلطان. ولا ينبغي ان الثورة كانت تختم في صدور
 أحرار العرب على اختلاف أقطارهم ومللهم وقد ذهب ضحية لحركة التحرر كثيرون منهم وبخاصة في عهد
 السلاج أحمد جمال باشا. ٢ العقيق: يقصد به وادي العقيق في صميم الجزيرة.

٨٨ من غصونِ أختِ الزمردِ ، في الأرز لروض الرشيد في زورائه
 كان بالأمس مشرقُ العربِ وهأجاً ، وعرشَ النبي في خلفائه
 وَيَمُ الْحُكْمُ « لِلْخَوَاقِينِ » لولا نهجُ « فَرَقْ تَسُدْ » على غوغائه
 يَشْحَدُونَ الدينَ - الذي يُسعدُ الإنسانَ - سهماً يعيده لشقائه
 طالما سَخَّرَ الألوهةَ زنديقاً ، وروحَ الشيطانِ ملءَ كسائه
 من يتاجرُ بدينه يَحْدِثُ اللهَ ، وَيَعُصِرُ الرحمنَ في أنبيائه
 إنا العربُ دينهمُ وطنُ حرٍّ ، يَضُمُّ الأحرارَ من أبنائه
 ولسانُ يُرْتَلُّ اللفظُ ترتيلاً ، كأنَّ العزافَ من قُرَّائه
 يفصلُ اللهَ بينهم . لا نكيرُ شَغَفُ العيسويِّ في عذرائه
 وصلاةُ المُسْلِمِينَ على طه ، وحبُّ النبي في زهرائه
 ٨٩ وكتابُ مُجَنِّحِ القول ، أدَّاهُ كَلِيمُ الإلهِ في سينائه

...

وتنادت صيدُ العروبة تبغي عربياً تسير تحت لوائه
 أروعاً بالحسام يحمي جماها حاتمياً يلفها بردائه
 لا وزيراً لله يطغى ولكن آدمياً يكون في أجزائه
 قرأ الترك في الأمير هلالاً وإبلياً تشاءوا بضياه

١ الزوراء : بغداد . ٢ الخواقين مفردتها الخاقان وهو السلطان . وكانت تركيا السلاطين تزرع بذور الشقاق بين رعاياها لتصرفهم عن مناهضة السلطنة الموبوءة ، فتضرب على الوتر الديني وتشعل الطائفية . ٣ العزاف : هو اللاعب بالمعازف ، أي الموسيقى . ٤ الزهراء : فاطمة بنت النبي زوج علي والدة الحسن والحسين .

هَالَهُمْ أَنْ يَصِيرَ بَدْرًا تَامًا يَغْمُرُ الْمُدَلِّجِينَ فَيُضْ بِهَائِهِ
فَأَمَدُوا ابْنَ «مَتْعَبٍ» بَعْتَادٍ وَسَيُوفَ تُرْكِيَّةٍ مِنْ وَرَائِهِ
وَنَضَارٍ يُغْنِي الْفَقِيرَ بِنَجْدٍ لَوْ رَشِيدٌ حَنَا عَلَى فَقْرَائِهِ
وَأَعَزَّ الْغَطْرِيسَ أَنْ رَسَالَاتِ الْمَنَايَا، وَالتَّرَكُّ فِي حَلْفَائِهِ
حَلْفُهُ عَاهِلٌ عَظِيمٌ تُرَاثٍ لَا يَغِيبُ النَّهَارُ عَنْ أَرْجَائِهِ
سَيُدِيرُ الرَّحَى عَلَى ابْنِ سَعُودٍ فَيَكُونُ الْهَبَاءُ فِي أَرْحَائِهِ
أَعْجَمِيٌّ يَبِيدُ ذَكَرَ أَبِي «تُرْكِي» وَيَمْحُو الْعَرِيقَ مِنْ عَرَبَائِهِ
مَا يِهِمُّ الرُّشِيدُ مِنْ شَرَفِ الْعَرَبِ، فَإِنَّ الشِّرَاعَ وَفَقُّهُ هَوَائِهِ

...

وتتلاقى عند «البكيرية» الجيشان بحراً، عزريلٌ خَوَاضٌ مائهُ
يَقْدِفُ الْمَوْتَ مِنْ أَوَاذِيهِ الْحُمْرِ وَجَيْشُ السَّعُودِ فِي حَصْدَائِهِ
لُجَّةٌ دَائِمٌ الْهَدِيرُ، فَلَا جَزْرٌ، يُقِيلُ النَفُوسَ مِنْ حَمْرَائِهِ
فَتَرْدُ «الرِّيَاضُ» بِالسُّمْرِ، أَرْمَاحاً دَقَاقًا، تَحْدُ مِنْ غُلَوَائِهِ

١ متعب: هو والد عبد العزيز الرشيد. والعتاد: هو آلات الحرب من سلاح وسواه. ٢ الرحي: حجر الطحن. ٣ في وقعة البكيرية في الليلة الأولى من هلال ربيع الثاني ١٣٢٢ هـ ١٩٠٤ م اصطدمت الجيوش صدمة هائلة كانت خسارة الفريقين فيها عظيمة. فقد تواجه في تلك الساعة عسكر الدولة وفيه كثيرون من السوريين والعراقيين بعسكر ابن سعود الخاص أي بأهل العارض. فأطلقت البنادق والأطواب (المدافع) ولعت في نور الهلال الضئيل السيوف وكانت المذبحة هائلة فقد قتل من جيش ابن سعود تسع مئة وفيهم ست مئة وخمسون من أهل الرياض. وقتل من جيش الدولة نحو ألف، وفيهم أربعة من كبار الضباط. وخسر أهل حائل نحو ثلاث مئة وفيهم اثنان من بيت الرشيد هما ماجد بن حمود وعبد العزيز بن جبر. وفي تلك الوقعة أصيب عبد العزيز بن سعود بجفأيا قنبلة في يده اليسرى، ووقع ابن الرشيد عن فرسه فألته الوقعة ولم تقعهده.

من هنا دولة، و «شمر» تحذوها، وبند السلطان في خيلائه
 من هنا أنسر العروبة يحدوهم أمير بل الثرى من دمايه
 خانة الترس فانتضى كفه اليسرى، يصد البركان عن خلاصائه
 ٨٥- إن للمجد بالجراح غراماً كغرام الشيعي في كربلائه
 الرجال الغر الكرام رمياه، فما رام قعداً في اصطفائه
 نيرت إصبع وسحت دما، والأمر الجريح رهن صفائه
 لم يجد بعد «للقصيم» برقد دمه فليكن بكور سخائه
 مثله الليث حين يفقد عضواً لا تحس الغابات فرط عيائه
 لا يمس الثرى بعزنيته الشمخ، لفحص التراب عن أجزائه
 إنما تعكر الغدير حصاة ويظل العباب في زرقائه

...

راءه جنده صبيغ دماء بريق الأرجوان في لآلئه
 فازدروا بالحياة واغتنموها فرصة الموت حلوة لافتدائه
 وتلقوا قنابلاً هادرات يتباهى مثيرها باختفائه
 ٨٨- ويكون الرامي جباناً ولكن مدفع الترك جنة لاحتفائه
 يتوارى، خلف الحديد، اختفاء الثعلب الجبس، خاف من إعوائه
 ما البطولات للقتابل والسم، فبئس المدبرات الكرائه
 البطولات معصم قد من صخر، وسيف على الكواكب تائه

وَجَنَانٌ ملء الخيال وصدرٌ حشد المكرمات في عُشرائه
 غمرة الموت خاضها «العارض» الشهم، فأوى الرصاص في أحشائه
 ساخياً بالدماء غير سخيٍّ بدموع تهمني على شهادته
 يا لَعْنِي عبد العزيز! يصيحون ويهوي الفتى على أقربائه
 فجدارٌ ينهار خلف جدارٍ ورؤوسُ الكُماة في حصبائه
 وقضى «ماجد» الرشيد، وقوادٌ من الترك، غامروا لندائه
 ٨٧٠ وتبدى عبد العزيز بن جلوي نسرَ حربٍ يحول في أجوائه
 إن عداه على العدو انتصارٌ فلقد ظلَّ رائعاً في انكفائه

...

عادَ أهلُ «القصيم» بعدِ عراكٍ أغرق الضفتين في أرزائه
 فتولوا ببعض غنمٍ ولكن شكَّ عبد العزيز في أصدقائه
 فابتلاهم في ربيبه فإذا هم كالصياصي مدلَّةٌ بولائه
 هللت دُرَّة «القصيم» لمرآه، وزانت أبصارها باحتلاله
 وتعالَت أبراجها واشترأبت وتباهت أسوارها باحتوائه
 الحسان المخدرات تبارت في الزغاريد فرحةً بلاقائه

١ هجم أهل القصيم وعرب مطير بقيادة عبد العزيز بن جلوي على جناح العدو فبعجوه. ثم أغاروا على بادية شمر فغنموها. لكن الشمرين كانوا قد هجموا على معسكر ابن سعود فنهبوه، واحدة بواحدة. وظلت قوات ابن الرشيد متأسكة بسبب المعسكر التركي النظامي. على أن أهل القصيم غنموا سلاح سرية تركية وعادوا إلى بريدة وعنيزة فشكَّ عبد العزيز بأهل القصيم وكتب إليهم ممتنعاً فأجابوا، وخصوصاً أهل عنيزة، تقدم أنفسنا وأولادنا وأموالنا بين يديك. ودخل الأمير المدينة فخرج أهلها يستقبلونه معتزين وأخرجوا الخدّرات فرحين به مزغردين ثم عززوا أفواهم في ما قدموه من مال ورجال.
 ٢ الصياصي: أعالي الجبال.
 (ت. ن.)

لم يشاهد جَوْ القصيم ، كذاك اليوم ، بهجَ العشي في أمسائه
 جَلَلَ البدرُ بالجمال صباياه ، سكوباً من طهره ونقائه
 ٨٢٠ واستقرت على الرّواء الداراي كلُّ نجمٍ ألوى على حسناؤه
 فلكٌ زاد رونقَ العيد أعياداً ، أليس الأميرُ من سُمرائه
 بذلت قلبها «عَنْزَةَ» مالا ورجالا تجري على إيمائه
 فاقتفتها «عتيبة» و «مطير» هادرُ الموج ضجّ في دأماه
 فتواري ابن «متعب» يقصد «الخبرا» فتلك الأوشال قدر إنائه
 عزّمه يطفئ الوُقودَ شراراً ويهابُ الوقيد عند التظائه
 صدمته الأبطال حامية «الخبرا» وأزرت بمدفعٍ وصلائه
 فأدار العنان «سلطان» «حمود» يغيث النسيب في برّحائه
 فالتقته سرية فتولّى وتبارى رجاله في اقتفائه
 وتلتها مناوشات ، تلاها غضبُ الله بادياً في وبائه
 ٨٨٠ أصفرأ سميّ الهوا ، فبئس الداء ، لونُ الخبيث في أسمائه
 البوادي ، مثل الحواضر ضجّت من عدوٍ لا حيلة في اتقائه

١ اجتمع لدى الأمير في سنة أيام اثنا عشر ألف مقاتل ، فبادر إلى البكيرية . ولكن ابن الرشيد كان قد رحل منها إلى الخبر ، فهزمته سرية ابن سعود رغم مدافع الترك . ولكنها وقعت في بلاء جديد وهو الهوا الأصفر انتقل إليها من عسكر ابن الرشيد بل من جنود الاتراك . وعندما علم ابن الرشيد بزحف ابن سعود إلى البكيرية وفيها مؤن وذخائر الجيش أرسل بقيادة سلطان الرشيد ألف وخمسة خيال فتصادموا وخيالة ابن سعود وعددهم ستمئة وخمسون فانهزم الرشيديون . ثم دخل ابن سعود البلدة وقتل بحامية ابن الرشيد فيها قتل أكثرها وانهزم الباقون ثم طارد العدو إلى الخبر فرحل العدو إلى الرس فهجموا على بواديه فغنموها . وعقب ذلك مناوشات وخاف أهل نجد سريان الهوا الأصفر فرفعوا أصواتهم شاكين وطلبوا وقف الحرب من الجانبين .
 (ت . ن .)

واستقالوا الحربين، فاضطربَ الشَّهْمُ، وضجَّ الإنسان في أحنائه
يجمع الأعلين: هَمَّةَ لَيْثٍ وشعوراً مُجَنِّحاً كَوْفائه
يُعمِلُ السيفَ بالعدوِّ مَرِيداً وشفيقاً يبكي على ضعفائه
هو غوثُ العاني أكان صديقاً أم عدواً مكاراً في عدائه
أوفدَ السَّيِّدَ «الرُّشودِيَّ» «فهداً» وهو فَطْنٌ يُجرى على آرائه
يطلب الصلح من رشيدٍ فلم يُلفِ سوى نُضْبِ خيره وحيائه
وانتفاخِ الجَهلِ إِمَّا يُرجى لصلاح يشيله من غبائه
مَضَ «فهداً» تهديدُهُ العربَ بالترك، وزهو وخسَّةٌ في ازدرائه
كان «فرعون» دون قسوته شراً، ودون اعتداده وامتلائه
قال: «عبد العزيز غرُّ، يريد المال، ينبغي تسخيركم لثرائه»
يبتغيه لآمِهِ، مَضَّها الفقرُ، فألى إغناءها باعتدائه
كذبَ الجلفُ ما الفقيرةُ أمّاً نَجَلها جاوز المني بَغْنائه
هالَ فرعونَ «حايِل» وهو أَعشى دَفَقَاتُ من برقه وسنائه
الفقير الفقير، من فقد الحبَّ فذاب الأنام في بغضائه
من، يصمُّ الجَنانَ عن هاتِفِ الخير، مدَّلاً بلؤمه وخلائه

١ استقال البيع: طلب إليه أن يفسخه. ٢ أوفد ابن سعود رجلاً من كبار بريدة اسمه فهد الرشودي يطلب الصلح من ابن رشيد فضحك وقال متهمكماً: من ينبغي حكم نجد لا يتضرر. وهل يصلح من بيده قوة الدولة؟ لا والله، لا صلح قبل أن اضرب بريدة وعنيزة والرياض ضربة لا تنساها مدى الدهر. وانتم يا أهل القصيم لا يغركم شاب طائش جاء يبغي الدرهم ليأخذها إلى أمه الفقيرة. رجع فهد وألقى هذا الكلام في مجلس ابن سعود دامع العين وختمه قائلاً «والله يا أهل نجد ما رأيت هناك إلا ظالماً عتياً كفرعون ولا ينبغي لنا غير ما كان من فرعون لبني إسرائيل. وكان الرشودي رجلاً حصبياً رصيناً يحترمه الناس فأثرت كلماته فيهم تأثيراً شديداً. ولكن بادية ابن سعود كانت قد تفرقت لرعي المواشي في الربيع.

من يعدُّ الناسيَّ بعض مطايهٗ، وشيئاً يزيد في أشيائه
 من إذا ماتت البرايا جميعاً لا يُعْكَرَنَ ذَرَّةً من هنائه
 من يدارونه اتِّقاء معاصيه، فإن غاب أمعنوا في هجائه
 ٨١٠ من إذا ماتت أمسكت عبراتٌ واشتأزت يراعةً من رثائه
 وأعاد «الفهد» الجليل كلاماً هاج مثل الدموع من جلسائه

...

ومضى ابن الرشيد ينزل في «الجوعي» ويمضي الأتراك في إغرائه
 حاشداً فيلقاً لقصر «عقيل» ليس إلا سريةً يازائه
 سبقتُه إليه آل سعود يبعثون الآمال في زلّائه
 واستجاروا الأمير ينجد حصناً نطقتُه الأرزاء من أنحائه
 طوّقتُه مدافعُ الترك، أفواهُ الشياطين، لعللت لآلئائه
 الشظايا الصغرى لمحو أهاليه، وهولُ الكبرى لدك بنائه
 وتجاشى الأميرُ نشرَ مقالٍ قد يخيف الجسورَ من بسلائه

١ نزل ابن الرشيد في «الجوعي» ودنا من قصر هناك يعرف بقصر ابن عقيل فيه سرية لابن سعود فهم بالهجوم عليه، صباح اليوم التالي. وكان، وفقاً لأمر الأمير، قد سبقه إليه نخبة من آل سعود ليشجعوا أهله ويعدوم بالنجدة. وأرسلوا يخبرون الأمير عبد العزيز بأن ابن الرشيد نصب مدافعه للحصار وشرع بضرب القصر. وكان الأمير حينئذٍ في الرس فصاح برجاله قائلاً «انهزم ابن الرشيد ونريد أن نعمل مناورة خارج البلدة». فاستبشروا وخرجوا للمناورة فكشف الثقاب إذ ذاك عن قصده الحقيقي، وأمرهم بالزحف إلى قصر ابن عقيل. فترددوا لأنهم لم يكونوا متأهبين للرحيل فلم يكن لديهم شيء من الماء والذاد. وقد كانت الساعة الأخيرة من النهار والمسافة لا تقل عن عشرين ميلاً. خطب ابن سعود فيهم بحرّساً مستهضاً. ثم قال أنا واحد منكم ومنلكم أنتم ماشون وأنا ماشي. أنتم حفاة وأنا والله لا اتعل وهذا نعلي وهذا ذلولي. قال ذلك وهو يضع النعل في الحرج ويلقي بحبل الذلول على غاربه ثم مشى أمامهم حافياً فشوا وراءه متحمسين.

لم تحنه الأعصاب، في حازب الأمر، فألقى قياده لذكائه
 «هزيم ابن الرشيد صاح فقوموا نخفي بانتصارنا وانطفائه»^{٩٢}
 «ولئنأور» في خارج «الرس»^{٩٣}، إيداناً بإشراق عهدنا وانتهاه
 خرجوا بالسلاح يبعون عيداً تستفيض الأفراح من أثنائه
 وإذا بالأمير يسفر عن وجهه، ركامُ الهموم في سيائه
 قال: هياً فالقصر، للذود يدعوكم، ويأس الغريق في استدعائه
 بقتلهم فجأة كنيوب الأسد تستقبل الشريد التائه
 ما أعدوا لها الركائب والأزواد، والحرب لا تكون بدائه
 ولقد أوشك المساء، ودون القصر بون، يمل من وعثائه
 وكان الأمير، في النخوة القصوى، تجلى سحبان تحت عبائه
 قال: ما أوجزت معانيه، ألاحظ كومض البتار، عند مضائه
 أذكروا وقعة «الصريف» وذودوا يا ميامين يعرب عن علائه
 أذكروها، إذ كل بيت بنجد عاوي يبيكي بعاشورائه
 أذكروا الترك والشكالي الأيامي ولیدافع حلال من خبائه
 لا يهيم ابن «متعب» شرف العرب، إذا ما قضى على خصائه
 ويل قوم يذلهم أجنبي ويل شعب ذئابه من رعائه
 ويل راع يشرع الباب للذئب، عزوفاً عن كبشه وثغائه^{٩٤}

١ ناور: لغة تعني شاتم وانما أوردناها على الحكاية ولا بأس أن تعرب ما دامت الألسن قد صقلتها .
 ٢ بدائه مفردتها بنية وهي المفاجأة . ٣ البون: البعد والمسافة . ٤ الخلاص: الشجاع .
 ٥ عزوفاً: صادفاً غير مبال . والنفاء: صوت الكباش .

وتريدُ الكلومُ في قيمة الراعي، جريحاً مُناضلاً عن شائه^١
نجدكم طالما تَغَنَّتْ «بليلى» أين شهمُ يزود عن ليلائه
فِيحْنِي العرارة بالدم وهأجاً تعبُ الأشفاقُ من حنائه^٢
يومُ «ذي قار» من بعيدٍ يناديكم، فنصوا أسما عكم لندائه^٣
يسمعُ المرءُ، لا على قَدَر الصوتِ، فإنَّ المقدارَ في إصغائه^{٩٤}
روحُ عدنانَ يا رفاقُ يناديكم، فَيَعْنِي الأُبَاةَ من حُفدائه
دَمُهُ فيكمُ حميمٌ وحاشا أن تكونوا الأذْيالَ في نُصرائه
مُنيةٌ للزمانِ تخليدُ ذِكرائكم، بهذا العصيب من آنائه
فاقحموا غمره فسوددُ سَبَاحِ رهينٍ يوثبه وارتمائه
لست أدعوكم لحسوَ شرابٍ وفي غير باديٍ باحتسائه
أنا منكم، دعوا الأميرَ إلى حينٍ، فعبد العزيز في رفقائه
قالها راجلاً، يُشَمِّرُ عن ساقٍ، إلى الخُرجِ، رامياً بجدائه
ومشي حافياً فكان كشيحٍ ودموعٌ محمومةٌ لحفائه
ضَحَضَحُوا خلفه كما اندفعَ السيلُ المدوي، ينصبُّ في أودائه
أسدٌ كلُّ تابعٍ أَذْهَلَتْهُ كلمات الأمير عن إطوائه^{٩٥}
بلغوا القصر بعد منتصف الليل، وراموا قبورهم في فنائه^٤

١ الكلوم: الجراح. والشاء مفرد شاة. ٢ الأشفاق: مفرد شفق وهو بقية حمرة الشمس في الماء. ٣ نص: رفع. المقصود أصبحوا سماً. ٤ الإطواء: الجوع. ٥ بلغوا القصر قبل نصف الليل بساعة وأرادوا الهجوم حالا فنعمهم الأمير لما يعلم من تعبهم وجوعهم فدخلوا القصر واستراحوا تلك الليلة.

لم يدك الرشيد حصناً أياً عزم أهليه كان صنو إبابه

....

خيم العسكران في جبهة الوادي، وبث الرشيد من أعبائه
 ناصباً في أكاميه طنب الحرب تشدُّ القلوب من جبنائه
 شمخت فوقها المدافع تلاً من حديد النار في شجرائه
 ظن وادي جهنم وعزيف للشياطين مد في ضوضائه
 حيث يهوي القرم «الرياضي» ميتاً ونثير الأبحاد في أشلائه
 فالجناح اليمين لابن سعود كجناح البازي عند انطوائه
 وإذا بالأمير يرسل صوتاً يرجف المدفعي من أصدائه
 ٩٦. رزارة الليث شام أشبله صرعى، فأج الوقيد في أعضائه
 يا «لنورا» يصيح والسيف قان مصلت يلهب الثرى بصلائه
 يا «لنورا» ويكتني بأبي «تركي»، وأسد الثرى وراء اكتنائه
 مثل عبد العزيز حق له الفخر، فجد الحسام في آبابه

١ بعد ان عجز ابن الرشيد عن احتلال القصر، شد في صباح اليوم التالي للرحيل فتركه ابن سعود يرحل
 إليه ويعمل «أطوايه» مدافعه. وعندما مشى هو ورجاله وعسكر الترك خرجت الخيل للمعاجاة ومشى الجند
 السعوديون من القصر وراموا فأدركوا العدو في وادي الرقة. فأناخ ابن الرشيد ثم نصب المدافع وبنى بيوت
 الحرب. وهي بيوت من الشعر تنصبها القبائل لترمز عن ذمارها والدود عنه. فتهاجم الفريقان وتقارعا حتى
 منتصف النهار وكانت الغلبة لابن الرشيد. ولكن ابن سعود عندما رأى جانحه الأيمن متقهقراً هجم بقومه
 هجمة الاستبسال وهدم بيوت الحرب، فاشتد القرب والقطعان فولت عساكر الترك الأدبار ثم انهزم ابن
 الرشيد وفر ورجاله هاربين. (ت. ن.)

٢ الرياضي: في التسمية إلى الرياض. ٣ نورا: أخت الأمير عبد العزيز، وكثيراً ما كان يتنحى باسمها
 وباسم ابنه البكر تركي في المواقف الخطيرة.

فيصلُ جدُّه العظيم وتري وكلَّيبُ ووائلُ من ورائه
 يا «لُورَا» ! فلتلبس المجد «نُورَا» ليس أولى من ذاتها بارتدائه
 الأميرُ النسر المنيعُ أخوها فلتُفَاخِرْ هذا الوري ياخائه
 صدم الجيشُ، صدمة الأسدِ الضاري، فما الموتُ كافياً لانتثائه
 † يهرب الموتُ من مجال كمي حين يسخو بروحه لشرائه
 ريع قلبُ الحديد، وانهمز الترك، وهام الرشيد في بيدائه
 ٩٧٠ خزانة السيف، عندما هجم الليث، ومادت «شَنَانَةُ» لانتثائه
 نبي السيف في القراب، من الذعر، وقد كان حجة في انتثائه
 أين بالأمس عجبه وتجافيه، ولؤم السفيه في إزرائه
 ربُّ طاغ جلف اللسان عتي كان يطوي أكفانه في ادعائه
 وأراد الأمير أن يلحق الباغي، فيردى الأخير من قرَّائه
 فشنَّاهم عن الإغارة مالُ أتعب الحاسبين في إحصائه
 فهنا المالُ خضرم من جمال صك سمع «القصيم» عند رغائه
 وهناك الأغنام كل قطع كهضاب الثلوج بيض فرائه
 وعتادٌ وملبسٌ ونضارٌ خيلاً السلطان في طفرائه
 ولتلك النقود صك انتصار بان ذل المهزوم في إمضائه
 ٩٨٠ مغنم رنج العرار بنجد وأفاض الريحان في بطحائه

١ شنانة : اسم موقع المعركة وبعضهم يسميها البكيرة . ٢ الخضرم : البحر . والرغاء : هدير
 الجمال . ٣ الطغراء : علامة ترسم على النقود السلطانية . ٤ كان المغنم عظيماً حتى نفي أهل نجد عن
 متابعة المهزومين فظلوا عشرة أيام يجمعون مما تركه عسكر الدولة وابن الرشيد في ساحة القتال من الأمتعة
 والذخائر والأسلحة والمؤن والياب ناهيك بالإبل والغنم . وقد وجدوا بين تلك الأحمال صناديق من الذهب
 وزعمها ابن سعود على رجاله مثل بقية الغنائم، ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه . أنها لفنيمة عظيمة فقد كانت قسمة
 الواحد من الذهب والجمال فقط تتراوح بين المئة والمئة والخمسين ليرة عثمانية ذهباً وبين العشرة والعشرين بغيراً .
 (ت . ن .)

زاد نصرُ الأمير في طيبه طيباً ، وفي عزّه وفي إثرائه
 يهبُ الأصفر النضار سخياً مثل بذل الخيرات من أهرائه
 سمينَ الجيشُ بالغنيمة حاشا سَيِّدَ الجيش ظلّ في إضوائه
 والذي أشبعَ الألفَ نداهُ ما وعى غيرَ كسرةٍ لعشائه
 يدعُ الطيبَ للعناقيدِ جذعُ لا يبالي بلبّه ولبائه
 يحرم النفس من جنيّ شهيّ وتُصيبُ الطيور من حلوائه
 ذكرُ الذاكرون يوم « حنين » يومَ طه غطّى الثرى من عطائه
 يمسكُ الخلقَ عن فرات قراح وتعبُ الصحراءُ من أندائه
 كاد من فرط جوده يتخلّى عن أحبِّ الركابِ عن قصوائه

...

٩٩٠ / شرد التركُ في القفار معيَراً أعملَ السبعُ نأبه يجدائه
 بين يوم « الصريف » واليوم فرقُ فرقُ ما بين ظالمٍ وجزائه
 فاجراً كان عاتى القلبِ فظاً تستجير الرمضاء من رمضائه
 وهو اليوم ناشدُ في صقيع الليل ، بالقفر ، جذوة لاصطلائه

١ أهراء : مفردا هري وهو البيت تجمع فيه الجبوب . ٢ الإضواء : الهزال والمقصود هنا
 التعفف . ٣ الفصواء : الناقة المقطوعة طرف الأذن وهو اسم ناقة النبي ومثلها العضاء . ولم يكن لديه
 سواها من الإبل التي وزّع منها ومن الغنم وسواها من الماشية ألوفاً يتألف بها الرفاق الذين في قلوبهم مرض ،
 يوم حنين في الجعرانة . ولما تألب عليه الناس ينفون المزيد في العطاء فائلين يا رسول الله أقسم علينا ، أجاؤه
 إلى شجرة فاختلفت رداه فقال ردوا ردائي أيها الناس فوالله إن كان لي فيه شجرة تهامة نعماً قسمتة عليكم
 ثم ما ألفتهموني بجيلاً ولا جباناً ولا كدوداً . ثم قام إلى جنب بعيه فأخذ وبرة من ستامه ثم رفعها . ثم قال
 أيها الناس والله ما لي من فيثكم ، أي غنيثكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس والخمس مردود عليكم الخ . . .
 (السيرة الحلبية)

يَتَشَهَّى وَلَوْ فَتَاتَ رَغِيفٍ وَعَجُوزاً تَرَقُّ لَاسْتِجْدَائِهِ
يَتَمَنَّى زُرْبَةً لِلْمَوَاشِي أَوْ مَغَاراً يَصُونُهُ فِي عِرَائِهِ
وَلَقَدْ كَانَ بِالْعَشِيَّةِ مَزْهُوًّا، يَصِفُ النُّجُومَ فِي جُوزَائِهِ
رُكْنَهُ «يَلْدُز» ! فَمَنْ جَنْدُ نَجْدٍ؟ أَحْفَاةُ الْأَعْرَابِ مِنْ أَكْفَائِهِ
سِيرْدُ الْمَخْدَرَاتِ سَبَايَا أَوْ إِمَاءُ خَوَادِمًا لِإِمَائِهِ
رُبَّ كَبْشٍ تَشُوفُ اللَّيْلَ لِلْمَرْعَى، فَالَاقِ الْجَزَارَ فِي خَضْرَائِهِ

...

بعضهم عاد كاسف الوجه نضواً يستجير الأمير في إيوائه
أكل القفر نصفه، ويكاد الجوع يأتي على نخيل غشائه
كل خصم جاء الأمير لعون جاء بحر السخاء في مينائه
عرفوه في الحرب صنو الرواسي لا سبيل لأجدل في ارتقائه
ورأوه في السلم روضاً جنيّاً تطمين العفاة في آلائه
في جلال الأدواح بسطة ظلّ وحياه السرير في استحياؤه
كل من ضامه المهجير يوافيه، فيلقى البليل في أفيائه

...

١ بلدز: قصر السلطان والمقصود هنا قوة عبد الحميد . ٢ بعد وقعة «الشنانة» المذكورة تشفت ما بقي من جنود الترك فكانت حالتهم محزنة . فقد فرّ بعضهم مع ابن الرشيد، وهام الآخرون في الغياي كالسائمة، ومنهم من لجأوا إلى ابن سعود فأوأمهم وكساهم وأعطاهم الأمان . (ت . ن .)
٣ الأجدل: الصقر . ٤ العفاة: مفردا عاف وهو طالب المعروف . والآلاء: هي المنح والأعطيات .

ومضى ابن الرشيد «للكهفة» القصوى شكوراً حصانه لنجائه
 يستجير الأتراك، صرخة ملسوع، ينادي طبيبه لشفائه
 الطبيب الذي تَوَلَّاهُ يأسٌ لا يجاري مريضه في عمائه
 بل يُعيدُ الرجاء للمدنفِ العاني، حكيمًا، والوهمُ جُلُّ دوائه
 أو هَمَّتْ نَجْدُ تُرْكِيَا بعتادٍ زاحِرٍ سَدَّ أفيحاً من فضائه
 لا لحربٍ جاءت به بل لإصلاحٍ أبرزت هَوْلَ نايها لاجتنائه
 وتوالت من «يلدز» خطبُ الودِّ، ولطف الدهاء من سفرائه
 هم يودُّون «للقصيم» حياداً ويغطييه «يلدز» بغطائه
 حيلة دَبَّرَتْ لنفع رشيدٍ فبقا الأتراك ركن بقائه
 ويظلُّ السلطان مولى رشيدٍ ورجالُ السلطان من خفرائه
 قرنتهم إليه دُهمٌ خطوبٍ فعلاهم ملازم لاعتلائه
 ويريد ابن «متعب» منهج القصر، و«فيضي» يحوطه بدعائه

١ الكهفة: قرية من قرى حائل فر إليها ابن الرشيد وأرسل يستجد الدولة مرة أخرى. وكانت الدولة
 كمن خسر في المقامرة فقامر بقسم آخر من أمواله أملاً باسترجاع الحسارة. وقد غامرت بقسم كبير هذه المرة
 فأرسلت أحد رجالها الكبار «فيضي» باشا وشقته بصديق باشا وبخمسة طوابير عسكروا قرب القصيم بقصد
 التهويل والترجيع، لتصل إلى حلٍّ سلمي وبدأت تفاوض الإمام عبد الرحمن بواسطة الشيخ مبارك.

(ت. ن.)

٢ اجتمع الإمام عبد الرحمن بوالى البصرة في الزبير. وبعد المفاوضات طلبت الدولة حياد القصيم فيكون
 حاجزاً بين ابن سعود وابن الرشيد، ويكون للدولة فيه مركز عسكري ومستشارون فلم يوافق الإمام على
 هذا القرار. ولكنه رضي إكراماً للشيخ مبارك أن يعرضه على أهل نجد. وقد رفض التجديون حماية الدولة
 ورفضت عنيزة استقبال المشير أحمد فيضي باشا عدا صالح الحسن فقد كان يكره آل سعود. وراسل أهل
 عنيزة وبريدة الأمير عبد العزيز، يستشيرونه في المقاومة. وراسله المشير مبدئاً بنيتة السلية وبدأت المفاوضات
 ثم انقطعت لأن المشير اضطر لانجساد العسكر التركي في صنعاء اليمن، لأن الإمام يحيى طوفها برجاله محاسراً
 الأتراك فيها. فذهب وترك الأمر لصديق باشا الذي وقف متفرجاً. وظل ابن سعود وابن رشيد في حالة حرب.

(ت. ن.)

يستميل السّراة في البلد الحرّ، ويضفي الثنا على وجهائه

...

ما أراد الأباة سلطان تركيا، فبعداً لعرشه ورؤائه
ولذلك «الطربوش» لون دماء سفحتها ذئاباً به لارتوائه
ما مَحَتْ جُرمه مدائح «شوقي» شاتم الخيرين في إطرانه
مرحباً بالعقال صاح «قصيم» لا بظل الخاقان أو وزرائه
لَفَظَتَهُمْ «عنيزة» غيرُ نكسِ صفرة الزعفران لون رياه
يبعث السمّ فضلةً للافاعي ويواري النيوب من رقطائه
«صالح» يؤثر الدخيل على العرب، ويبيدي صغاره بانحنائه
ويبين «القصيم» في لومه البادي، ويخدول رأيه، وانضوائه
بلد في صروده كل صخرٍ حمّ لاهب على دخلائه
حب عبد العزيز في زهره الفاغي، ولحن التطريب في ورقائه
راسلته الأقطاب من قادة الرأي، عيون الأعيان من شرفائه³⁰
أُجِدُّونَ للدخيل سيوفاً؟ مرهفات تحدّ من كبريائه
وأحسن «المشير»، وهو حصيف أن ناراً تضرمت لبلائه
بعث الوفد للأمير يداريه، ييثّ الدهاء في استرضائه

...

١ نصب أحمد شوقي نفسه لمدح عبد الحميد في مناسبات عديدة متناسياً فظائع ذلك السلطان ومجازيه.

٢ المشير هو فيضي باشا والمشير: رتبة عسكرية كبرى.

قطع الصلح والنقاش حديث^١ جاء « فيضي » فزاد في بلوائه
 قيل « يحيى » الإمام^٢ ثار على الترك، فويل^٣ للترك من « صنعائه »
 فضى ينشل الغريق ويخشى سرّيان العدو إلى « أحسنائه »
 تاركاً في « القصيم » بضعة أحزاب^٤، وشعباً يئن^٥ من جرّائه
 و « العزيزين » في احتراب رهيب يستفيق الملا على أصدائه^٦

١ العزيزان : عبد العزيز آل سعود وعبد العزيز الرشيد .

١٨- مصرع النمر

زُرِعَ الشَّرُّ فِي « الْقَصِيمِ » فَطَالَا وَتَعَالَتْ أَشْوَاكُهُ أَدْغَالَا
 ٤٥ فَعْدَا بَابِلَ الزَّمَانِ مُيُولَا وَبَدَا وَاهِنَ السَّحَابِ انْخِلَالَا
 نَثَرَ التَّرْكُ فِي الْعُيُونِ رِمَادَا حَامِيَا زَادَ وَهْجُهُ اسْتَفْجَالَا
 فَلَهُمْ حِزْبُ « صَالِحٍ » وَرَشِيدُ حِزْبُهُ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ الشِّكَالَ
 وَلَعَبْدَ الْعَزِيزِ كُلُّ سَرِيٍّ عَشَقَ الْجُودَ وَالْعَلَى وَالْخِلَالَا
 وَفَرِيقُ تَذَابُوَا، كَاخْتِلَافِ الرِّيحِ، تَعْتَلُّ يَمْنَةً وَشِمَالَا
 فَأَغَاطَ الْأَمِيرَ فَوْضَى عَقُولِ عَمِيَّتْ فِي ضَابَاهَا الْعُقَالَا
 وَيُمِضُ الصَّدُوقَ أَنَّ الْمَرَائِي نَعَمْ عِنْدَهُ تَرَادُفٌ: لَا . لَا
 فَلْيَعُدْ « لِلرِّيَاضِ » غَيْرَ حَقُودِ وَلْيُوكِّلْ بِالْمَهْمَلِ الْإِهْمَالَا
 وَلْيَجَرِّبْ أَهْلُ « الْقَصِيمِ » سِوَاهُ يَذْكُرُ النَّبْعَ مَنْ يَجْرِبُ آلَا
 لَيْسَ يَدْرِي مَعْنَى الشَّبَابِ الْمَعَافِي قَبْلَمَا تَصْبِحَ الْحَيَاةُ اعْتِلَالَا

١ الشكال: حبل تشد به قوائم الدابة، والمقصود بالشكال هنا العبودية والمذلّة.

٥٥ وتحول الأحلام شهد مريض يقطع الليل أنة وسعالا

...

غاب عنهم فأفقدَ الروضَ معناه ، وأذوى فواكها وظلالا
بين ريحين : زعزعٍ وحرورٍ جفَّ رندُ التلالِ والبانُ حالا
بين خصمين : صالحٍ ورشيدٍ أجذب الحقلُ وادياً وتلالا
أين عبد العزيز ، نادت سرأةً ذاك يحمي أموالنا والعيالا
واستغاثوا بآبِ «الصباح» ليرضيه ، فجاءوا «الخواقة» الغزالا
خيرَ من ماءٍ عوسجاً بحريرٍ وعلى الغشِ وطدَ الأنوالا
«إولدي» يكتب «الصباحي» عفواً عن «قصيم» فإن هجركَ طالا
نشدت خيرك النفوس عطاشاً فأعد للظواشي السلسالا

...

بعث الشيخ «لرياض» رسولا وإلى «حاييل» وفوداً تتالى
٥٦ حيث أدى سجوده لعدو داس بالأمس جبهة وقذالا
كاد لولا الأمير يمحو «كويتاً» ويؤشّي من اللآلي النعالا

١ الزعزع : الريح العاصفة التي تقتلع الأشجار . والحرور : الحارة . ٢ الخواقة : لقب عرف به الشيخ مبارك لكثرة دهائه . ٣ «إولدي» : يا ولدي . أحسَّ عبد العزيز بانقلاب في سياسة الشيخ ، فاعتزم مبارك هذه الفرصة ليظهر أنه الصديق الذي يرعى اليهود . فكتب إلى الأمير يسأله العودة إلى القصيم والعفو عن أهله لأنهم مخلصون ولا يبنون سيادة غير سيادته . ٤ القذال : مؤخر الجمجمة .

«إولدي»! شأته الأوبة، إن كانت على مثل صدقه منوالا
لفظة صورة الألوهة فيها وهو ينوي تلويثها أوحالا
يا له من أب المكائد قنصاً، وحامي أشراكها ختلاً
إن من يذبح الشقيقين غدرًا كيف يقصي عن الغريب الجبالا
وغريب عبد العزيز فلا تُشفق، ونوم وجدانك المغتالا
حالف الترك والرشيد عليه حلفه الحق والاله تعالى
وتخير، لكي تتم الأثافي، نصيراً مماثلاً دجالاً
«صالح» ثالث الأثافي فاطبخ كره الخير أن تذوق الحلالا
عجبا للنعوت أو للأسامي كيف تغدو تهزوا وانتحالا
فيغطي الدميم بالنع، برأقا، كأن الألفاظ تولى الجلالا
فيسمون «جوهراً» حبشياً لونه، في الضحى، يخيف السعالى
ويقال السليم، وهو لديغ عل ذكر السليم يجلب فالأ

...

١ في اليوم نفسه الذي كان يتوسط فيه مبارك لأهل القصيم كانت وفوده تذهب الى حابيل حاملة كتب التودد والولاء التي أسفرت عن صلح بينه وبين عبد العزيز الرشيد . وقد فعل مبارك ذلك لسببين : إرضاء الدولة وخوفاً من امتداد إمارة ابن سعود . ولقد كبا كبوات مضحكة فلفس كتب الى ابن الرشيد يقول اني متكدر جداً من أعمال ابن سعود، وقد جرت الأمور في نجد على غير ما أشتهي اما الآن فانا وإياكم عليه، والكويت وحابيل شقيقتان ومصلحة البلدين واحدة الخ ... وكتب الى ابن سعود يقول «إولدي» «يا ولدي» أنا معك في كل حال وحين . فوالله وتولاك لا تترك هذا الكلب فعل الشول ولا تدعه يستريح، ولا تصالحه، وأنا أبوك مستعد لمساعدتك في كل ما تريد . ولكن كاتب الديوان المبارك لم يكن موقفاً في تلك الساعة، ساعة كتب الى الحصين . فقد أرسل كتاب ابن سعود الى ابن الرشيد وكتاب ابن الرشيد الى ابن سعود .
(ت . ن .)

٢ إشارة الى اقدام الشيخ مبارك على ذبح أخويه توصلاً للحكم . ٣ الأثافي : قطعة من الجبل توضع عليها القدر وعلى حجرين أمامها ويقال : رماه بثالثة الأثافي اي بالشر كنه . ٤ السعالى : مفرد السعلاة وهي أنثى الغول : الحيوان الخرافى المشهور .

جامل الترك يا مبارك واسطر^١ لرشيد من الخداع المقالا
 قل لهم «حایل» لقلبك أدنى من «رياض» وذهب الآمالا
 إن عبد العزيز باغ أثيم^٢ مدّه الحظّ حقبة فاستطالا
 إنك الناصر! المثالي! حقاً طالما كنت للصالح مثالا
 «حایل» والكويت اختا ونام منذ نجم على «الكويت» تلالا
 فلتزل غيمة على الأفق رآنت ولتعد آسن الغدير زلالا
 «حایل» ترفد «الكويت» رجالا اختها تمنح الشقيقة مالا
 قبل أن يسطع السعودي بدرأ فليغيّب، وما يزال هلالا
 يوم أمليت، يا مبارك، ذاك النص زلزلت بالرياء الجبالا
 هان لو خنت واحداً، فيقال، الشيخ في زحمة المخاطر عالاً
 عادة المين أن يحيى رذاذاً وبكفّيك ساكباً هطّالاً
 قلم يحمد المداد عليه إن يكلف حقيقة أو كمالا
 وراه إماً يسخر لمكر ملهم البث مبدعاً سيالاً
 إذ ينادي: عبد العزيز تشجع لك مني ما شئت أموالاً
 «جنديل الكلب» ذلك الفعل، فعل الشول واسكب على الرشيد الوبالا

...

شرعة الصدق يا مبارك تأبى نعت كلب لمن رعانك طلالاً

١ عال : جار وخان . ٢ الرذاذ : المطر الخفيف . ٣ الرعان : رؤوس الجبال .

٩٥ ذلك الفعل كان قيدوم حرب يوم تحشى خمس الرجال الصيالا
 نمرأ ضارياً، وفظاً غليظاً لا جباناً وقعدداً مجفلاً
 ومن المضحكات يا ابن صباح أن سر «الحواق» بات مدالا
 فضح الله ما كتمت، كلا الخصمين راز المراوغ المحتالا
 هفوة في البريد أبدلت الكتب، وأبدت ضميرك الحتالا
 ما خدعت الأبطال، بل كنت أنت الابلس العار، والمكور المذالا
 أظننت الرياء درع وقاء؟ تلك درع تهافتت أسمالا
 ليس يخفى على البصائر شيء كان بالفعل، أم أجاز البالا
 ومن المضحكات أن تنذر الشبل بحرب وتكثر الإدلالا
 ألترضي الرشيد بعد افتضاح بعدما الستر عن خداعك زالا
 ١٥٥ حكماً رحت تنذر الليث بالرد، ومولى يعدل الأعدالا
 من ينو ظهره بريشة باز أعن الفيل يحمل الأحمالا
 عجباً! يوعد الأمير بحرب من قضى العمر مترفاً لا ألالا
 يحسن اللف والدهاء، يسوس الغيد، يأتي مراقصاً وحجالا
 يعرف الخنجر الغدور ولكن لم تقلب يمينه عسالا

...

١ خمس الرجال: شجعانهم. ٢ المدا: هو الشائع المتداول. ٣ المذال: المهان.
 ٤ عندما استأنف الاثنان القتال جاء رسول من الشيخ مبارك يعمل الى ابن سعود كلمة وجيزة قاسية كتبت
 على قصاصة من الورق، وفيها أنه سيعلم الحرب عليه اذا كان لا يعيد منهوبات ابن الرشيد. والمنهوبات هذه
 غنمها من بعض قبائل العراق وجل من الظفير اسمه علي الضويحي، وقد كان من أنصار ابن سعود فليس للشيخ
 مبارك حجة في تدخله بالأمر. ولكنه بعد العثرة التي كان الكاتب سببها حاول ان يصلح الأمر مع حابل
 بهذه الطريقة.
 (ت. ن.)

٥ اللال: تاجر الأولو. ٦ الحجال: مفردا حجلة ومعناها بيت العروس أو ستر يقرب عليها.

قد تخلى عن « القصيم » أمير^١ كان يدري الحوادث استقبالا
 كان برقاً بديهةً وذكاً^٢ كان بحراً تبسطاً واشتمالا
 كان أدري « بصالح » وسواه يوم تهوي الفوارس استبسالاً
 يوم يلقون « حايلاً »، ويجدُّ الجدُّ، والحرب تخرج الأثقالاً
 « شمراً »، والرماة خير رماة^٣ رضعوا في الوغى وراضوا القتالا
 ١٥ يدعون « القصيم » و « الصالح » النكس لمسى رصاصهم غربالاً
 هاجوه في « الرس » فانخذل « الرس » ومالت كف الرشيد، وشالا^٤
 ذبحوهم ذبح النعاج مئاة « صالح » كان بالفرار غزالاً^٥
 لم يلاق ابن « متعب » في زال^٦ حسبه في المنام لاقى الحبالا
 أين عبد العزيز؟ أين سعود^٧ « صالح » صاح والصريخ توالى
 علموا أنه الرشيد، ويفنيهم^٨ كما تفرس^٩ النار السخالا^{١٠}
 أنه السيل جارفاً يستبيح القرس^{١١} لدناً ويجرف الأوشالا^{١٢}
 أنه النمر بالدماء ولوع^{١٣} فلينادوا لصدّه الرئبالا^{١٤}

...

« صالح » أوفد الشقيق منها^{١٥} مستغيثاً « عنيزة » إجمالاً

١ الرس : اسم بلدة كان صالح الحسن وجيشه فيها . ٢ أرسل ابن الرشيد سرية بقودها صالح
 العذل ومعه حسين العساف الى الرس . فاستولت عليه فاجتمع بعض أهل القصيم في الشقة للدفاع وانضم اليهم
 العربان ولكن ابن الرشيد ذبح اكثرهم وحاصر البقية . فضج القصيم وأدرك صالح الحسن واتباعه ان ليس في
 وسعهم الدفاع وان خلاصهم بيد الله وابن سعود . وأرسل صالح الحسن أخاه منها الى أهل عنيزة ليتوسطوا
 في استرضاء ابن سعود . فاستقبله الامير عبد العزيز مرحباً به وبأصحابه وعفا عنهم ثم توجه الى القصيم ولكنه
 لم يكن في ذلك الحين قادراً على عاربة ابن الرشيد لسيين أولها القحط في تلك السنة وثالبها تفرق البادية
 للاهتمام بمواشيهم .
 ٣ فرس : اقترس .

(ت . ن .)

كلُّ من يذكر السعود بخير كلُّ من ظاَهر الأمير ووالى
 ١٢٥ مستجيراً مُروَّعاً ذلَّ جفنًا وجيناً ومعطساً وسبَّالاً
 ناكس الرأس كاسفاً كالأيامى قد لبسَ الشقاء والإرمالا
 يشد الغوث في خشوع المصلّى عندما يُبرم السماء ابتهاًلا
 في خشوع اليتيم، ضمَّره الجوع، فأحفى سمعَ الغني سؤالا

...

أرسلت وفدها «عنيزة» تلقى بعد ربِّ السما عليه اتكالا
 شفعت وفدها بطلاب عفوٍ لخوونٍ يصغرُ الأندالا
 جاء قصر «الرياض» أجرب خلقٍ لا يرجي من دائه إبلا
 كاد من خوفه يقبلُ أقداماً، إن الليث يمنع الأذبالا
 دخل القصرَ حسبَه لينال العفو، كان الدخولُ فيه اغتسالا
 حسبَه ذلُّه ويأبى أميرٌ أجدُّ أن يزيدَه إذلالا
 ١٣٥ يحفز الأفوَّسَ الرهيفة غابُ تطلق الدوح عاتياً مختالا
 وتلين الفؤوس عند هشيمٍ لو مشى فوقه النسيم انبالا
 عُرف الصفح عند آل سعودٍ فطرةً لا تكلفاً وافتعالا

...

وأراد الأمير إنجاد قوم قصدوه لو استطاع مَنالا

شَرَدَ البدوُ في طلاب المراعي والمراعي تَجَهَّمَتِ إِمَحَالَا
 المواشي تَكْبُ تَسْتَرُوحُ النَّبْتُ ، فَا إِن تَشْمُ إِلَّا الرمالا
 هائماتٍ ، يَرِدْنَ مِنْ شِدَّةِ الظَّمِّ سَرَابًا وَيَرْضَيْنَ الْآلَا
 عرف ابن الرشيد بالوفد والعفو ، وما صَمَّ الأمير وآلى
 فاستفزته نخوة النمرِ إِمَا زَرَعَتْ جِلْدَهُ الْقَيْيُ نَبَالَا
 شَدَّ يَغْزُو «قَصِيبة» و «بشوكا» و «الحديدان» هَادِرًا صَوَّالَا

...

١٤٥ راحَ يَسْتَنْفِرُ الأميرُ البوادي فَاتَوَّهُ - عَلَى الْهَزَالِ - عَجَالَا
 واستجابت حواضرٌ ، ومشي الجيش ، ليلقي عن «صالح» أثقالا
 حين كان الغدار يدعو رشيدًا لَوْلَا تَقِيَّةٌ وَاحْتِيَالَا
 خَفَّ يَنْضَمُ لِلْأَمِيرِ وَقَاحًا مَبْدِيًا فِي رِضَى النَّصِيرِ امْتِثَالَا
 وَالْأَمِيرُ الْأَنُوفُ يَعْلَمُ أَنَّ «الصالح» الْحَبَّ جَاءَهُ سِرْحَالَا
 وتغاضى الْأَبْيُّ عَشْرِينَ يَوْمًا مَدْرَكًا أَنَّ عِنْدَهُ أَصْلَالَا
 فَأَنَاهُ الْوَقَاحُ يَلْتَمِسُ الْهَجَرَ ، وَيَسْتَأْنِفُ الْهُوَى وَالضَّلَالَا
 سَالِحًا قَوْمَهُ عَنِ الْجَيْشِ خَذْلَانًا ، فَا كَانَ الْأُمُّ الْحَذَالَا
 يَفْجَرُ الثُّغْرَةَ الْعَرِيضَةَ فِيهِ فَاتَحَا لِلْعَدُوِّ فِيهِ الْحَجَالَا

١ تستروح : تطلب راحة النبات . ٢ القسي : مفردتها القوس . ٣ القصيبة : شمالي بريدة .
 والبشوك : على مسير خمسة أيام من حابل ؛ والحديدان : من عرب مطير . وكل هذه الأماكن موالية لابن
 سعود . ٤ الحب : الخداع . والسر حال : الذئب .

فيجي، الرشيد يفرسهم فرساً، سبنتي مزجراً أكالا^{١٥٥}
 راح عبد العزيز يطلق للأفعى سراحاً، فتدخل الأدحالا^{١٥٥}
 حيثما يلتقي الثلاثة أحلفاً يكيدون للأمير الزوالا
 «الصباحي» و «الرشيد» وهذا «الصالح» البالغ الثرياً جلالا
 نأفس «الصالح» «المبارك» صدقاً توأما نبعة جرت شلالا
 وتسامى النسر الأبي عن الاثنين، يدري ويظهر الإغفالا
 يتعب البوم في الخرائب مشؤوماً، ويهوى الظلام والأطلالا
 وتظل العقاب في حبك النجم، وتكسو خد المجرة خالا
 يلح الباز، وهو في حلق الجو، غملاً ولا يحس النمالا

...

هبط النسر يجمع الجيش في «الزلفي»، فخفت «مطيرها» أشبالا
 قاصدين الرشيد في «عقلة الزلفي» خال الوعر، والغيث حالا^{١٦٥}
 وابل ذكر الخيال بنوح يوم غمر السماء سال جبالا
 إذ شأبيها حبلاً تدلى مفعات بالمزن ربدأ ثقلا

١ فرس: اقترس. والسبنتي: النمر. قبل الأمير انضمام صالح وقومه عالماً بخداعه. وتزل ابن سعود في الأسياح بجيشه المؤلف من البدو والحضر فاقام هناك عشرين يوماً وشعر بأن صالحاً يهيم بالانسحاب ليترك ابن سعود وحده مع قومه فريسة لابن الرشيد. فقتل الأمير من الأسياح الى الزلفي ليعبد عن القصير. فلما وصل الى البنية استأذنه صالح بالرجوع الى بريدة فأذن له بالرغم من خيافته الظاهرة ثم انضمت الى ابن سعود قبائل مطير وبلغه اذ ذاك خبر الصلح بين مبارك والرشيد وان المبارك لم يكتف بذلك بسل كتب الى صالح الحسن بمعرضه على مثل عمله.

٢ الأدحال: مفردا الدحل وهو ثقب ضيق الفوهة عريض القعر. ٣ الوعر: الوعر.

عُمدٌ تلتوي فتمزقها الريح، وتبدي لفقدها إعوالا
 لا يُنيرُ الغائمُ الجونَ إلا صاعقٌ أشعل الثرى إشعالا
 ويغوص الحصان في غمرة الدّجن فيلقي من الضنى الخيالا
 بين بحرين ساجماً فصواحٌ وهتونٌ غوارباً يتعالى
 نسي القمص والتخايل والحجر المداني والكر والتصهالا
 يسفعُ الودقُ في عيون المهياري والأعاصيرُ تستبيحُ الرحالا
 ولتعمى أبصارهن وتغدو والأدلاء هيماً ضلّالا
 لا سبيلُ لابن الرشيد فهذا برزخٌ صدّ ضمراً وجمالا
 والعدوُّ الرهيب كان قريباً ليس يألو محاذراً نقلاً
 ينشد «الشقة» القريبة حتى يلتقي «صالحاً» فيحسن حالاً
 بين نارين يصليان سعوداً ويبدان جيشه استئصالاً

...

قيل يا ابن السعود هذا رشيدٌ ليس يعدو مناخكم أميالا
 جيشه رابضٌ بروضٍ مهناً وهو ينبغي بآبن المهناً اتصلاً

١ الدجن : المطر الكثير . كان ابن الرشيد نازلاً في عقلة الزلفى وهو مكان وعمر كثير الرمال فمضى
 اليه فلم يدركه هناك وكان اليوم من أيام الربيع الماطرة العاصفة التي لا تستحب في الحرب فقد بدنو النصارى
 من بعضهم ولا يشعرون فاذا هم في المهلكة الكبرى . فعالت الأمطار والرياح دون السير . وكان ابن الرشيد
 يتراجع ليصل الى الشقة، فيلتقي هناك وصالحاً .
 ٢ الصواح : عرق الخيل . ٣ القمص هو الوئب . والحجر : أنثى الخيل . ٤ يسفع الودق :
 أي يطمم المطر عيون التياق . ٥ الأدلاء : مفرداً دليل . ٦ الشقة : اسم مكان . ٧ ابن
 مهنا : صالح الحسن .

فيه ألفٌ وبعض ألفٍ، من الجرد المذاكي صوافناً أخيالاً
 هبَّ عبد العزيز والبدر أرخى فوق سهل الواقعة الأسدالا
 لتكون الأكفان، من حُللٍ بيض، اذا رامت النفوس ارتجالا
 أمر الجيش يُسرعون مُشاةً أسدَ حربٍ وفي العدو رثالا
 «فلنفرق بين الحليفين، ولنمشي، كما ينسخ الضياء الظلالا»
 ١٨٠ نلبس الصمت حلةً، وسواد الليل درعاً، والصحصحان انتعالاً
 يربح الشوط باده يبغي الخصم ويمشي على الصعاب ارتجالا

...

وسروا فاستفاق كشافةُ الخصم، وما «شمر» ثقالاً كسالى
 لا ينام الخفير إلا بعينٍ أختها تجهل الونى والملا
 أعلى موعدٍ مع الحرب نامت أم أحست وطيسها استدلالا
 يحلم الفارس الغشمشم بالظعن، ويقضي حلو المنام زوالا
 مثلما يحلم المتيم بالحب وينحش الوشاة والعذالا
 إنما المرء، حلمه في حناياه فإمّا ينم يمدّ الخيالاً

١ الأخيال مفردتها الخيل . ٢ العدو: الإسراع في السير . والرثال: ذكور النعام .
 ٣ الصحصحان: الأرض المستوية . مشى الأمير ورجاله قاصدين روضة منها ومنها اسم العائلة التي يرأسها صالح
 الحسن . وقد شعرت كشافة ابن الرشيد بقدمهم رغم مشيهم على الأقدام . ونهض ابن الرشيد بجيشه المؤلف
 من ستمئة من الحضر وألف ومئتين من خيالة البدو . وفي الجيش السعودي أربع مئة من خيالة البدو وألف
 ومئتان من مشاة الحضر . وتهاجم الفريقان تحت جناح الليل ١٨ صفر ١٤ نيسان ومعلوم ان القمر يكون
 ساطع الشعاع في مثل تلك الليلة . (ت . ن .)

لا يلاقي إلا الذي كان فيه فتصبي فؤاده ، فاستملا

...

طلع الأزهر الوضي ليروي ويؤدي الى العصور المقالا
 ١٩٥ يدع الجون للفواجر واللص ويهدي ضياؤه الأبطال
 فيكون الشعاع للأسد المنصور، أو للذي قضى سربالا
 زجر العسكر الرشيد حتى خيل أرضاً تمخضت زلزالا
 وتبارى الجمعان في طلب الموت، كما ينشد العشيق الوصلا
 يتعاطونها كؤوساً دهاقاً حملت في حباها الآجالا
 وتراهم ورادها، يكرعون الدن، من فرط ظمئهم، والشمالا
 لا يدورون حولها بل سراعاً سنة السيف لا تطيق الجدالا
 مثما الكاتب، المعجل في الكتب، يوالي حذف الحروف اختزالا
 فيظل القرطاس ينشد ملاً صارخاً مل صوته دلالا
 ينشد البائعين أرواحهم للمجد، تترى أفواجهم أرجالا
 ص يتعادون للسخاء، انطلاق السرب لا هيباً ولا بخالاً
 قلما يطلقون ناراً، وضوء الشهر أغنى سمر التلال فسالا
 طرحو السمر فالكعوب تشظت واشتكى الرمح في الصدور ابتذالا

١ الجون: مفرد الجون وهو الشديد السواد. والمقصود ان الظلام مسرح الفواجر والصوص.
 ٢ السحاب: هو الفقاع التي تعلو الماء أو الخمر. ٣ الأرجال: أسراب الجراد. ٤ الشهر: هو القمر. وأصل الكلمة سرياني فإن لفظة سهرت بالسريانية تعني القمر. ولا يخفى ان الأشهر العربية قرية.

فَأَعَادُوا لِلسِّيفِ عَهْدَ كَلِيبٍ مَضْرِباً وَانْتِفَاضَةً وَاسْتِلَالاً
وَاسْتِجَابُوا أُمْنِيَّةَ الْبَدْرِ عَلَماً أَنَّ زُهْرَ الْبَدُورِ تَهْوَى النِّصَالاً
يَتَلَاقَى اللَّجَيْنُ مِنْ فَلَكَ سَمِيحٍ وَمِنْ أَيْضٍ أُجِيدٍ صَقَالاً
لَمْ يُبْلَقِ اللَّجَيْنُ إِلَّا عَبِيطاً جَائِشاً كَانَ يَطْلُبُ الْأَذْحَالَ

...

شهد البدرُ «شَمراً» تتخلى عن متاريسها الحصون سجلاً
فيحلُّ السعود فيها، ونعم الأسدُ، وثباً وجَلوةً واحتلالاً
حيثما ينزلون فالطودُ راسٍ فاذا غادروه فالطودُ فالأ
وسرى ابنُ الرشيدِ يستنهضُ الجندَ، ويقصي عن القلوب الكلالاً^{٢١٠}
راح يختالُ تحته الفرسُ البحرُ، فيجري محمماً مصهلاً
علماً أنَّ فوقه ابنُ رشيدٍ من تمشى على الرؤوس اختيالاً
وأنى ربوةً وكان عليها علمٌ للرشيد تاه دلالاً
كان في عهدة «الفريخ» قال البندُ، واستبدل المكانُ الرجالاً
جاء يستنهضُ الصحابَ ولا يدري بما قلبَ الوغى وأدالاً

١ عبيطاً : أي دماً عبيطاً . والأذحال : الثارات . ٢ والجلوة : المرة من جلا الرجل عن مكانه : أخرجه . ٣ قال : ضعف . ٤ الفريخ : اسم رجل كان يقود الكتيبة .

صاح «من هان يا الفريخ» وثني صيحة ردها الصدى فأطالا
وأعاد النداء. لا غرو فالغريد يُفني، قبل الردى الأزجالا
عرفته كتيبة لسعود عرفت من حسامه الأهوالا
أنه المالى البيوت أيامى أنه المشبع الورى إشكالا
وتنادوا «ابن الرشيد!» ودوت بُندقياتهم، فصاح ومالا
وخلا السرج من كمي شجاع صيته كان يرعب الأقبالا
طالما أطرب السيوف وحنأها، وبالورد خضب الأصالا
هرعوا للأمير بالخاتم الفرد، وبالسيف قانيا فصالا

...

قر شيخ «الكويت» لما أناه مصرع النمر فاستعاد السؤال
لم يُصدق لفرط ما كان جذلان، فسبحان من يُبدل حالا
ولنعم الحليف يرتجل الأزياء ترى، واللون والأشكالا
لم ينم ليله فكان كطفل وكم العيد سهد الأطفالا

١ (من هان يا الفريخ) : أوردناها على الحكاية . و (هان) معناها : هنا والعرب في عاميتهم يلفظونها مع الإمالة فتكون حركة الهاء متوسطة بين الفتحة والكسرة . ويقابل ذلك باللغة السريانية حركة (الإشعيو) ولا تخلو منها قراءة القرآن في التجويد كقولك باسم الله مجراها ومرساها فالألف في كليهما تلفظ مع الإلتزام .
لقد اشتدت المعركة فتقهقر الرشيديون واحتل السعوديون مراكزهم . وكان أميرهم راكباً حصانه يدور في معسكره مستهضاً محرضاً . فلما وصل إلى المكان الذي كان فيه فرقة من جنوده غلب أنها لا تزال هناك فصاح بجامل البريق يحرضه على الهجوم . من هان يا الفريخ (اسم صاحب البريق) «من هان يا الفريخ» وأين الفريخ ؟ قد تقهقر مع المتقهقرين وحل محله بريق ابن سعود . «من هان يا الفريخ» عرف رجال ابن سعود الصوت فصاحوا ابن الرشيد ! ابن الرشيد ! ثم تكلم الرصاص . أطلقت البنادق السعودية على الأمير النائه فخر صريعاً وفيه بضع وعشرون رصاصة - «وهذا سيفه وهذا خاتمه يا لإمام» . (ت . ن .)
٢ الأقبال : مفردا القبل وهو الرئيس .

وتعاسى عن النعي وأخفى بسماتٍ وفي التجاهل غالى
 ساطراً في الصباح لابن سعودٍ من حواشي ريائه أقوالا
 «إولدي! أنت لا سبيل لريبٍ» ^{٢٣٥} كنتُ بالأمسٍ مازحاً هزّالاً
 إذ أداري الأتراك بابن رشيدٍ وأماري تقيّةٌ ومطالا
 فتخيّر فكلُّ ما تبتغيه لك مني فريضةٌ أو نوالا
 وتغاضى الأميرُ عن 'خلق' الشيخ وأبدى السلام لا الاجلالا

...

إيه يا ابن الرشيد ما كنت نذلاً بل أصيلاً جدّاً وعمّاً وخالا
 خير من هزّ في الميادين رحماً وادعى صهوة الحصان وجالا
 لم لم تُسبِّحْ عليك دموعٌ وتشقّ العواتق الأذبالا
 فَرِحْتَ «شمر» بموتك حتى لم تفارق حسانها الخللالا
 وُهمُ الأقربون منك، وراموا بدلَ الدمع بالهنا، اكتحلالا
 ذاك أن الإنسان يُحسبُ إنساناً، إذا جَلَّ فطنةٌ وخصالا
 قيمة المرء ما يقدم للمرء، ^{٢٤٥} فقِسْهُ الأخلاق والأعمالا
 كنت في الناس! لا! فما كنت إلا عاتياً رام في الأنام اعتزالا
 لاثماً وجهك العبوس غليظاً لا رحيماً تُرى ولا وصّالا

١ بعد التهديد الذي بعث به مبارك الى الامير بلغه مصرع عبد العزيز الرشيد فكتم الخبر وبعث في الحال الى ابن سعود كتاباً طويلاً عريضاً جاء فيه : « اني دائماً لك يا ولدي عبد العزيز . أنا أبوك وعونك وعضدك ولم أصالح ابن الرشيد إلا لأتضرع اليه . ولكنني مستعد أن أمدك بالمال والرجال . المال مالك يا ولدي عبد العزيز والحلال حلالك » . وقال الامير للرسول مستطعلاً « والدي الشيخ أخبرني انه أمرك بأن أكتب خبر قتل ابن الرشيد » فأجابته الرسول : ما نام الشيخ والله من شدة الفرح عند وصول الخبر . (ت . ن .)

لا تراك العيون إلا لماماً فتلاقي كوفيةً وعقالاً
 يستحبُّ الظهور وجهُ صراحٍ فالدياجيرُ تحضنُ الأصلا
 ليس بدعاً أن يكره الناسُ فظاً صرَفَ العمرَ جفوةً وانفصلا
 يكره الناسُ من إذا قيلَ : مادَ الكونُ أو بادَ أهله ما بالي
 من يُخَضِّبُ من الدماءِ المراعي مستبداً بالأهْمَاتِ الشكالي
 إذ يبتُ الهاماتِ صفّاً فصفاً مثلاً يتر الحصاد الغلالا
 « الحواشيش » أربعون فقيراً « الحواشيش » أبسوا إبسالا
 لأجل الحشيش تردى ضعيفاً سقطت شاتهُ الحلوبُ هزالا
 والذي أنبت الحقائق غلباً وكسا الأبَ نضرةً واخضلالا
 كان يعطيك لو عفوت ولكن كان فيك الإنسانُ شيئاً محالا
 من دم الأبرياء طار رشاشُ صبغ العرش واشتكى فأطالا
 لا رؤوس تحكي ولكن أكفُ تسأل الله يقتل القتالا
 وأبا الجور عدت لو راح مظلومٌ يكتني ويضرب الأمثالا
 فيقولون كان نيرون نجدِ جورُهُ بات يربع الأجيالا
 حجب الظلم ما أتى من بطولاتٍ فبانت خلف المعاصي ضئالا

١ لماماً : أي بين حين وآخر . كان الأمير عبد العزيز الرشيد جبّاراً عتياً لا أثر للخوف في قلبه ولا شيء من الرحمة والحنان . وقد كان فوق ذلك قلوباً عبوساً يشدّ عقاله فوق عينيه وكوفيته على فمه فسُمي المثلّم العبوس . وقفاً كان ينسم بل قلّها كان يكشف وجهه كله للناس . ولم يكن على شيء من الجبايا التي تحسب الفائد إلى رجاله والأمير إلى رعيته . واليك بمحادثة تدلّ على ظلمه وقساوته . فلقد مرّ يوم كان يجارب أهل القصير برعاة من تلك الناحية يحشّون وهم أربعون فأمر بالقبض عليهم ثم بإيقاعهم صفّاً الواحد جنب الآخر ثم يقطع رؤوسهم أجمعين فكان كذلك . وهذه المذبحة تدعى بمحادثة (الحواشيش) فلا عجب إذا كان قد فرح أهل نجر أنفسهم بموته كما فرح الشيخ مبارك . ٢ أبسه : أسله لهلاك . ٣ الأب : العشب .

١٩- تعددت الأعداء

رامَ جُندُ الأمير منذُ القَدَاةِ أن يبيدوا الكتائبَ الهارباتِ
 مُدبراتٍ، من بعدِ مَصْرَعِ راعيها، دَوامي الجفونِ منكسراتِ
 فَنَنَاهُمُ^{٦٥} عن التَّقْيِي عَمِيدٍ خَطِرُ الهَمِّ واسعُ الغاياتِ
 يبتغي «حايلاً» مجالَ مَهَارِيهِ، وملقَى الأبطالِ والراياتِ
 رحلةً دربها طویلٌ عسيرٌ شائكٌ الضفَّتَيْنِ والعَطَفَاتِ
 كنيوبِ التَّيْنِ كالحلةِ رَبْدَاءٍ، لاحَتْ نَوَاقِي العَقَبَاتِ
 رحلةً تطلبُ السيوفَ أُلُوفاً وألوفَ الجيادِ والناقاتِ
 من يُحاولُ خوضَ البحارِ لحربٍ يَتَوَخَّ الدُّوَارِعَ البارجاتِ
 جاءَ يبغي من «القَصِيمِ» الرُّدَافِي لِسَرايا «رياضِهِ» المخلصاتِ
 وإهما أن مَصْرَعِ النِّمْرِ يحدوهم، وأنَّ النسيمَ رَهوٌ موآتٍ
 يا ابنَ عبدِ الرحمنِ أَخَفَقْتَ ظَنًّا فلقد جئتَ بؤرةَ الحُمَيَاتِ
 مَلَأَتْهَا أَفْعَى «بريدة» سَمًّا فسرى خُبُّهُ إلى النِّيَّاتِ

٢٧٥ كاد يسري لولا بقية خير لصوفي عيونها والنبات
 فيميت النعاج من سورة السم، يردن الغدير مبتدرات
 حولك العوسج المريب فحاذر من نيوب خفية وحما
 رب ليث راع البوادي زئيراً وأناه الردى من الحشرات
 «صالح» راصد رهيف الزنابي كامن في المجاهل الشائكات
 قعدداً في هشيمها يتوارى كاختفاء الحرباء في العوسجات
 لونها لون ما يكون حوالها، فعد الألوان والهيئات
 ما كفاه بث الهوان بقوم بسل وردي المنايا كفا
 إذ يدوف السموم بالقول معسولاً، ويجري الحوار في العزمات
 والجاهير: ما الجاهير إلا أن تثير الأهواء بالكلمات
 وتريها ما كان فيها كيناً مثلما أكتن عوسج في نواة
 يستئيبها الإطراء فالمدح سحر شأنها في الغرور شأن الفتاة
 يسلب المدح وعيها فيلاشيها، وينفي حقيقة المرأة
 فتراها مدلة بصباها وصباها يخيف جيش الغزاة
 ما كفى الحب أن يغرر بالأهل، فأغرى صناعة الداهيات
 إن تكن دولة السلاطين شاخت فهي في المكر شيخة الدولات

١ حاتم مفرداً حية وهي إبرة العقرب ومثلها الزنابي. عزم الأمير أن يزحف على حابل، لذلك لم يأذن
 رجاله بتعقب المنهزمين، بل عاد بهم إلى بريدة، آملاً أن يضاعف صفوفهم بمن ينضم إليهم من أهل المدينة.
 ولكنهم برغم تأكدهم من مصرع ابن الرشيد تقاعسوا وتذبذبوا وكان صالح الحسن في رأس فريق من
 المقاومين.
 (ت. ن.)

٢ الحب: الخداع الماكر.

هال «صديقي» ما يتبغي «صالح» العرب، العديدُ الألوان والشبكات
 كان «صديقي» حياله شَوْلٌ بئرٌ ضائع الصوت في هدير الفرات
 كان يدعوهُ لاحتلالِ حمّاهُ فيبثُ الذئابَ في الغنّات
 همُّهُ الفردُ أن يكيدَ أميراً عنده، كان نكبة النكبات
 ٢٩٠ أرمدُ العين يكره الضوء وهاجاً، ويلقى الهناء في العتّات
 يؤثرُ الحاسدُ الغريبَ ويبغي للقريب الكوالح النائبات
 حسدٌ دونه صغارُ يهوديٍّ، ولؤمُ البغضاء في الضرّات
 حسدُ السفح والهشيم حقيراً للأفانين والذرى الشاخات
 لا يكون الحسود إلا وضيع النفس، جمّ القلى، أليم الشّات
 فإذا لم يجد ضحاياه في الأحياء، شكّ النيوب في الأموات

...

غاظَ عبدَ العزيز ما أضمرَ الوغدُ، فجاء الحمى، بيوت السراة
 فأتوه كما تحفُّ عطاشٌ وجدوا الماء بعد حرّ القلاة
 صالحٌ مالا الدخيل، يقولون، وينوي إسلامنا للطفاة
 لغريب يبيعنا، لظّالوم يتلينا بالسوط والموبقات

١ الشول: البقية القليلة من الماء. ٢ ضرة المرأة: هي امرأة زوجها. ٣ القلى: البغضاء.
 ٤ لم تفتّر لصالح الحسن همة في المآمرات. وقد علم ابن سعود، بينما هو عائد إلى بريدة، بأنه اتفق وصديقي
 باشا على أن ينسحب عسكر الدولة من الشيعة ويحتل بريدة فسارع عبد العزيز إليها. واجتمع بزعمائها
 فشكوا إليه أمر صالح الحسن وطلبوا عزله واجلاءه فقبض عليه واجلاءه إلى الرياض. ثم أمر مكانه ابن عمه
 محمد آل عبد الله أبا الحيل.
 (ت. ن.)

٣٥٥ أجنبي السماء والأرض والخلق، غريب السمات واللهجات
فكان القرآن ما سلسل السحر، وباهى الدنيا بأمم اللغات
وكان النبي ما شرف العرب وطال السالك من عرفات

...

جى بالغدر للأمير، على رجلين يمشي، متعّ الخطوات
لم ينله المساح إلا بلحظ وجفون صوارم صاعقات
ما بأشفارها حديد ولكن ليس كل الذباح بالشفرات
مؤلم الذبح ما يجي بلا سفح، ومن دون فدية وديات
لو طوى في الضلوع ظل حياء لقضى نجبه من النظرات
وتفاه الى «الرياض» أسيراً حلّ ضيفاً بساحة المكرمات
وتولى ابن عمه سدة الحكم، فهل كان مثله في الثبات
يا «أبا الخيل» هل تحون ولياً؟ حسبك الأمس مفعماً بالعظات

...

لم يطق غزو «حاييل» أتراه مستكيناً كالأنهر الراكدات
فيظن الركون ضعفاً وتنمو حوله ألف حشرة خافيات
منذ كان الإنسان، لا يرهب الإنسان إلا ممنع الجنبات

١ لم يكن لابن سعود يومئذ قوة الزحف على حاييل وتأديب عصاة القصيم . ولكنه خشي أن يحس الناس بضعفه فأغار على ناهش الذويبي، رئيس قبائل حرب الموالين لابن الرشيد فكسره في الرحاً ثم أغار على قبائل من حرب في أي مغير بأعالي نجد فغنم أموالهم .
(ت . ن .)

إن يَرُمُ عقدَ هُدنةٍ مع رشيدٍ فليُهادِنُهُ شامخَ الأَثَلاتِ^١
 يَسْطُرُ العهدَ، لا يَمَرِّقُهُ نَحْرِيرٌ، ولكن بصارمٍ أو قناة
 أَقْصَدِ «الناهِشَ الذويبي» وابطش^٢ بحليفٍ له كثيرُ الشكاةِ
 الصدى يحمل الدويَّ بعيداً ويثُ الخوارَ في إلهماتٍ
 ورأى «المتعب» المخاتل أن الليثَ ما انفكَّ سيدَ الغاباتِ
 بعد يومٍ «الرحا» ويومٍ «مُغيرٍ» فدعاه إلى سلامٍ بَتات
 «حايِلٌ»^٣ ثم «شَمَرٌ»^٤ لرشيدٍ وسواها لمحرزِ الغاراتِ
 عاد يرتاح في «الرياض» ولكن عُرفَ البحرَ دائمَ الموجاتِ
 كيف يلقى إلى الهدوءِ سبيلاً وهو قصدُ الزعازعِ المُعْصِراتِ^٥
 راحتِ التركُ تستثيرُ البوادي وتُهيجُ السخائمَ النَّائِثاتِ^٦
 ليس أدنى من البداوةِ للنكثِ، وبَدَلِ الأعلامِ والجبهاتِ
 بينها «فيصلُ الدويشِ» تأبى حَدُّهُ أن يظلَّ في المغمِصاتِ
 سيفه كان في الميادينِ عضباً ليته كان صادقُ الضرباتِ
 أحقُّ يمزقُ العهودَ، وَيَذَرُوها غباراً، في ملعبِ السافياتِ
 أين منه السرحانُ في البطشِ والنَّهْمِ، ورَّصدِ المِصَادِ والختلاتِ^٧
 فيه من «صالحٍ» و«شيخٍ» كُويتٍ و«الرشيدِ» القَتيلِ، بعضُ شِياتِ

١ الأَثَلات: مفردُها أثلة وهي شجرة صلبة العود . ٢ تولى متعب الرشيد الإمارة بعد موت أبيه .
 وكان راغباً في السلم فتمَّ الصلح على أن تكون حايِل ومُلقَاتها وشَمَر لابن الرشيد، وباقي بلاد نجد بما فيه
 القصيم لابن سعود ثم أطلق ابن الرشيد سراح من كانوا مأسورين في حايِل . وعاد الترك لإثارة البادية بوساطة
 فيصل الدويش . ٣ الغارات: مفردُها غارة وهي رمز النصر . ٤ الزعازع: الرياح . والمُعْصِرات:
 السحب الماطرة . ٥ السخائم: مفردُها السخيمة وهي الضغينة . ٦ المِصَاد: موضع الصيد .

٣٣٥ فهو في كفة الخلاق خفيف^١ وهو بالطعن راجح^٢ الوزنات^٣
هان لو كان وحده جهة الترك^٤، فإن^٥ الخصوم كثروا الجملات
«متعب» كان متعباً ومكوراً^٦ ناقضاً عهد أمسه في الغداة
راح يلقى الطعام الشهوي^٧ «لصديقي» وعلى الشخص ينثر الطيبات
حوضه «حایل»^٨. فإن خدع^٩ الترك^{١٠}، استبد^{١١} الصياد بالسماك
فإلام الجند التناين غرقى؟ بين موتين: زهقه^{١٢} وُسبات^{١٣}
فلَيْفُض^{١٤} النيوب يأخذ عتاداً^{١٥} يتلظى للنصر والشارات^{١٦}
سُئمت هذه المدافع سلماً^{١٧} وتراخت أفواهما فاغرات
جوفها كان بالقنابل محشواً^{١٨} فأخلى السبيل للعنكبة
ألصق^{١٩} الذباب صب^{٢٠} حديد؟ أم لمحو الأبطال والشكنات
لقتال^{٢١} السعود جر^{٢٢} عتاد^{٢٣} بهظ^{٢٤} المشتري والعجلات
غاظ^{٢٥} عبد الحميد هجمة^{٢٦} «صديقي» أو دهرأ يطول غفوة الغفاة
فلْيُؤْمَرْ^{٢٧} «سامي الفروقي» دُهقان^{٢٨} الدهاقين^{٢٩}، حاسم^{٣٠} العضلات
يُسْتَحَبُّ^{٣١} الجديد في كل شيء^{٣٢} ويكون القديم في الذروات
ذاك أن النفوس تَسَامُ^{٣٣} حالاً فيمر^{٣٤} الشعور في حالات
إن يك^{٣٥} الماء واحد^{٣٦} النبع والمجرى فمجرى مجدّد^{٣٧} القطرات

...

١ الخلاق: النصب الوافر من الخير. ٢ التناين: مفردا التنين. ٣ كان متعب الرشيد
يفلّح الأتراك في الشبعية، ويزين لهم الانسحاب منها إلى حایل، وقصده أخذ عتادهم ليحارب به ابن سعود.
ونقلت الدولة على صدقي باشا وخطته لا حرب ولا سلم ولا مفاوضات، فأمرت كبيراً آخر من كبار جيشها
وساستها هو سامي باشا الفاروقي. وأمرته أن يسافر حالاً إلى حایل لمفاوضة ابن الرشيد. (ت. ن.)

حل «سامي» و«متعب» في «سمير» فاشتكى الصدق من رياء الدهاة
 كان «سامي» في طمحه أشعبياً وبدا «متعب» غزير الهبات
 وهب «المتعب» «القصيم» لتركياً، كأن «القصيم» فضل زكاة
 رافد الطامعين مال سواه مثل من يبذل السما للجنة
 أو بخيل جاء الضيوف حماء فقراهم دواجن الجارات

...

في «البكيرية» التقى، سيد الترك، أمير المناقب العاليات
 ظن عبد العزيز كابر رشيد وجلاً في مجالس «الباشوات»
 أو جباناً يرتاع من هيبة الوالي، وذكر «الأسفور» و«الشاهات»
 فرق ما بين «متعب» و«سعود» فرق ما بين أجل وقطة

١ جاء سامي باشا واجتمع بالامير متعب في سمير، قرية من قرى حابل. واتفق واياه على أن يكون
 القصيم في حوزة الدولة وما خسر متعب شيئاً في هذا الاتفاق لانه وهب ما لا يملك. ٢ جاء سامي باشا
 القصيم ليفلوس الفريق الثاني، وقد ظنه كالاول فعزل صدقي وتولى بنفسه قيادة الجيش في الشيعية وأرسل الى
 ابن سعود يطلب مقابله. فاجتمعا في البكيرية. ولكن المذاكرة كانت منكرة فقد اصطدمت في الجلسة
 الأولى الإرادتان والتهبت التزعنتان التركية والعربية. ولم يكن الغاروقي لسن العريكة، ولا لبس للحالة لبوسها.
 قال يخاطب ابن سعود «أهل القصيم يريدون ان تكون السيادة في بلادهم للدولة» فأجابه الامير ليس لأهل
 القصيم رأي في الأمر، فهم من أتباعي. فقال سامي التابعة تقتضي الحماية وانت لا تستطيع أن تحميهم ولا ابن
 الرشيد. فقال الامير وهل حتمهم الدولة؟ ومع ذلك فها هم زعماء القصيم في مجلسك أسألكم عيوك. فتكلم اذ
 ذاك أحدهم قائلاً ان صالح الحسن اقترى عليهم وانهم لا يرومون عن ابن سعود بديلاً. فقال الباشا انتم تجهلون
 صالحكم وتوهمون حقوقاً ليست حقوقكم. واننا ما جئنا نسترضيكم ولا نستغويكم جئنا لنعلمكم الطاعة والإخلاص
 للدولة العلية، ولا معلم اليوم غير السيف.

فقال الامير عبد العزيز اني آسف على ما بدا منك، بل آسف لان الدولة تكل أمورها الى منك. ما
 كان العرب يا سامي ليطيعوا صاغرين. لا والله! ولولا انك ضيف عندنا ما تركناك تقوم من مكانك.

(ت. ن.)

في «سمير» ساغ الشراب مريئاً وهنا الشوك مرهف الحسكات
فابذل اللطف للأمير وحاذر أن تجي، الألاحظ مرتفعات
طالما أطمع المسافر سهل فتردى المغرور في الهوآت

...

حفل الجو بالغمائم ربدأ كفؤاد الحسود معتكرات
حسبها أن يصك غيم بغم لتراها تنهل بالفاشيات^{٣٦٠}
شبت الجذوتان في شرر الأولى، اعتداد الوالي ولؤم العاني
خلفه جحفل السلاطين، صف من بغاة، يبارق لبغاة
وهو «سامي» الذكاء والعرق والصيت، رفيع الألقاب والشارات
وأنيق الهندام، في حلة الطاووس، شمع «القاووق» والحركات
لفظه لهجة الأمير إلى العبد، وإدلال سيد السادات
هو قطع الصخور يصفع آذاناً، ويدي الوجوه بالشذرات
عزة القائد المظفر في القول، ولذع السياط في النبرات
كلم ترجف الجنود شظاياها، شظايا البركان منتثرات
حسبها أن تذاع فيهم رموزاً حاملات الطغراء، تركيات
فأها يسجدون، فعل تقي، يكسر الطرف خاشعاً في الصلاة

...

١ في سمر أي حيث اجتمع بابن الرشيد .
٢ الفاشيات : الدواهي .
٣ القاووق : نوع من ملابس الرأس كان الأتراك يرتدونه عهدئذ .

٣٦٥ يَازَا، الأُولَى شَرَارُ كَمِينُ فِي أَمِيرٍ مَا هَابَ سَيْفَ الْعَتَاةِ^١
لَيْنِ الْخَلْقِ، وَاسِعَ الصَّدْرِ سَمِيحَ أَلْمَعِي الْحَجِي، مَدِيدَ الْأَنَاةِ
خَلَقَهُ رَقَّةُ الصَّبَاحِ عَلَى الْأَرَزِ، وَعَزُّ الرَّبِّي، وَعَزَمَ الصَّفَاةِ
وَابَاءُ مُعْنَعْنُ مِنْ «نَزَارِ» «لِكَلْبِ» لِلْأَنْجَمِ النَّيِّرَاتِ^٢
لِعِرَابٍ تَوَشَّحُوا جِبْهَةَ الشَّمْسِ، وَجَابُوا آفَاقَهَا الْمَذْهَبَاتِ^٣

....

قال سامي «أهل القصيم هَواهُم عَالِقُ بالسَّناجِقِ الْخَافَقَاتِ»^٤
يَلُوءُ السُّلْطَانُ يَرْفُلُ فِي الْغَرْبِ، وَيَسْمُو عَلَى جِبَالِ السَّرَاةِ^٥
- «مَا لِأَهْلِ الْقَصِيمِ» فِي الْأَمْرِ رَايُ فَأَنَا الرُّكْنَ حَامِلُ التَّبَعَاتِ
هُمْ صَحَابِي، وَفِي الرِّعْيَةِ أَتْبَاعِي، وَفِي الْحَرْبِ يَخْذَمِي وَقِنَاتِي^٦
- «أَوْ تَحْمِيهِمْ إِذَا الْحَرْبُ نَادَتْ» بِلِسَانِ الْمَدَافِعِ الْمُرْعِدَاتِ
٣٦٥ - «هَلْ حَتَمْتَهُمْ مِنَ الْخُطُوبِ» «فَرُوقُ» أَمْ رَمَتْهُمْ فِي سَلَّةِ الْمَهْمَلَاتِ^٧
«سَلِّمُ الْآنَ مَا يَرِيدُونَ وَانْظُرْ» أَحْمَامًا؟ أَمْ جِئْتَ شُهْبَ الْبُرَاةِ
ضَحَضَحُوا كَالسُّيُوفِ لِلضَّرْبِ سَلَّتْ لَاهِبَاتِ الْخُدُودِ لِلْغَارَاتِ
- «لَا أَمِيرٌ لَنَا سِوَى ابْنِ سَعُودٍ» حُبُّهُ فِي الْكِبُودِ وَالْمِهْجَاتِ
حُبُّهُ فِي نَفُوسِنَا فَإِذَا مُتْنَا، فَأَصْدَاهُ حُبُّهُ فِي الرِّفَاتِ

١ يَازَا، الأُولَى الخ. لفظة الأولى تعود إلى جذوة في قولنا: شَبَّتِ الْجَذْوَتَانِ. انظر البيت العاشر السابق لهذا البيت. ٢ مُعْنَعْنُ: أي المأخوذ عن فلان. ومن هذا القبيل قولهم حدثت معنن. ٣ المذْهَبَاتِ: الموهبة بالذهب. ٤ السَّناجِقُ: الألوية التركية. ٥ من أعلى الجبال في الجزيرة العربية. ٦ انْخَذَمَ: السيف. ٧ «فَرُوقُ»: نعت للقسطنطينية لأنها تفرق بين آسيا وأوروبا.

- « ايها الجاهلون ما جئت أَرْضِيكُمْ، فهيئات ظَنُّكُمْ هيئات »
 « غَرَّكُمْ مِنْ سَوَامِقِ الدُّوْحِ لَيْنٌ وَلَطِيفُ الْعَبِيرِ فِي النَّسَمَاتِ »
 « طَاعَةُ الدَّوْلَةِ الْعَلِيَّةِ فَرَضٌ مِثْلُ فَرَضِ الصِّيَامِ وَالصَّلَوَاتِ »
 « سَتُودُّونَهَا بِرَغَمِ أَنْوْفٍ لَمْ تَرَلْ رَغَمَ هُوْنِهَا تَأْتِهَاتِ »
 « سَتُودُّونَهَا إِذَا السَّيْفُ غَنَّى عَنْ أَيْادٍ وَأَنْفُسٍ صَاغِرَاتِ »
 ٣٩٠ « وَيَلِكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ الْمَوْتُ حَصَادًا، يَطِيحُ الْأَوْصَالُ وَالْهَامَاتِ »
 - « بَلْ لَكَ الْوَيْلُ يَا رَسُولَ «فُرُوقِ» وَعَدِيلُ الْأَوَابِدِ الضَّارِيَاتِ »
 « كَيْفَ وَلَّى السُّلْطَانُ مِثْلَكَ جَلْفًا وَاهِنَ الرَّأْيُ، وَإِفْرَ الْعَثَرَاتِ »
 « أَبْسِيفٌ أَتَيْتَ تُوعِدُ زَنْدًا عَاشَ إِلْفُ الْقَنَاءِ وَتَرْبُ الظُّبَاتِ »
 « أَبْنَارٌ تَهْدِدُ النَّارَ؟ حَقًّا قَدْ سَلَكْتَ الْأَوْعَارَ فِي الظُّلُمَاتِ »
 « عَصَمْتَ رَوْحَكَ الضِّيَافَةَ، لَوْلَاهَا، لَاغْدَتُ فِيكَ فَضْلَ شَبَاقِي »
 « نَحْنُ قَوْمٌ نَقْدِسُ الضَّيْفَ صَوْنًا لثَرَاتٍ مُقَدَّسٍ الْحَرَمَاتِ »
 « نَتَغَاضَى عَنِ السَّفِيهِ وَنَسْمُو عَنْ حَضِيضِ الْقَبَاءِ وَالْغَفَلَاتِ »
 « أَنْتِ أَضْرَمْتِهَا فَإِنْ كُنْتَ قَرْمًا فَتَحْمَلُ عَوَاقِبَ الْجَذَوَاتِ »
 « سَنَرَى أَئِنَّا الْمَهِشِيمُ، إِذَا هَبَّتْ سَيُوفُ السَّعُودِ مُشْتَعَلَاتِ »
 ٤٠٠ « يَوْمُ «شَنَانَةٍ» قَرِيبٌ فَسَلِّمُهُمْ كَيْفَ بَطَشُ الْأَسُودِ بِالنَّعِجَاتِ »
 « يَوْمَ أَبْطَالِكُمْ فُلُولٌ قَطِيعٍ نَازِرٌ صَوْفَهُ عَلَى الْفَلَوَاتِ »
 « زَا حِمِ الْوَحْشَ فِي ابْتِغَاءِ الْمَأْوِي وَالتَّمَاسِ الشَّرَابِ وَالْأَقْوَاتِ »

١ الهون : الذل . ٢ الظبابة : مفردتها ظببة وهي حد السيف والسنان . ٣ الشبابة من السيف : قدر ما يقطع به .

إذ ترى مُتَرَفَ القُصورِ شريداً حلهُ الفردُ كيرةً من فتات
وتولى «الباشا» كمن قام من قبر، ثقیل الأجفان والخطوات

...

أخفق السيفُ هل سبيلٌ سواه لافتتاح المعقل العاصيات
بقي المال، ذلك الربُّ معبوداً، نعيم الدنيا، وصنو الحياة
لم يزحزح هولُ المدافع طوداً فليدك الأبراج بالذهبات
فهي دربٌ إلى الغنى والتجاهي والشرعُ الهادي إلى اللذات
ولقد سميَ النصارَ لأنَّ الدُهمَ تبدو بفضلِه مقمراتُ
١١٠ لا ظلامٌ مع النصار ولكن شمسٌ ليلٍ تغصُّ بالبهجات
وله في المسامعِ الصمِّ جرسٌ قد يراه الحريصُ في المعجزات
فإذا صيغ للجمال قريناً عادَ حلياً يهلُّ في العاجات
أو ضياءٌ على ضياءٍ تعرَّى حازراً في معاصمِ العادات
دولةُ العزفِ والترنم والأوتار، طيف بجانب الوسوسات
لاصطفاقِ السوار والعاجِ لحنٌ أين منه الحنينُ في النيات

١ الدم : على تقدير البالي الدم . ٢ وسوس الحلي : صوت . أرسل الفاروقي الى الامير رسولا يسمى دياباً ايا بكر يقول «سلم عليك الباشا ويقول ان الدولة تدفع لك عشرين ألف ليرة ومخصصات سنوية اذا كنت تعترف بسيادتها في القصص» . فلما سمع عبد العزيز هذا الكلام عمدا الى سيفه قائلاً : «انتجاس يا خبيث ان تحمل البنا مثل هذه الرسالة . ألم يردعك شتم العرب . ومتى كان ابن سعود يقبل الرشوة فيبيع بلاده ورعيته ممن يريدون استرقاقها ؟ لا أدنس سيفاً بدمك يا خبيث ولكني لا أرد عنك سيفاً يسد سواي» . وهرب الرسول توجاً الى المدينة .
(ت . ن .)

أُتْرِى يَصْمَدُ الْأَمِيرُ لِسِحْرِ الْمَالِ، أَمْ هَلْ يَذُوبُ نَهْيُ النِّهَاةِ

....

وَأَتَاهُ الرُّسُولُ مِنْ لَدُنِ الْبَاشَا، قَرِيرَ الْعَيْنَيْنِ وَالْبَسِمَاتِ
حَاسِبًا أَنَّهُ الْمَلَكُ الْمُرْجَى جَاءَ عَبْدَ الْعَزِيزِ بِالْآيَاتِ
« يَا أَمِيرُ اسْتَبْشِرْ يَقُولُ، فَا الْبَاشَا سَوَى الْغَيْدَقِ الْغَزِيرِ الصَّلَاتِ »
« إِعْتَرِفْ بِالْقَصِيمِ لِلتَّرِكَ دَارًا وَتَنْعَمْ بِالْمَالِ وَالْدَارَاتِ »^{١٢٥}
« لَكَ ذَاتُ الطُّغْرَاءِ عَشْرُونَ أَلْفًا كَجَنَاحِ الْأَشْفَاقِ مُلْتَمِعَاتِ »
« وَعَطَاءُ يَزْدَادُ فِي كُلِّ عَامٍ فَتَحْكَمْ بِالْقَدْرِ وَالْمِنْحَاتِ »

....

يَا كَلَامًا هَزَّ الْأَمِيرَ كَمَا جَالَتْ عَصُوفُ الرِّيحِ بِالْوَرَقَاتِ
أَوْ كَمَا تُفْقَدُ الشُّبُولُ فَتَحْمَى شُعْلُ فِي تَحَاجِرِ (الْبُؤَاتِ)
صِلَصَلَاتِ الرُّعُودِ فِي الزَّارِ وَالنَّابِ، وَخَطْفُ الْبُرُوقِ فِي الْحَدَقَاتِ
حَدَقُ فِي احْتِدَامِهَا تَتَرَاى غَمَرَاتُ الْجَحِيمِ مَنْدَلَعَاتِ
« آه يَا وَغْدُ قَالَ لَوْ كَانَ سَيْفِي يَرْضَى أَنْ يَغُوصَ فِي الْحُمَاتِ »
مُهْجَاتِ الْأَبْطَالِ يَنْهَلُ مَعْتَرًا، فَلَا يُبْتَلَى بِقَاذُورَاتِ
غَاضَ مِنْكَ الْحَيَاءُ وَشَلَّتْ حَيَاةُ فَلَأَنْتِ الْآخِرُ فِي الْمَوْمِيَاتِ
عَرَبِيٌّ يَبْغِي شِرَاءَ سَعُودٍ؟ أَمْ هَجِينُ الْأَحْسَابِ، نَسْلُ الزَّنَاةِ^{٢٣٥}

ومتى المالُ كان يُغري المُنْجيدَ الأَيِّينَ، من جدود أباة
لو ترددتُ لحظةً لا تُتني من جدودي زواجرُ اللعنات
ولكانت جهنمُ تشتويني نارُها في الرواح والغدوات
لا زوم الأموال إلا حلالاً نبتغيها للبذل والرحمات
عيدنا، عيدُ سائحنا، أن نراها بألوفِ العفاة مزدحمات
يتولى الرحمنُ ما يُنفق العبدُ، وتهمي السماءُ بالبركات
حسبنا الله ليس يغفل عنا فيمدد السعود بالخيرات
لم نعوذ إبدال مالٍ بشعبٍ وائدين الأخلاق بالرشوات
الدنانيرُ، يُسترقُّ بها شعبٌ، قشورُ القمامة القذرات
٤٤٥ - بعويل الغرقي ودمع التامى ودماء الأحرار مصطبغات
لونها صفرة الحبث حريصاً لم يُعوذ لسانه غيرَ: هات
ولخيرٍ من لَمِسِها عندُ حرٍّ ماجد الأصل، ملمسُ الحيات
- دونها درهمُ العبارة نقتنا قلبته أناملُ المومسات
زنيخٌ من فجورهن كرية ذفرُ الريح مثل فلس الطهارة
أو فلوس الجزار، أخلقها الشحُّ فعادت، في كيسه، زهات
- الدنانيرُ في مُقابلِ شعبٍ غمراتُ الجحيم مستعرات
لا يراني الرحمنُ بالوهم أرضاها، فأجني جهنماً لحياقي
فلأنتم نومة الصغار الطهاري لا على الشوك، أو على الجمرات

...

٤٥٠ نَمُ قَرِيرَ الْأَجْفَانِ يَا ابْنَ سَعُودٍ فِي سِرِّرِ الْإِبَاءِ وَالْعِظَاتِ
أَنْتِ كَالشَّمْسِ شَهْرَةً وَخُلُوداً دَعِ بَرِيقَ النُّضَارِ لِلنَّكَرَاتِ
وَابْعَثِ الْوَفْدَ مِنْدِراً، ذَلِكَ الْبَاشَا، بِحَرْبٍ تَهْبُ مِنْذُ الْغَدَاةِ
شَيْمَةُ اللَّيْثِ، قَبْلَ أَنْ يَطْلُبَ الصَّيْدَ، يُوَالِي زُنَيْرَهُ مَرَّاتٍ

...

وَأَتَاهُ مِنْ «الْفَرُوقِي» وَفْدٌ فِي مَاقِيهِ ذِلَّةُ الثَّاكِلَاتِ
«نَحْنُ أَضْيَافُكُمْ يَقُولُونَ، نِعَمَ الْعُرْبُ أَنْتُمْ، وَنِعَمَ رَبُّ الْقِرَاةِ»
سَقَطَ السِّيفُ مِنْ يَدِ الْأَوْحَدِ السِّيفِ، وَفَضَّ الْغَيُومُ بِالْبَسَاتِ
لَمْ يَطْلُ ذَلِكَ الصَّفَاءُ، فَإِنَّ الْكَاذِبَ الْعَهْدَ عَادَ لِلْغَدِرَاتِ
«مَتَعِبٌ» رَاحَ يَطْلُبُ الْغَوْثَ مِنْ «سَامِي» فَجَدَّتْ كَرِيهَةَ النِّغَمَاتِ
لَا يُرَامُ السَّدَادُ مِنْ حَيَّةٍ تَسْعَى، فَأَصَلَ التَّعْوِيْجُ فِي الْفَقَرَاتِ
الْجِرَاحُ الَّتِي تُخَاطُ عَلَى غَلٍّ، جِرَاحُ مُوَصُولَةِ النِّغَمَاتِ
٤٦٠ أَرَهَفَ السَّمْعَ لِلْخَدِيعَةِ «سَامِي» وَاسْتَشَارَ الْأَصْحَابَ فِي الْخُلُوتِ
ظَنَّ سَوْأً بِهِ فَقَدْ كَانَ صِلَاً أَعْقَفَ النَّابِ، قَاتِلَ اللَّسْعَاتِ
أَغْرِيْبٌ إِنْ عَاوَدَ الْحُمْرَ شَرِيْبٌ، وَسَارَ الْغَاوِي طَرِيقَ الْغَوَاةِ

...

فَطَنَ اللَّيْثُ لِلَّذِي كَانَ يَجْرِي فِي الْمِيَاهِ الرُّوَاسِبِ الْكَدِرَاتِ

يَنْفُلُ الدود والزواحف تنمو في الحياض المُلحمة الآسنات
يَحْسُنُ الصَفْحُ عن ضيوفٍ ضعافٍ لا أصحابِ النِّفاقِ والشُّبهات
جَيْشَ الحِمْيَرِ التي عَرَفَتْهَا في «بَكِيرِيَّةٍ» عيون البُكَاءِ
يَوْمَ تَرَكَ و «شَمَرُ» هَبْواتُ ذَرَّهَا الدُّوُّ في مَهَبِ الشُّتاتِ
يا بلاغاً يَظُلُّ للعُربِ نَخْراً يَوْمَ تَأْتِي الشعوبُ مَفْتَخراتِ
يَوْمَ عبدُ العَزِيزِ يَنْذِرُ «سامي» بارتحال الجيوش في ساعاتِ
٤٦٥ / فإذا لم يُطْعَمْ فللسيف قولُ ما رآه الأتراك في الحلباتِ
المَغِيرَاتِ من صَوافِنِ نَجْدٍ في مَتَاريسِهِمْ تُرى ضابحاتِ
حَارَ «سامي» جَاءَ نَجْبَةَ قَوَادٍ يَقُولُونَ: هِيَ الراحلاتِ
هَدَّوْهُ بِالْقَتْلِ أو بِشُرُودٍ وانضمامِ لِسَيِّدِ الصافِناتِ
جَزَعاً من حِسامِهِ إِذْ عَلَيْهِمْ ثِقْلُهُ في الصِّالِ والكِرَّاتِ
حين سامي يَكُونُ في نشوة اللّهُوِ، مَدَارَ الكُؤُوسِ والحَفَلاتِ
لَيْتَ من يُسَعِّرُ الحُرُوبَ يُعَانِيهَا، وَيَلْقَى نيرانها صالياتِ
لا جَلِيسَ المَذْياعِ يَرشِفُ كَأْساً وَيُتِمُّ السُّرُورَ بالغانياتِ

...

أَذَعَنَ الْقَائِدُ الْمُهَدَّدُ لِلْأَمْرِ، وَعَقَدَ الشُّرُوطَ لِلرَّحَلَاتِ

١ بعد أن ردَّ الأمير محاولة الرشوة أنذر سامي بالهجوم فبعث وفداً يسترضيه ويقول نحن ضيوفكم . ولم
تفترمه ابن رشيد عن المؤامرات واستقدام الترك الى حابيل . فجهَّز الأمير حملة وتزل البكيرية وأرسل بلاغاً
للغاروقي ينذره إما أن يرتحل بمجيشه عن القصيم، وإما أن يرحله ابن سعود من نجد فيرد الجنود العراقية للعراق
والشامية للشام، وإذا رفض أحد الأمرين فهو هاجم عليه لا عالة . (ت . ن .)
٢ الدُّوُّ : الغلاة . ٣ الضبح : الصوت الذي تخرجه الخيل من خياشيمها .

طلب الخيل والنجائب للنقل، وصون الفيالق الخائفات
 ٧٨٥ فحماهم عالي النجار كريم صادق في القتال والهدنات
 صيته جرهم إلى أرض نجد ظلهم ردهم إلى الآيات
 حمدوه لأنهم من فم الموت أفاوا للأهل والزوجات
 نبهه أنطق الفيالق بالشكر، وهز «الخوائيم» المخدرات
 هز عبد الحميد في دسسته العالي، فعاد الأمير قطب التفات
 «النياشين» والبراءات تهدي لحواشي الأمير بالعشرات

...

فجعت «حابل» فإذا دهاها؟ من صروف الزمان والآفات
 حفر الدمع في الحدود ثلوما وبرى الحزن أضلع النادبات
 ناشجات لا يستطعن انتخاباً فيرقن الدموع مؤثرات
 الشرارات في الضلوع خوفاً غير سيل الجمار منطلقات
 ٧٩٥ وأشد الحريق ما ليس يبدو منه إلا شرارة الزفرات
 لم ينل «متعب» ولا أخواه مدحة في تفجع الباقيات

١ بعد أن رحل الأمير عساكر الدولة العثمانية جاءه شكر من السلطان عبد الحميد نظراً للمعاملة الشريفة التي عامل بها عساكر الدولة، وسأله إيفاد مندوب عنه للأستانة فأرسل صالح العدل ومعه اثنين آخرين فنزلوا ضيوفاً على الحفزة الشاهانية ومنحوا الألقاب والنياشين. ٢ نشج الباكي: غصن بالدمع من دون انتخاب. ٣ حالت الأحوال في حابل فجري الدم في بيت الرشيد وتولى الإمارة سلطان بن حمود، أحد الإخوان الثلاثة الذين قتلوا أبناء عبد العزيز الثلاثة. أي الأمير متعباً وأخويه إذ خرج أبناء العم إلى الفلاة في رحلة صيد. لمز كل من الإخوان أبناء حمود حصانه، وساقه على واحد من أبناء عبد العزيز، فتناوله من السرج بشعره وأغمد خنجره في صدره. غير أن سعوداً أخا سلطان لم يأذن لأخيه بسوى سبعة أشهر في الولاية، إذ بادر إلى حبل خنق به سلطاناً، ودفعه في حفرة بالقصر. وسيقتل هو نفسه في الغرفة نفسها التي قتل فيها سلطاناً... (ت. ن.)

شيمة البيت أن يُعدَّ شقيقٌ لشقيقه أشنع القتلات
يتفانون بالخناجر إخواناً ونسل الأعمام والعمات
لا ينال المعروف منهم ذوو القربى، فتلك الأرحام أرض موات
فإذا أخصبت أنت بقتادٍ أو هشيمٍ يُعدُّ للمحركات
إيه سلطان لا تصفق للملك عمره عمر فاسد الثمرات
مثلك الغادر الشقيق، ستردى مثلها صيد أجبن الطيبات
لم يُشرفك بالخناجر عققاً أخذاً عنك أيسر الذبجات
سوف يرديك كالصعاليك شققاً ويواريك أضيّق الحفرات
^{٦٥٠} أنت تعطي الأمير جبل خداع ويعدُّ الشقيق جبل المات
كيف أرسلت للأمير رسولا؟ تطلب الصلح وانعقاد الصلات
وعليه تثير نجداً وتدعوها لشحذ البوار الكامنات
قد زرعت الشقاق في كل فجٍ وبثت النفاق في الدعوات
خجل المرقم الجهاد من الإفك، فادى شكاته للدواة
فاستجاشت تود صفعك بالخبر، وكفت مكبوتة الآهات
كرهت أن يلوّث الخبر وجهه أسحم سح جلدّه بالقحات

...

١ باشر سلطان حكمه بالفاتنة فأرسل إلى الأمير يطلب الصلح . وفي الساعة نفسها أرسل يخطب مودة أهل القصيم ويستصرم عليه . فاستشار ابن سعود أبا الخيل وفصل الدويش ونابف الهذال فأجمعوا رأيهم على الحرب . ثم خذلوه وتآلبوا عليه وبدأوا يناصرون ابن الرشيد . وفي الكتب التي وردت على ابن الرشيد كتاب من الشيخ مبارك يحرّضه فيه على ابن سعود ويلج عليه في الاتفاق مع أهل القصيم . (ت . ن .)

واستشار الأمير في الحرب أقطاب النواحي، ييارق الغزوات
 كأبي «الحيل» و«الدويش» و«هذال» فبئس الثقات غير ثقات
 ليس تؤذيك طعنة من عدو بارز الحقد بين الطعنات
 وتؤاذيك غمزة من حليف ضاحك السن رائب الغمزات ٥١٠
 يا له من مثلك جمع الغش، زوايا الخداع مزدحمات
 حلقات وكل واحدة خطب، فكيف الثلاث مجتمعات
 فأبو «الحيل»، كالنسيب الذي ولي، ولوع الفؤاد بالسيئات
 هو حلف الرشيد ياترر الليل وزجي الدسائس الشائعات
 يا أبا «الحيل» كنت لابن سعود فمتى صرت في الخصوم الغلاة
 علفت «حایل» بقلبك حتى برمت سبل «حایل» بالسعاة
 ليس بدعاً اذا تعشقت «سلطاناً» فإن الأخلاق كالأخوات
 يجمع الغدر خائناً بخؤون كانتظام الحبات في السُّبحات
 بقيت حبة ليستكمل السلك الدراري وينظم النجمات
 وهي في الصيت والنفاسة كثر ٥٢٠ وهي في العقد أوسط الحبات
 جاورتها على الزمان الآلي فعدت نسج وحدها في الكرات
 واستدارت فليس يدرك مبداهها فكانت دوائر دوائر
 واسمها؟ ما اسمها سوى الشيخ مقروناً بنجم «الصباح» والبركات
 يرسل الكتب للرشيد تباعاً ويدث الدعاء إثر الدعاء

١ أوسط : أشرف من وسط بوسط : صار شريفاً وحيباً ومن هذا القيل قول القرآن المجيد «وجعلناكم أمة وسطاً». ٢ الكرات مفردة الكرة وهي كل جسم مستدير.

ما ترى ينفع العقاربُ سُمٌّ إن توانت في الدبِّ واللدغات
هو للدغٍ مثلها الظفرُ للسبعِ، ومثل الجناح للكاسرات

...

البوادي مُعسكران «فخر» و«مطير» و«شمر» في العداة
ولبعد العزيز راية «قحطان»، تليها «عتيبة» في الهواة
في ضواحي «بريدة» زغرد البارود، فارتج سهلها بالرماة
وأغار الأمير يطلب «سلطان»، وفي صدره لهيب الغضاة³⁰
ودوي الإعصار في ثورة الريح، وعزم الأسود موتورات
ما أطاق الحصان دولة عزم فكبا دون وطاة العظاات
وأصيب الأمير من ألم الكسر بإغماءة، كمثل السبات
لم تدم غير ساعة، واستفاق الليث، بين الأرز والصيحات
غشية كانت الوحيدة في العمر، وكانت أخيرة الكبوات
دحر الخائن «الدويش» وعاد الغادر الذئب في إهاب الشاة
بات ذاك الطاووس بعد اختيال أمعط الذيل دامي الريشات
غارياً من ركائب ومواش وعيال، كعريه من صفات

...

١ في إحدى غاراته على ابن الرشيد كتب الفرس بالامير فوق وقع وقعة مشؤومة فكسر عظم في كفه اليسرى وأغمى عليه . وكان فيصل الدويش قد جاء لنصرة الرشيد وأنزل أهله في الطرْفية . وتقدم بخيامة ورجاله إلى بريدة فخرجت إليه سرية وقتلت عدداً من رجاله وغنمت مواشيه . وهجمت بعد ذلك على الطرْفية فذبحت أهل الدويش واستولت على البلد .
(ت . ن .)

لم يأتِ الأميرَ للنوم جفنٌ كيف يغفو مشردٌ الخاطرات
 ٥٤٠ بينَ همّين: همّ جرحٍ أليمٍ وعدوٍّ مضاعفٍ القوّات
 كاذٍ من فرطِ حسبه يسمع الخيلُ، وزحفَ الأعداءِ والهمساتِ
 إنَّ للموجعِ المسهدِ أذناً تتعصّى دقائق الأصواتِ
 سمعه قلبه يُحسُّ صداها ويراهُ الفؤادُ في الدقائق
 ثاقباً خبرةَ السنينِ وعقباها، ويلقى الجوابَ في لحظات
 «لا تناموا قال الأميرُ، خيلُ القومِ، سدّتْ منافذَ الطرقاتِ»
 فأعدّوا لهم زنوداً صلاباً وسيوفاً بواراً يقطّات
 بين نارين أنتم فالبوادي وأهالي «بريدة» في العصاة
 واحذروا هجعةً، فياربِّ شعبٍ بادٍ في غفلةٍ من الغفلات
 قاتلوهم ولا تموتوا نياماً لست أرجوكمُ حمايةَ ذاتي
 ٥٥٠ قدرةُ الله والملائك حولي وحسامي، ولو جريماً، حماتي

...

طال سهدُ الجنود، وانتصف الليلُ، فظنّوا عدوهم غيرَ آتٍ
 فاستناموا فباغتتهم أُلوفٌ من مواضي «بريدة» والفلاة
 فاستفاقوا على سعيَرٍ جسيمٍ ونُيوبٍ فَرَّاسةٍ كالحاتٍ

١ هجعت البادية من جهة وأهل بريدة من جهة ولكن الحرس أفاقوا الحامية فصادمتهم وصدتهم . أما ابن رشيد ورجاله فتقدموا هادئين لياغتوا السعوديين وهم نيام فاستيقظ بعضهم وتضاربوا والمهاجرين بكعاب البنادق ثم بالسيوف فالت الدماء وعلت الأصوات : على المشركين ، على الحونة ! أطلقت عندئذٍ البنادق فهبَّ العسكر كله للقتال الذي استمر حتى الفجر . فبدت إذ ذاك المياه الجارية بين التخيّل ، وقد احترت من دم القتلى « صبحناكم لا صبحنكم العافية » . هذه هي الكلمة التي كان يردّها السعوديون عندما تلقفوا الرشيديين المهزومين . وتدعى هذه الواقعة واقعة الطرفية . وقد كان الفضل في النصر للحضر في الجيش السعودي أما البدو فشرّدوا وعادوا بعد بضعة أيام .
 (ت . ن .)

يا لعبد العزيز صاحوا وسلوها سيوفاً هنديةً خاطفات
 نام أصحابها وظلت تظلي شهداً في غمودها قلقات
 حين مدوا إلى السيوف أكفاً ضحضحت كالسيول مندفقات
 فأدارت من المنون كؤوساً مترعات على أكف السقا
 مرهفات فلم يُعذب قتيل ند عنه الوجود في لمحات
 علم أربابها بضرب وحذف مثلها بالجراح علم الأساء
 قيل تأقت حدودها فاستطابت أرجواناً يحني من الحيات
 فتوالت على الرقاب خفافاً لتزف الأجال مختصرات
 حمد النخل أرجواناً أراقت وزها لونه على الثمرات
 طلع الفجر لونه لون خدي قد علاه الحياء في الخفرات
 حسبتة الظنون آفاق ورد أو عقيق الأشفاق في الأمسيات
 حشريون دونوا صفحة المجد وبثوا الخلود في الساعات
 علمتهم سكنى البيوت صموداً فرأتهم أمثالها في الثبات
 حين كان العربان في جنة الليل يؤلون كالظبا النافرات
 إن من بيته رجال وشعر ليظل الحياة كالشعرات
 طارت على هوى كل ريح أبداً في تقلب وانفلات
 كان يوم «الطرفية» الفذ يوماً هيج الشعر في صدور الحداة

...

واستفاقت «بريدة» فهي ندسى كندامى العوانس الأسفات
ولكانت لولا ابو «الحيل» خفتُ مُحصناتُ الخدور معتذرات
عن رجال غشى الضلال مآقيهم وأصمى، فأعرضوا عن هداة
حسبوه «السلطان» بالنعت والفعل، فألقوه هفوة الهفوات
بعثوا للأمير عجلُ فإننا مسلموك المعازل الباذخات
ما أبو «الحيل» صاحب الأمر فينا إنه عدل ريشة في الزنات
وإفنا في الظلام، وليشهد الصبح هتاف التهليل والزغردات
وأناهم فلم يجد غير ليل أجوف الظل كاذب النفحات
كرروا دعوة الأمير قلباًهم فعادوا لسالف العادات
فهبواهم له ولابن رشيد وابي «الحيل» نجدة الشبوات⁵⁴⁰

...

كذباً شاع أن «سلطان» آت بالجياد الصوافن المعلمات
شدَّ عبدُ العزيز والغيطُ بادٍ من خلال الرواهش الجائشات
وقعة رامها قتال فناء ووسام المعامع الخائعات

١ أصمى الصيد : رماه فقتله وهو يراه . ندم أهل بريدة على ما فرط منهم . وظلّوا داخل البلد كأنهم
في حصار ثم راسلوا الأمير ليأتيهم فيهمجوا على أبي الحيل . لمز ابن سعود حصانه وراح بجيشه مسرعاً فوصلوا
إلى المكان المعين للاجتماع خارج البلد فلم يجد أحداً هناك . وقد تكررت هذه القصة مرات عديدة فكانت
ثمرتها الفشل والخذلان . (ت . ن .)

٢ الزنات مفردة زنة وهي المصدر من وزن . ٣ الشبوات مفردة الشبوة وهي الخد من كل شيء .
٤ المعلمات من أعلم الفرس : علائق عليه صوفاً ملوئاً في الحرب . ه الرواهش : عروق ظاهري
الكف .

لم يجد خصمه فعض شديداً ناجذيه خيبة وفوات
صدمة الخيل، وهي في سورة الجري حرام في سنة الحلبات
خيبة مرة وأيسر منها عذبات الرماح في اللبآت
نشدت حقها السيوف بأن تسقى نجيع الأبطال مبررات

...

ليس بدء من ساحة وزال يستريح البركان بالفجوات
«ماء فهد» في منحني طود سلمى ذلك النبع أقرب الساحات
590 «برغش» رأس «شمير» حلف «سلطان» عليه، فيا بواير هاتي
رفع الطرف «برغش» فإذا الأفق بحال الرغاء والززمات
السيوف المجرّات مرايا لاقتضاب الأعناق مجلّوات
والمذاكي يرقصن من شدة التوق، ويقطن محكم الحكمت
لم يخنه الذكاء والموت منه قيد شبر، أو فرجة الأغلات
قبنى للدفاع أمتع حصن شاده للذياد عقل البناء
ليس فيه من المتاريس ظل ومن الصخر فلذة من حصاة

١ العذبات مفردتها عذبة وهي الطرف من كل شيء . اللبآت مفردتها البية وهي موضع القلاوة من الصدر . ٢ بلغ ابن سعود أن ابن الرشيد زاحف من الجبل لينجد أهل بريدة أي الرشيديين فيها فشدّ ابن سعود ويأمر إليه فعلم عند وصوله للكهفة أن الخبر مكذوب . وكان برغش بن طوالة من رؤساء ثمر نازلاً ماء فهد بالقرب من جبل سلمى هناك . فسرى يريد الهجوم عليه فلما رآه ابن طوالة مقبلاً ساعة الفجر أركب الحرم على الخيل سافرات فجئن يلاقينه مستعطفات . ثم جاءه برغش طالباً العفو بل جاء يعاهده على الولاء وأقسم بالله أنه سيكون من رعاياه الخالصين . (ت . ن .)

٣ الفجوة : الثغرة . ٤ زمزم الشيء : سمع صوته من بعيد وله دوي . ه الحكمة : ما أحاط بمنكي الفرس من الأجسام .

الجدارُ المنيعُ صفُ نساءٍ في سروجٍ رجراجةٍ وجلات
طلعاتٍ في الصبح قبل ذكاءٍ مثلها في ضحائها سافرات
مثلها في البهاء لولا غيومٌ كدِراتٌ علقنَ بالعبرات
600 مرسلاتِ الشعور، شعثُ النواصي شاخصاتِ العيون مبتهلات
الشفاعات في انكسار العذارى والضراعات في فم الزوجات
فوجى، الليث بالظباء البواكي فاذا الليث في حنان الشاة
ويصدُّ الشريف أصلاً وخلقاً دمةٌ لألآتٌ يحفن فتاة
فالذي صاغهن من واهن العطر حباهن هيبة الآلهات
تحت أقدامهن ينبسطُ الوردُ، وتندى أزاهرُ الجنات
ما نجومُ التاريخ، والأعصرُ الأنوارُ، إلا صنيعه الأمهات
من يدنسُ باللحظ طهرَ نهودٍ عَقَّ من السماء في الحملات
حيثما تكمن الأمومة فالدنيا ترفُّ البشرى بكون آت
إنما المرأة النقيّة روضٌ فتنمُّ وروده العطرات
610 فهو إن شئتَه إلى الخلد بابٌ وهو إن شئتَ مطلعُ اللعنات
حارثُ الكرم خالقٌ للدوالي وبديعُ اللجين في الحبّات
ما العناقيد كالواقيت إلا عزّ ماتُ الكرام منتظّات
جهده السمع بارزاً، وأياديه ولونُ السخاء في اللؤلؤات
من بيتِ الأدغال في الكرم يندمُ ويجاوزُ ملامسَ الحيات
آدمٌ يهد السبيل إلى الجوع، فيؤتى البلاءُ تفاحات

جَنَّبِ القفرَ والمفاوزَ وانزلْ من نعيم الدنيا على الواحات
لو خلا الكون من رفيف شذاهنَّ، لعاد المعمورُ صحراوات
زهراتُ الجمال ينفجنَ بالطيب، وسحر القلوب، والنشوات
ما تراه، بدون حواء، حسن الأنجم الزهر والربى الحاليات
620 أَلْسَمَى غَضُّ الربيع ربيعاً إن خلا من براعم الوردات
هنَّ في دولة القريض القوافي ومثال الجمال للتحآت
عنترُ ألهم النضارة لما نعت الفاتنات بالآنسات
حفنُ الإيناس من كل صوب في أنيق الأداء، في اللفتات
وإلين يهدف السمع إماً ينتصت للعنادل الساجعات
ولشدو «الكان» إماً يرنح مهجة الليل بالروى الهاتفات
ما تعمذن في الأحاديث شعراً وترنُّ الأسجاع موزونات
الليالي بدونهنَّ ظلام فاذا جنن كوكبت صاحيات

....

ما ترى يفعل الأمير؟ وعاد السيف في كفه نظير قذاة
مطرقاً قال قد عفوت فكادت «شمراً» تشتويه بالقبلات
630 «برغش» قال - مخلصاً - لك ودي كلما جدد الصباح حياتي

١ إشارة إلى قول عنتر في المعلقة: داراً لأنني غضيب طرفها. ٢ انتصت له: سمع لحديثه بدون أن يبدي كلاماً.

ومضى مصلاً فجدد عهداً خان «سلطان» نصه مرأت
فتقاضى الأمير ينبغي حياداً منه لكن إخلاصه! .. هيات
كان ينبغي تفرغاً لأبي «الحيل» فيزجي حواسم الصفعات
ودعته «بريدة» كربة أخرى تراها تكون كالسافات
مؤمن غير مرة لدغوه أي جحر هذا وأي ثقات
جاءها والمساء غشى ربها أين جيش الأنصار؟ في الشرفات
لم يجد غير عشرة خارج السور، وقالوا يأتونه بالمائات
عشرة للأمير! والرقم فال وحيب في صفحة الذكريات
يوم فتح «الرياض» عاد إلى البال، وهاج العزائم الحيات
640 لم يكلفهم سوى فتح باب، يعرف الماء دربه في القناة
وكذلك الأمير يعلم درب النصر، علم الأسود بالأجمات
رتب الخيل والمشاة سرايا تتوالى الهجوم في دفعات
فتحيط الأولى بقصر أبي «الحيل»، فلا يهتدي سبيل نجاة

١ كان برغش رسول السلم بين الأمير وابن الرشيد فجددت المعاهدة السابقة التي خرقها سلطان ولم يتقيد بها متعب. ولكن ابن سعود لم ينخدع وما أراد في ذلك الحين غير حياد ابن الرشيد لينفرغ لاني الخيل. وعاد أهل بريدة يدعونه لاحتلال المدينة فجاء ولم يجد من الأنصار سوى عشرة فلم يكلفهم أكثر من فتح باب السور عند صلاة العشي. وأمر سريتين بالتقدم ثم بالدخول إلى البلد إذا ما فتح الباب فيسيرون حالا إلى البيوت الغربية من القصر المقيم فيه أبو الخيل ويحتلونها. وكذلك كان فاحتلها ثلاثمائة من الفرسان.

(ت. ن.)

٢ إشارة إلى الحديث: لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين. ٣ وقف الأمير عند الباب وأرسل فرقة عددها خمسة رجل لاحتلال الأبراج القريبة منه. ثم دخل على رأس جيشه وقبل دخوله خطب فيهم قائلاً: «أنا هاجون على هذا البلد فاحذروا أن تؤذوا من لا يعترضونكم، أو تسيثوا إليهم بشيء. حاربوا من حاربكم وسالوا من سالمكم. أما البيوت فلا تدخلوها، وأما الحرم فمن اعتدى عليهن فيدي عليه».

(ت. ن.)

« حاربوا من أراد حرباً وكفوا يداكم عن دنيئة وأذاة »
 من بغى السلم نحن أدنى إليه إننا السابقون للحسنات
 حاربوا خارج البيوت، فإن البيت قدسٌ محرمٌ العتبات
 فهو مأوى المرضى وحصن شيوخهم أخلقتهم جديدة الأوقات
 وصوان الحرم، كهف اليتامى وملاذ الأطفال والمرضعات
 من يحاول بفكره مس أنثى يحصد الموت قاطراً من شباتي
 نحن للنصر والفتوح أتينا لا لبث الفحشاء والمنكرات
 لا تقول العصور مجدٌ سعود ضاع بين الأجرام والشهوات
 سنة الراشدين لم تبدل في كتابي وسنتي وصلاحي
 أتقى الله في السريرة والجمهور، وفوق السرير والصهوات
 سدّدوا للعلاء طرفاً فتلقوه، ضياء المصباح في المشكاة
 قالها وانتضى الحسام فكرّوا كسدود الأنهار منفجرات

...

طلع الفجر لؤلؤي الثنايا ذهبي الأذيال والعذبات
 يا أبا «الحيل» ابن خيلك ولت أجیاداً علوت أم رمكات
 أسلمت جندك السلاح وراحت تطلب العفو من مغيث العفاة
 لا تحف يا أسيره، فهو فوق الحقد، فوق الذحول والنقعات

١ العذبات : الأطراف من كل شيء . ٢ رمكات : مفردتها رمكة وهي البرذونة .

٦٦٠ أحمَرُ السيف، أبيضُ القلب سَمَحُ طاهر الذيل، ناصع الصفحات
 أينما شئت يسر عليك أمانُ أسقط العفو عنك جم الديات
 راح ذاك المنكود، يحو خطاياهُ، بشطان دجلة والفرات

٢٥. البطل الدولي

عرشُ عبد الحميد كان فبانا أترى العهدَ بَدَلَ الألوانا
 لَيْتَهُ ظَلُّ في المظالم فرداً أَلْفُ عبدِ الحميد حَلُّوا المكانا
 الطواغيتُ، قبلَ أن يبلغوا الدستَ، يُخَالُونَ زُهْدًا حُمَلَانَا
 وَتَرَاهُمْ حرباً على كلِّ طاغٍ فَإِذَا سُودُوا عَلَوْا طَغْيَانَا
 جَوَاهِرُ الفاشمين لم يَبْدُلْ الْأَفَاعِي تَبَادَلُوا الْقَمِصَانَا
 فَإِذَا تُرْكِيَا الْفِتَاةُ عَجُوزُ رِيحُهَا النَّتْنُ يَبْعَثُ الْغَشْيَانَا
 أَنْكَرَتْ ظِلَّهَا الْأَعَارِبُ حَتَّى نَاصَرُوا فِي قِتَالِهَا الطَّلِيَانَا
 ٦٦٥ جَلَفُهَا سَيِّدُ «الْأَدَارِس» وَالِى عَرْشَ «رُومَا» وَطَلَّقَ «الْخَاقَانَا»^١
 فَتَوَى التُّرْكُ أَنْ يَشِيرُوا عَلَيْهِ عَرِيباً لِسَيْفِهِمْ مِعْوَانَا
 هَلْ يَقُولُ «الْحَدِيدَ إِلَّا حَدِيدُ» فَدَعِ الْعُرْبَ فِي الْوَعْيِ تَتَفَانِي
 هَلْ سِوَى رَايَةِ السَّعُودِ لَظَلَّ مَنَعَشٍ فِي الْهَجِيرَةِ الْحَرَانَا
 — «لَكَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مَا شِئْتَ مَا لَا وَسِلَاحاً وَدَوْلَةً وَامْتِنَانَا»
 — «لَنْ أَعَادِي مِنْ أَجْلِكُمْ عَرِيباً مِنْ ضُلُوعِي! هَلْ أَنْهَشُ اللَّحْمَانَا»^٢

١ الغنيان : التقيتو . ٢ الخاقان : سلطان تركيا .

— «مَدَّ ظِلًّا عَلَى «الحساء»، اتقاء «الهرقليات» تَنَسَّفُ الشُّطَّانَا»^١
 أيُّ فضلٍ لكم على العرب حتى تأملوهم في خطبكم أعوانا
 أيُّ فضلٍ أسلفتموهم وكانوا عدماً في عيونكم أو دخانا
 عجباً تُتلفُ الرعاةُ المراعي وتسوم الرعيَّةُ الألبانا
 ٦٨٥ أنتم الزارعون فيهم قتاداً أتودون جنيهُ رُمَّانا
 البذورُ التي زرَعْتُم شقاقاً بيننا أسعرتُ عليكم قِلالنا
 في هوانِ الأعضاء ذلَّةُ رأسٍ جرَّ من نفسه عليه الهوانا
 لو أبختمُ لكلِّ عضوٍ حياةً وبَسَطْتُم على الجميع الصيانا
 فتظلُّ الزُودُ منطلقاتٍ لا قيوداً تلقى ولا قضباناً
 لتبَّارت إلى السفينة أشطاناً، صلاباً، تُخْلِصُ الرَبَّانَا

١ الهرقليات : السفن المنسوبة الى هرقل والمقصود هنا الأسطول الطلياني . ومعلوم انه بعد أن قلبت حكومة الاتحاديين عرش عبد الحميد وتبوأَت مكانه عاد كل واحد منهم عبد الحميد رهيباً . وقد أفضت تلك السياسة الفاشية الى انتصار إيطاليا واستيلائها على طرابلس الغرب ، وكان السيد الأدرسي حليف الطليان . وقد طلبت حكومة الاتحاديين مساعدة ابن سعود . وتعهدت ان تقدم كل ما يحتاج اليه من السلاح والذخيرة والمال فرفض ، وكتب الى الحكومة كتاباً يقول : إنه عربي فلا يحارب العرب من أجل تركيا . (ت . ن .)

٢ الأشطان : مفردا شطن وهو الجبل . عادت الحكومة التركية فطلبت من ابن سعود ان يخص الأحياء بمسكر حربي لحماية تلك الناحية فرفض . ثم كتب اليه والي البصرة يسأله رأيه في أمر العرب وشقاقتهم وخروج بعضهم على الدولة العثمانية فكتب اليه الامير جواباً صريحاً يدل على انه منذ ذلك العهد كان يفكر بالوحدة العربية ومما ورد في الجواب : « انكم المسؤولون عما في العرب من شقاق فقد اكتفيتم بأن تحكموا وما تمكنتم حتى من ذلك . قد فاتكم ان الراعي مسؤول عن رعيته ، وقد فاتكم ان العرب لا ينامون على الضيم ولا يبالون اذا خسروا كل شيء وسلت كرامتهم . وينبغي ان تكون الولايات العربية مستقلة استقلالاً ادارياً وتكونوا أنتم المشارفين عليها . فاذا تم ذلك فعلى كل أمير عربي أو رئيس ولاية أن يتعهد بأن يعضد زملاءه ويكون وليام يبدأ واحدة على كل من تجاوز حدوده أو أخل بما هو متفق عليه بيننا وبينكم . » وشعرت الأستانة انه يرمي الى الوحدة العربية فبدأوا بمقاومتها سراً وعلناً بمساعدة عمَّالهم مباشرة وبواسطة بعض امراء العرب . وقد كان يومئذٍ جمال باشا في بغداد ، والشريف حسين في مكة ، وابن الرشيد في حائل ، في مقدمة من يسمعون كلمة الاستانة ويطيعون . (ت . ن .)

أدركَ التركُ أنها وحدةُ العربِ، فصَمَّوا عن قوله الآذانا
 أنه الصخرُ حيثُ يَضْمُرُ حَبٌّ وَلَوْ انْهَلَّ غَيْثُهُمْ تَهْتَانَا
 فَلْتَسَلْطُ عَلَى الْأَصَمِّ جِبَالُ من حديد تُفَتِّتُ الصَّوَّانَا
 يشهرون «السعدون» وابن رشيدٍ والشريفَ الحسينَ و «العُجَّانَا»
 ٦٩٠ و «مُطَيَّرًا»، فَيَا عِنَاقَ سَيُوفٍ أَصَبَحْتَ فِي عِدَائِهِ إِخْوَانَا
 الشريفُ الحسينُ يُغري البوادي بسعودٍ وينصر «الَهَزَّانَا»
 ناسياً عهدَه، يردُّ الهدايا شامخَ الأنفِ حاقداً غضبانَا
 يا ابنَ بنتِ الرسولِ ما كان أولى لو حفظتِ الولاءَ والقربانَا
 شِمةَ السبطِ أن يُجَلَّ الهدايا ويردَّ الهباتِ والإحسانَا
 وهدايا الأميرِ لا عيبَ فيها لا حراماً جنى ولا أدرانَا
 لا ادخارَ الشحيحِ، كاد لفرطِ الشحِّ، يَنفِي الأضراسَ والأستنانَا
 لا اختيالَ الفطريسِ بمنحٍ خيلاً فَيُرى العمرَ ذاكراً مَنانَا

...

عجبا عصبه «العرائف» خانت لا ذماماً رعت ولا عرفانا

١ حرض الترك على ابن سعود ابن الرشيد وابن السعدون . واستقوا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هي مطير ناهيك بالعجمان في الحساء، وبقبيلة حرب في أطراف الحجاز . ٢ طلق الشريف حسين يجرئ على ابن سعود القبائل ومنهم عتيبة ثم جهز جيشاً لراشد الهزاني (هو من الهزازنة أقارب آل سعود) الذي كان قد لجأ (العرائف) اليه وسيّره على الحريق . وقد أمدّ (العرائف) في محاربة نسيهم صاحب نجد . فأرسل ابن سعود صالح باشا العذل إلى الشريف ومعه هدية من الخيل وكتاباً جاء فيه : «انسا نستقرب منكم هذا العمل وبيننا وبينكم معاهدة .» وكان جيش ابن سعود قد أغار على فخذ من عتيبة المنشيعة للعرائف فغضب لذلك الشريف وردّ صالح العذل خائباً وردّ فوق ذلك الهدية فخرج العرائف وهم عتقاه سيف الأمير كما تقدم، على ابن سعود . (ت . ن .)

ومن النكر أن مَضْنَى غريقاً نحو من شأله يمدُّ السنانا
 ٧٥٥ إصبعُ الترك خلفَ تلك الحازي أشعلتْ في القبائل النيرانا
 لا تلوموه يا «مغول» فأنتم قد زرعتُم دُروبه عدوانا
 ها هو الليثُ في «الحساء» على «الحفس» فويلُ إن هجتمُ البركانا
 جاء يمتارُ إن أردتمُ سلاماً وهي الحربُ إن تروموا الطعانا

...

كان في ذلك الزمان «جمال» والياً باغياً على «بغدانا»
 أظهر الودَّ للأمير وأبدى مَلَسَ الحزِّ والحرير ليانا
 «وافني قال» بالرسول فأسعى لوثام يعيدكم خلانا
 «فيعود الحسين للعهد كالأمس» ويمحو الترات والأضغانا
 فأتاه الرسول يشهد عن قربٍ وفاءً وحنكةً وإترانا
 فرأى مطلعَ الجمال دميماً غاضَ في قبجه الجمال وهانا
 ٧٦٠ ليس فيه من المرونة إلّا ما ترى العينُ إذ ترى الأفعوانا
 ذاك أن الرشيدَ بالأمس أغواه فزأغتُ أجفانه زيانا

١ نزل الأمير على ماء الحفس ثم تقدم إلى الحساء فأرسل الاتراك يستطلعون خبره فقال انمسا قصدي
 الامتياز (أي شراء الامتعة والزيادة) والحقيقة انه ابتاع ما كان في حاجة اليه للجنود وعاد الى الرياض تاركاً
 عسكره في الحفس . (ت . ن .)

٢ الترات مفردة ترة مصدر وتر والمقصود الثارات والأحقاد . ٣ كان جمال باشا والياً في بغداد وكان
 يتظاهر بصداقة ابن سعود وسأله إرسال مندوب لحسم الخلاف بينه وبين الشريف فأرسل اليه أحمد بن ثنيان .
 ولكن جو السياسة العربية كان قد تغير فسطع فيه نور ابن الرشيد . وكان النور شبيهاً بوهج الاصفر الرنان
 فجذب «الجمال» لابن الرشيد . وعندما وصل ابن ثنيان الى بغداد وجده غير جميل وسمع كلاماً لا لجمال فيه
 ولا حكمة . (ت . ن .)

غَشِيَتْ بالنضارُ يُحْمَلُ أَكِيَّاساً، وَيُشْتَارُ أَصْفَرًا رَنَانًا
 بَدَرَاتُ النضارِ تَغْشَى حَرِيصًا فَتَلَاثِي أَوْ تَطْمِسُ الْوُجْدَانَا
 « قُلْ لِمَوْلَاكَ غَرَّةَ صَفْحٍ » فَيُضِي « وَأَرَاهُ بِنَفْسِهِ سَاوَانَا »
 فَتَنَاسَى مَقَامَهُ وَهُوَ يَدْرِي أَنَّنَا الْأَرْفَعُونَ حَوْلًا وَشَانَا
 « قُلْ لَهُ إِنِّي بَطَابُورُ جَنْدٍ أَوْ بَضْعِيهِ أَبْلَغُ » الصَّمَانَا
 وَأَدُوسُ الذُّرَى بِأَكَامٍ « نَجْدٍ » مُبْلَغًا صَهْلَةَ الْجِيَادِ « عُمانَا »
 وَأَدَكُ « الرِّيَاضَ » عَلَوًّا وَسَفَلًا وَأَبِيدُ الْأَبْرَاجَ وَالْأَرْكَانَا
 فَأَجَابَ الْأَمِيرُ: نَخْتَصِرُ الدَّرَبَ، عَسَانَا عَمَّا قَلِيلٍ عَسَانَا
 شَرَفُ الْعُرْبِ يَقْتَضِينَا بَدَارًا لَا نَسُومُ الْبَاشَا بِحِيٍّ حَمَانَا
 سَيُضِلُّ الْقَوَادُ فِي نَجْدِنَا الْوَعْرِ، وَتُخْفِي قَفَارُنَا الْبُعْرَانَا
 قَدْ شَحَذْنَا لَهُمْ سَيُوفًا حَدَادًا لِيَلْقُوا حُتُوفَهُمْ شَجْعَانَا
 أَيُّهَا الْغَرُّ كُلَّ آتٍ قَرِيبٌ سَتَرَانَا حَيْثُ الْفَخَارُ يَرَانَا

....

١ البدره هي عشرة آلاف درهم والمقصود الكميات الكبيرة من المال . ٢ عثمان والصمان :
 عثمان لمكانين . قال جلال باشا مخاطباً أحمد بن ثاني : « ابن سعود لا يعرف مقامه وقد غرته أن صفع عنه
 المشير فيضي باشا . فإذا كان لا يقبل بما تطلبه الحكومة فإن في إمكاني أن أخترق بلاد نجد من الشمال إلى
 الجنوب بطابورين لا غير . » عاد أحمد يعمل هذا الكلام إلى عبد العزيز . فكتب عندما استمعه إلى جلال كتاباً
 أرسله بواسطة وكيله في البصرة عبد اللطيف باشا المنديل وفيه هذه الكلمة : « قلتم انكم تستطيعون بطابورين
 أن تخترقوا بلاد نجد من الشمال إلى الجنوب ونحن نقول اننا سنقصر لكم الطريق وذلك قريب إن شاء الله . »
 ثم كتب إلى عبد اللطيف المنديل يقول : إذا سألك الباشا هل أنت مندوب ابن سعود فقل لهم اني عثمان ،
 خشية أن يلحق به ضرر . ولكن المنديل كان شجاعاً فقال للاتراك إنه وكيل ابن سعود ، وأنه نجدى ،
 وأهمهم انهم قد جهلوا قدر الرجل وهو عثمان قريب يعرفهم بنفسه . (ت . ن .)

يا «جمال» القبح الرهيب أحقاً كنت تعني ما قلت أم هذيانا
 مولعاً كنت بالدماء ولكن كنت في سفحها دنيئاً جبانا
 لم ير الشرق مثل وجهك وجهاً منذ قاء التاريخ «جنكيز خانا»^١
 ومن الهزل أن تسمى جمالاً أي حسن مجلل الشعبانا
 سوريا لن يبد ذكرك فيها كلما الشعب ذكر السرطانا
 وتعود القرأ بالله إماً في العشايا ترتل القرآنا
 من رجم ويضمرون «جمالاً» كل شعب يشخص الشيطانا
 «فلروما» نيرونها و«لعكاً» كان «جزأرها» ومثلك كانا
 «مرجة» الشام بالمشانق غصت فتي الصلب أنبت العيدانا
 في دجى الليل راح يزرعها الباشا رؤوساً فأثمرت أوطانا
 إن تلك الهامات في هيبة الموت لتعلو فصاحة «سحبانا»^٢
 ميتة الصامت الشهيد تساوي كل ما قطر النبوغ بياناً
 غوطة في دمشق ثالثة طرت وشأت أن تنبت الإنساناً
 أخذ الغوطتين تلتظم الدهر ويوفي شبابها الأزمانا
 قد قضت عصابة الميامين أبطالاً يصيحون: فليعيش «بردانا»^٣
 مرسل الصوت يسكب الخير حراً وطليقاً يوشوش الغدرانا

١ قاء الانسان اي أرجع ما أكله . جنكيزخان : الفاتح المعروف بالظلم . ٢ أحمد باشا الجزار
 وكان مشهوراً بالظلم والفسوة . ٣ الصلب : المكان الغايظ الحجر . ٤ سحبان وائل : الخطيب
 المشهور . ٥ لدمشق غوطتان : الغربية والشرقية وقد جعلنا على سبيل المجاز المرجة غوطة ثالثة .
 ٦ بردى : نهر دمشق المشهور .

٦٤٥ كلما رَنَحَ العُصُورَ التَّوَالِي للرياحين والقرون رَوَانَا

....

يا «جَمَالًا» وما ذُكِرْنَاكَ إِلَّا سَوَدَتْ عَتَمَةُ الرَّمُوسِ رَوَانَا
جِيْفَةً أَنْتَ فِي الضَّمِيرِ وَنَتْنٌ كَيْفَمَا هَبَّ أَيْرَمَ الْبِلْدَانَا
كُلَّ إِثْمٍ إِلَى الشَّيَاطِينِ يُعْزَى كُلَّ إِثْمٍ تَحَالُهُ دُنْيَانَا
لَمَلَّتْ يَدَاكَ مِنْ كُلِّ عَصْرِ وَرَمَتْ سَهْلَنَا بِهِ وَرُبَانَا
كَانَ سَقَطَ الْأَيَّامِ أَوْ بَصَقَةُ الدَّهْرِ، صَبَاحُ أَلْقَاكَ فِي لَبْنَانَا
لَوْ سَلَلْتَ الْحَسَامَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، لَأَوْدَتْ عَزِيزَةً مَوْتَانَا
جِئْنَا حَاكِمًا وَمَا كُنْتَ إِلَّا وَالْعَا فِي دِمَائِنَا سِرْحَانَا
حَاكَمَ الظُّلَمَ يَسْلُبُ الْقُوَّةَ مِنَّا لِيُغْذِيَ بَخْبِرْنَا الْأَلْمَانَا
الطَّوَّاحِينَ أَصْفَرَتْ مِنْ حُجُوبٍ فَعَلَى نَفْسِهَا تَدُورُ رَحَانَا
٦٥٠ وَعَلَى نَفْسِهَا تَدُورُ عَيُونٌ هَائِمَاتٌ تَطَارِدُ الرِّغْفَانَا
نَاتَتْ تَكَادُ، مِنْ شِدَّةِ الْجُوعِ، الْمَلَأَى تَفَارِقَ الْإِنْسَانَا
زَائِغَاتٌ وَمَا أَصَابَتْ مُدَامًا مَا أَصَابَتْ إِلَّا حَثَالًا زَوَانَا
لَمْ تَصَادَفْ سِوَاهُ مِنْذُ لَيَالٍ زَاخَمَتْ فِي التَّقَاطِ الْخِيَوَانَا
وَرَبِيبُ الْقُصُورِ أَلْفُ الْحَشَايَا رَاحَ مِنْ جُوعِهِ يَجُوسُ الْخَانَا
عَلَهُ ظَاغِرٌ بِحَبِّ شَعِيرٍ فَإِذَا خَابَ يَمَمٌ الْأَعْطَانَا

١ المَلَأَى مَفْرُودًا الْمَلَأَى وَهُوَ يَجْرِي الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنِ . وَإِنْسَانُ الْعَيْنِ : سَوَادُهَا . ٢ الْخَنَالُ : مَا يَسْقُطُ مِنْ فَتْرِ الْحُجُوبِ . ٣ مَبَارَكُ الْإِبِلِ أَوْ مَرَابِضُ الْغَنَمِ عَلَى الْمَاءِ .

حيثما تكثر المزابل^١ تلقى جائعات^٢ تدافع الغربانا^٣
 تجلب الجوع^٤ القمامة^٥، كالأجياف في القفر تجذب الغربانا
 ثلجنا لاح^٦ قائماً في الصياصي^٧ والأزاهير أدمعت^٨ في قرانا^٩
 باكيات^{١٠} أمثالهن^{١١} جمالاً^{١٢} فتيات^{١٣} وفتية^{١٤} غرانا^{١٥}
 ٧٦٠ عمروها^{١٦} قرى البهاء وكانوا^{١٧} للثرياً^{١٨} والمشتري^{١٩} جيرانا^{٢٠}
 يعجب الطرف^{٢١} حائراً في سناها^{٢٢} أنجوماً^{٢٣} يشم^{٢٤} أم^{٢٥} سكاكنا^{٢٦}
 كل^{٢٧} شبر^{٢٨} من أرضها^{٢٩} مدرج^{٣٠} الخلد^{٣١}، فعدّد^{٣٢} مدارجاً^{٣٣} وجننا^{٣٤}
 رفعوها^{٣٥} فكل^{٣٦} زند^{٣٧} عمود^{٣٨} من رخام^{٣٩} ممرّد^{٤٠} من ذرانا^{٤١}
 معصم^{٤٢} أجدل^{٤٣} كجذع^{٤٤} لبان^{٤٥} طالما^{٤٦} جاور^{٤٧} الذرى^{٤٨} واللبانا^{٤٩}
 بات^{٥٠} خيطاً^{٥١} لضعفه^{٥٢}، ويكاد^{٥٣} العظم^{٥٤} يغزو^{٥٥}، من جوعه^{٥٦} الشريانا^{٥٧}
 السقوف^{٥٨} الممرّدات^{٥٩} تهاوى^{٦٠} وعلى^{٦١} الأهل^{٦٢} تسيل^{٦٣} الأكفانا^{٦٤}
 وائدت^{٦٥} أنقاضها^{٦٦} أمهات^{٦٧} علّقت^{٦٨} في^{٦٩} ثديها^{٧٠} الرضعانا^{٧١}
 شبّح^{٧٢} الموت^{٧٣} يرضع^{٧٤} الموت^{٧٥} من ثدي^{٧٦}، وقد^{٧٧} جف^{٧٨} نضرة^{٧٩} وحنانا^{٨٠}
 رب^{٨١} أم^{٨٢} من جثة^{٨٣} الطفل^{٨٤} راحت^{٨٥} تتعشى^{٨٦} فتلهم^{٨٧} الجثمانا^{٨٨}
 ٧٧٠ بعضها^{٨٩} هاض^{٩٠} بعضها^{٩١}، وكلا^{٩٢} الجزئين^{٩٣} أودى^{٩٤}، فأشبع^{٩٥} الذؤبانا^{٩٦}
 من يدق^{٩٧} الأجراس^{٩٨} حزناً^{٩٩} وينعى^{١٠٠}؟ قد^{١٠١} أبح^{١٠٢} النحاس^{١٠٣} حزن^{١٠٤} الخزانى^{١٠٥}
 ربما^{١٠٦} البوم^{١٠٧}، والبيوت^{١٠٨} رموس^{١٠٩} في^{١١٠} العشيّات^{١١١} للضباع^{١١٢} نعانا^{١١٣}

١ الغربان : الجائع . ٢ الصياصي : أعالي الجبال . ٣ غرّان مفردا الأغر وهو الحسن
 من كل شيء . ٤ ممرّد : من مرّد البناء أي سواه وجعله أملس . ٥ اللبان : الصنوبر .
 ٦ الثدي : مفردا الثدي . ٧ لهم : ابتلع . ٨ هاض : كسر وفشت .

وحدادُ كسا المآذن صمّتا نسي المسمعُ التقيُّ الأذانا
المصلّون إن ترّمهم تجدهم حيث تلقى الطحين و«الأفرانا»

...

وصبايا كغدوةٍ الأرض حسناً قد أضعن النفوس والأبدانا
تتهاوى أطمارهنّ، ويهوي العرض، في إثر عريها، أحيانا
يتملّى الكعاب من يملك الحيز، وتستعبد العبيد الحسانا
سلع من برائن الفقر تُشترى فتقاضي أبدالها أدرانا
لا تساوي العفاف، كلُّ كنوز الأرض، إمّا تالأت أثمانا

...

780 يا جمال الطاغي وما كنت إلا كوكب النحس طالعا في سمانا
ساحة «البرج» رغم أنفك صارت رفرقا خلّدت به شهدانا
عليّة الراحلين عاشوا أباة وتعالوا معارجا لعلانا
في سبيل الأحرار جلّوا نسورا وهووا في سبيلهم عقبانا
دّمهم أنبت الزنابق حمرا طهرهم ألبس الرّبي يلسانا
عيدهم، عيد مجدهم كل عام حين تهمي تلالنا ريجانا
أتظن الرمال ظلت رمالا؟ بعد ما ضمّ تبرها قتلانا

١ الغدوة: مفردتها الغداة وهي بين الفجر وطلوع الشمس . ٢ ساحة البرج في بيروت أصبحت تدعى ساحة الشهداء بعد أن ركزت فيها أعمود المشانق . ٣ عيد الشهداء: يقسم في السادس من أيار أي في ميعه الربيع في لبنان .

يا جمالَ الشرور أخفقت ظناً أصبح الرملُ حولهم عقيانا
صهرتهم للخلد وحدة روح لا هلالاً تلقى ولا صلبانا
كلُّ عامٍ تطلُّ أرواحهم ناشرةً عاطرةً الشذا في ربانا
٧٩٥ أيها الخائنُ الذليلُ أشنقاً؟ لأباة ماتوا كراماً فداننا
ولأنت الخؤون إذ كنت تبغي أن تبيع «البُسفور» والساطانا

...

بطلَ الفاحشات هل نمت إلا دَيسَ الذيل فاجراً سكرانا
أرحيقاً ذاك الذي كنت تحسو؟ أم نغيراً مخضباً بدمانا
لو تأملت في المرايا لحت الذئب، في ظمئه يعبُ الدنانا
حواله لا ترى سوى حشراتٍ والدنايا تجمعُ العبدانا
ولفيف المؤنقات البغايا تتولى الأحكام والمهرجانا
حين تهوي على الرصيف اليتامى ويرى الشعبُ ساهداً جوعانا
قد حشدت الدنيا لغزوة مصر وفررت كما تفرُّ السمانى
شهدتُ رُعة «السويس» انكساراً كان في ذلك عرشكم إيذاناً

...

٨٨٥ سيحيى الغازي فيقلب دستاً وعلى العدل يركزُ البنيانا

١ العقيان: الذهب. ٢ كان جمال السفاح يفاوض الحلفاء ليدفعوا له بدل خيانة العثمانيين مليون ليرة عثمانية ذهباً ويقيموه ملكاً على سوريا ولبنان وفلسطين.

فَيَنْقِيهِ من وباءٍ قديمٍ ومن الجذعِ يَمْحَقُ الديدانا
مصطفى! بالكمال يوصف، ما أحلاه نعتاً، يا طيبه إرثانا
مصطفى ذكره يثير قوافينا، ويولي الجمال موسيقانا
لو هَتَفْنَا بذكره في ربانا أطلقت كلُّ أرزةٍ كروانا
واحدُ العصر صولةً وذكاءً قلبَ العرشِ سيفُهُ والزمانا
فإذا تركياً الجديدةً ضوءُ الشرقِ زياً، ونهضةً، ولسانا
حسبك الخلدُ، مصطفى، وملايينٌ يقولون: كلُّ يومٍ أبانا
لم تُخَلِّفْ نسلًا، وخَلَفَتْ دُنْيَا عِظَمَاتٍ شَدَّتْ مِنْهَا الْكِيَانَا
أينما مرَّ مصطفى سَوَدَ الْعَدْلُ، وشَادَ الْأَخْلَاقُ والعمرانا
810 ناسفًا في طريقه كلَّ حجرٍ كان يأوي ويحرسُ الأوثانا
وطناً شَدَّتْ لِلْخُلُودِ، وقد أحرزتْ، في كلِّ مَهْجَةٍ أوطانا

...

أَقْبَلَ اللَّيْثُ يَا جَمَالَ وَأَرْسَى فِي ضَوَاحِي «أَحْسَانِهِ» الْفَرَسَانَا
إِرْثِ أَجْدَادِهِ يَصِيحُونَ: هَيَّا مِنْ يَدِ الْأَجْنَبِيِّ طَهِّرْ ثَرَانَا
لَا يَصُدُّنَاكَ «الْهَفُوفُ» وَلَا السُّورُ، عَلَى «الْكُوتِ» فِي غَدٍ، تَلْقَانَا
إِنْ أَرَوَّاحُنَا تَرَفُّ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ لِيُرْجِهَ مَغْدَانَا

١ وصل ابن سعود الى أطراف الحساء ولم يكن له فيها معاونون غير وكلائه أبناء القصبي ويوسف بن
سويلم فألهم أن يعلوه بالمكان المناسب للهجوم على الكوت (وهو جهة من الهفوف فيها القلعة والحامية)
فعلوا وأعلوه بما هناك من الصعوبات لعلو السور ووجود الحرس فأرسل اليهم يقول: اننا هاجون في هذه
الليلة وكل صعب مهتل يحول الله .
(ت . ن .)

عاف أهلُ «الحساء» غطسةَ الترك، فأنقذهم هواهم هوانا

...

يا لروح الجدود صاح، ودار الجيش، من حول نسرهم بيزانا
قال: يا صفوة الأشاوس، إن «الكوت» من قلب صخره نادانا
ذلك الصخر كان دمية «كعب» ورأى جدُّ جدِّه عدنانا
حن، من فرط شوقه، لمواضينا، فلا يرتضي حماة سوانا
إننا الغالبون. كم فئة قلت وسادت أضعافها أقرانا
والذي أيد الجنود «بدر» من أعالي سمائه يرعانا
ويذل الأقوى سلاحاً ونبى عن مجالي تأييده إعلانا
إلبسوا معطف الدجى لا تضجوا واستكينوا ولو مسي رمانا
لا يرانا غير الذي كوكب النجم، ونجم يُنيرنا في سُرانا
واقصدوا السور كالتأثيل بكم لا ثقال الخطى ولا عميانا
سبب الذي يريد احتراباً ونوالي محايداً وآلانا
لا تؤموا البيوت واحترموها من يؤاذي حريمها آذانا
فلها في فؤاد كل نبيل هيبة ضم مثلها حرمانا

...

١ هو كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن
تزار بن مضر بن معد بن عدنان.

٨٣٥ وَمَشُوا خَلْفَهُ إِمَامًا حَبِيبًا أَلْهَبَتْهُمْ آيَاتُهُ إِيمَانًا
 حَامِلِينَ النَخِيلَ لِلسُّورِ حَتَّى خِيلَ فِي اللَّيْلِ مَاشِيًا بَسْتَانًا
 شَاخَتٌ جَذْوَعُهُ، كَشْمُوخُ السُّورِ، مِنْ مَلْعَبِ النُّسُورِ تَدَانِي
 رَكَزُوهَا فَخَفَّ مِنْهُمْ بُزَاةٌ أَلْفُوا فِي الزَّوَابِعِ الطَّيْرَانَا
 يَعْتَلُونَ الْعَصُونَ قَبْلَ وَتُوبٍ لِلْأَعَالِي فَيَبْلُغُونَ الْعِنَانَا
 فِي أَلْتَوَاءِ الْأَغْصَانِ قُوَّةٌ دَفْعٍ عَشَقُوا مِنْ جَرَانِهَا الْأَغْصَانَا
 عَشْرَةٌ فِي مَزَالِقِ الْمَوْتِ خَاضُوا لَا «جَمَالًا» خَافُوا وَلَا «عَجَلَانَا»
 جَبْدَا الرِّقْمُ لِلْأَمِيرِ صَدِيقًا لَمْ يُخَيِّبْ فَالًا وَلَا مِيدَانَا
 وَتَدَلَّتْ مِنَ الْأَعَالِي جِبَالُ لَا لَعُوبًا شَالَتْ وَلَا بَهْلُوانَا
 بَلْ تَشِيلُ الْفَخَّارَ نَطَقَ أَبْطَالًا، تَشِيلُ الرِّصَاصَ وَالْمُرَّانَا
 وَاسْتَفَاقَ الْحُرَّاسُ، مَاذَا؟ خِيَالٌ؟ أَمْ يَرُونَ الْأَعْدَاءَ وَالْمَعْمَعَانَا
 يَفْرَكُونَ الْأَجْفَانَ، فِي حِيرَةِ الْمَحْمُومِ، يَلْقَى مِنْ دَائِهِ الْبُحْرَانَا

٨٤٥

- ١ عجلان : هو أمير قلعة الرياض وقد تقدم الكلام عليه . وقد تسلق السور يومئذٍ عشرة أيضاً .
 ٢ كان عبد العزيز قد نزل على عين من عيون الأحساء تبعد ميلاً واحداً من الهفوف وفي الساعة العاشرة ليلاً (١٣ نيسان سنة ١٩١٣) خرج من المعسكر بست مئة من رجاله وخطب فيهم قائلاً : « اتنا هاجون على الترك في الكوت واتنا منتصرون بإذن الله . امشوا كأنكم بكم إلى غرضكم ولا تضجوا . وإذا كلمكم أحد فلا تجيبوه حتى وإن ضربتم بالبنادق ونحن في الطريق فلا تجيبوا . أما وقد صرتم في الكوت فحاربوا من حاربكم ووالوا من والاكم ولكن البيوت لا تدخلوها والنساء لا تدنو منهن » . قال ذلك ومشى أمامهم . ساروا على الأقدام حاملين جذوع النخل والحبال فلما وصلوا إلى السور قسمهم ثلاث فرق ورتب كيفية الاحتلال . ثم حزموا الجذوع وصنعوا منها سلماً تسلقه عشرة من ذوي الشجاعة والإقدام . ثم رموا بالحبال إلى العساكر فصعدوا ساكنين ونزلوا إلى الكوت متسللين والحرس يسألون من أنتم فلا يجيبهم أحد . وبعد أن احتلت الفرق الجهات المعنية لها ، أفاق بعض العساكر والأهالي وأطلقت البنادق فأمر إذ ذاك عبد العزيز أحد رجاله أن يصعد السور وينادي : « الملك لله ثم لابن سعود . من أراد العافية يلزم مكانه » . فنادى المنادي فاستبشر الناس وهتفوا كبارهم وصغارهم أهلاً وسهلاً سماعاً وطاعة . (ت . ن .)

منصف ذو القعدة
 ابنه البطل الفاعل

وإذا « بالهفوف » تسمع صوتاً كان عن سرِّ قلبها ترجاناً
 من أعالي الأسوار صاح المنادي: سَيِّدَ الْعُرْبِ فَلْيَعِشْ مولانا
 إنا المَلِكُ، بعد ربِّ البرايا لابن عبد الرحمن عادَ وكانا
 هتف السامعون: يا أَلْفَ مَرَحَى واستعادوا نِداءَه والأذانا
 « أين عبد العزيز؟ فليَرْحَلِ التُّرْكُ كَفانا ما قد لقينا كَفانا »
 قد كَرِهنا « جأَلهم » وَسَيِّمنا رُغم أَصدا عِزِّه « عثمانا »

...

لَجَأَ التُّرْكُ لِلْحِصُونِ وَأَصْلَوْا مدفعاً كان مثلهم فزعانا
 قَصْفُهُ ما عدا نَعِيبَ غَرابٍ نارُهُ لا تكاد تلقى الدخاناً
 أنفذ الفاتحُ الأميرُ رسولا ٥٥٠ يمنحُ التُّرْكُ، إن يَشَاؤا الأمانا
 « قل لهم نارُهم ضياءُ سراجٍ لو هوى في جفوننا ما كوانا »
 لست أخشى جُباحاً يقطع الليلَ، ولا كنت أُرهبُ الجعلانا

١ أي ان الاحياء كانت لآل سعود وعادت اليهم . ٢ عندما طلع الفجر شرع الاتراك بطلقون
 البنادق والمدافع من حصونهم طلقات أفصحت عن الذعر الذي كان مسئولياً عليهم فلا أضرّوا بأحد ولا روعوا
 أحداً . فبعث الأمير رسولا يقول للمتصرف وقائد الحامية أسلّوا اذا كنتم تبغون العافية ونحن نؤمنكم
 ونرحلكم الى بلادكم اما اذا أبيتم فاستعدوا للقتال سنهاجمكم في مراكزكم ساعة هاجنا البلد الليلة البارحة . « قبل
 المتصرف والقائد الأمان . ثم سلت الحامية التي كان عددها ألف ومئتي جندي فأذن لهم عبد العزيز باستبقاء
 سلاحهم قائلاً : « لا نزع من الجندي العثماني سلاحه . » اما المدافع والذخائر فطلّست مكنتها في الحصون . ثم
 جهّزهم بالركاب ورحّلهم وعائلاتهم . ألف ومئتا جندي بعيالهم وأمتعتهم ساروا من الهفوف الى العقير، وليس
 معهم من يخفهم ويؤمن طريقهم، غير رجل واحد من رجال ابن سعود هو أحمد بن ثنيان مندوبه السابق
 الى جمال باشا . وعندما وصلوا الى العقير جهّزهم أحمد بسفن نقلتهم الى البحرين . (ت . ن .)
 ٣ الجباح : نوع من الذباب يطير ليلاً ويلتصع ضوءه الخافت في الدجى . والجعلان هي الخنافس .

«بندقيّاتهم تظلّ لديهم» لست أبغي مغانماً ورهانا»^١
 ما «طوايرهم» وزهو «جمال» في الوغى، غير حافز لقوانا
 حسب العرب، في المعامع، أرقاماً؟ تسدّ الفراغ أو ذُبّانا
 فإذا ما أبوا وراموا قتالاً فعداً يشهد الورى البرهانا

...

رضي الترك بالجلال، فهل واق يقيمهم في الرحلة الحدّثانا
 ذلّهم يطمع البداة فيهم الزنابير تلسع العريانا
 وانكسار الزنود يتبع كسر القلب، فالروح تخضع الأبدانا
 مثلها الجسم حين تبلى بخسف مثلها حين تعلي عنفوانا
 وإذا النمر بالهزيمة يمني خلته في انهزامه ثعلباناً
 هؤلاء الليوث، بالأمس، حالوا غنماً في جواره ضيفانا
 اتظنّ الأمير يبعث جيشاً؟ ليصون الفرسان والأطعانا
 لا لعمري، فهيبة الليث تكفي وحدها أن تدرّع القطعانا
 فإذا هم بالوقعة ذبّ لمح السبع خلفها يقظانا
 حسب عبد العزيز يبعث رمزاً ليقها أو ينشر العنوانا
 فينمّ العنوان عمّا يليه وتجاوز الجحافل الكشبانا
 رجل واحد أظلّ جيوشاً وأجاز الحرم والولدانا
 هو مندوبه «لبغداد» بالأمس، وقد سامه الجلال امتهاناً

١ الرهان: مفرداها الرهن وهو حبس الشيء مطلقاً. ٢ الثعلبان: ذكر الثعلب.

٨٦٥ « الطواير » يا « جمال » تجوز النجد ، لكن لا آسداً بل ضانا
آمنات ، إن كان ظلُّ سعودٍ أو أطاريقُ ظلِّه رعيانا

...

بعد أخذ « المحفوف » دانت « قطيف » و « عقير » وكلُّ صعبٍ هانا
سيدُّ البرِّ سيدُّ البحر أضحي وتولى تلك الشطوط السمانا
غاليات وما ضَمَّنَ الآلي أو كَتَنَ العقيق والمرجانا
بل لأنَّ « الحساء » موقعه الفدُّ ، على البحر أقلق التيجانا
« لندن » ربَّة البحار ، وما زالت تُصافي وتعشق الخلجانا
من جرا الهند ، هَنَّدَت كلَّ ثغرٍ وسَبَّت في سبيلها الحيتانا
وأنت تستبي فؤادَ أميرٍ ظلُّ في حُبِّها رصيناً حصانا
لم يَهْزِ « العزيز » لطفُ « حياها » وما أَسْبَغَتْ حلي ودهانا
ويدُّ من غلائل النور صيغَتُ وأشعَّت زمرُداً وجمانا
سأبقيتها إلى الأمير « فروق » سادة الترك قِمَصُوا ألمانا

١ آسداً : مفردا أسد . ٢ هَنَّدَت المرأة الحبيب : لاطفته وامتلكته . ٣ خافت انكسرتا
على طريق الهند فعندما علا نجم ابن سعود وظهرت شوكته طلفت تخطب وذه وتسمى في عقد اتفاق وإياه
ليكون لها عضداً على الخليج فيقف سداً منيعاً دون ذاك النفوذ الألماني الذي كان قد خيَّم في العراق .
وتألف وفد تركي لمفاوضة الأمير وعلى رأسه السيد طالب النقيب وفيه ياور من ياورية السلطان . تعدد
الحاطبون فاضطرب الوالد مبارك فكتب إلى ولده : « من حقي عليك يا ولدي ألا تقبل وساطة هؤلاء إلا في
بلدك الكويت » ولكن الولد الذي كان قد شبع من إرشاد الوالد جاء من الجبيل في القطفيف وتزل الصبيحية
على مسيرة يوم من الكويت ، فألح الوالد باستقدامه فأجابته عبد العزيز : « اني الآن قريب من الكويت
فليقدموا إلي » . (ت . ن .)

٤ فروق : هي اسطنبول وانما سميت كذلك لانها تفرق بين آسيا وأوربا .

فتلاقتُ على الحبيب الغواني وهو ما أنفك في الهوى كسلانا
من يرومُ المجدَ المؤثِّلَ مهراً لا يرى في غرامِهِ عجلانا

...

لأحت الفرصة النفيسة للشيخ، فما أنفك غادراً مَنانا
«إولدي»: أتهبط «الكويت» سريعاً وتصدّر في قصرِكَ الديوانا
فهنا نكبح الشكائم ما شئنا، ونملي رغبنا ومُنانا
نيّة «الوالد» المراوغ لم تخف، ولا كان نجله غفلانا
من حنان الأب الشفيق وما أبدى، وما يرتجي غدا ملانا
فاستجاب الرجا نصف قبول في حدود «الكويت» أرسى الحصانا
لا بعيداً عن المرونة فظاً لا غريراً لفوّهة الجحر داني 890
سَطَّر «الوالد» المبارك نصحاً كان يُخفي تحت الدعاء اللعانا
«كن حديداً مع الفريقين صلباً لا يروا منك أنسة أوليانا»
فعلى الإنكليز شدّ شكيماً ومع الترك قصّر الأرسانا
لا تُصالح وفد «النقيب» فتباً لثعالي تقشّفت روغانا
فهمُ الآلُ في القفار خلوباً عن سراب القفار ما أغنانا

ذلك الشيخ كان، لو رأس الوفد، يغير الأوتار والأحانا
خاب إبليس أن يكون ملاكاً فغدا من عتوه شيطانا

...

مجلس السلم ضم موافد تركياً، وما كان «جابر» وسنانا
الأمير الليب أبدي عبوساً وجفاً، ولم يكن غضبانا
رُبَّ رعدٍ في الليل يضمصر صحواً وصباحاً مُذهَباً إضحيانا ⁹⁰⁰
وضبابٍ يعود بحمده الورد، فيغدو، بفضلِه نديانا
ورماها الأمير قنبلة هزت قلوب الأتراك والصيوانا
«عهدكم عهد ظنة وارتبابٍ بتُّ منه محاذراً حيرانا»
«فعليكم بالدي الشيخ، نأبي ما أباه، وفي رضاه رضانا»
وأراهم، بعد انصراف شهود الشيخ، ما سطر المرائي ومانا
ينصب الفخ للأمير ويرجو أن يعادي الإفرنج و«الحاقانا»

١ غار بغير: مثل غير بتشديد الياء. كتب مبارك الى الامير أن يكون صلباً مع الانكليز، ونقم لانه لم ينتخب لرئاسة الوفد التركي فكتب الى عبد العزيز يحذره من هؤلاء المكثارين الكذابين «كن صلباً معهم يا ولدي ولا تمكهم من شيء ولا تصدق ما يقولون انهم كذابون خداعون». وكان الشيخ جابر يومئذٍ عند الامير فأطلعه على رسائل أبيه فأجابه جابر بن مبارك: «اعمل ما فيه مصلحتك واترك الناس» وفي جلسة المؤتمر الأولى رمى الأمير قنبلة من قنبله السياسية زعزعت المؤتمر وكادت تهدد شمله. قال مخلطاً رجال الوفد: «الأتراك خداعون فإذا كنتم تبغون مصالحتي فعليكم بالدي مبارك بتوسط بيننا». قال ذلك بحضور جابر ووفد مبارك وبعد انصرافهم أطلع الامير الوفد على كتاب مبارك وبوشرت المفاوضة الولائية فرفض الامير أن يكون للدولة معتمدين في القطيف والحساء، ورضي بعلاقات ولائية فقط، وأن تساعد الدولة بالأسلحة والتخيرة والمال. وبعد التنا والي قبل الوفد بذلك وقرروا أن يظل الاتفاق سراً حتى يقره الباب العالي.

(ت. ن.)

٢ جابر: ابن الشيخ مبارك.

ذلك النجلُ سَيِّدَ الْعَرَبِ أَضْحَى فَلْيُؤَلِّبْ مِنْ حَوْلِهِ الشَّنَانَا
 رَجَبْتَ يَا شَيْخُ فَالْغِيَوْمَ تَوَارَتْ وَ «الصَّبِيحَةِ» اكْتَسَتْ لِمَعَانَا
 صَيْغَ عَهْدِ الْوَلَاءِ مَا شَاءَ عَزُّ وَالْمَعَادُونَ أَصْبَحُوا أَعْوَانَا
 ٩١٥ وَسَيَمُضِي السُّلْطَانُ عَهْدَ وَلَا لِسَعُودٍ، فَيَرْفَعُ الصُّوْجَانَا
 قَدْ تَوَاصَوْا أَنْ يَكْتُمُوا عَنْكَ سِرًّا عَنْكَ مَا كَانَ أَعْدَلَ الْكُتْمَانَا
 مِنْ يُوَارِي فِي مَكْرِهِ أَلْفَ طُودٍ وَيُوَارِي الْخُدُوثَ وَالْإِمْكَانَا
 لَيْسَ بَدْعًا أَنْ يُسْتَرَ الْكُوزُ عَنْهُ وَهُوَ يَخْفَى الدَّامَاءَ وَالطُّوفَانَا
 مَا تَرَى قَلْتَ فِي الْمَادِبِ لِلْوَفْدِ فَأَبْدَيْتَ لِلْعَيُونِ الزَّبَانَا
 طَالَمَا كُنْتَ تُضْحِكُ النَّاسَ سِرًّا سَرَّهُمْ مِنْكَ أَنْ تَمَيَّنَ عِيَانَا
 مِثْلَهَا سُرٌّ بِافْتِضَاحِ بَغْيٍ مِنْ رَمَتْهُ بِنَفْسِهَا بَهْتَانَا
 إِذْ تَكِيلُ الْهَجَاءَ لِابْنِ سَعُودٍ فَتَزِيدُ الْأَسْمَاعَ فِيهِ افْتِتَانَا
 وَتَزِيدُ الْأَبْصَارَ فِيكَ ازْدِرَاءً كَشَعَاعِ الضَّحَى نِفَاقُكَ بَانَا
 كُلُّهُمْ شَاهِدُوا عَرَاكَ إِلَّا بَصْرًا سَدَّهُ الْخُدَاعُ وَرَانَا
 ٩٢٥ أَرِقَ الشَّيْخَ لَيْلَةً لَمْ يُصَادِفْ مِثْلَهَا فِي حَيَاتِهِ خَذَلَانَا
 حَسْرَةُ الْأُمِّ فَوْقَ نَعَشٍ وَحِيدٍ لَا تَسَاوِي سَاعَاتِهَا أَحْزَانَا

١ عاد رجال الوفد إلى الكويت فأحسن الشيخ مبارك استقبالهم وعند ما سأله عما جرى أخبروه بما قاله ابن سعود في الجلسة الأولى فقال : « نصحتكم فما انتصحتكم قلت لكم إن الرجل سفيه عيَّار ولا يملك قياده أحد غيري » . وبعد يومين أدب عبد الوهاب آل فرطاس في البصرة مأذبة الوفد حضرها الوالي والشيخ خزعل والشيخ مبارك وكان الحديث في الوفد وابن سعود . فقال مبارك يخاطب الوالي : « ألم أقل لكم إنكم لا تفلحون إلا إذا انتدبتموني أنا للتوسط بينكم وبين ابن سعود . وما طلبت ذلك منكم والله إلا لأمرين أولاً لكي أقوم بخدمة للحكومة العثمانية وثانياً لكي أستر على ابن سعود لأن السفيه لا يعقل ما يقول » . (ت . ن .)

٢ الزباني : إبرتا المقرَّب . ٣ ران : غطى .

باتَ عبدُ العزيز مُلْتَقَتَ الشرقَ، وسَامَى كسرى أنوشروانا
 ظلُّ إيوانه على الشرق والغرب، وإن كان لم يَشِدْ إيوانا
 صار حلفَ السلطان ندًا لندٍ «فرشاد» أهدى له «النيشانا»^١
 أتراه يطير في موكب العز؟ ويمسي كحلفه سلطانا

...

«الصباحي» أخذ النار في الصدر، وعَزَى فؤاده الأسوانا
 مُنفذاً وفدَه إلى ابن سعود «إولدي» انا مُنَاكَ مُنَا
 لك أن تترك الرفاق جميعاً والمشيرين والصحابَ عدانا
 وأنا الوالد الشفيق نصوحاً وينصح الأولاد ما أولانا
 ٩٣٥ ذكر الله «يعرباً» فيك لما مثل عبد العزيز كترأ حباناً
 فكسا جبهة الجزيرة فخراً وسقى ظامى النجود وزانا
 حفظ الله فيك مجداً تليداً وأمدَّ المجد الطريف الآنا
 أَمَعَ الترك تبرمُ العهد، من دوني؟ أهذا تراه منك جزانا^٢

١ جاء من اسطنبول برقية الى والي البصرة فيها التصديق على ما تقرر في مؤتمر الصبيحية مقروناً بالشكر لابن سعود، وبالنيشان العثماني الاول فحملها السيد طالب وسارع الى الشيخ مبارك فقال بعد السلام: «ابشر يا شيخ، قد اتفق ولدك مع الحكومة» فاستشاط الشيخ غضباً واشتعلت النعمة في عينيه وقال: «سلط الله غضبه عليك يا خبيث اليك عني».

٢ ارسل مبارك رسوله عبد العزيز آل حسن الى الامير بينته ويلومه لانه لم يخبره بالاتفاق. فكتب اليه عبد العزيز يقول: «اني ابنك وقد أهنت نفسي في القدوم من (الجيل) الى الكويت وما ذلك إلا حباً بك وعملاً بارادتك. ولكن كيف استطيع ارضائك وانت تأمرني بعدم الاتفاق مع الترك والإنكليز، فلو بينت لي طريقاً ثالثاً لسكنته. ولكن أسأل والدي كيف استحسن ذلك الكلام في ولده على مائدة ابن قرطاس؟» فكتب مبارك معتذراً على عادته فأجابه عبد العزيز: «والحمد لله ان الأمور كانت على ما يرام فليتها الوالد بعز ولده والسلام».

(ت. ن. ن.)

فأراه الأميرُ من لَيْنِ القول، كما تنفح الغصونُ لِدانا
 ولقد تؤلم الغصونُ، ولو لُدْنَا، ولو كُنَّ صندلاً أو باناً
 ليس ما يلتوي يكون يسيراً وَقَعُهُ، تؤلم العصا خيزراناً
 لا مديحاً كان الجوابُ ولا ذمّاً، يعيبُ المُنْهَى اللَهْجَانَا
 قال: يا والدي أأنا عتابُ منك، في غمرة السرور، شجانا
 قد أتينا من «الجبيل» وأنضينا، لرضي شيخ «الكويت» الهجانا
 ٩٤٥ ولقد سَمْنَا الحَالِ أَتْبَغِي؟ أن نعادي من أجلك الأكوانا
 قد أَتَوْنَا مسالين أَتْنُوِي؟ بَدَلِ السِّلْمِ أن نسلَ ظُلبَانَا
 أترانا نجزي بشوكٍ قتادٍ؟ من أأنا يضقُّ الأَقْحَوَانَا
 من ضروب العدوان والبغي والحتل، وقانا ربُّ السماء وقانا
 كشعاع الضحى خرجنا طهاري لم تَلَوْتُ بشبه عيب يدانا
 إن عَجَبْنَا فن كلام بذي لَفْظَتُهُ المِسامِعُ استهجانا
 قلته بابنك العزيز، بلا ذنب، فهل كنت مازحاً مجَّاناً
 يعصم الله أن ننال بسوء والدأ عابُ خُلُقْنَا فَهَجَانَا
 شيمة الصفح خلقة في سعودٍ فنلبي في الرمس أصلاً ثمانا
 فيرانا بنظرة الحب «تركي» ونسري الهموم عن «مرخانا»
 ٩٥٥ والدي! تدعي؟ ففأخر بنجلٍ لا المخازي أتي، ولا العرب شانا
 وهناء الآباء مجدُ بنبيهم وأنا بتُ ناعماً جذلانا
 فَهْنَاءُ بما لقيتُ من الفخر، هُنا بما أصاب كلانا

شعلاية
التفسير
في اللغة
والفقه
الشرعي

٢- يوم جراب

يوم كان الأمير قطب احتفال يصدق الترك عهده ويوالي
 خصمه كان في «الزبير» محوطاً بإطار الزلفى وجود الوالي
 تعست دولة تنافر كفاها فلون اليمين غير الشمال
 يسقم الرأس لاعتلال الشرايين ، وفقد النظام في الأوصال
 قيمة العضو أنه جزء كل وهو شلو بال عقيب انفصال
 ما هوت دولة ولا طاح عرش سالم الرأس ، سالم العمال
 وتعم الفوضى ، إذا وهن الرأس ، وشاع الفساد في الأذيال
 ٩٦٠ حيثما تكثر الضرائر يبقى البيت ملق عناكب وحثال
 خائناً كنت إذ بدعت خووناً أسود الكف يا «شفيق» «كالي»

١ الغريب العجيب من أمر الباب العالي هو أن يمينه كانت تجهل ما تعمل يسراه . فرجاله في العراق كانوا في وادي ورجاله في الحجاز في وادي آخر . وقبل أن يجتمع وفد السيد طالب النقيب بآن سعود في الصبيحية اجتمع سعود بن الرشيد بوالي البصرة شفيق كالي باشا قرب الزبير . وتم الاتفاق بينهما على أن تساعد الدولة في محاربة ابن سعود . وقد قدمت لابن الرشيد عشرة آلاف بندقية وكثيراً من الذخائر وشيئاً من المال . وعلم الأمير بهذا الاتفاق فكتب إلى ابن الرشيد يذكره بالعهد فأجاب ابن الرشيد «إني من رجال الدولة ومصالحتي وإياك لا تكون إلا إن رضيت الدولة بها» فعاد عبد العزيز ذلك خيانة منه وكتب إليه يقول : «إذا كنت مصرّاً على نكث العهد فالمقاومة أولى» .
 (ت . ن .)

لسعود الرشيد تقطع عهداً وتجارى أهواءه وتغالي
تهب المال والبنادق آلافاً، كدفق الغار من شلال

...

عبثاً ذكر الأمير، بعهد الصلح، خصماً، وكيف يخلص قال
أيصون العهود من شنق الأخ؟ ونام الغداة غير مبال
من يكن سيفه الى العرش حبلاً فسبى الحياة ألف الحبال
أنا عبد الأتراك قال فعهدي عهدهم، وفق ميلهم أميالي
كل صك ما شرفوه بنجتم فهرا أو شبه عن بال

...

استفاقت على المدافع دنيا آذنت شمس صحوها بزيال
زفر المعمان في قلب أورباً، فكل الورى جحيم صال^{٩٦٥}
كل حرب من قبلها حبة الرمل، وهذي أباطح من رمال
الأمير اللبيب را، بعينه، مصير الدنى، بدورة بال
فراهما زوارقاً هاويات في خضم يحيش بالأهوال
ما عساها تجني الجزيرة من حرب فرنجية البنى والمال
فليضم الشتيت من وحدة العرب لفعل موحد ومال

١ البنى مصدر بغي : بمعنى طلب وكان في وسعنا استعمال لفظة (الهوى) بدلا منها بيد اننا آثرنا استعمال طائفة غير قليلة من الكلام المهجور لتوسيع الجدول الضيق الذي صغره الأدباء وتيسيراً لمن يأتي بعدنا .

راح يدعو حتى الخصوم فضحى بهواه ، بعزة المتعالي
 أنبل النبل أن تجوز على الذات ، فجد الشعوب ، فوق الرجال
 راسل السيد الحسين وثني برشيد و « الوالد » اللاأل^١
 فأجاب الرشيد إني مع الترك ، حليف على الهدى والضلال^٢
 ٩٩٥ « الصباحي » مبهم الرد جفال ، حذور الجواب والتسأل
 الشريف الحسين كاد يرد القول شتماً ، أو لهجة استتقال
 حسبه أن يشرف الناس باللحظ ، فيلقيه من أشم عال
 فإذا جاد بالفتات ، ولو شزراً ، فقد جادك ألمان الغالي
 لم يكن مذنباً فقد ألته « لندن » فاكثي ببعض اختيال
 عصمته نبالة الأصل والتقوى ، فما قال : عزتي وجلالي
 كان للإنكليز نبعا وثوق وهلالان في بلاد الهلال
 معلم الهند وهو أصدق حدساً من رصيد الكنانة المضلال^٣

١ اللاأل : تاجر اللؤلؤ . ٢ سارع الأمير عند نشوب الحرب العظمى الى مراسلة امراء العرب
 الشريف حسين وابن الرشيد وابن الصباح . فأرسل الرسل يحملون كتاباً هذا فعواه : « قد علمت ولا شك
 بوقوع الحرب فأرى ان تجتمع للذاكرة علناً تنفق فتتخذ العرب من أهوالها وتتحالف ودولة من الدول
 لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » وتسبق الإنكليز والأتراك لإرضاء ابن سعود بمختلف الوسائل . فرد الأتراك
 ردّاً حسناً ولم يسائر الإنكليز الذين أوفدوا اليه الملازم شكبير وهو معتمد مكتب استخبارات الإنكليز في
 الهند . وقد كان لانكلترا مكتبان مهمان واحد في الهند وواحد في القاهرة . وقد غالى مكتب القاهرة في
 تقدير قوة الشريف حسين الحربية وطمع حق ابن سعود خلافاً لرأي مكتب الهند . أما ابن الرشيد فقد كان
 صريحاً في جوابه على كتاب ابن سعود اذ أجاب : « اني من رجال الدولة أحارب اذا حاربت وأصالح اذا صالحت »
 اما الشيخ مبارك فأجاب جواباً مغطاً مبهماً ، على عادته . اما الشريف فكان يتحين الفرص للهجوم على
 ابن سعود . (ت . ن .)

٣ معلم الشيء : معهده . والرصيد : المراقب .

يَجْهَرُ^١ يحسب الحامة نسرًا ويظنُّ الفراتَ في الأوشال

....

١٤٥٠ جاء وفدان للأمير من الترك خفاف الخطى، يقال المال
صدَّهم^٢ صدَّ خاطبِ ألمعي بعد إطرأ^٣ حسنه والخلال
رام أن يلزم الشواطي، والشطآن في الهيج مرصدُ العقال
لم يؤيد للطامعين مراماً حفظ النسر قدره باعتزال
لم يحارب كما أرادوا حسناً لم يسائر أنكلترا في نضال
ترك الترك يعبرون بنجد ينقلون النضار في الأعدال
لم يكن خصمه سوى ابن رشيد ناكث العهد بانق ختال
مدَّه الترك بالسلاح الذي ما أبصر الموت مثله لاختزال
صنع «برلين» خير من أتقن الفتك، وأدَّى رسالة اضمحلال
لا تنجي من «دمدم» حكمة الآسي، فليست جراحه لاندمال
وأبت أمة العباقر إلا رائعات من عبقر قتال

....

١٤٥٠ قد أعدَّ الرشيدُ أهبةَ حربٍ وأعدَّ الأميرُ حربَ ارتجال

١ أقام الأمير في البدء على الحياد فلم يحارب الحسين كما أراد الترك ولم يشترك في محاربة الترك بالعراق
كما أراد الإنكليز ولا منع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال إلى اخوانهم الأتراك في اليمن
ولم يكن يهجم يومئذ غير أمير الجبل الذي نكث عهد الصلح واستعان بالدولة العثمانية على أمير نجد .
٢ دمدم : نوع من الفذائف الألمانية فلما يشفى من جرحها جريح وقد حرِّم استعمالها في الحرب .

حَضَرَ «العارض» الأشداء طعنًا وُخُولَ «العُجَّان» جَمْرَ القتالِ
 وَشَتِيَّتًا من البوادي، يبيعون المِوَالِي وعهدهم بِعِقال
 وهوى الإنكليز، والنصرُ لا يُجْنِي بِمحض الرغاب والأُمِيال
 جاءه «شكسبير»هم وهو عينُ ثاقبُ الفهم صادقُ الأقوال
 أعلم الإنكليز أنَّ وحيدَ العرب، عبدُ العزيز، ما من جدال
 أنَّ أرسادهم بِمصرَ أَضَلَّتْ وَتَبَيَّنَتْ حَقِيقَةُ من خيال
 فتراى لها السرابُ يَخْضَمُ وصغارُ الحِملانِ كالأفيال
 شكسبير، ماشى الأميرُ الى الحرب، صليباً مَشَى بِجنب هلال
 ما ثناه ردعُ الأمير، وزادَ النهي، في قلبه غرامَ التزال
 ١٠ كلُّ ما تُنْعَمُ النفوسُ فَنَشُودُ، وَحُبُّ الحرامِ قبل الحلال
 لم يكن مثل قومه باردَ العزم، أَنانيَّ عِشْرَةٍ وَخِصال
 شكسبير! فَلَنْ أَكونَ جباناً شرفُ الصيتِ حافِزُ الأفعال
 أنا منكم قلباً وإن كنتُ زِيّاً «لُندني» السمات والأشكال
 ومشى للقتال نحو «جراب» مِشْيَةَ الصَيْدِ أو دَعَابِ الخالي

١ كان مع ابن سعود نحو ألف من الحضر أكثرهم من أهل العارض الأشداء البلاء وثلاث مئة خيال من العُجَّان عدا البادية ومدفع واحد لا غير. وكان مع ابن الرشيد ستمئة من الحضر وألف فارس من فرسان شمر. وكان الإنكليز يملون لابن سعود في هذه الحرب غير أنهم لم يقوموا بمساعدة فعلية. (ت. ن.)
 ٢ رافق الجيش السعودي الضابط الإنكليزي شكسبير ولم يكن عبد العزيز يستحسن ذلك وقد قال له ليس من رأيي أن تمشي معنا وإني أفضل أن تنتظروا في الزلفى فتعود إن شاء الله اليك. فأجاب شكسبير لا يجوز أن يقال إن رجلاً إنكليزياً قرب من ساحة القتال بين ابن سعود وابن رشيد ورجع جباناً وخوفاً. «ألع» عبد العزيز في النصيحة فألع شكسبير في الاستئذان وركب مع الجيش إلى ساحة القتال إلى جراب. ركب وهو لابس البرنيطة وهو حامل بين أمتعته آلة التصوير. (ت. ن.)

راء فرسان «شمر» سرب غزلان، ونوق العدو خيط رثال^١
لو درى ذلك الجراب وما أوعى لثابت شعوره في القذال

...

لو أعاد التاريخ يوماً بما فيه، بلا فارق، ولا استبدال
واحد القصد والأساليب من مكر وإذكا، شهوة واحتيال
شمت بكرأ وتغلباً وابن عبّاد، يدلون بالرماح العوالي^٢
^{٢٠} يطلب الحارث المهلهل هداراً كما شققت فحول الجلال
«قرباً مربوط النعامة مني إن قتل الكريم بالشنع غال»
«قرباً مربوط النعامة مني لقت حرب وائل عن حيال»
يوم تحلاق لمة فابن بكرأ أصلع من قفاً جليل السبال

...

١ يقال في الجماعات خيط رثال كما يقال: سرب مطيور. والرثال: ذكور النعام. ٢ يوم جراب: شبه يوم تحلاق النعم: وهو يوم لبكر على تغلب. وفيه برز الحارث بن عبّاد لينأر لولده بجير من المهلهل الذي قال حين قتله: «بؤ بشنع نعل كليب فأشد الحارث قصيدته المشهورة ومنها:

قرباً مربوط النعامة مني إن قتل الكريم بالشنع غال
قرباً مربوط النعامة مني لقت حرب وائل عن حيال

وأجد بكرأ في ذلك اليوم الغند الزماني، ومعه ابنتان له شيطانان من شياطين الألس. فلما حي ومليس الحرب واستطال التغلبون نزلنا عاريتين نثشان:

نحن بنات طارق نمشي على النارق
إن تقبلوا نعايق أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

وقد سمّي ذلك اليوم يوم تحلاق النعم، لأن البكرين حلقوا رؤوسهم لتعرفهم النساء البكرات فاذا مرت على جريح منهم أتعشته بالماء فاذا كان غير حليق الرأس أهوت عليه بهراوة فأجهزت عليه.
(الشعراء الفرسان: لبطرس البستاني)

وصبايا من «شمر» سافرات^١ أو نجوم^٢ بوازغ^٣ من رجال
يا «سنا عيس» يلتخين^٤، ويجذب^٥ قلوب^٦ الرجال بالخلخال
فضة^٧ طوقت^٨ شموعاً من العاج^٩، وهالات^{١٠} عسجد^{١١} صلصال^{١٢}
لامعات^{١٣} على الهودج^{١٤} حمراً^{١٥} لمعان^{١٦} الآفاق^{١٧} في الآصال^{١٨}
مرسلات^{١٩} شقر الضفائر^{٢٠}، يغرين^{٢١} الشفاه^{٢٢} الظل^{٢٣} بالأعسال^{٢٤}
«شمر» منبت^{٢٥} الأشاوس^{٢٦} في الحرب^{٢٧}، وفي الحسن^{٢٨} مضرب^{٢٩} الأمثال^{٣٠}
فإذا عادت^{٣١} السيوف^{٣٢} كهاماً^{٣٣} أرهقوا^{٣٤} للوغى^{٣٥} سيوف^{٣٦} الجلال^{٣٧}
ما الشفار^{٣٨} الحداد^{٣٩} إلا جاد^{٤٠} واللظى^{٤١} مضرماً^{٤٢} شفار^{٤٣} الدلال^{٤٤}
تبعث^{٤٥} العزم^{٤٦} في سرايين^{٤٧} عان^{٤٨} وصليبا^{٤٩} يعود^{٥٠} بعد^{٥١} انخلال^{٥٢}
فإذا كان^{٥٣} راجلاً^{٥٤} قصر^{٥٥} الأرض^{٥٦}، وجارى^{٥٧} مطية^{٥٨} الخيال^{٥٩}
ليس بدعاً^{٦٠} فغمزة^{٦١} من كعاب^{٦٢} قد تبث^{٦٣} الحياة^{٦٤} في التمثال^{٦٥}
وتعيد^{٦٦} الكهل^{٦٧} العليم^{٦٨} المحلى^{٦٩} جذعاً^{٧٠} في غباوة^{٧١} الأطفال^{٧٢}

١ صلصل الخلي : صوت . يوم جراب أخرجت شمر (عشارياتها) الابكار الحسان يشجعن الرجال
وم يرددون نخوة شمر المشهورة : سنا عيس ! سنا عيس . وكان من عادات العرب التي أبطلها ابن سعود ، ان
كل قبيلة تنتخب في الحرب بنتاً من بناتها الابكار تسمى العمارة فتركب في الهودج أو تقف فيه سافرة مرخية
الشعر وتتقدم قوماً الى ساحة القتال منتخبة منخبة . وسنا عيس جمع سنعوس وهي نخوة محومية نعم البدو
والحضر . وهناك نخوات أخرى خاصة بأهل حائل منها أهل لبداء وأهل ملعان وأهل السودان . والسود
كثيرون في حائل والملحان يدعون صبيان الحزنة لانهم كانوا من خاصة آل الرشيد . وكان الإخوان في
الجيش السعودي يمتزّون وينتخون فيرددون : أهل التوحيد أهل العوجا . والعوجا : اسم من أسماء العارض .
والاعتزاز يكون في ترداد اسم الآباء والاجداد أو اسم القبيلة أو البلد ، أو ما يرمز الى مفخرة . وكان أهل
التوحيد يرددون أيضاً نخوتهم المشهورة :

هبت هبوب الجثه أين انت يا باغيها

(ت . ن .)

٢ الجذع : الشاب الحدث .

قد تروض' الأسود هيفاء قد' لو مَشَتْ ما مَحَتْ مَدَبُ النِّهال
زَبْدُهَا شَمْعَةٌ على جسم طفلٍ ساقها دون مغزل الغزال
تُوج' الكف' والأنامل لون' الشمع من فرط' صفرة وهزال
في فم الضيغم' المحصور فتثنيه' وتلهو بلبدة' الرئبال

...

٤٠ يا سنا عيس'! واستشأطت' سعود' لندا' المكحلات' الحوالي
«نحن أهل' التوحيد صاحوا' لقد هَبَّتْ هبوب' الجنان' خضر' الدوالي»
نحن أهل' «العوجا» فمن يُردِ الله' يُسارع' لِحَنَّةٍ وظلال
وتلاقت' على سهول' «جراب» أجبل' «شمريّة» بجبال
أفرغت' ما بقلبها' ملقيات' ألفَ غلٍ من السنين' الحوالي
فأسالت' من البنادق' نهراً من ضرام' مفجّر' هطال
وتشاكت' من الطعان' رماح' كلفيف' الآتال فوق التلال'
بيرق' النصر للسعود فلم' تفلح' نيوب' الذئاب بالأشبال
دحروا جبهة' العدو ورِيَعَتْ' من رصاص' «العوجا» ذوات' الحجال'

١ الآتال مفردا أثلة وهي نوع من الشجر الصلب العود . ٢ تصادمت الإبطال في ذاك النهار
وتصارفت وتراجعت فكانت الغلبة في باديء الأمر لابن سعود . وكان رصاص أهل التوحيد يقع أمام الشمريين
الواقفات فوق أسنة الجمال فيصحن بالرجال إلى القتال ويهتفن هازجات :

بليي بتمنى حريتنا غويت يا غاوي الدليل

كم واحد من ضربنا دمه على الشلفي يسيل

احتدم القتال ودوت' البنادق فأصيب شكبير برصاصة أودت بحياته . وكان فرسان المعجمان قد تراجعا وهم
يصيحون صيحة الانهزام . فأغاروا اذ ذاك بادية ابن الرشيد على جناح أهل التوحيد الأسير فدحرتهم وغنمت
أمواله . أما بدو ابن سعود وأكثرهم من مطير فقد أغاروا أثناء ذلك على جيش الرشيد ومخيّمه وكانوا
كذلك من الغائبين فكان يوم جراب ضربة على الخصمين . ولم يظفر فيه سوى البدو من الغريقيين أغاروا
فقتلوا فشرّدوا .
(ت . ن .)

واقفات على الهواج أنصاباً، لعباد شهوة جهل^{٥٠}
 فكان «العزى» وسحر «مناة» وهوى «اللات» عاد للضلال^{٥٠}
 واشرابت من الحيلة وزق^{٥٠} لاهبات الأسجاع والأزجال
 داعيات الى الغياث رجالات^{٥٠} منذرات بالشكل والإرمال
 نابشات من الغياهب ذكرى ما يوارى النسيان من أذحال
 ملبسات أسجاعهن أليم النوح، في بجة النساء القوالي
 مادت الأرض للصريح وألقت ما يكن البركان من أثقال
 قذفت باللظى جناح سعود وبأطراف ذبل ونصال
 ثبت «العارض» الأبي وأرسي قدم الموت في فم الزلزال
 لم تصدع صفوفه حدة الطعن، وحد المدمر السيال
 صدعت صفه خيانة «عجان»، يصيحون صيحة الإعوال
 60 فارقوا الساح عندما احتدم الطعن، وعافوا الوطيس قبل اقتتال
 جرة الحرب والمعامع فروا من أمام العدى فرار السخال
 ليتهم في مواقف الكر ما عدوا خيار الفوارس الأبطال
 يعذر الناس في الهروب جباناً دمه المصل من دماء الثعالي
 يغفرون الضعف المذل لفلس ويعيبون غدره السرحال

...

يا مئآت من الفوارس ولت يزحم الآخرون منها الأولي

١ العزى ومناة واللات : من الاصنام المعبودة في الجاهلية . ٢ الثعالي : الثعالب .

را، عبدُ العزيز فيكم عماداً لصناديده وقطبَ اتكال
 فإذا أنتمُ الطليعة في النكص، رغيلُ الفوارس الخذال
 وإذا أنتمُ هباءٌ ذريرٌ أو دقيقٌ في منخلِ النخال
 قد فتحتمُ لابن الرشيد مجالاً وحفزتمُ فرسانه للصيال
 ٧٠ تحتمهم من صوافن الخيل ألفُ آلفوا فوقها ارتيادُ المعالي
 أطلقونها على جناحِ سعودٍ دفقة السيل غصً بالآثال
 وأجستُ جردُ المذاكي بأن الغدرَ أخلَى أمثالها من رعال
 فاسبطرتُ وباعدتُ من خطاها وتمازت في الكر والتصبال
 حاملات إلى العدو رسالات المنايا، مزيجرات عجال
 من رماح خطية وسيوفٍ ورصاصٍ كجريحها متوال
 شائلات أذنايها آيات أن تدق العُسان بالأكفال
 فالتقتها من السعود شفار عارفات مقابض الآجال
 ولدت في الوغى وشبت عليه فاستوى البأس عامراً في الكمال
 ٨٠ أسيفاً «عارضة» مصطفىاً غرراً وائليّة السربال
 ٩٠ عندما صاغها القيون أبت إلا دماء تُسيفها في الصقال
 ملهات يوم المعامع تجري لنحور العدى بدون استلال
 كان يوم «الجراب» يوماً حفيلاً للخصيمين بالبلايا السجال
 فكلا الجانبين أرهقه العبء، فأهوى من وطأة وكلال

١ اسبطرت: امتد عند الوثوب . ٢ العُسان مفردتها العيب وهو منبت الشعر من الذنب، والأكفال مفردتها الكفل . ٣ القيون مفردتها القين وهو صانع السيوف .

ظفيرا البدو ينهبون ويمضون خفاف الخلوم والترحال
 ومن الهزل أن يُغامر زراعاً فيلقى الأهوال في الأدغال
 يقطع الصيف بين شوكٍ وعُلقٍ وفح الحيات والأصائل
 ويخوض الشتاء لسع زمهرير، سبوحاً في الغيث والأوحال
 ثم تأتي السراق تنهب ما روى بمسفوح دمه من غلال
 رجعت كفة الرشيد، ففي القتلى، قتيل ما كان في الأغفال
 شكسبير أودى فأودت أماني، وبأخت مخضرة الآمال ٩٥
 ولكان الأمير لو ظل حياً حل في «لندن» الجنب العالي
 وظل الشريف جد بعيد حلمه عن جلال ذات الجلال
 مات موت الرئبال مرتفع الرأس كثير الحياة والتجوال
 لا يلبد الخطى بطي، كلام عارياً من حمية وانفعال
 كبني قومه الدهاة الدواهي يدرجون الدمقس في الأغلال
 سرهم أنهم وراء حجاب مبهم اللون قاتم الأسدال
 فكان الصدور أغوار ييم وكان الوجوه في أقفال

...

شكسبير! ولم تكن قط مجفلاً، كشأن المنعم المحفال
 بل شريفاً حلو السجية والهندام صدق المقال والأعمال

١ الخلوم: العقول. ٢ الأغفال مفرد غفل وهو من لا قيمة له. ٣ ذات الجلال: السدة البريطانية.

١٦٥ اسْمُكَ الْفَخْمُ ذَكَرَ النَّاسُ نَوْرًا وَنَفَى الظِّلَّ عَنْ جَبِينِ اللَّيَالِي
 إِنَّهُ الشَّاعِرُ الَّذِي اسْتَوْقَفَ الدَّهْرَ وَحَلَّى أَيَّامَهُ بِاللَّآلِي
 لَيْسَاوِي ابْنُ عَمِّكَ الْهِنْدَ وَالتَّاجَ وَزَحَفَ الدُّنْيَا لَعِيدِ احْتِفَالٍ
 ذَلِكَ التَّاجُ يُثْقِلُ الرَّأْسَ هَمًّا كُلَّمَا هَمُّ مَرَّةً بَانْتِقَالَ
 وَرَحِيقُ الْخُلُودِ، نَشْوَتُهُ الْكِبَرَى، تَرْفُ الْحَيَاةِ لِلْأَجْيَالِ
 شَكْسِيرٌ! وَطَالَمَا التَفَتَ الدَّهْرُ إِلَى صَرْحِ مَجْدِهِ غَيْرَ سَالٍ
 رَائِعَاتُ الْبَيَانِ مِنْ أَيْ قَطْرِ فِي الْبَرَايَا، لَشَكْسِيرِ أَهَالِي
 فَهَوَ الشَّاعِرُ الْمُخَلَّدُ «غَوْتِي» تَوَامًا حَلْبَةً، وَصَنُوا بِجَالٍ
 لَوْ خَلَا الشَّعْرُ مِنْهُمَا لَتَعَرَّى أَوْ تَلْظَى مِنْ فَقْرِهِ لِمِثَالِ
 شَاعِرِ الْإِنْكَلِيزِ كُلِّ جَمَالٍ جَنْبَ مَا صُفِّتَهُ خَوَادِعُ آلِ
 ١١٠ تَلَعَاتُ بِجَانِبِ «الْحَمَلَايَا» أَوْ كَلَا، إِذَا رَوْضِ حَالٍ
 أَمَّهَرُ الْغَائِصِينَ فِي لُجَجِ النَّفْسِ، وَتَمَرِ الطَّبَاعِ وَالْأَحْوَالِ
 لَيْسَ أَشْخَاصُكَ الْحَرَارُ بِأَصْنَامٍ تُتَبَّحُ الْإِزْمِيلَ لِلْمَثَالِ
 لَيْسَ فِي طَبْعِكَ التَّعَسُّفُ وَالنَّحْتُ فَصْقَلُ الصَّخُورِ لِلصَّقَالِ
 أَنْتَ خَلَقْتَ وَجْدَةً وَحَيَاةً وَرَحِيقٌ مِنْ طَبِيبِ سِلْسَالِ
 طَبْعُكَ الْفَيْضُ مِثْلَمَا يَهْدُرُ النَّهْرُ، وَيَسْمُو الْبُخُورُ نَحْوَ الْأَعَالِي
 لَتُنَاجِيكَ رَبَّةُ الشَّعْرِ حَيْرَى هِيَ أَمْ أَنْتَ مُلْزَمٌ بِابْتِهَالِ

١ إشارة إلى الاحتفال بالتتويج . ٢ غوته : هو شاعر ألمانيا الأكبر ويُعد مع وليم شكسبير في طليعة شعراء الدنيا منذ عرف الشعر حتى اليوم . ٣ الحملايا : أعلى جبال الدنيا . ٤ الحرار

بَطَلَ الشعر منذُ لَاحَ رَوِيُّ عَبْقَرِيٍّ فِي خَاطِرِ الْآزَالِ
 قَدِ فُتِحَتِ الدُّنْيَا مَسَارِحَ تَرَوِي عَظَمَاتِ الْعُشَّاقِ وَالْأَبْطَالِ
 «رُومِيُو» كُلُّ عَاشِقٍ صَرَعَتْهُ عَيْنُ «جُلِيَّاتِ» أَوْ قَلَى الْعُذَّالِ
 ١٢٠ مَا دَفَنْتَ الْأَبْطَالَ إِلَّا لِتُحْيِيَهُمْ، فَدَفِنِ الْجَمَالَ بَعَثْ جَمَالَ
 خَافِي الْكَتْرِ بَعْدَ أَنْ يَعْضَ الدُّرَّ، يَمُدُّ الْأُذْهَانَ فِي بِلْبَالِ
 فَتَرَاهَا وَقَدْ سَبَّاهَا رَوَا، أَبَدَ الدَّهْرَ فِي هَوَى وَاشْتِغَالِ

...

سَيِّدَ الشَّعْرِ سُدَّتْ فِي فَلَكِ الْحَسَنِ، وَأَمْنَتْ فِي جَوَاءِ الْخَيَالِ
 فَرَدَّدَتْ الْعُيُونُ رَمْدًا حَسْرَى لِأَزْدَحَامِ الرُّؤْيَى، وَبُعْدِ الْمَنَالِ
 خَاطِرَاتُ مِثْلِ الْخَيْطَاتِ عُمَقًا مِثْلَ آفَاقِهَا قَصِيٍّ اشْتِمَالِ
 مِثْلَ إِصْدَائِهَا انْتِشَارَ دَوِيٍّ مِثْلَ مَرَجَانِهَا سَخَاءِ نَوَالِ
 حَارَفِيكَ التَّأْرِخِ هَلْ شَكْسِيرٌ وَاحِدٌ أَمْ نَوَابِغٌ مِنْ رِجَالِ
 هَكَذَا تَصْبِحُ الْكَوَاكِبُ فِي الْجَوِّ، مَدَارًا لِمَرْصَدِ وَسْوَالِ
 وَمَتَى أَفْرَغَ الْمَجَالَ عَظِيمٌ لَا تَقُلْ رَاحَ ضَوْؤُهُ لِلزَّوَالِ
 ١٣٠ مَوْتُهُ بَدْءُ مَجْدِهِ، وَبِحَاقِ الْبَدْرِ، إِذَا نَ عَتَمَةِ بِهِالِ
 حِينَ يَمِضِي 'حَسَادُهُ' وَيَرْوِقُ الْجَوُّ مِنْ ثَقْلِ غَيْمَةٍ وَظَلَالِ
 تَسْتَضِي الدُّنْيَا بِهِ وَتُوَالِيهِ، وَيَغْدُو مَنَارَةُ الْأَنْسَالِ

رُبَّمَا عاش تاعساً من إباءٍ دائباً في تَوَجُّعٍ وإِتْكَالٍ
 حين يحظى بالطِّيبَاتِ خسيسٌ ويدين النعيمُ للأرذالِ
 واعتلالُ الدنيا، على عالمٍ ثانٍ دَلِيلٌ، أو مطلعُ استدلالِ
 عالمٍ ينصفُ النفوسَ فلا يبقى كمقدارِ شَعْرَةٍ في اختلالِ
 شكسبيرٍ اعتلَّ الخلودَ وظلَّلَ بجناحيك مسرحَ الأجيالِ

١ ائتكل : أكل بعضه بعضاً من الغضب أو الألم . ٢ المقصود ان ما يجيق بالصالحين من الشرور في هذه الدنيا واختلال المقاييس والعدل فيها يدل على وجود عالم آخر يشتمل على العدل المطلق فن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره .

٢٢- العجسان

ما قبيلُ العُجَّانِ بالغرَّابِ عَرَبٌ هُمُ أَعَاجِمُ الْأَسْمَاءِ
 نسلُ قحطانَ أَهْلُ «نَجْران» قَدَمًا يَمْنُونُ أَزَلُّوا فِي «الْحِساءِ»
 ١٤٠ صَانَهُمْ فِي رِحَابِهَا بَنْدُ «تُرْكِي» وابنه «الفِصْلُ» المديدُ السَّخَاءُ
 غَنَمًا فِي مَرَاتِعِ الْبُؤْسِ كَانُوا فَغَدَّوْا فِي الْيَسَارِ أُسْدَ ضَرَاءِ
 إِنَّمَا تَبَطَّرُ النُّفُوسُ عَلَى النِّعْمَى عَقِيبَ الْحَرَمَانِ وَالْبِأْسَاءِ
 وَتَفْحُ الْحَيَّاتُ فِي الْحَرِّ فَحًّا وَتَوَارِي مَشْلُولَةً فِي الشِّتَاءِ
 أَيْكُونُ الْوَرَى عَلَى الشَّرِّ مَطْبُوعًا؟ فَيَنْسَى الْإِمْلَاقَ بَعْدَ الْغَنَاءِ
 «إِتَّقِ شَرًّا مِنْ غَمَرْتَ بِخَيْرٍ» آيَةٌ مِنْ رَوَائِعِ الْفَهْمَاءِ

١ حقيقة العجسان : أنهم من قبائل اليمن ، من عرب قحطان . وكانوا في الماضي يسكنون نجران ثم ارتحلوا شرقاً فوصلوا في أيام الإمام تركي إلى الأحساء فأحسن اليهم وأنزلهم ديرة بني خالد . وعندما تولى فيصل الإمارة عاملهم مثل معاملة أبيه فأبطرتهم النعمة واستفحل أمرهم فصاروا يقطعون الطرق على السابلة والحجاج . وهم موصوفون بالمكر والغدر . ومع أنهم أصغر القبائل عدداً فقد تفوقوا عليها ونازعوا حتى بني خالد السيادة . ويسمونهم ألمان العرب لشدة عصبيتهم وبأسهم وثقتانهم ببعضهم في سبيل بعض ، فلا يقبل واحد منهم خيراً لا يكون للعجسان كافة . وقد جاءهم ابن سعود عدو البادية وصديق العرب بالخير العميم فرفضوه مراراً في بادئ أمرهم بل امنشقوا الحسام عليه . ثم زرعوا ذلك الخير فأثر في الصَّرَّار قطب ديرتهم الآن ، ولكنهم قبل ذلك زرعوا المكر والحيانة والعصيان . ولم يلبث عودهم إلا بعد سحق الجيش الحجازي في تربة . حينئذٍ فقط انتمسوا العفو من ابن سعود فعفا عنهم فاستمروا في الطاعة والولاء . (ت . ن .)

٢ إشارة إلى القول المأثور : اتَّقِ شَرًّا مِنْ أَحْسَنَ إِلَيْهِ .

حكمةُ الدهر دُونَتْ في كلامٍ كان أولى لو سَطَرَتْ بضياءِ
 عالماً كان بالنفوس، الذي صاغ اليواقيتَ في حروف الهجاء
 ليس أنكى من الحديث يساراً ليس أضرى من وثبة الأدياء
 كنت تغذوهم ضعافاً وكانوا أعيناً أو أراقماً من وراء
 ١٥٠ مَرَّتُوا نأبهم بخبزك دهرأ واستَوُوا بعد سمنةٍ وغذاء
 لا يَغُرُّكَ ابتسامٌ وحاذِرٌ من سمامٍ في الأنيب الصفراء
 أرهَفَتْها الأحقادُ والحسدُ القتالُ، إذ كنت مولعاً بالعطاء
 فكان الهبات كانت أجوراً سالفاتٍ للطعنة النجلاء

...

ما عديدُ العجَّان إلا ألوفٌ من نُجُورٍ خِثَالَةٍ بُسَلَا
 لا يقاسُ امرؤُ بوفرةِ مالٍ أو تُقاسُ الفرسانُ بالإحصاء
 في بني «خالدٍ» أحلُّوا ضيوفاً فاذا الدارُ مطمعُ التزلا
 نازَعُوا أهلها ولولا زيادٌ لغدا البيتُ منزلَ الدُّخْلَا
 لَقَبُوهم ألمانَ «يعرُب» بأساً واتَّحَدَ الرؤوسُ بالأعضاء
 كلُّهم واحدٌ فإن ضُمَّتْ جزءاً هَجَّتْ للدفعِ سائرَ الأجزاء
 ١٦٠ جاءهم بالمغانم ابنُ سعودٍ فأبوا غيرَ نعمةٍ وجَفَا
 من يكن داؤه فسادَ مذاقٍ ليساوي المَرَارَ بالحلواءِ

١ في هذا المقطع وفي مئات المقاطع يجري الكلام على إطلاقه ويقصد به تأييد نظرية لا العجَّان خصوصاً.
 ٢ المَرَار: شجرٌ مُرٌّ يعرف عند العامة بالمرِّير إذا أكلته الإبل قلقت مشاغلها.

حالفوه وناهضوه مراراً وتناسوا سواكب الآلا،
سيوالونه على الدهر في «الصرار» من بعد «تربة» الحمراء.

...

حز قلب الأمير يوم «جرب» فغدا شوك عينه في الغفا،
فسعى يطلب الرشيد ولكن خصمه خف للعراق النائي
عالماً بالذي يكن له الليث، حذوراً من فتكة عذراء،
موقناً أن خصمه طاهر القلب، رفيع عن خسة البغضاء،
ليس يعمى عن الصفات غدور أنت من قفر خلقه في خلا،
يستحب اليد السخية جلف ذو يد، عن صنعة، شلاً،
لا تصدق أن الدميعة تعمي عن بريق الجمال في الحسناء،
يتعمى مركب النقص فيها فيرى القبح من خلال الرؤاء.

...

طلب ابن الرشيد صلحاً، فكان الصفح طبع السريرة الزهراء،
معدن الطيبين، لا غش فيهم حين يعطون عهدهم في الولا،
وأناه في ذلك اليوم أنباء، من الوالد، الكثير البكا،
«إولدي» لا تشح بوجهك عني أنت درعي ومخذي في بلائي.

١ راح عبد العزيز يطلب خصمه الذي كان قد رحل الى العراق . لكن العجبان أثناء ذلك اعتدوا على
عشائر ابن صباح فذهبوا مواشيهم فكتب الشيخ مبارك الى الامير يطلب تأديب المذنبين ورد المنهوبات فأدركه
الرسول في شقراء واليهما أيضاً جاء رسول من ابن الرشيد يطلب الصلح فجددت المعاهدة السابقة .
(ت . ن .)

فاستجدَّ السيفَ الياني وأغمدَه، حَمِيَّ الشَّبَابِ، في أعدائي
 نَهَبْتَنِي «العُجَّانُ»، وأمتَهنتُ عَزِيَّ، وسأقتُ سَوَائِي ورُعَائِي
 المرامي تَأَوَّهتُ من خَلَاءٍ واشْرَأَبْتُ أَوْرَاقَهَا للشَّاءِ
 كُنَّ في الأُمسِ حَالِيَاتِ الرُّوَابِي رَافِلَاتِ الذَّرَى بِشُقْرِ الْفَرَا
 ١٨٥ أَقْفَرُ الصَّبْحِ من رُغَاءِ الْمَهَارِي وَالْعَشَايَا تَشَوَّقَتْ لِلشَّاءِ
 الطَّغَاةِ «العُجَّانُ» دَاسُوا سِيَاجِي وَمَشَتْ خَيْلُهُمْ عَلَى خَيْلَانِي
 لَيْسَ إِلَّا عَبْدُ الْعَزِيزِ يُنَجِّينِي، وَإِنْ كَانَ غَيْرَهُ أَبْنَانِي
 «إِوْلَدِي» أَنْتَ، أَنْجِدِ الْوَالِدَ الْمُتَوَرَّ، هَلَّا سَمِعْتَ يَا ابْنِي نِدَائِي

• • •

كَانَ عَبْدُ الْعَزِيزِ قَدْ سَيَّمِ الشَّيْخَ، وَمَلَّ الصَّدُوقَ كَذِبَ الْمُرَائِي
 لَوْ حَوَانِي أَضْلَاعُهُ تَسَعُ الْبَحْرَ، لَضَجَّتْ مِنْ بَهْظَةٍ وَامْتَلَأَ
 مِنْ جَنَى الْجَحْرِ مَرَّتَيْنِ عَلَيْهِ حَقُّهُ أَنْ يَرَاهُ جَحْرٌ وَبَاءُ
 وَإِذَا كَانَ قَدْ كَوَاهُ مَرَاراً فَهُوَ نَبْعُ الْخُطُوبِ وَالْبَرْحَاءِ
 فَأَجَابَ الْأَمِيرُ: صَبْرًا عَلَى الْعُجَّانِ، وَانْظُرْ حَيَاةَهُمْ أَنَايَ
 قَدْ تَحَمَّلْتُ مِنْهُمْ نَكْثَةَ الْعَهْدِ، وَجَجَدْتُ لِمَا بَنَى آبَائِي
 ١٩٥ وَتُنَادِي بِالْوَيْلِ مِنْ أَجْلِ شَاءٍ؟ وَنِيَّاقٍ هَزِيلَةٍ جَرَبَاءُ
 هِنَةً جَرْمُهُمْ إِلَيْكَ، فَقَدْ رَدُّوْا جَمِيلِي بِأَفْطَعِ الْأَسْوَاءِ

أنت منهم بألف خير عميم لو تأملت ساعة لأواني
 المعاذير أيها الشيخ كثر فأقمني من رحلة رعنا
 نحن في القيظ والهواجر تغلي وزفير الجحيم في الرمضاء
 أتراني أعد جيشاً لحرب؟ أم عصافير سُقِدَتْ لاشتواء
 إن أغادر نجداً فخلفي رشيد نقضه الصلح مثل شربة ماء
 عهد خفة الموازين من ريش أدبرت كفاتها للهوا
 نفقات الحروب نا بها صلي وأقوى الزخار من أهراي
 فوق هذي الموم شوما وأدهى من صباب وحقبة جدبا
 ربية فيك، وهي أوجع ما يُدسي، فما أنت من رجال الوفا
 الصداقات والمروءات ظلت منك في مثل عزلة اللقطا
 لست أنسى «الظفير» أو يوم «سعدون» وما كان من أليم جزائي

١ الأواء: النكبة. ٢ سُقِدَتْ: أي نظمت في السقود. أجاب الأمير الشيخ بكلام هذا ملخصه:
 لست يا مبارك بصديق صدوق، ولقد نالني من العُجبان أكثر مما نالك فصبرت وتجتثت ونحن الآن في وقت
 القيظ ولا نتمكن من شدته أن نسير نيمش إلى ديرة العُجبان. والأمر الثاني هو أنني في ريب من صلح ابن
 رشيد فأخشي نكث العهد إذا أنا غادرت نجداً ودخلت في حرب مع العُجبان. والأمر الثالث نفقات هذه
 الحروب وقد تكاثرت علي فضائت في سبيلها الأسباب، والأمر الرابع يا حضرة الوالد أنني أخشي أن يلبأ
 العُجبان بعد الحرب اليك فتقلب علي كما فعلت يوم سعدون والظفير. ومن رأيي على كل حال تأجيل المسألة.
 (ت. ن.)

٣ ملخص يوم السعدون أن خلافاً نشب بين السعدون ومبارك فاستجد عبد العزيز الذي كان يومئذ في هوم
 كثيرة، فأجده بما يملك من قوة وأشار عليه بالتربس وقبول الصلح الذي عرضه السعدون فاستشاط مبارك وقال
 أنت ولدي وهل يرضى الولد أن يهان أبوه. أما جابر بن مبارك فقال للأمير أنني لا أعهدك جباناً فقال عبد
 العزيز غاضباً «سترون غداً. غداً تظهر الجبانة فتعرفون أين هي». ووقف الأمير موقف المدافع. وفر
 يومئذ جيش الكويت المؤلف من الشبان المترفين الناضري الوجوه تاركاً كل ما يملك من الامتعة والإبل
 والحيل فكانت هدية لجيش السعدون من جيش الكويت. وبعد هذه الكسرة بقي عبد العزيز ثلاثة أشهر في
 الكويت حامياً مبارك الصباح. ثم حدث حادث بين عبد العزيز وبعض عربان مطير فأراد عبد العزيز تأديبهم،
 عندما جاؤوا أطراف الكويت، فاستشاط الشيخ مبارك ودخل على عبد العزيز وكانت أول كلمة منه مرادفة
 للالهانة والطرود إذ قال الشيخ: أظنك يا ابن سعود تبغي أهلك فأجابه بكلمة واحدة نعم وخرج.
 (ت. ن.)

قد صرفتُ الصباحَ أفديك بالروح، فنَغَصْتُ بالخِداعِ مسائي

...

ذَكَرَ الْأَمْسَ، يَوْمَ سَيَقَ حَرْبٍ كَانَ فِيهَا الْأَمِيرُ كَبِشَ الْفِدَاءِ
مَثَلًا يُنْجِلُ الْفَتَاةَ أَبُوهَا فَتَرَاهَا أَسِيرَةً لِلْحَيَاةِ
إِذْ تَرَى عِرْسَهَا الْعَجُوزَ وَتَدْرِي أَنَّهَا فِي الضَّرِيحِ، لَا فِي الْحَبَاةِ
يَوْمَ يَبْغِي «السَّعْدُونَ» سَلَامًا، وَيَأْبَى الشَّيْخُ إِلَّا فَوَاجِعَ الْهَيْجَاةِ
وَيَرَى «الْجَابِرُ» الْأَمِيرَ جَبَانًا فَيُشِيرُ الضَّرْغَامُ بِالْأَزْرَاةِ
إِنَّ مَنْ يَغْتَنِي بِكَتَرِ الْأَلَى يَدْفَعُ الْغَائِصِينَ فِي الدُّمَامَاةِ
يَعْرِفُ الْبَحْرَ مَنْ يَغُوصُ عَلَى الدُّرِّ، فَخَلَّ الْخِيَالَ لِلشُّعْرَاةِ²¹⁰
يَغْفُلُونَ الْمَلْحَ الْأَجَاةَ، وَمَا بِالْبَحْرِ مِنْ أَلْفِ مَيْتَةٍ خَرَسَا
فَيُغَطُّ الْبِرَاعُ فِي الْأُفُقِ الصَّاحِي، وَدُنْيَا الْمَحَايِرِ الزَّرْقَاةِ

...

ضَاعَ نَصْحُ الْأَمِيرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ «الْمَهْدِيَّةِ» الْمَعْطَاةِ
وَاحْتَمَى الشَّيْخُ بِالْأَمِيرِ، وَلَوْلَاهُ لَعَادَ «الْكُوَيْتُ» أَرْضَ الْعَفَاةِ
خَطَرُ الْحَرْبِ زَالَ وَانْفَرَجَ الْكَرْبُ، فَطَارَ الْمَعْرُوفُ ذَرًّا هَبَاةِ
جُوزِي النَّاصِحِ الْأَمِيرُ بِشَبْهِ الطَّرْدِ، بِدَلَا لِكِفِّهِ الْبَيْضَاةِ
حِينَما الشَّيْخُ قَالَ: يَا ابْنَ سَعُودٍ «دُونَ شَكٍّ سَمِعْتُ طَوْلَ الثَّوَاةِ»

...

كيف ينسى يوم «الظفير» خوؤنا
 يستجيرُ الأميرَ في ذلة الشاكي، ونوح المُفجَّعات النساءِ
 مستعيناً به على ابن «سويط» مُستغيثاً بلهجة استجداء
 «إولدي» أنت والعدوُّ حيالي أين برُّ الأبناء بالآباء
 لا تذرني فرداً فأصبحَ نهياً لعدوِّين يبغيان فثاني
 إن تكلني لوحدتي وهمومي فلقد غارَ في القنوط رجائي
 إن طيف «السعدون» وابن «سويط» حرّمني من لذة الاغفاء
 أقسم أن يُضَرَّجاني بدمعي ويدوسا معاقلي بحذاء

...

فشى المنجدُ الأميرَ بجيشٍ مستعداً للغارة الشعواء
 غاضباً للذي يناديه: يا ابني لك مالي ومهجتي ودُعائي
 ويمحوك الأكفان، في السرِّ، والأصالة تسعى لغايتها في الخفاء

١ أما يوم الحيانة العظيم فقد وقع يوم كان الأمير في الحساء وجاءه كتاب الشيخ مشفوعاً بذلولين (يعيرين). وقد جاء في الكتاب اني مرسل اليك بذلولي وقد كنت أركبها الى الغزو وأنا الآن عاجز عن الركوب والمغازي. أنا والدك يا عبد العزيز والذلولان اللذان شهدا الغزوات والمعارك العديدة هما لك يا ولدي، وهما يطلبان منك ان تأخذ بشار والدك من ابن السعدون. فاعتذر عبد العزيز فلم يقبل عذره. وكان مبارك يحسن التأوّه والاستغاثة فكتب ثانية. الى (اولدي) أنا أصبح وأناديك وانت يا ولدي تصم أذنك، أمثل ذلك بعمامل الوالد؟ أتهجرني يوم شدتي الخ. فاستحيا عبد العزيز ومشى بجيش عرمرم لينتقم لوالده من ابن السعدون وابن سويط رئيس عرب الظفير فبادر الشيخ مبارك الى تسطير كتاب لابن سويط يخبره فيه ان ابن سعود زاحف عليه ويحذره منه. فعلم بذلك رجال ابن سعود فاشتعلوا غضباً ونادوا بالهجوم على صاحب الكويت «هو عدو لنا يا عبد العزيز بل هو عدو الله كيف يطلب منك الهجوم على ابن سويط ثم يحذره. رخص لنا فتجري الدعاء كالأنهر في أسواق الكويت». وسكن عبد العزيز روعهم قائلاً: قد قننا نحن بما يجب علينا أما هو فقباحة عمله عليه.

(ت. ن.)

لا يعيش اليربوعُ إلا بسردابٍ، بهم الخطوط والناققا.
 230 فإذا جثته تلاقى خلا، إذ يكون الحدّاعُ في القاصعا.
 ما تُرى الشيخ كان ينسج للنجل المرّجى، في جنة الظلما.
 كان يُزجي الولا، لابن «سويط» قائلاً: حاذروا كرية اللقاء.
 إن عبد العزيز عاد عليكم بسيف الحضار والصحراء.
 وضح الخون للأمير، كما تظهرُ حبل لقاحها من زنا.
 شاهدُ حملها عليها، فما تظهرُ إلا مفضوحة للرأي.
 أشعل النار في رجال سعود، نبأ الغدر بعد ذلّ التجاء.
 قيل: بعداً للخائنين، ذئاب الناس، بعداً للحية الرقطا.
 فهلموا إلى «الكويت»، فلا يبقَ، على البحر، معلّم لبناء.
 وتقيم الحيتان عرساً لما نلقى، إلى البحر، منهم للغدا.
 240 إيه عبد العزيز إيدن ليبدو الثغر، في مثل وحشة البيداء.
 لا! أجاب الأميرُ تبق «كويت» فهي تجلى فتوتى وصباي.
 سَروا «الصباح» أهلي وإخواني، وإن كان شيخهم في التواء.
 إن أولاده المصايح أترابي، فما جف للرفاق إخواني.
 سوف تغدو «الكويت»، في غرة الدهر منار العروبة العربا.
 حفدا «الصباح» تصبح أثماراً، ويذكي ضياءها حفداي.
 فعلام «الكويت» تفنى؟ وفيها رُفقاء الشباب من عُشرائي.

١ الناققا والقاصعا: حجران مختلفان لليربوع فإذا فوجى في أحدهما فر إلى الآخر. ٢ الحضار مفردا الحاضر وهو عكس البادي أي ساكن البادية.

كلُّ شخصٍ عَمَّا جنى هو مسؤولٌ، فلا تجرموا إلى الأبرياء
 نحن اقنأ بواجب النبل جوداً وسلكتنا مناهج الكرماء
 فعلنا خيرُهُ مُعَادٌ علينا وهنا الوجدان خيرُ جزاء
 يدنسُ المرء من نفاقٍ وغدرٍ وضحاياه في السني والنقاء
 قيمة النفس ما تقدم من خيرٍ، فتباً للأعين الرمداً

...

كيف ينسى الأُمس القريب المدمى بسهام السياسة العرجاء
 هكذا جاب الأُمير، وظلَّ الشيخ يُغري، بدون ما استيحاء
 مقسماً أنه سيدل مالا وجنوداً ما عُيِّروا بانكفاء
 أنه في يد الأُمير غصينٌ طيعُ اللي، طيعُ الآراء
 هو بوق الأُمير، ما شاء يُلقى فيه من لحن نُدبة أو حدا
 مستحيلٌ عليه يعقد صلحاً خلصة للأراذل الأردياء
 سيعادي «العُجبان» ما دام حياً كُبر الذنب عن رضى وإحباء
 ليس يرضى بهم رجاء شفيع ولو أن الشفيع في الأنبياء

...

١ لم يقبل الشيخ اعتذار الأمير فأجابه الأمير أن العُجبان لا يرجعون ما ينهبون إلا مكروهين، - إلا بحرب - خصوصاً وأن مباركاً أسلفهم الإساءة ثم قال : فإذا عزمتم على محاربتهم تعطيني عهد الله وميثاقه أن تعينني بالمال والرجال وأن لا تسلك في سياستك معهم غير ملكي، ولا تستقبلهم إذا لجأوا إليك، ولا تتوسط بالصلح بيني وبينهم فعاهدته الشيخ مبارك على ذلك . (ت . ن .)

260 راحَ عبدُ العزيز للحرب قسراً كسقيم يُسقى كرية الدواء
أو شحيح أثاره ثقلٌ ملحاحٌ، سليطُ اللسان في استعطاء
سار ينبغي «العجمان»، والقيظُ أَتُونُ، ولفحُ الرمضاء نارُ الشواء
فَيْشُمُ الجنودُ أجلاذهم تُشوى، وتكوى حُلوقهم بِصلاةٍ
من علٍ يهبطُ اللهيبُ عليهم أحرَ الأفقِ والمَدَى والجِذاءُ^١
فكانَ الجحيمَ غَيرَتِ الدربُ، فدَلَّتْ سَيرَها من ذُكاهِ
عَدَلُوا عن مسالكِ الناسِ والنورِ لجنحِ الظلامِ والاسراءِ
أَعَوَّتَهم رِواحُ فُشَى الجيشِ ثَقِيلَ القلوبِ والأعباءِ
لا يَقِيلون في النهارِ، لِقَريطِ الحرِّ، فالليلُ مسرحُ التَّعداءِ^٢
شارَفُوا عسكرَ العدوِّ «بكَتْزان» فضَلُّوا في الليلةِ الليلاءِ^٣
270 حسبوا غابةَ النخيلِ بيوتاً من نَعاسٍ، ومن خِداعِ الفضاءِ
بين غابِ النخيلِ والشَّعْرِ نَاهَتْ نظراتُ البِوَاسِلِ البَصراءِ
وابلٌ من رصاصهم قَذَفوه لم يُصِبْ واحداً من الأحياءِ
جُلَّه راحَ في الهواءِ، فإن أَدْمَى، فبعضَ الفَسائلِ الخُضراءِ^٤

١ الجِذاءُ: مفردُها جذوة وهي الجَمرة الملتَهية . ٢ التَّعداءُ: الجري . ٣ كان الحر شديداً
فلا يستطيع المشي تابعيك بالقتال نهراً. ولم يكن لديهم رِواحٌ فأسروا ماشين فوصلوا إلى مكان يدعى كَتْزان
كان العدو مغسراً فيه وكانت أشجار النخيل في الليل تبدو كأنها بيوت من الشعر فشرعوا يطلقون عليها
الرصاص. سكت العجمان وراء النخيل حتى نفذت ذخيرة أهل الحساء. ثم خرجوا من مكانهم وطوقوا وتلاحموا
طول ذلك الليل في عراق كانت العماوة فيه شجاعة والفوضى أخت الهول والظلام. وجرح عبد العزيز وقتل
أخوه سعد ودارت الدائرة على رجاله فانهزموا إلى الحساء فتقغام العجمان وحاصروا الهفوف ثلاثة أشهر .
وكتب عبد العزيز إلى أبيه مستغفراً أهل نجد وإلى الشيخ مبارك فسارع أهل نجد بقيادة أخيه محمد ومعه أحد
العرفاء سعود بن عبد العزيز الذي فر سابقاً من الخرج وانضم إلى ابن الرشيد وحارب معه في وقعة جراب .
فلما رأى ابن عمه عبد العزيز في تلك الغنة استغفره الحمية فعاد نائباً مناصراً . (ت . ن .)
٤ الفَسائل مفردُها فِيلة وهي النخلة الصغيرة .

وَكأنَّ الدويَّ كان ، بذاك الليل ، بعثاً للضوء ، والأصدا ،
حين كان «العُجَان» ، في مكنن الأمن ، شهود الضياء والضوضاء ،
عندما أصبح الهتون رذاذاً نَسَلُوا من مَكَامِنِ شجراً ،
فأحاطوا بالهاجين وسَدُّوا كلَّ دربٍ ومنفذٍ لِنَجاةٍ ،
جَلَجَتِ أعينُ الضراغم في الأشرار ، تبغي ولو بصيصَ رجا ،
لا تظنَّ الآساد ، في قفص الفولاذ أسرى ، تموت موتَ الظباء ،
290 التَّغْلُ الحديدَ أظفارها العَققاء ، حتى الحديدُ كالْحِنا ،
شَهِدَ الليلُ ما أخافَ ثَوَانِيهِ فشابت ذوائبُ الدهماء ،
سادتِ الهولَ والمجازيرَ فوضى كامتداد الزوابع العمياء ،
تصدع البحرُ فالشرعُ صريعُ الريح ، رهنُ التيارِ والأنواء ،
ضاعتِ الدقةُ المديرة والمرساة ، أين السبيلُ للإرساء ،
جرحُ ربَّانها وقتلُ أخيه أبعداه عن هداة الميناء ،
فارقَ السعدُ ذلك اليوم «سعداً» فهو الشبلُ فاقدُ الحوباء ،
لم يُصَبْ مُدِيرًا ولكن شجاعاً مقبلاً يرتقي على الأرزاء ،
كان «سعدٌ» زينَ الشباب خصالاً ومدى مطمح ، وبهج رُوا ،
ويُقرَّب الأميرُ داهمه الحَيْنُ ، فأهوى نجماً على الدقعا ،
290 لم يصنه أخٌ وودَّ ليفديه ، لو الموت يرتضي بافتدا ،
يا حبيب الأمير ما الترس يُجدي ؟ غرقَ الترس نفسه في الدماء

ضام عبد العزيز جرحان، جرح في الحنايا وواحد في الإخاء
 وأشد الجرحين حرقاً وأنكى ألم النفس أعرضت عن عزاء
 نضب الدمع، لا مقرّ لدمع دغ شؤون العيون للخنساء
 غير عبد العزيز يلتبس الصبر بإفشاء آهة ورثاء
 هو نسر كرت عليه صقور فأصابت جناحه ببلا
 فارتمى فوقها يمزق فيها نيزكا يرتقي من الجوزاء
 طالبا جثة القتييل حذورا بين ضدّين: كربة واتقاء
 قال: يا سعد لن يمسوك ميتا قبل أن يعبروا على أشلائي
 قالها رافعا الى السرج ميتا حاضنا صنو نفسه من وراء ³⁰⁶
 فاجأ الليث، وهو في غمرة الأخطار، ذئب ممرس بالعواء
 صاح: هذا غريمكم بادروه فاشراّبت سيوفهم للواء
 هالة الموت طوقت علم العرب فأذكت نشاطه للبقاء
 لم يواجه في عمره ظلمة الرمس، كما راءها بذاك المساء
 فأتته شجاعة قلما يؤتى مثيلايتها بنو حواء
 فرج الدرب بالمسدس للمهر، وأسرى في التربة الحمراء
 والتقى جيشه فلولاً حيارى عقل الخطب السن الفصحاء
 خيموا للنام بعد مسير وتهاووا من شدة الإعياء
 لمح المجد الجريح على الآماق ذعرا وموجة استخذاء
 خلفهم تحممت خيول الأعادي منذرات بالهول والإفناء ³¹⁰
 ما ترى الليث فاعلا؟ فالدواهي غلغته بالحنة السحباء

إنَّ يَهْنُ سَاعَةً فَعَرَشُ سَعُودٍ طَعْمَةٌ لِلْبَوَاتِرِ الْحَدَابِ
 لَا يَنْجِيهِ غَيْرُ قَلْبٍ مِنْ الصَّخْرِ وَذِهْنُ كَسِيفِهِ فِي الْمَضَا
 قَالَ: يَا أَيُّهَا الْبَوَاسِلُ هَاتُوا لِي كَعَابًا حَلِيلَةً لِمَسَائِي
 وَأَقِيمُوا الْعَرَسَ الْبَهِيَّ وَهَاتُوا غَيْرَ هَذِي الْوُجُوهِ وَالسِّيَا
 كُنْتُمْ فِي مَوَاطِنِ الْمَوْتِ أَصْحَابِي، فَكُونُوا أَحِبَّتِي فِي هِنَائِي
 فَاتَوْهُ بِهَا، وَزَغَرَدَ بَارُودٌ، وَدَوَّى الْهَزِيمُ فِي الْأَرْجَاءِ
 الرِّجَاءِ الذَّبِيحُ عَادَ إِلَى الْقَوْمِ، وَغَارَ الْقَنُوطُ فِي السَّرَا
 مِنْ تَبَاكِي بِكِي، وَمَنْ يَسْتَتِمُ نَامَ، فَكُلُّ الْإِنْسَانِ فِي الْإِيحَاءِ
 أَعْلَمُ النَّاسِ بِالْجَاهِرِ فَظَنُّ جَسَّ مِنْهُمْ مَنَازِعَ الْأَهْوَاءِ
 فَأَدَارَ الشَّرَاعَ فِي جَهَةِ الرِّيحِ، فَكَانَ الْحَبِيبَ فِي الزَّعْمَاءِ
 يَا جَرِيحًا وَعَرْسُهُ مَأْتَمُ الْقَلْبِ، وَصَبْرُ اللَّيْبِ لَاسْتَهْوَاءِ
 أَنْتَ فِي حَوْمَةِ الْمَكَارِهِ أَعْلَى مِنْكَ فِي سَرَجِ سَابِحِ عَدَاءِ
 بَطْلُ النَّفْسِ دُونَهُ بَطْلُ السَّيْفِ، وَكُنْهُ الْإِيْنَاءِ فَوْقَ الْإِيْنَاءِ
 يُعْرِفُ الْمَرْءُ فِي النَّوَازِلِ دُهُمَا لَا رَيْبَ النِّعْمَى وَتَرْبَ الرِّخَاءِ
 كُلُّ طَيْرٍ عَلَى الرَّبِيعِ صَدُوحٌ وَقَلِيلٌ عَنَادِلُ الْإِشْتَاءِ
 لَسْتُ تَدْرِي أَفْرَحُهُ أَمْ زَفِيرًا؟ أَمْ نَفُوسًا يَذْرُوعُنَا فِي الْغِنَاءِ
 تَتَعَالَى عَنِ النَّوَاحِ أَغَانِيَهُمْ، فَمَا فِي اللَّحُونِ غَيْرُ الصَّفَاءِ
 وَيَمُوتُونَ فِي الظَّلَامِ كِبَارًا بُعْدًا عَنْ وَصْمَةِ الْكِبَرِيَاءِ

...

٣٣٥ سَدَّدُ النَّسْرُ طَرْفَهُ بَعْدَ جَرْحٍ وَاغْتِرَابٍ، لِلذَّرْوَةِ الشَّمَاءُ
 ذَاكِرًا وَكَرَّهًا، وَلِلْوَطَنِ الْغَالِي، يَخْفُ الْجَنَانُ فِي الضَّرَاءِ
 يَا شَبُولَ «الْعَوَجَا»، هَلُمُّوا إِلَى الثَّارِ وَمَحْوِ الْمَزِيمَةِ الشَّنْعَاءِ
 لَا يَنَامُ الْأَمِيرُ مِنْ شِدَّةِ الْوَجْدِ، فَمَا نَارُ غِيظِهِ لَا نَظْفَاءَ
 أَقْبَلْتُ نَجْدُ يَا أَمِيرُ تَلَبِّي حَسْبَهَا مِنْكَ غَضَبُهُ لِلْعَلَاءِ
 لَا يَهْزُ الْجَبَانَ أَلْفُ نَدَاءٍ وَيُلَبِّي النَجِيدُ بِالْإِيْمَاءِ
 وَ«سَعُودُ» عَدُوُّكَ الْأَمْسَ آتٍ جَلَجَلَتْ فِيهِ نَخْوَةُ الْأَقْرَبَاءِ
 طَيْفُ «مَرْخَانَ» أَيْقِظُ الْحَبَّ فِيهِ يَقْطَعُ السَّلَكُ مُسًّا بِالْكَهْرِبَاءِ
 لَا يَنَالُ السَّهْمُ الْمَحْدَدُ لُبًّا دُونَ خَدَشٍ أَوْ صَدْمَةٍ لِلْحِجَاءِ
 عَطَفْتُ بِحَنَّةِ الْأَمِيرِ نَسِيبًا وَأَثَارَتْ مَطَامِعُ الْحَبْشَاءِ
 ٣٤٥ وَإِذَا ضَيْغَمٌ أَصِيبُ بِجَرْحٍ فَتَحَ الْجَرْحُ مَسْرَبًا لِلدَّاءِ
 خُطْبُ «كَتْرَانَ» أَطْمَعُ ابْنَ رَشِيدٍ بِعُرُوسِ «الْقَصِيمِ» بِالْغَيْدَاءِ
 فَشَى يَبْتَغِي «بُرَيْدَةَ»، مَاخُودًا بِطَيْبِ الْهَوَى، عَلَى الْإِغْرَاءِ
 صَفَعَتْهُ تِلْكَ الْعُرُوسُ فَأَصْحَى مِنْ تَهَاوِيلِ سَكْرَةٍ جَوْفَاءِ

...

أَتَظُنُّ الشَّيْخَ «الصَّبَاحِيَّ» هَزَّتْ شَعْرَةً مِنْهُ نَكْبَةٌ الْخُلَاصَا

١ نكث ابن الرشيد عهد الصلح ومشى إلى بريدة يريد احتلالها فزحف الأمير إلى نجد ولكنه علم وهو في الطريق أنه عاد مدحوراً . أما الشيخ مبارك فقد أبطأ في إرسال النجدة التي طلبها عبد العزيز فكتب إليه ثانية يذكره بالعهد فجهر إذ ذاك ابنه سالماً واثنين آخرين من أولاده بقوة صغيرة - مئة وخمسين رجلاً من الحضر ومثنتين من البدو - فجاءوا إلى الحساء وانضموا إلى جيش ابن سعود . (ت . ن .)

الألى غامروا بكلّ عزيزٍ لِيَذُودُوا عن معقلٍ للرباءِ
 إِنَّ ذاكَ الغريمَ فَرَّ من الدّينِ، وَخَلَّى الأثقالَ للكفلاءِ
 تَرْكَةً تَرهقُ الكواهلَ ممّا دَسَّ فيها من باطلٍ وربّاهُ
 كان ذاكَ الميتَ المشاعِرِ حَيًّا ضاحكاً من حميّةِ الخلفاءِ
 طلبَ النجدةَ الأميرُ، وظلَّ الشيخُ في مثلِ نخوةِ الصفواءِ
 ٣٥٠ مُغلقَ الحسِّ والسّاحةِ والنّبلِ، فسَقياً للصخرةِ الصمّاءِ
 ثم عادَ الأميرُ ذَكَرَهُ العهدَ، ومغزى وعوده الفيحاءِ
 العروسُ التي وَعَدَتْ بقصرٍ أيها الشّهمُ تشكي من حفاءِ
 قَتَمَطَى الشيخُ المباركَ دهرًا شيمَةَ الباخلينَ عندَ العطاءِ
 يَدُهمُ للنّوالِ أبطأ من دَبِّ السّلحفاةِ، أو من الخنفساءِ
 ما تُرى نجدةُ الحليفِ المرّجى؟ بعدَ ذاكَ الجُودِ والإبطاءِ
 وَلَداهُ وعصبةٌ من رجالٍ رَكِبَ صيدٍ، أو بَعَثَهُ لاحتفاءِ
 ظهروا في معسكرِ ابنِ سعودٍ شعراً شيبَ في لَمّةِ سوداءِ

...

جاءَ دورُ الأميرِ بالكرِّ فاخْتارَ النّواصي من رِفقةٍ قُدّما
 سَرَوَاتِ الأبطالِ من كُلِّ جلدٍ صائبِ الرمي سائِفٍ مَشّا
 ٣٦٠ لا خيولٌ ولا رِواحلُ، فالمرعى جَدِيبٌ كالهامّةِ القرعاءِ

١ التركة: ما يتركه الميت.

٢ السائف: الضارب بالسيف.

أدجلوا مسرعين فانقشع الصبح فصبوا نيرانهم من كواء^١
صيباً يأخذ الرصاص الرمايا لا كيوم «الكتزان» رمي عماء^٢
وتبارى «العجبان» بالفر حتى غص رجع الصدى لقرط الرغاء
يخزّون اجمالاً بالرمح، والأفراس بالسوط لاهباً كالصلا
لم يسر الأمير أن هرب الصيد، فأوصى شقيقه باقتفاء
«خذ رجال «الكويت»، وانتخب الفرسان مناً للضربة العصا»
«لا تعد قبل أن يصيحوا أماناً أو تشكى الحدود فيض ارتوا»
فاقتفاهم محمد ينهب اليد ويطوي أخايف البطحاء^٣
جنبه «سالم الصباح» ورؤاض المنايا، والضمر الجرداء
أدركوا الصيد^{٣٧٠}، ليس إلا «سويات»، لسطر الصحيفة الغراء
أوشكوا يبدؤونها فإذا بالخلف يغدو محالف الأعداء
قطع الحبل بالنصير وألقى رائد البئر خدنه في الماء
بعد أن صارت الدلاء إليه رجم البئر قاذفاً بالدلاء
بعد شوق وحسرة والتياح حجب الماء عن شفاه ظاء
لم تدون صحيفة العرب عاراً مثل هذي الخيانة القرناء^٤

١ كواء مفرد كوة وهي الخرق والفجوة . ٢ أمر عبد العزيز أخاه محمداً وسالم الصباح وجنودهما أن يبقوا في مراكزهم وزحف ليلاً بفرقة من رجاله ومعهم بضعة مدافع . أسروا ماشين لان أكثر الإبل كانت قد أرسلت إلى نجد لقلة المرعى في الحساء فأدركوا العجبان في الصباح . وأطلقوا المدافع عليهم ثم هموا بالهجوم فصار أولئك العربان إلى ركابتهم وفرّوا هاربين تجاه الكويت فلم يتمكن رجال ابن سعود من اللحاق بهم . عاد عبد العزيز إلى مقره وأمر أخاه وسالماً حليفه بمطاردة العجبان فجمع الاثنان رجالهما ومشوا كلهم طائعين متآلفين ولكلهم ما لبثوا أن تفرقوا . أدركوا العجبان ! نعم أدركوهم فكان الانقلاب وكانت الخيانة اتفق سالم الصباح وأولئك العشائر العاصية وهجر حليفه ابن سعود . (ت . ن .)

٣ الأخاف : الأراضي اللينة . ٤ القرناء مؤنث الأقرن وهي صفة للعبث ولأنني التيس وقد جعلناها نعتاً للخيانة .

«سالم» يُعلنُ الحماية «للعُجبان» ، تباً للعقرب الشقراء
 جاءه الأمرُ من أبيه : تفرّجْ يا قليل الذكاء في الأبناء
 أترانا مناصرين سعدوا ؟ أين ولدي وأين منهم ذكائي
 أنا صنو الغمام في القبض والنشر ، عديد الألوان والأجواء
 إنما الصدق والثبات على العهد ، حروفٌ في مُعجم البُسطاء
 إنما العبقرى مَنْ حَذَقَ اللف ، فمثلُ اليهود مثلُ الرداء
 بعث الأخُ للأمير رسولاً منبئاً بالوقعة البتراء
 قال : إيدَنْ أبطشْ بخصمين : «عُجبان» وُجند اللدأغة الرقطاء
 ما ألدُ الخصمين إلا «صباح» اتغدّى به وذاك عشائي
 قد أتينا نُنجي الغريقَ من اليم ، فصارَ الغريقُ في الخصماء
 الأمير النبيلُ عَضَّ على الجرح ، وكفَّ الشقيقَ عن إيذاء
 شاكياً «سالمًا» لوالده الشيخ ، شكاةً الهجير للرمضاء
 فأجاب القاضي جواباً لثيماً مستفيضاً بإفكِهِ والهرأ
 «قال يا ابن السعود ما شئتُ حرباً بل رجوعَ المنهوب من أشيائي»
 «السُراة» «العُجبان» كانوا أحبائي ، ولم يصرموا حبال ولائي
 «جمعتني بهم وسائلُ شتى فهمُ السابقون في الأصدقاء»

١ استجد مبارك ابن سعود على العُجبان وقصده أن يزرع العداء بينها فيتمكن هو من الاستيلاء على الحساء . لذلك انقلب سالم فجأة وأعلن حمايته عليهم . وكان مبارك قد كتب الى ابنه عندما علم انه اشترك في القتال مع ابن سعود يؤنبه ويقول : «ارسلتك مراقباً لا مقاتلاً اذا غلبهم ابن سعود فتحن معهم يا ولدي . واذا هم غلبوه فلا تردم عنه ولا تساعد عليه» . وأرسل محمد بن عبد الرحمن الى أخيه عبد العزيز يعلمه بالخدعة ويستأذنه بالهجوم على العدوين : العُجبان والمباركين فأجابه قائلاً : لا تفعل ، كيف نكون حلفاء في أول النهار وأعداء في آخره والناس لا يعرفون حقيقة الحال . (ت . ن .)

خَوْنُهُ فِي الْقِتَالِ أَيْسَرُ وَقَعًا مِنْ جَوَابٍ يَغْصُ بِالْفَحْشَاءِ
 أَنْتَنَ الْجُبْرِ مِنْ وَقَاحَةِ سَطْرِ طَلَعَتْ مِنْهُ رِيحَةُ اللُّخْنَاءِ
 مَا وَقُوفَ السِّكِّيرِ، عَرِيَانَ فِي النَّادِي، يَبَاهِي بِسُكْرِهِ وَالْعَرَاءِ
 كَالْوَقَاحِ الَّذِي تَطْلُقُ مِنْ صَدْقٍ، وَمِنْ صَوْنِ ذِمَّةٍ وَحِيَاءِ
 لَسْتُ تَلْقَى لَذَلِكَ الشَّيْخَ نَدًّا فِي ضُرُوبِ الْخُدَاعِ تَحْتَ السَّمَاءِ
 سِرُّهُ كَانَ أَبْعَدَ الْبُعْدِ عَمَّا يَتَرَاهِي بِدَاهِيَةِ الرَّائِي
 لَا اسْتِلَابُ الْأَغْنَامِ أَرْقَ عَيْنِيهِ، وَلَا هَمَّةُ انْتِهَابِ الْجَدَاءِ
 كَانَ ذَاكَ الْمَنْهُوبُ جَدًّا يَسِيرُ عِنْدَ مَنْ كَانَ فِي ذُرَى الْأَثَرِ
 ٤٥٥ مَا مَقَامُ الْحَصَاةِ؟ فِي ضَفَّةِ النَّهْرِ الْمَلِيّ الشُّطُوطِ بِالْحَصْبَاءِ
 مِثْلُ هَذَا الْقَطِيعِ، يَنْحَرُهُ الشَّيْخُ، فَيَمْسِي الْعِشَاءَ لِلْأَصْفِيَاءِ
 سَلْ بِهِ «خَزْعَلًا» وَزُهْرَ لِيَالِيهِ، وَحَدَّثَ بِمَكْرَمَاتِ الطَّائِي^١
 لَمْ يَكُنْ سَيِّدُ «الْكُوَيْتِ» شَحِيحًا فِي عَشَايَا الْقِيَانِ وَالْأَغْنِيَاءِ
 أَرْقَ الشَّيْخَ أَنْ بَنَدَ سَعُودٍ سَادَ نَجْدًا وَامْتَدَّ لِلْأَحْسَاءِ
 وَهُوَ جَارُ «الْأَحْسَاءِ» وَالْجَارُ أَوْلَى قَدَسُ الشَّرْعِ شَفْعَةُ الشُّفْعَاءِ
 ذَلِكَ الْحَلْمُ بَاتَ كَابُوسَهُ الْأَقْوَى، لِزَامِ الْأَصْبَاحِ وَالْأَمْسَاءِ
 نَابَهُ مَا يَنْوِبُ قَلْبَ عَشِيقٍ خَلَبَتْهُ مَفَاتِنُ الْهَيْفَاءِ
 كَيْفَمَا قَلْبَ الْجَفُونَ رَأَاهَا مَلَكًا فِي غِلَالَةٍ مِنْ بِيَاهِ

١ الطائي: حاتم المشهور بالسُّخَاءِ. كَانَ الشَّيْخُ مَبَارَكُ بْنُ الْإِمِيرِ (خَزْعَلًا) حَبِيبًا صَافِيًا فَبَنَى لَهُ قَصْرًا فِي الْكُوَيْتِ، وَبَنَى خَزْعَلَ لِمَبَارَكٍ قَصْرًا فِي الْحَمْرَةِ فَكَانَ الْاِثْنَانِ يَجْتَمِعَانِ عَلَى ضِفَافِ قَارُونِ وَعَلَى شَاطِئِ الْخَلِيجِ لِيَقْضِيَا أَيَّامًا وَلِيَالِي بَيْنَ سَرَبٍ مِنَ الْقِيَانِ وَالرَّافِضَاتِ.
 (ت. ن.)

صَحْوَةُ الْأُفُقِ مِنْ بَرِيقِ ثَنَائِهَا، وَفَجْرُ الْحُدُودِ مِنْ لَا أَلَا،
 ٤١٥ لَا يَرَى فِي النِّسَاءِ حَسَنًا عَدَاهَا فَهِيَ فِي قَلْبِهِ جَمِيعُ النِّسَاءِ
 حُسْنُ شَيْخٍ «الْكُوَيْتِ» أَعْجَزُ مِنْ أَنْ يَتَصَبَّى «الْأَحْسَاءُ» بِالْإِغْوَاءِ
 سَيْفُهُ قَاصِرٌ عَنِ الْفَتْحِ، فَلْيَعْمِدْ إِلَى سَيْفِ خَدْعَةٍ وَدَهَا
 فَلْيُمَثِّلْ أُلْهِيَّةً مِنْ بَعِيدٍ وَلْيَخْلِ الْمَأْسَاءَ لِلشُّرَفَاءِ
 يَتَبَاكَى لِفَقْدِ عَيْسٍ كَرَامٍ وَنِعَاجٍ حَلَابَةٍ جَمَاءِ
 فَيُعَادِي عَبْدَ الْعَزِيزِ «وَعُجَّانَ»، وَيَرْمِي الْخَصْمِينَ فِي الْبُلُوءِ
 يَتَفَانُونَ «بِالْحَسَاءِ» وَيَرِقُ سَدَّةُ الْحُكْمِ سَيِّدُ الْأَذْكِيَاءِ
 مَغْنَمًا بَارِدًا يَصِيرُ إِلَيْهِ بَلَدٌ ذُو حَادِقٍ غَنَاءِ
 وَبِهِنَّ الثَّمَارُ مِنْ كُلِّ لَوْنٍ طَرَفٌ فِي الطُّعُومِ وَالْأَشْدَاءِ
 مَسْرَحُ الْبَلْبَلِ الْمُبَكِّرِ فِي الشَّدْوِ، بِشِيرًا بِدَوْلَةِ الْأَضْوَاءِ
 ٤٢٥ نَافِضًا عَنْ جَنَاحِهِ مَعْطَفَ اللَّيْلِ، بَلِيلَ الْمِنْقَارِ بِالْأَنْدَاءِ
 الْحَسَاءِ الْحَسَاءِ، فِي خَاطِرِ الشَّيْخِ، مَقَرُّ السَّنَى وَمَهْدُ السَّنَاءِ
 طَيْفُهَا فِي خَيَالِهِ يَبْعَثُ السُّكْرَ وَيُجْرِي تَوَقُّدَ الصَّهْبَاءِ

...

جُنَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ مِنْ لَهْجَةِ الشَّيْخِ، وَتِلْكَ السَّجِيَّةُ الْعَجْفَاءُ
 لَيْسَ فِيهَا مِنَ الصَّرَاحَةِ ظَلٌّ أَوْ كَمُثْقَالِ ذَرَّةٍ مِنْ إِبَاءِ
 قُبَحَتِ خَلْقَةٍ فَأَجَلُ مِنْهَا فَطَسٌ فِي هَمِيرَةٍ صَلْعَاءِ

أَوْ صَدِيدُ الْقُرُوحِ مِنْ أَثَرِ الْحُمَّى، وَهَوْلُ الْأَكَالِ فِي الْبَرَصَاءِ
 أَوْ سَعْدُ يُودِي، وَيُمْنِي يَجْرَحُ؟ وَبِتِلْكَ الْهَزِيمَةِ النُّكْرَاءِ
 وَيَلَاقِي مِنَ النَّوَائِبِ مَا لَمْ يَلْقَهُ فِي كَهُولَةٍ وَصَبَاءِ
 وَيَسُوقُ الْجِيُوشَ مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ سَاخِيًا بِالْعَتَادِ وَالشَّهْدَاءِ
 ١٣٥ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ حَلْفِ خَوُونٍ؟ مِنْ شَعُورٍ وَمِنْ خَلَاقٍ بَرَاءِ
 طَفَحَ الْكَيْلُ! كُلُّ صَبْرٍ قَبِيحٌ بَلْ هُوَ الْجَرْمُ أَوْ أَخْسُ الْغَبَاءِ
 كُلُّ شَيْءٍ سِوَى الْإِلَهِ وَمَا اسْتَشْنَى لَهُ بَدَأُهُ وَحَدُّ انْتِهَاءِ
 يَا سَمَاءُ اشْهَدِي يَقُولُ أَمِيرٌ أَنَّنِي كُنْتُ أَصْدَقَ الْأَوْفِيَاءِ
 أَنَّنِي مَجْرُمٌ إِذَا خَنْتُ نَفْسِي لَنْ تَشَانِي مَذَلَّتِي! لَنْ تَشَانِي
 الْمُرُوءَاتُ يَا إِلَهِي تُوَازِي فِي الْمَبْرَأَاتِ عَفَّةَ الْجَبَسَاءِ
 مَا سَخَا وَاحِدٌ عَلَى الْأَرْضِ مِثْلِي لِصَدِيقٍ وَلَا أَتَى إِبْلَاقِي
 مِنْ دَمِي مِنْ دَمِ الشَّقِيقِ وَأَبْطَالِي، وَمِنْ مَقَلَّتِي كَانَ سَخَائِي
 اللَّهُمَّ إِيَّاكَ نَعْبُدُ! كُنْ عَوْنًا لِسَيْفِ الْمُرُوءَةِ الْوَضَاءِ

١ كتب الأمير إلى الشيخ يشكو سالماً قائلاً: «لم أقدم إكراماً لك على تأديته». فكتب الشيخ مجيباً: «إن بينه وبين العجَّان صداقة قديمة. ثم قال طلبت منك أن تسترجع منهوياتي منهم ولم أقل لك حارهم وأطردهم من ديارهم». قرأ عبد العزيز الكتاب وهو يحتدم غيظاً هتف مردداً تلك الكلمة التي يأخذها من فاتحة القرآن إذا هو أعلن الحرب: «إياك نعبد وإياك نستعين»! صبرنا على مبارك صبراً جليلاً واحتملنا منه شيئاً كثيراً وفادينا من أجله بالمال والرجال وما نحن والله بصابرين إلى الأبد، إياك نعبد وإياك نستعين. شدَّ عبد العزيز يريد مهاجمة العجَّان ومبارك ولكنه حين وصوله إلى معسكر أخيه محمد واستأعجه الكلمة الأولى التي قالها الرسول القادم من الكويت وقف مدعوهاً عزوياً إننا لله وإنا إليه راجعون. مات الشيخ مبارك. عدل عن مهاجمة العجَّان وكتب إلى جابر الذي خلف أباه في الحكم يعزبه بأبيه وينصحه ألا ينهج على منواله في السياسة.

(ت. ن. ت.)

فأُهدَّ الجحريين: شِرةَ «عُجْمان» وجُحرَ الحرباء، حصنَ الرياء
 ٤٤٥ قَالَهَا واحتدأْهُمُ كَادُ يُوري قَصَبَ الخَزْ في ذِيولِ العباءِ
 شدَّ والجندُ حوله كُشْبُ تغلي، وأسدُّ تحرَّقتْ منِ ضراءِ
 رُكَّضاً ينشدون ثأراً، ويمحون اعتداءً، وسالقاتِ افتراءِ
 بلغوا عسكرَ الشقيق وقالوا ستكون الغداةُ للإيفاءِ
 في غدٍ ندفعُ الرياءَ وديناً وزريحَ الوجودِ من غُرماءِ
 لا غدُ يا أميرُ للسيفِ، بل للحزنِ، للنعيِ فاجئاً، للرثاءِ
 ماتَ شيخُ «الكويت»! فانقلبَ الشَّانُ غمًّا في الجبهةِ السَّحَاءِ
 ومحا الموتُ كلَّ ظلٍّ لحقدٍ ذاك طبع الأكاربِ الأَصْلَاءِ
 خلَقَهُمْ يذكرُ الجميلَ، ولو خيلاً، لإصلاحِ عروةٍ في كساءِ
 وينفضونَ عن قبيحٍ، وينسون العطايا، فالمنُّ لِلؤْماءِ
 ٤٥٥ الألى إن أتيت، في القيظِ، تبغي ظلَّ جدرانهم ممرَّ التجاءِ
 ذكَّروك الحياةَ أنك لولاهم، ولولا عجائبُ الأفياءِ
 لصرفتِ الأيامُ أتعسَ منكودٍ، تلاشتْ حياته في الشقاءِ

...

وقف الماجدُ الأميرُ كئيباً رافعاً مقلتيه صوبَ العلا،
 إِنَّا راجعونَ لله فَاغْفِرْ يا إلهي، يا أرحمَ الرِّحماءِ

ومضى يسطر الكتاب يعزّي نجله «جابرأ» جميل العزاء
 رحمة الله قال: تغمر شيخاً كان في العرب معلماً للذكاء
 مثله كن وجاهة واقتداراً غيره صدق لهجة ووفاء
 غفر الله ما مضى، ولكم ودي، وسيفي، وذمتي، وإخائي
 ليس عبد العزيز من ينقض العهد، فكُنْ «للكويت» صبح رجا

٢٣ بطل الحضارة

٤٦٥ سائل الليل عن فؤاد الأمير هل درى لذة المنام القدير
 لا! فما لذة الوساد ليالٍ واسع الهم، دائم التفكير
 واحد الفتح بالجزيرة، لم يسكر بمجد رواه للعمور
 كان فتح القلوب أكبر هميه، بنشر العمران والتحضير
 حمله ذلك لم يكن غيم صيف ساقه لين النسيم العبور
 بل هيام أطل من عقله الواعي، وأرسي الأوتاد في اللاشعور
 طوف البال بالجدود الخوالي منذ «تركي» حتى «جدود» «الزير»
 بين مجد عرض المحيط وخفض وشموخ العلا وذل الخدور
 حاراً في سرعة انبثاق عروش وانقلاب الأخرى انقلاب دُور
 أترى العرب طبعهم طبع صحراء، تظل الدهور في تغيير
 ٤٦٥ السواقي تُدليها بين زفازف هبوب وبين هوف حرور

١ اللاشعور: هو العقل الباطن المعروف بال (Inconscient) في تعريفات السيكلوجيا. ٢ الزير: هو المهلهل. وآل سمود يتحدرون من ربيعة كما تقدم. ٣ السواقي: هي الرياح التي تسفي الرمال. والزفازف والهوف: من أسماء الرياح.

فإذا الأَفِيحُ المديد مضيقٌ وإذا التلُّ صارَ شبهَ حفير

.....

سبر الداء، ثاقباً غيبَ الماضي، مُنيراً جوانبَ الديجور

فراى العرب قبله قد تلَّهوا عن لُبابِ وجوهٍ بقشور

بانتهاجٍ وغارةٍ وذُحولٍ وانتقامٍ المجير للموتور

ووقوفٍ على الطلولِ ونوحٍ واستيفِ الرمال قبل المسير

هاله أن دولة العرب، في الصحراء، ظَلَّتْ رهينةً بالبعير

أنها مثله بحرٌ وظمٌ وبمشي الأسراء والتهجير

.....

فات، من قبله، مُحاربةُ القفر، بكنز المياه والتعمير

كان أفقُ البداوةِ الرذلِ أفقاً مثل أذن البعير جدٌ صغير

٧٤٥ عَصَبِيَّاتِهِمْ تَبِيدُ غريباً باسم دين، أو قَصْدَ غنمٍ حقير

فإذا بادَ ما جَنَوهُ تَفَانُوا كاليعاسيب أَلْجَتْ للفقير

كان حدسُ الأميرِ أصدقَ من علمِ دفينٍ مُحَنِّطٍ في سطور

هَمَّةُ بَيْتِ الحواضرِ صدَّ النومَ، إلا إغماضةَ المقهور

لم يُفَارِقْهُ رَاكِباً لِقَتَالٍ أو سَمِيعاً، تَأْدِيباً، لسمير

١ استاف الرمل : شتمه يستدل به . ٢ اليعاسيب : ذكور النحل . ٣ يعني بالحدس : بدهاة الوجدان .

أو جليس العربان يأتون لؤاماً، يشورون للسير اليسير
ليس فيهم إلا شكاة، وطلاب عفاة، فأين عذر العذير
وحده يحمل الهموم كباراً فكان الهموم كنه الكبير

...

نجدته بيتته ونذرت عليه أن يقيه غوائل المحذور
يدعم الركن حيث يبدو عوار حيث جد العراب في التقصير
١٩٠ ولخير في البيت سجادة صغرى، ولا في البعيد ألف حصير
كان ينوي الأمير تحضير نجد قبل تفكيره بفتح «عسير»
مدركا علة البداوة والقفرة، فهذان منبت للشروع
حارب الجهل والتشرذم تقطع من بلايا الصحراء جذر الجذور
كيف استنبت الرغادة صقع ضاع ما بين شارد وفقير
سبل العيش تخلق المرء خلقاً فهي أم الرقي والتحضير
كيف ترجو ممن يعيش على النهب ضميراً وملماً من حرير

...

كان حرب الجفاف أو فر هو لا من عدو غاز وجيش مغير
بين صعبين ضاق صدر صبور بين أرض بور وقوم بور

١ العوار: الشق والحرق في الغرب أو سواء . ٢ عسير: منطقة في اليمن وسيأتي الكلام عليها .

أَيَسَّرُ النُّكْبَتَيْنِ أَنْ تَفْتَحَ « الصَّمَان » وَالْأَمْعَزَ الْعَصِيَّ الصَّخُورُ
 قَبْلَ فَتْحِ الْعُقُولِ غَلْفَهَا الْجَمْلُ فَأُضْحَتِ مِنْ جَهْلِهَا فِي سُورِ
 فِطْرَةٍ صَارَتْ الْبَدَاوَةُ فِيهَا وَاسْتَمَرَّتْ كَالصَّخْرِ فِي التَّحْجِيرِ
 هِجْرَةٍ مِنْ بُيُوتِهِمْ لِبُيُوتِ الصَّخْرِ وَاللِّبْنِ! يَا لَوَيْلِ مُبِيرِ
 إِنَّ ذَاكَ الْبِنَاءَ يَرْبِطُهُمْ بِالْأَرْضِ، رِبْطَ الْأَسِيرِ بِالْجَزِيرِ
 أَتَرُولُ الْحَيَامُ؟ وَهِيَ خَفِيفَاتٌ، وَيَوْمَ الْهَرُوبِ رِيشُ صَقُورِ
 يَنْهَبُونَ الْخَصْمِينَ يَوْمَ احْتِرَابِ يَا مَغَازِي هَاتِي، وَيَا نُوقُ طَيْرِي
 مَا صَلَاةٌ؟ مَا مَسْجِدٌ؟ مَا صِيَامٌ؟ مَا اجْتِنَابُ الزِّنَى وَشَرْبُ الْخَمْرِ
 مَا وَضُوءٌ وَلَيْسَ مَا لَشَرْبٍ؟ مَا صِيَامٌ وَالصُّومُ كُلُّ الشُّهُورِ
 مَا سَعُودٌ، وَمَا رَشِيدٌ، وَمَا عَهْدٌ؟ فَهَمْ عَالَةٌ عَلَى الْمَنْصُورِ

١ الصَّمَان : علم لمكان . والأَمْعَز : المكان الصلب الكبير الحجارة . ٢ فكر الأمير تفكيراً
 بكرة لم يسبقه إليه أحد في الجزيرة وهو تفقيد البدو بالأرض وتضييقهم منعاً للغزو والتشرد والحيانات وتهدد
 لتعليم الدين والتقيد بالنظام . وقد أسهنا الكلام في ما سبق على نكتهم العهود وسرعة انقلابهم وجهلهم للبادي .
 والنظام وقد حل الأمير هذه المشكلة بطريقة لم يسبقه إليها أحد قديماً أو حديثاً فهو من هذا القبيل المصلح
 الأكبر في العرب . البدو لا يثبتون ولا يطيعون لأنهم لا يملكون أرضاً ولا يسكنون بيوتاً ثابتة وإذن
 فيعطونهم الأمير الأرض ويساعدهم في بناء البيوت، ينقلهم من البادية إلى المدينة . وهناك أيضاً الفكرة الدينية
 في بناء هذه المساكن التي سميت هُجَرًا - جمع هجرة - والهجرة في القاموس هي ترك الوطن الذي بين
 الكفار والانتقال إلى دار الإسلام . أما وطن البادية فالبادية والبادية مهد الشرك فالهجرة منها إذن هي الهجرة
 إلى الله والتوحيد . وهي كذلك هجرة مدنية فمن بيوت الشعر إلى بيوت من لبن وحجر ومن الفقر والغزو
 إلى أرض لا نخون صاحبها إذا عمل فيها الحرات، ومن الخوف والحذر إلى طمأنينة لا تهجره ما زال عاملاً
 مفيداً لنفسه ولبلاده . وبشر ابن سعود إصلاحه البكر بالواسطة الدينية فكان يرسل المطاوعة إلى البادية
 ليعلموا أهلها دين التوحيد والغرائض . ويزينوا لهم هجر ما هم فيه إلى إيمان يستشعرون ويبت بأوون وأرض
 يحرثون . بيد أن الصعوبة الأولى التي تغلب عليها دعاة الهجرة هي بيع الأباغر لأن وجودها يستقوي
 البدوي فيروح في ساعات الضجر طالباً الرزق حلالاً أو غزواً، حيث كان، لذلك أجبر البدو على بيع جملهم .

(ت . ن .)

أَتَقُولُ الْأَعْرَابُ يَا رَبُّ آمَنَّا! لَقَدْ أَسْلَمُوا اتِّقَاءَ نَكِيرٍ
وَابْتِغَاءَ الدُّنْيَا، وَنَشْدًا لِحُرِّ فِي ظِلَالِ الْأُخْرَى، وَشَوْقًا لِحُورٍ

...

يُمَهِّدُ الْفَتْحُ بِالْمَدَافِعِ، قَبْلَ الْكُرِّ بِالْحَيْلِ وَالشُّوَاطِ الْمَطِيرِ
وَسِلَاحُ الْأَمِيرِ كَانَ سَرَاةً مِنْ شِيُوخِ الْإِيمَانِ وَالتَّبَشِيرِ
الْمُهِشِمِ الرِّكَامِ وَالشُّوكِ أَدْمَاهُمْ طَوِيلًا، بِالْقَدْفِ الْمَهْجُورِ
قَبْلَ شَقِّ الْأَثْلَامِ، يُقْتَلَعُ الشُّوكُ، حِفَاطًا عَلَى كِرَامِ الْبَذُورِ
أُمْنَا الْأَرْضُ أَيُّهَا النَّاسُ قَالُوا وَإِلَيْهَا أَجْسَادُنَا فِي الْمَصِيرِ
وَهِيَ ظَنُّ تَفْيِضٍ حَبًّا وَجُودًا وَتَجَازِي جِرَاحِكُمْ بِالشُّكُورِ
لَوْ نَزَلْتُمْ فَوَادَهَا لَوَقَّتْكُمْ لَوْعَةُ الظَّمِّ وَاحْتِدَامَ الْمَهِجِيرِ
تَتَجَلَّى أَثْدَاؤُهَا سَاخِيَاتٍ كُلُّ نَدِيٍّ لَهَا قَرَارَةٌ بِبِرِّ
الْحَنَانِ الطَّامِي يُفَجِّرُهَا حَبًّا فَتَاتِيكُمْ بِمَاءٍ غَيْرِ
520 مِنْ دُمُوعِ السَّحَابِ تَحْزَنُ، تَحْتَ الرَّمْلِ، آلَاءُ كَنْزِهَا الْمَسْحُورِ
فَانْبُشُوهُ يَفْتَرُّ ثَغْرُ أَقْحَاحٍ وَوُجُوحٌ وَرَدِيَّةٌ التَّعْبِيرِ
تَرْضَعُونَ النِّيَاقَ مِنْ فَرْطِ غَلٍّ أَوْ تَعْضُونَ سَاقَ نَبْتِ طَرِيرِ

١ تضمين الآية «قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا». أما الدين عند البدو فهو كالرداء يلبسونه ثم يبنذونه وقد تمزق نبذ النواة. كيف تتوضأ ونحن نبغي الماء للشرب. ولم الصوم والسنة كلها عندنا رمضان. ولم الصلاة وليس لله وقت لسمعنا. وكذلك كانوا في ولائهم لهذا الأمير أو ذاك فما الفرق بين ابن سعود وابن هاشم أو بين ابن الصباح وابن الرشيد. هم مثل ذوات الأجنحة طيارون، ولهم مزية الزئبق يمتنعون ويفترقون وانت تنلو الفأخة. رفاقك في الطريق اليوم واعدائك غداً ولا اظنهم لولا الجنة والخوريات يمتنعون لرب الكائنات.

وتظلُّ الشفاهُ تمتصُّ يوماً علماً تهتدي لشبه عصير
 أعطاش؟ وتحت أقدامكم، إماً أردتُم، حوضُ الزلال الدرير
 فاسمعوا الأرض أممكم إذ تنادي: بصريخ الملوِّع المستجير
 بتُ خجلى من العراء، فعينُ الشمس شقَّتْ مآزري وحريري
 أين برُّ الأولاد يستر وجهي؟ بالبرود الخضراء والتشجير
 أعفوقاً؟ وليس، في عالم الأمات والمحسنات، أمٌ نظيري
 أتلقى أقدامكم بشفاهي وأداري نعالكم بشعوري
 ٥٣٠ بدلاً لامتهانكم نفحُ زهري وابتناسي الجوابُ عن تحقيري
 فإذا بالسباد يُغمَرُ وجهي داعبتكم، عبر النسيم، عطوري
 أدفع الدين، وهو أضعافُ ما أعطى، بلا مهلة ولا تأخير
 من عناقيد لآلات في الدوالي ونضارٍ في بيدرٍ منشور
 موعدني صادق، خالني ادعاء، بنلوا الربا أو التزوير
 خيرُ ما أنتج السخاء نتاجي خير من يُمنح الأجور أجيري
 لقمتي لقمة الحلال، ولو فجلاً بزيتونة وخبز شعير
 أطيب الطيبات ما ساغ في الخلق، ولم يصطبغ بجرح الضمير
 أنا والغيم في النقاوة صنوان، كاللنا غيث العطاء الطهير
 نبذل الخير صامتين، بلا من، سوا لشهم والزعرور
 ٥٤٠ كل من ضمت الحياة مواليدي، غذاهم دري، حواهم سريري

حَفِظْتَهُمْ من الهجير ضلوعي أَدَفَاتِهِمْ عند الصقيع 'حجوري
 لا أعادي إِلَّا الجناة الكسالى فَأَرِيهِمْ جَهَنَّمِي وزفيري
 يتغنون الأرزاق نهباً وعدواناً، ومهدي مهد' الهناء الوثير
 فَلْيَصُوغُوا من الأَسِنَّةِ محراثاً لصدري، وَلْيَرَأُوا بالصدور
 لا تُلَاقِي الرماحُ إِلَّا نجيعاً ويلَاقِي المحراثُ طيبَ عبيري
 كلُّ فوح الأرجاء فضل' أريجِي كلَّ عطرٍ الأجواء عطر' بخوري
 المحارِثُ أصدقائي، وقد طال اغترابي ولهفتي للعشير
 إِبْقَرُونِي فالنورُ طي' أدمي واملاؤا الكون من هبات البقير
 ليس كلُّ الأضواء تطلع من فوق ، فقلبي الضياء للمستنير
 ٥٥٠ إِنَّ فَتْحَ المحراثِ أبعدُ شأواً من 'فتوح' «الجنكيز» والتيمور'
 وهو أنقى صيتاً وأوفر خيراً وبقاءً على سجل الدهور
 وبسن المحراث يُكتب سفر' للحضارات لا يسلب الجزور
 الصناعات! ما الصناعة لولاه؟ وما متجر' القرى والثغور
 الصناعات، في معاجمكم، حرف' جدير' بالنبد والتحقير
 إليه أنسال يعرب ما دهاكم؟ فهبطتم الى القرار الأخير
 أين بغداد' والشام' وغرناطا وأشبيليا وزهو' القصور
 الحضارات هذه كيف قرئت؟ أعلى الغزو والدم المهدور
 أم على الزرع والصناعة والاتجار والعلم والأمان الوقور

...

قنع البدو بالذي قاله الأشياخ، لولا اعتراض أمرٍ خطير
 هو بيع الجمل أو فقد أتراب، وكانوا لداتها في البرور
 ففي منهم أبعاضهم، كل فردٍ منهم شد نحوها بسيور
 إنما الذات ليست الجسم بل ما أبهج العين في الصبا، الكبير
 من رأى النور عند شاطئ بحرٍ فعزّز عليه رجع الهدير
 والذي داعب النهور صغيراً حمله بين سرحه وغدير
 والمتاع الذي صحبت زماناً بين أوقات محنة وسرور
 منك يغدو، لا فرق إن كان سيفاً أو بعيراً أو خاتم السامور
 كان بيع الجمل يوم نواح في البوادي، نظير يوم النشور

...

وتبارت زنودهم لبناء واحتفار الآبار حول الدور
 بيد أن «الإخوان» غالوا فخالوا من غزاة إلى حلوس خدور
 يلزمون الصلاة في السلم، أو سرد الأحاديث، من حوالى القدور
 ردة الفعل في الطباع سواء كان فرداً، أم ردة الجمهور
 القصيان في التطرف عيب يلزم الوسط كل واع خبير
 أصبحوا عالة على ابن سعود حسبته في البناء بذل الكثير
 حسبته أن يشيد للطير وكراً أيؤدي طعامه للطيور

حسبه أن يرش سبعين قفراً بدرأ من نضاره المذخور
 «هجر» باتت العرائس في الدو، فأعطى العجان فوق الحير
 من «مليح» الى «الهاشم» «فالعوجا» فأكناف «عروة» «فالمرير»
 من «حزون» «الصرار» «للشاج» «للحنات» «للتيم» «للحسى» «للقصير»
 «للسبيكة» العريضة «للرين» «المعلّى» «للصوح» ثم «الحفير»
 580 فنهاتهم عن التكاسل أشياخ ثقات في النص والتفسير
 ذكروهم بأن أصحاب طه عرفوا غير سنة التكبير
 أنهم جاهدوا الحياة بما فيها، وأدوا نصيبها من مهور
 أن من يحرز الغناء تقياً هو أعلى من زاهد مقبور
 أنهم عصبة النور، وأن النسر يأبى صفارة الزرزور

...

نخوة الغزو عاودتهم لغزو الأرض بالساعد الجديد المرير
 ثورة للحديد زلزلت الدو، فهزت قلب الثرى المستطير
 دمه سال في البزور حياة واكتسى الجذب حلة البرفير

١ البدر مفرداً بدرة وهي الكمية من المال . وكان ابن سعود يعين بقعة من الأرض فيها ماء للقبيلة
 أو لفخذ منها فتزح إليها وتباشر بناء البيوت فيها . وكان يساعد مالياً في بناء البيوت الجديدة . وقد أنشأ
 ما يقف على سبعين هجرة كالت مخيرة الحضارة في البادية . ٢ أسماء أعلام لبعض الهجر : على أن أم
 الهجر هي الأرطاوية لعرب مطير . ٣ راح الشيوخ يحاربون الكسل والبطالة فملوهم أن الزراعة
 والتجارة والصناعة لا تنافي الدين، وأن المؤمن الغني خير من المؤمن الفقير . وأن أبا بكر، كرم الله وجهه،
 كان يملك ثمانية آلاف رأس من الإبل والخيول . (ت . ن .)

٤ المرير : القوي .

من صبيغ الزهر المطرز ألواناً، عجيب التفويف والتجوير
 لا سليمان نال أحسن منها في حلاه، ولا متوج «صور»
 ٥٩٠ تستحم العيون في الواح خضراً وتهف الصدور للكافور
 قبل عبد العزيز، لم تسمع الصحراء هدل الأيام والشحور
 بل نعيب الغربان أو صوت يوم بالرزايا وبالخراب نذير
 فضرير النهار، بالمهمه الخالي، يبت المنع، بليل ضرير
 ناعياً للدمار همّة قوم برثوا من حضارة وشعور
 فرحة عندهم إصابة ضب والحراي طرفة للفظور
 هم رفاق الضباع، في قذر العيش، وفي غدرهم، رفاق النمرور
 قبل عبد العزيز لم تعرف العربان طعم البقول عند البكور
 حاملات الندى جدائها الخضر، نظيماً كاللؤلؤ المضفور
 كم تمت هذي الفدافد بالأحلام، لحاً للشدو والتنقيير
 ٦٠٠ تخمت هذه المفاوز من عي، وترجع فحة وزئير
 شاقها الأئس بالجمال، ولو مرّاً سريعاً في نبرة العصفور
 شهوة الأذن، عند منبج الفجر، إذ الطير مبكر في السحور
 إنما الحسن بالصفاء، خفير كأس ماء من غمر نهر كدير
 مر قبل الأمير بالعرب أبطال، فبادت آثارهم بالمرور

١ إشارة إلى قول الانجيل : انظروا إلى أزهار الحقل، إن سليمان في مجده لم يلبس أجمل منها ومتوج
 صور هو الملك حيرام صديق سليمان . ٢ الحراي مفردتها الحرياء . ٣ العي : مصدر عوى
 الذئب .

هو أرسي العصور واستنبت الصحراء، حتى لوى جموح العصور
 ركز الأس للحضارة أساً ثابت الركن، موثق التسمير
 زرع الخير والشجاعة في آن، فصار العربان خير نفي
 لا انهزام، ولا شرود، ولا خون، بل الصدق في الوعى والكروور
 آمنوا بالآله والبعث والنار، فجداً الايمان بعد فتور
 610 معجزات الايمان تفعل، في يوم، عجباً يؤتى بدهر دهر
 هم رجال الأمير، إن يحزب الأمر، وأسياف يومه القمطرير
 لا فرار، يا «طارق بن زياد» إن يخونوا فالنار ذات سعي
 لا فرار، أمامهم ألف «لذريق»، ومن خلفهم، ألوف بحور
 خلفهم أهلهم بأبيات صخر، إن يفرؤوا فبعد فر الصخور
 خلفهم أمهاتهم، وحيلات، وزغب يزقن عود النور
 مشرفات من الكوى شاخصات لمطل الجياد والتغير
 مدركات، من الصواهل، إن عادوا بغار، أم بالجنح الكسير
 باعثات للغامين التحايا والزغاريد من وراء الستور
 فاحمات العيون والستر والشعر، خفاف الخطى، دقاق الخصور
 620 ضافرات الشعور ليلاً تدلى، رسائل العقيق فوق النحور
 خلفهم صيهم، وما الصيت إلا المرء، في زي مفرد منشور
 فهو أخلاقه لكل سميع وهو مرآته لكل بصير

...

١ النفي: الجيش. ٢ حزب الأمر: اشتد. والقمطرير من الأيام: الكثير الشر والخطوب.

٣ إشارة إلى خطبة طارق بن زياد الشهيرة. ٤ لذريق: قائد الأسبان.

بعد إيمانهم غدوا يحفظون الصيت، صوناً للأبيض المقصور
 طهر الثوب، وإحفاظاً على النضج، امتداداً للغسل والتطهير
 سائل السيف عن «مطير» وعن «حرب» وسائل «عتيبة» عن صقور
 كيف يسخون بالدماء، وكانوا الأمس يعطونها على تقدير
 من حساها بالأمس رشفة كأس عبيها اليوم من حنايا الزير
 أصبح الرعب منهم اليوم مرعوباً، حسير الجبين عن مذعور
 كان أهل العمران أثبت جاشاً فغدا البدو للمقام الجسور
 ٦٣٥ في سبيل الرحمن يستشهد «الإخوان» من كل «عنتري» صبور
 ذخره للقتال بعض يماري و«نطاق» «الخرطوش» للترنير
 وذلول و«بندق» شابه النجدي في لون «سمر» وضمور
 ويسرون صائين سوا هب حر، أم قارص الزمهرير
 فيعيرون للجهاد نفوساً وجسوماً «للمانعي» المغير
 للأمير الباني سواد قراهم تاركاً قصره فقير القصور
 وهو لو شاء لا ابتناه عجاباً هازناً من «خورنق» و«سدير»
 سيد «النجد» كان غير أناني، وبند الفخار غير فخور
 لا سينار! بل حنان فؤاد أبي على اليسير شكور

١ النضج: كل ثوب أو جلد شديد البياض. ٢ أصبح إخوان مطير في الأرطالوية مثلاً: وإخوان
 حرب في دخنة، وإخوان عتيبة في القطر أشد جيوش ابن سعود بأساً وأبسلهم نضالاً، وأبسلهم إلى
 الاستشهاد. وكان الواحد منهم يترنر بيت الخرطوش ويبادر إلى البندق، ويركب الذلول إلى الحرب، ومعه
 شيء من المال والنمر ويمشي ثلاثة أيام بدون أكل فيأخذ ثمرة يرطب بها فقه فأصبحت البادية أثبت في القتال من
 الحضرة. ٣ المانعي: الأمير عبد العزيز في النسبة إلى جدّه مانع.

شيمةُ البدر لا يمنُّ ويُجزي كلُّ من شامه بدفقة نور
 ٤٤٥ وعيون الوري إليه رَوَانِ وهو ينفي عنه صفات البدور
 وضمّةُ الزهو لم تُلطِّخْ عظيمًا لا تمسُّ الوحولُ صفو الأثير
 رَقِيتْ للتلال، وامتنع الطودُ، وظلُّ الدخانُ دون الطور
 راح يُعْمِي «الإخوان» أحداثَ عهدٍ يجدي، فيا لَقْبِحِ الغرورُ
 كلُّ من ظلُّ في البداوة أضحى عندهم فاسقًا عديم ضمير
 كلُّ من ظلُّ بالعقال جلفٌ ظاهرُ الشرك، واجب التَكْفِيرُ
 يتحامونه كما جَدَرِيُّ يتحامي، قبحاً غضيضَ البشور
 الألى بالعشي كانوا أسارى أصبحوا يضربون عنق الأسير
 سِمةُ النقص في الجهول، وسدًا لحلاء، ونفثةُ المصدور
 أمرهم كان لا يزال طريئاً دعموه بالفتك والتشهير
 ٤٥٥ وَرَى المُحدثين جاهاً ومالاً أوّلُ العائنين عَدَمَ الفقير
 كلُّ عبدٍ ولو علا قيدَ شبرٍ أخذته حَمَاقَةُ الكافور
 قد تَهَزَّ الحِصاةُ صهريجَ ماءٍ فيظلّ الغداة في تعكير
 وتقرُّ الحِصاةُ مرةً لا شيء، إذا صادفت عميقَ النهور

...

١ ان الإخوان برغم ما ظهر من بسالتهم وبطشهم وهول استهزائهم اورثوا الامير مشكلاتاً آخر فقد طغوا ونجسوا على من لم يتحضر من البدو فراحوا يكفرون وينهبون ويقتلون . « انت يا بدوي مشرك والمشرک حلال الدم والمال . أنت يا أبا العقال من الكفار . لان الإخوان كانوا يتمصبون بالعصاة البيضاء » « أنا أخو من أطاع الله وانت أخو من أطاع الشيطان » . كذلك كان يسطو كل متمصب بالعصاة البيضاء على سواء من العرب فيعتبر ويسب ويسفك الدماء وينشر الفوضى ويخل بالأمن . (ت . ن .)
 ٢ الكافور : المصود كافور الأخشيدي .

من يُكْفِرُ كُلَّ الْأَنَامِ عَدَاهُ ۖ وهو في مثل ثورة المحرور
 ربّما كان أضعف الناس ديناً وهو قسراً، ينبغي اجتلاب ظهير
 يدعم المرء رأيه بسواه ۖ فنصيرُ يَشْدُ أزرَ نصير
 وهو يزداد قوّةً واقتناعاً ۖ كلّما ازداد صوتُ حشدٍ غفير
 البغايا تشدُّ أزرَ البغايا ۖ فازدياد الأعداد للتبريد
 إنّما المرء في التعصّب فرداً ۖ دونه طاغياً مع الجمهور
 ٦٦٠ قطرة الماء وحدها لا تُؤاذي وهي خنّاقَةٌ بحوضٍ غدير
 يا لجهل «الإخوان» يدعون للقتل ونهب الكفّار والتدمير
 ولخيرٌ من ذا التدنّين إلحادٌ وبعدٌ عن فعلة المخطور
 حَسَنُ النِّيَّةِ الشريف خصالاً ۖ أبيض الوجه عند ربِّ غفور
 أتداوى الآثامُ بالإثم؟ أم بالرأي والنصح من حلیمٍ مُشير
 لم تُغَطِّ العصائبُ البيض «للاخوان» ما كان كامناً في القُعود
 بنس تلك الشاراتُ للناس، والأزياءُ جسراً للزهو والتصغير
 قيمةُ الجَنِيِّ لذةُ الطعم لا ما كان من شَمِخِ سَرَحَةٍ وقشور
 لا تُصدّقُ وهمَ العيون فتلقُ فضّةً في لَوَامِعِ القصدير
 ربُّ زِيٍّ مُبْهَرَجٍ يترك الغفلانَ في مثل عشوة المبهور
 ٦٧٠ وسوادُ الأنامِ عِبَادُ أزياءٍ، رعايا لِبَهْرَجٍ منظور

...

١ صغرُ خدّه: أماله عن الناس تهاوياً وكبراً. ونحن لا ننقد الشارات والأزياء بعد ذاتها بل ننقدها حين تكون سبيلاً للكبرياء ولستر الجهل ولقدرة الرماد في العيون واستغلال البسطاء.

تلبس الكبرياء ألف حجابٍ وهي حرباءٌ غيرُ ذاتِ سفور
فترأها حيناً بجبةٍ مفضا لِعَفِيفٍ، على النفوسِ غيور
يتأدى في غيرةٍ فيداني قسوةً جورَ ظالمٍ شريرٍ
أصلها وافر الجذور فتأني من كنيسٍ أو مسجدٍ أو دُورٍ
ربما كان حاملوها ضحايا غشها فهي جمّةُ التزوير
فترى البرهيميَّ يَبْذُ هندیّاً، حفاظاً على نقاءِ الطهور

...

مَلَأَ الرّجسُ عقلَ من بدّعه ' وَهَمُّ الرّجسُ في كتابِ القدير
تَقْصِدُ الْأَعْزُ الْأَجَارِبُ رَأْسَ النّبعِ، حيثُ المِياهُ كَالْبَلّورِ
وهي ذَفْرَاءٌ، رِيحُهَا أَيْنَ مِنْهُ؟ عِنْدَ فَضْلِ الْقُبُورِ، نَتْنُ الْقُبُورِ
لَكَ مَا شِئْتَ أَنْ تَذُمَّ فَعَالَ الْمَرْءِ، مِنْ سَوْءِ نِيَّةٍ أَوْ فَجُورِ
قُلْ عَنِ الدَّاءِ مَا تَشَاءُ، وَلَا تَرْهَبْ، وَفِدْ مَسَاوِيَّ النَّاسِ
لَا تَخَفْ أَنْ تَسْمِيَ الْعُورَ عَوْرًا فَتُورِي عَنِ لَفْظَةِ الْمَخُورِ
حَارِبِ الدَّاءِ نَفْسَهُ وَدَعِ الْمَرْءَ، فَا الْمَرْءُ بِالْيَسِيرِ الْحَقِيرِ
إِنْ مِنْ صَاغِ آدَمًا مِنْ تَرَابٍ صَهَرَ النَّفْسُ بِالشَّعَاعِ الصَّهُورِ
وَسَوَاءٌ لَدَيْهِ رُوحٌ أَوْ جِيرُ الْحَائِ، أَمْ رُوحٌ عِبْقَرِيٌّ شَهِيرِ
إِنَّمَا الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَيْلَةُ اللَّهِ، فَا بَثٌّ بَيْنَهُمْ مِنْ سَفِيرِ
رَأْسِهِمْ خَادِمِينَ لَا وَزَرَ، لَيْسَ لِلَّهِ فِي الْوَرَى مِنْ وَزِيرِ
إِنَّمَا هَذِهِ الْوُزَارَاتُ مِعْرَاجٌ لِنَيْلِ الدُّنْيَا، وَمَجْدُ الظُّهُورِ

٦٩٠ رَّسَلُ الله أَوْدَعَ الناسَ كانوا يشكرون الباري لقرص الشعير
تبعث التيه في النفوس كخمر فتلاشي مشاعر السكير
إنما الكبرياء أورثت «الاخوان» سفك الدما وقول الزور
إذ يقولون، للذي ليس منهم أنت صنو الشيطان، وقد السعير

...

غمَّ عبدَ العزيز أنباء سوء أيقظت فيه غضبة الهيصور
فشأهم عن الضلال بفتوى ونهاهم عن الدما بالزئير
واستعاد الجؤ الصفاء وعادت نجد ملقى العقاب والعصفور

١ عقد الامير سنة ١٣٣٧ مؤتمراً في الرياض فنظر في أمر الاخوان حضرة كبار الرؤساء والعلماء وقرروا ما ملخصه : الكفر لا يطلق على بادية المسلمين الثابتين على دينهم . لا تفاوت بين لابس العقال ولايس العمامة اذا كان معتقداً واحداً . لا فرق بين الحضر الاولين والمهاجرين الاخيرين . لا فرق بين ذبيحة البدوي الذي في ولاية المسلمين ودربه ودربهم ومعتقده ومعتقدهم وبين ذبيحة الحضر الاولين والمهاجرين . لا حق للمهاجرين أن يعتدوا على الناس الذين لم يهاجروا كأن يضربونهم او يتهدونهم او يلزمونهم الهجرة . لا حق لاحد ان يهجر احداً بدوياً كان او حضرياً بغير أمر واضح وكفر صريح وبدون إذن من ولي الامر او الحاكم الشرعي .
(ت . ن .)

٢٤ غيوم في الجوّ

بين نجدٍ ومكّة يا حاتم مَهْدِي للسلام فالجوّ غائمٌ
واحمليها كَلَوْنِ أَجْنَحِكَ البِيضِ سَجَايَا عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمُسْلِمِ
يُكَبِّرُ السَّيِّدَ الشَّرِيفَ، وهل في الأرض من جاهلٍ مقامَ ابنِ هاشمٍ
فِيُدَارِيهِ لَا اتِّقَاءَ لِبَطْشِ بِلْ شعور العَظِيمِ نحو الأعْظَمِ
وَحِفَظًا عَلَى الْعُرُوبَةِ كَيْلًا يَتَوَلَّى أَمْرَ الْعَلِيلِ الْأَعْجَمِ
فِيرِدُ الْأَتْرَاكَ رَدًّا رَفِيقًا بَيْنَا الْإِنْكَلِيزِ جَاءَتْ تَسَاوَمُ
يَعْرُضُ الْإِنْكَلِيزُ تَاجًا عَلَيْهِ فَيَقُولُ: الْحُسَيْنُ تَاجُ الْعِمَامِ
أَعْرَقُ الْمُعْرِقِينَ بَيْتًا وَجَاهًا وَسَلِيلُ الْمُطَهَّرَاتِ الْفَوَاطِمِ
لَوْحَ التَّرْكُ لِلْأَمِيرِ بَغْنَمٍ دُونَهُ فِي الْغَلَاءِ مُنِيَّةٌ حَالِمِ

١ كانت قضية الخلافة العربية تشغل بال الإنكليز . وقد عرض السير برسي كوكس الخلافة على الأمير عبد العزيز قائلاً : « ان حكومة جلالة الملك تستحسن ذلك وتساعد في تحقيقه » . فأجابته : « لا ذوق لي بالخلافة واني لا أرى من هو أجدر بها من الشريف حسين » . وكتب الوالي غالب باشا والي الحجاز الى الأمير بما مؤداه : « انك تعلم بأعمال الشريف ، وأنا الآن أزيدك علماً انه يفاوض الإنكليز وهو على وشك ان يখন الدولة ويفتح لاعداها الحرمين ، فاذا قدمت الى الحجاز أسلك الحرم وأساعدك بكل ما لدي من قوة » فأجابته : « اني والحسين يد واحدة » .

(ت . ن .)

٢ تضمين الحديث العمام : تيجان العرب .

مغتمٌ تشخصُ القلوبُ اليه وإلى طيبه تحفُ البلاغم
يَفْتِنُ الأرفعين بعداً عن الدنيا، جِداً خيره الأبر الدائم
إمرة الأشرفين، يثرب والغراء، مهد النبي، أم العواصم
يحسد البدر أمه الشمس فيها فيحلي رمالها في المواسم
لا! أجاب الأمير فالسبط أولى واحدٌ نحن لا مجال لقاسم

....

710 لا يصح الميزان شطرين شطرٌ وادعُ حين صنوه في الغائم
كفة ترفض المقاييس تغدو في الأعالي رهينة بالنسائم
ويحب العظيم جاهاً وخلقاً ويعادي مستأثراً متعاضم
لعب الزهو بالمليك، فكان التاج صنارةً بخلق الطاعم
وَأتمَّ النصار ما بدأ الملك، فتاه الشريف بين المناعم
الهدايا من المحبين لا تُحصى، فكلُّ الدولات باتت هوائم
من بريطانيا تغار فرنسا وينال الشريف من كف حاتم

١ الغراء : مكة . ٢ كانت الخلافة الطغم الأندلس في الصنارة التي رماها الإنكليز على شاطئ جدة فالتقها الشريف حسين وكان عظيماً في الأرض مليكاً في مكة خليفة في عمان أسيراً في قبرص ! وكان ابن سعود في الأرض حكيماً . وقد أخذت فرنسا تخطب ود الشريف حسين اقتداءً بالكلترا . وطلعت جريدة القبلة جريدة الشريف تهلل له باعتباره ملك العرب والمنقذ الأكبر وضجت بذكره أندية أوروبا . ولكن الملك حين لم يستطع استمالة العرب كما توهمت انكلترا فأطلقت ملايينها بدون حساب . (ت . ن .)

ولا ينكر ان الشريف استمال عدداً ضئيلاً من القبائل وقد كان الفضل الأكبر في ذلك لابنه الأمير فيصل يساعده الداهية الكولونيل الإنكليزي لورنس . وكان فيصل، الذي صار فيما بعد ملك العراق على جانب عظيم من الذكاء والسخاء والمرونة السياسية وبعد النظر في الأمور وهو من أولئك الأفراد النوايع السذيين يزدان بهم تاريخ العرب . (المؤلف)

مَلِكٌ فِي الْحِجَازِ سَبْطُ رَسُولِ اللَّهِ، فَلْتَحْمَلِ الْهَدَايَا تَوَانِمَ
 حَسْبُوا الْعُرَبَ فِي الْجَزِيرَةِ أَشْتَاتًا، فَنَعَمَ الْبَصِيرُ لِلْعَقْدِ نَاطِمَ
 حَسْبُوهُ فِي الْغَرْبِ مُلْتَفَّتَ الشَّرْقُ، وَفَرَّاجَةُ الزَّمَانِ الْآزِمِ
 يَجْذِبُ الْهِنْدَ إِنْ يُلَوِّحَ بِطَرْفٍ وَيَسُوقُ الْأَعْرَابَ سَوَاقِ الْخَوَادِمِ
 وَتَنَاسَوْا أَنْ الْأَنْأَمَ قُلُوبٌ لَا مَطَايَا لِرَاكِبٍ أَوْ سَوَانِمِ
 أَنَّهُمْ رَغَمَ فَاقَةٍ وَغِبَاءٍ مَا تَخَلَّوْا عَنْ فَارِقَاتِ الْأَوَادِمِ
 أَنَّهُ الرَّأْسُ لَيْسَ يُفْلِحُ شِمَاخًا، ضَيْلُ السَّمَاحِ، أَصِيدَ جَاهِمِ
 أَنَّهُ الْجُودُ يَمْلِكُ النَّاسَ مَهْمَا أَنْكَرُوهُ، وَيَسْتَمِيلُ الْبِهَانِمِ
 أَنْ بَعْضَ النَّبَاتِ يَشْعُرُ بِالرَّفَقِ، وَيَرْبَدُّ عِنْدَ لَطْمَةِ لَاطِمِ
 فَتَغْصُ الْأَوْرَاقُ بِالْآهَةِ الْخُرْسَاءِ، لَوْ يَفْقَهُ الْكَاتِبَةُ تَالِمِ
 لَا يُخَالِ الْإِلَهُ، فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ عَبُوسًا، بَلْ دَافِقَ الْخَيْرِ بِاسْمِ
 وَعَسِيرٌ أَنْ يَعْبُدَ الْعُرَبُ رَبًّا خُلْدُهُ غَيْرُ حَافِلٍ بِالْوَلَانِمِ
 شَرَفُ الْأَصْلِ لَيْسَ يُشْبِعُ جَوْعَانَ، فَمَا يُحْسِنُ الْجِهَادَ الصَّائِمِ
 كَيْفَ يَسْخُو عِنْدَ الطَّعَانِ كَمِيٌّ عَارِضًا صَدْرَهُ لَرْمَحٍ قَاصِمِ
 وَمَلِيكَ النُّضَارِ ضَنْ عَلَيْهِ بَابْتِسَامِ، أَوْ بَابْتِسَامِ دَرَاهِمِ
 كُلُّ عِبٍّ يَطِيقُهُ النَّاسُ إِلَّا الشَّحُّ، فَالنَّاسُ أَعْبُدُ لِلْمَكَارِمِ
 وَتَرَاهُمْ كَالطَّيْرِ، فِي شِدَّةِ الْقَيْظِ، عَلَى الْمَشْرِعِ الْغَزِيرِ حَوَانِمِ
 شَرَفُ السَّبْطِ لَيْسَ يُغْنِي عَنِ الْجُودِ، فَجَدُّ الْأَلْقَابِ أَحْلَامِ وَاهِمِ
 لَيْسَ تُغْنِي جَرِيدَةُ «الْقَبْلَةِ» الْغَرَاءُ، عَنْ قَلْبِ حَاتِمِي رَاحِمِ
 إِنَّمَا يَبْدَعُ الْعِظَائِمُ فَعَالٌ، فَمَا بِالْكَلامِ تُؤَوِّي الْعِظَائِمِ

ولو أن الأقوال تخلق أبطالاً، لبات القصاص باري الصلاهم
 سمعت صرخة الجريدة في الغرب، وطارت على الأثير التراجم
 حسبوها الوحي المنزل لولا أن جد الشريف كان الخاتم

...

ودرى الإنكليز من بعد لأي أن ذاك الصدى، وتلك الزمازم
 كجباب المياه فوق غدير وانتفاخ في وجه أبرص وارم
 أن ما أملوه من عسكر مجر، ولقيا سنايك ومناسم
 بارق خلّب، وأن حسيناً لم يثر للجهاد غير شرازم
 ساقها فيصل، وكان حليماً لا شموخاً ولا على الآل عائم
 كان شهماً يحو ترات سواه ويذري على الجراح البلاسم
 ويباري «لورنس» في ستر أخطاء، وتوطيد مائلات الدعائم
 فيصل كان ما يشاء نبوغ من نفاذ، ومن حواش نواعم
 يطمئن الذكاء ما بين جفنيه، ويستأسر الجليس المكالم
 كلما ثلّة فجأها سواه سدها فيصل اللبيب العالم
 هادي الطبع، واسع الحلم، ملساناً عليمًا بالبينات الحواسم

...

١ السلام: الأسود والمقصود أن القصاص الذي يسلي الناس بحكايات السباع كان يستطيع خلق
 الأسود لو كان الكلام عن الشيء يوجد. ٢ الآل: السراب. ٣ الترات مفردتها ترة مصدر
 وتروهي إصابة الغير بمكروه أو انتقام حق.

أَجْزَلَ الْإِنْكَلِيزُ مَهْرَ عَرُوسٍ لَا طَلَّاقُ، وَلَا مَفْرُؤٌ لِنَادِمٍ
 هُمْ تَعَامَوْا عَنْ كُلِّ خَوْذٍ سِوَاهَا وَهِيَ تَاهَتْ بِزِينَةٍ وَخَوَاتِمٍ
 وَتَعَالَتْ حَتَّى تَرَاهِي، لِعَيْنَيْهَا سَرَبُ النُّسُورِ الْقَشَاعِمِ
 مَنْ سُرَاةُ الْإِسْلَامِ؟ مَا بِنُ سَعُودٍ؟ تَبَعَ حَوْلَ عَرْشِهَا وَالْقَوَائِمِ
 يَتَلَقَّى الْكِتَابَ مِنْهُ حَسِينٌ فَيُجَازِي الطَّافَةَ بِالشَّتَائِمِ
 إِذْ يَقُولُ الْأَمِيرُ: لَبَّيْكَ إِنَّا لَكَ جُنْدٌ، وَفِي يَدَيْكَ صَوَارِمِ
 تَحْتَ أَعْلَامِكَ السَّيِّئَةِ نَمَشِي وَنُوَالِي مَنْ تَبْتَغِي وَنَخَاصِمِ
 إِخْوَتِي فِي ظِلَالِ بَنْدِكَ، إِنْ تَأْمُرْ، يَجُودُوا بِأَجْنَحٍ وَغَلَاصِمِ
 وَلَيَقَاتِلَنَّ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ أَوْلَادِي: سَعُودٌ وَفَيْصَلٌ وَالضَّرَاغِمِ 760
 760 وَيَلِيهِمْ مُحَمَّدٌ وَابْنُ جَلُوي كُلَّهُمْ فِي الْوَعْيِ هُصُورٌ ضَبَارِمِ
 غَفَرَ اللَّهُ مَا مَضَى مِنْ جَفَاءٍ وَأَعَادَ الْآفَاقَ غُرًّا بِوَاسِمِ
 لَا تَكُونِ التَّخُومُ حَدًّا اخْتِلَافٍ وَلَا أَنْتَ الْجَارُ النَّبِيلُ الْمُتَاخِمِ
 سَوَاهَا بِالَّتِي تَشَاءُ، فَكُلُّ الْأَرْضِ مَا عَادَلَتْ صَدِيقًا بِاسْمِ
 زَجَرَتْ «قَبْلَةَ» الشَّرِيفِ وَرَدَّتْ بِسَبَابِ كَطَعْنَةِ الرَّمْحِ آلِمِ
 حَسْدٌ صَيَّرَ الْحُرُوفَ ضَرَامًا وَقَلَى كَانَ مَزْمَنًا مُتَرَاكِمِ

١ أجنح مفردا جناح وهو من الانسان اليد والإبط والعضد والجانب . والغلاصم مفردا الغلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق . ٢ الضبارم : الأسد . ٣ دخل الشريف الحرب ضد الاتراك وكان ابن سعود ينوي مساعدة الشريف فكتب اليه ما ملخصه : «يا حضرة والذي اتنا واباك في هذه الحرب وثمرتها لنا ولك فقد مشيت عرباننا وعشائرنا، عملاً بأوامرنا الى مساعدتك، ولكنني أبغى أكثر من ذلك، واني مستعد أن أرسل اليك أحد اخوتي او اولادي ليحارب مع اولادكم، وفي ذلك الفوز الاكبر ان شاء الله . قد يكون بيننا وبينكم سوء تفاهم في الماضي فلا بد إذن من التفاهم والتأمينات وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينكم فتزول الشكوك وتضعف من أهل نجد المساعدات . » (ت . ن .)

غضبةٌ دونها السماء إذا سَحَّتْ، ومدَّ الإِصْصَارَ ليلٌ داجم
أو هديرُ السفوح، في ثورة البحر، يُغَطِّي صخورها ويصادم
السطور العجفاً جوفاً، إلّا من هشيم يَبْسٍ، وقفر جاحم
نَهْمَةٌ بالجنون لابن سعودٍ أو بسكرٍ قال الملك الناقم
770 ساءه ابن السعود يأتي نصيراً ودّه ان يكون عبداً خادم
عَوْدَتُهُ الدهماء إلّا يرى أنفاً عزيزاً، بل كل أنفٍ راغم
أُيُورِي عن حقه بتخومٍ وحقوق وضّاحة ومَعالم
يملك النسرُ حيثُ مدَّ جناحاً فالأراضي رهينةٌ بالقوادم
كل أرضٍ ملكُ الشريف مُشاعاً أينما حطَّ لَحْظُهُ فحارم
ملكه حيثما ترودُ الأمانى حسبه التوقُ أو خيالُ حاتم
دونهُ سُدَّةُ الحجاز مقاماً فعلى مثله تضيقُ العوالم
ودَّ عبدُ العزيز لو يُنطقُ السيفُ، جواباً يمحو شتيمةً شاتم
ليس مثل الحسام يحلو ارتياباً ويُنقّي من الغرور الجاحم
فثناهُ «برنسي» اتقا لِنيرانٍ تصيب الأُحلاف قبل المخاصم
780 ضامناً للأمير عصمة نجدٍ من شريفٍ أو من لدودٍ مزاحم
فأجاب الأمير للسلم إلّا أن تُثيرَ الحسينَ نَهْمَةٌ ناهم

١ عندما وصل كتاب ابن سعود للشريف زعمت جريدة القبة والديوان الهاشمي ومما قاله الملك حسين :
« إنا انك سكران يا ابن سعود وإنا انك مجنون الخ ... » ٢ اجتمع الأمير بالوكيل البريطاني في
البصرة السري برسي كوكس وبعد أن أطلعه على كتاب الحسين قال له : « لا تكثرت به نحن ضامنون استقلالك
وتنعمد بأن لا يتعدى عليك الشريف أو غيره . وأنت تعلم أن أي حركة على الشريف اليوم هي علينا
ومساعدة لأعدائنا وأعدائك » وقد أُلح عليه في هذا الاجتماع ان يعطيه جواباً قاطعاً ان لا يكون بينه وبين
الشريف معارضة فوعده بذلك على شرطين أولهما ان لا يتدخل الشريف في شؤون نجد ، والثاني ان لا يتكلم
باسم العرب ويدعو نفسه ملك العرب .
(ت . ن .)

قائلاً لست من يخاف خصيماً كبرتُ نجدُ عن لُهاة اللام
فهي في السلم نفحةٌ من عرارٍ وهي في الحرب شوكةٌ في البلاءم
فازدردادُ القتادِ أيسرُ منها والثعابين دونها في الحياشم
كلُّ كهفٍ لمن بها رامَ شراً هو خدرٌ، أو منبتٌ للأرقام
لست أخشى من ضيها لحجازٍ ولقد يصبح الحجازُ المفارم
ما الشريف الحسين بالممالك العرب، ولا العرب للشريف سلاليم
حسبه التاجُ في الحجاز، فأماً العربُ فالدربُ حافلٌ بالصلادم
ومن الخير للذي حلَّ غاباً أن يُداري المصورَ ما دام آجم

. . .

790 / دُحِرَ التركُ فوق كُلِّ صعيدٍ وتولَّى الألمانُ بعد هزائم
أسلمَ التركُ «يَثْرِباً» بعد وقفِ الحرب، للقائد الشريف القادم
لم يُجَارِبْ فغيرُه أحرزَ النصرَ، وقد كان فوزُه في الغنائم
ليس إلا أن يقطفَ الكرمَ، لا الأشواكُ تدمي، ولا الدوالي تقاوم
خيرُ ما أبدعتُ عباقِرُ «برلين» سلاحاً، وما أفاضت مناجم

١ الصلادم : الصخور . ٢ استمر الحصار في المدينة ثلاث سنوات ولم يسلم فخري باشا إلا بعد إعلان الهدنة بشهرين أي في ١٥ يناير سنة ١٩١٩ . وبعد أن سلت المدينة كتب الأمير عبد الله بن الملك حسين إلى أمراء العرب يخبرهم بذلك وأرسل إلى ابن سعود كتاباً ومما جاء فيه : « إن الله فتح لنا أبواب مدينة خير البرية، وإن حاميتها قد أسرت واستولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الأملاك والآلات والادوات . ولا ينبغي على مدارككم بأنه لم يبق، والحالة هذه، شاغل ما يشغل حكومة صاحب الجلالة، أدامه الله وأبنته، عن الالتفات لإصلاح داخليتها وشؤونها والتنكيل بمن يسعى للفساد والتخريب من العشائر التابعة لها والسلام عليكم ورحمة الله . » (ت . ن .)

صارَ للقائد الذي بَشَّرَ الدنيا بفتح بـ بـكرٍ، وسيفٍ صارم
 معلناً للورى مناعةً عرشٍ هاشميٍّ جوانباً وقوائم
 منذراً بالفناء من رامٍ حرباً واعداءً بالبقاء حلقاً يُسلم
 ببيانٍ كقمةِ الطور عاتٍ وأداءً كتمسٍ الحزبِ ناعم
 وتلقى عبدُ العزيز خطابَ الفتح والودِّ بالجواب الملائم
 بالتهاني ونِيةِ السلم والإعظام للِسادةِ الملوك الأكارم
 الألى يبدؤونه بولاءٍ فينسونه زماناً عام
 «لا تكون الحدودُ» «تربةٌ» و «الحرما» مثاراً لجفوةٍ وسخائمٍ
 كليمٌ كالصبا صفاً ولكن خلفها كانت الرياح السائم
 نبأً جاء للأمير بأنَّ الناعم القول، عن قريبٍ مهاجم
 أبنانٌ تخطُّ سطر ولاءٍ؟ وبنانٌ تسنُّ سيفاً حاسم
 جلٌّ عن وصمةِ الخديعة عبد الله، لكن توَّهم السلم واهم

١ أجاب ابن سعود بكتاب تهنئة على فتح يثرب ودعاه لتتغام بخصوس العشائر وأكده انه لا يبقى غير
 السلم . وتبذلت الكتب الودّية . ومما جاء في أحدها قول الأمير عبد الله لابن سعود : « اني أخوكم الصادق
 ومستعد لمساعدتكم بما تأمرون . ولا يجوز ان يفرق بينكم وبين والدي أمور البادية التي لا أهمية لها . وكيف
 يمكن أن يحدث خلاف بين رجلين كبيرين بخصوس تربة والحرمة والبادية ؟ ها أنا متوجه الى مكة ،
 فأرجوكم ان ترسلوا أحد رجالكم ، وإن اردنايتم أن يكون أحد أنجالكم فذلك أول . وأنا كليل النجاح بحسم
 الخلاف والاتفاق مع سيدي الوالد » . ولكن احد تجار القصيم الذي كان في الحجاز جاء بخبر عبد العزيز ان
 الأمير عبد الله يتأهب للرحف الى تربة . ثم جاء آخر يؤكد ذلك فراسل الانكليز في الامر ففسلوا صفة
 الخبر ثم انقطعوا عن الجواب . (ت . ن .)

٢ قال الاستاذ الريحاني في كتابه تأريخ نجد الحديث الذي نأخذ عنه اكثر ما نأخذ كما ترى في الهوامش ، ان
 الأمير عبد الله حدثه فقال : « لم يكن من رأيي مهاجمة تربة وقد حاولت أن أقنع جلالة الوالد بالعدول عن
 عزمه . ولكنني كقائد الجيش الهاشمي مطيع لأوامر مولاي حتى اني كتبت له بعد أن نذاكرنا في (عشيرة)
 وليئت في (البديع) أنتظر جوابه فلم يكن غير الامر بالرحف .

صادقاً كان في التجاوز عن «خرماً» وعن «تربة» وشرّ نائم
 بيد أن الولي كان أباه وإلى الجذع تستجيب البراعم
 لا نقاش مع الحسين، فأمر المالك الأمر كالمنيّة جازم
 آفة الرأي أن يحجى فطيراً ويؤلاه مستبد حاكم^{١٥}
 ما اطمأن الأمير للقول معسولاً، ولا غره صباح باسم
 «إعقل النوق يا فتى وتوكل» كلمات كمثل طه يتائم
 السرايا بامرة ابن «بجاد» تدفع الضيم إن تفاجأ بضائم
 حول «خرما» و«تربة» تصرف العدوان، إن هم بالوقعة هاجم

....

بان جمر الرماد وانكشف السرّ فجيش الحسين للبطش قادم
 لا جهول بقصده غير أعمى أو أصم أو أكمه متصامم
 ركر البند في «البديع» خفّاقاً، فشالت ذوابتيه النياسم
 وهم القائد المسير أن النجم للبيرق المظفر لاثم
 «حضن» دونه، ويارب طود يبعث المرء «عنترى» العزائم

١ جاء أحدم يتشير محمداً قائلاً : «أرسل نائتي وأتوكل على الله» ؟ فقال : «إعقلها وتوكل» .
 ٢ جهز الأمير سريّة مؤلفة من ألف ومئتي هجّان بقيادة سلطان بن بجاد أمير العطفط، فأمرها إذ ذاك
 بالسير إلى الحرمة وتربة للحفاظ على أهالي تلك الناحية . وأمر ابن بجاد والعالم المرافق السرية بأن تكون
 خطتها الدفاع لا غير . ولقد مشى الأمير عبد الله بجيشه المؤلف من سبعة آلاف مقاتل مجهز بالعتاد الهائل،
 الذي أخذه من الحامية التي استسلمت في يثرب، من (عشيرة) إلى جبل (حضن) الفاصل بين نجد والحجاز
 وخيّم هناك في مكان يدعى (البديع) فلم يبق من ريب بأنه زاحف إلى تربة والحرمة لتأديب العصاة
 الذين اعتنقوا الوهابية وانتصروا إلى ابن سعود حتى الاشراف منهم، وعلى رأسهم الشريف خالد بن لؤي
 أمير الحرمة .
 (ت . ن .)

٨٢٠ ولقد تورث الجبال دواراً وتجد الأحلام للمتشائم

...

الأمير العزيز نص كتاباً لا نذيراً، ولا مروعاً مساوم
 ذكر الهاشمي عهداً قريباً ووعوداً شبه الورود النواسم
 قال: يا ناشد السلام رويداً ما مرّاميك للصفاء رواسم
 أتعدّ العقبان للبطش آفاً؟ وقد كنت واعداً بالهائم
 إن صديقاً فنحن أبقى وفاءً وكلانا مصون العرض سالم
 أو عدواً فلست أخذل «إخواناً»، وما «تربة» زجاجاً لحاطم
 أهل نجد، وأنت أدري بنجد لا خراف، ولا قطع نعائم
 فاتق الله في العباد ونكب عن سبيل العدوان إن كنت راحم

...

واستشاط الحبيب، أن على الغبراء ندّاً، إذا استغزّ يقاوم

١ كتب الأمير عبد العزيز إلى الأمير الهاشمي كتاباً جاء فيه: «قد تحقق عندي خلاف ما أخبرني به سابقاً أي أنك عائد إلى مكة المكرمة، والظاهر أنك مهاجم تربة والحرمه. وذلك مخالف لما ابدىتموه للعالم الإسلامي عموماً والعربي خصوصاً. وأعلم رعاك الله أن أهل نجد لا يتخللون إخوانهم، وإن الحياة في سبيل الدفاع عنهم ليست بشيء. نعم وإن عاقبة البغي وخيمة. خير لك إذن أن تعود إلى (عشيرة) وأنا أرسل اليك أحد أولادي أو اخوتي للمفاوضة فتمت الأمور على ما يرغب فيه الفريقان إن شاء الله.»
 ٢ فأجابه الأمير عبد الله بكتاب طويل ومما ورد فيه: «أما فؤادك إن الناس نفروا جميعاً لحربنا إنهم قبل رجالهم فاذكرك بقول الله تعالى... فإن جاؤونا (أي عرب بركة والرفقة الذين أنذرهم) بنية حسنة فنحن لهم وهم لنا يا عبد العزيز قبل إن ينزل أجدادك بنجد، وإن بقوا فلكل باغ مصرع وإن الله مع الصابرين. وتأمرني بالجوع إلى دبرتي من أرض هي لأني وجدي. ومتى كنت تمنع الناس عن دبرتهم جزيت خيراً. ولكن هل تذكر أن رجلاً من قريش ثم من بني عبد مناف، ثم من بني هاشم جد رسول الله وعلي ابن أبي طالب يقع له بالشتان ويروع بتل هذه الأقاويل؟ وإن كنت تنوي الخير للمسلمين كما زعمت فأردد الذين أمرتهم ببيع مواشيهم وبنيت لهم الدور، (يريد الهجر) وأخل انت مكانك الذي وصلت إليه (والحجر) وعد إلى دبرتك، ولك عليّ ألا أمس أحداً من أهل نجد بسوء.» (ت. ن.)

٨٣٥ أُنْجِدْ أَجَابَ : تَوَعَّدُ مِثْلِي وَأَنَا ابْنُ الْأَسْيَادِ نَسْلُ الضِّيَاغِمِ
 نَسْبِي عِتْرَةُ الرُّسُولِ وَجَدِّي خَيْرُ مَنْ قَلْبَ الظُّبَى وَاللَّهَازِمِ
 الْعُلَى تَرْدَهِي بِذِكْرِ عَلِيٍّ سَيْفُ طِهٍ وَالْعَبْقَرِيُّ الْعَالِمِ
 سَيْفُهُ ذُو الْفَقَارِ، إِمَّا دَعَوَاهُ، يَجِدُنَا بُعُودَةً وَتَمَانِمِ
 أُنْجِدْ تَرَوْعَنِي؟ وَتَوَدَّ السَّلْمَ صَوْنًا لِحُرْمَةِ وَمَرَامِ
 نَاصِحًا مَشْفَقًا تَحَالُ الْيَتَامَى بَيْنَنَا تَقْتَنِي دُمُوعَ الْإِيَامِ
 لَا تُغَرِّزْ بِأَهْلِ نَجْدٍ كَفَاهُمْ بِدَعَا مِنْكَ، أَوْ تَمْدُنْ هَادِمِ
 الْأَلَى سُمْتَهُمْ فِرَاقَ مُوَاشِيهِمْ، فَيَا حَرَقَةَ الْعُيُونِ السَّوَاغِمِ
 تُنْشِي الدُّورَ وَالْقُبُورَ، وَقَالَ اللَّهُ مِمَّا زَرَعْتَهُ مِنْ جَرَائِمِ
 لَا تُحَاوِلْ مِنَ الْحِجَازِ اقْتِرَابًا وَأَقْلُهُمْ مِنْ فِتْنَةٍ وَمَآئِمِ
 ٨٤٠ نَحْنُ أَبْنَاءُ مَنْ نَسِيتُ فِتْنًا بِأَقْرَبُ ثُمَّ جَعْفَرُ وَالْكَأِظِمِ
 نَحْنُ أَهْلُ النُّهَى فِيمَا تُثَرِّنَا لِقِتَالِ فَنَحْنُ أَهْلُ الْمَلَاخِمِ

...

كان في «تربة» و«خرمة» أشرف، على غير منهج ومراسم
 لابن عبد الوهاب دانوا وزاحوا من حسين عبأ على الصدر جاثم
 فاقتدوا بالشريف، بابن لؤي خالد رافع اللوا المحاصم

١ محمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم : أئمة ثلاثة معصومون في رأي الإمامية الاثني عشرية .
 ٢ واول الأئمة المعصومين علي وآخهم المهدي المنتظر . كان أمير الحرمة الشريف خالد بن منصور
 وهو من بني لؤي . وكان من المنتسبين في الوهابية . وقد سبق جلالة الملك حسين أن زج به في
 السجن . ولكنه غطى هذه الإهانة برماد النسيان وزاح يساعد الأمير عبد الله في حصار المدينة . وهناك
 حدث خلاف بينه وبين الأمير وتكررت الإساءة التي لا مجال لذكرها . فتكلم خالد منذراً فغضب الأمير
 وصفعه بيده ، فسقط الرماد عن النار الاول والتهب مقروناً بالنار الثاني . (ت . ن .)

إن تناسى من الحسين ظلمات^١، وسجناً كعتمة البغض قائم
 كيف ينسى من نجله صفة الذل^٢، وفي جنبها تهون المآثم
 ولئن يُصْفَعِ الكريمُ فخير^٣ أن يوارى بين العظام الرماث
 لطمة الخد^٤، أو إشارة لطم دونها في الأذاة بتر^٥ الحلاقم
 عزة المرء ذلة^٦ الصفع تحوها، وتبقى في الخد وصمة وإصم
 صفة «الخالد» الشريف استحالت جرة الثأر في يمين الحادِم^٧

...

ما أطاق الحسين غصبة^٨ حر^٩ إنما الحر^{١٠} عنده شر^{١١} آثم
 وبري^{١٢} من يلثم القيد بساماً ويرضى عن الشياطين القواصم
 أيثورون للكرامة؟ يا للخطب^{١٣}، فليُمسحوا كأرقام راقم
 خارجيون أهل «تربة» و«الحُرما»^{١٤}، فما من حسامه العضب عاصم
 «مالك» يدفع النفوس إلى النار، وتبقى للفتاحين المغانم^{١٥}
 ويهز^{١٦} الجزيرة النصر^{١٧}، من بغداد حتى الدهناء^{١٨}، حتى الحضارم^{١٩}
 يعلم الشرق أن صمصامة^{٢٠} العرب، المليك^{٢١} الحسين، دوحة^{٢٢} فاطم

...

مهد البدو للغزاة بختل^{٢٣} فتح^{٢٤} الباب للمغير المداهم^{٢٥}

١ مالك: خازن النار . ٢ الحضارم: مفردة حفرمي في النسبة إلى حفرموت .

٤٦٥ جاء جيرانُ «تربة» عربُ «البقوم» في زيِ أصدقاءٍ أكارمٍ
 «نحن جيرانكم وللجار حقٌ» سرمدِيٌّ كالظِّلِّ ضربة لازم
 «نحن نفديكم فهاقوا سلاحاً» واشهدوا نخوة الصلاب المعاصم
 «أزّلونا حصونكم فنصدّ الجيش حتى تنحلّ عزمة عازم»
 أزلوهم ومكّنوهم فصاحوا: ليس إلا الشريف للناس حاكم
 وصحا الناس كالنشاوى من الحمر، وظنّ النداء كابوسَ حالم
 فتراهم ما بين جلدٍ ومذعورٍ وفسلٍ مُتعتع الحس هائم
 بين لحظٍ ومثله انقلب الأصحاب لُدّاً، والذائدون أراقم

١ كان الأمير عبد الله قد استخدم بعض عربان البقوم في جبل حضن ليدخلوا تربة مدعين أنهم جاءوا
 يحذرون أهلها من الأمير ويستنهضونهم لمحاربتة. بل قالوا للمدافعين أنهم جاءوا يدافعون معهم فأزّلوهم في
 الحصون مع من تحصنوا فيها فما لبثوا أن انقلبوا عليهم فاستولوا على أسباب الدفاع وصاحوا بالناس: الملك
 الشريف.
 (ت. ن.)

نشوة الظافر ^{٢٥}

دخل الجيش «تربة» بارتياح أنقذته دسيمة من كفاح
 أيسر الفتح أن تبث الجواسيس فتغشى الحصون بالفتح
 ذلك النصر كان زهرة سياح، فلم يقرن بمجد السلاح
 لم تسل السيوف إلا لأرهاب، وإخماد نقمة بدبّاح ^{٤٦٥}
 إذ تنال الشفار فرسان تجويد، وأبطال متجر ورباح
 من شيوخ وبعض تجار نجد عمت نقمة فكانوا الأضاحي
 عزل آمنون جم النواصي لا ذئاب، ولا كباش نطاح

...

يا لها ساعة «بتربة» كان العار إبانها طليق السراح
 ند جند الأمير عن أمر مولاهم، وأعياء الشريف كبج الجراح
 يحرف السد باني السد إماً يُزبد البحر في عصف الرياح

١ التجويد: من جود في القراءة أي أعطى كل حرف حقه من اللفظ بموجب أصول معهودة والمقصود هنا فسر القرآن الكريم.

والشرعُ الشريدُ، في جنة الأنواء، يعصي إرادة الملاح
يا لها ساعة «وتربة» فيها جزرٌ تحت أخمص المحتاح
كلُّ شيءٍ أباحه الجندُ إلا عملَ الخير، ظلٌ غيرُ مباح
ربُّ حسناء، من سنا الصبح تستحي، فترخي الحجاب، دون الصباح
زهرةٌ تؤثرُ التسترَ بالكم، وتخفي من حسنهما الوضاح
يَسْتُ قبل أن تشاهد نوراً بين نثنِ الهوى، وفحش الإباحي
ماتماً كان للفضيلة ذاك اليوم، فاغروزت عيون الأفاحي
الورود البيضاء سيان، في الخطب، وطهرُ سلبته من ملاح
إن وزرَ الإفناء من دون حقٍ فوقه في العقاب وزرُ السفاح

...

قبة النصر، تحتها جلس المنصور، يفشي زئيره في الضواحي
فتخطُ الأقلامُ أنبا نصر ويُدوي صريرُها من فلاح
القراطيس دونها مشرقات كخدود الأبقار في الأفراح
الرسالات لألت في البوادي تأوهات من غبطة ونجاح
عجبا للطيور، كيف توانت؟ عن أدا، التبشير للأدواح

١ والجزر مفردة جزيرة وهي كل ما أبيع للذبح . ٢ دخل الأمير عبد الله ظافراً فوزع جيشه في
جوار تربة وحولها . وكانت ساعة لرجاله إباحية فتهبوا البلدة وأفدوا فيها ما شاءت الشهوات والأهواء .
وقد أمر في ذلك اليوم بقتل بعض المشايخ والسنين من التجار التجديدين وبمصادرة أموالهم . ثم كتب من
عنيته في الجهة الغربية إلى رؤساء البادية في تلك النواحي خصوصاً في (درنية) ينهرم بما حل في (تربة)
ويهدم مثل ذلك إذا كانوا لا يحيثونه طائعين . (ت . ن .)

يهديل يهز أغصانها بهجاً، فيغني الأملود عن إفصاح

...

بعث القائد الأمير بياناً هز شمع الرُّبى، ودُمث البطاح
ذكر الناس «خالداً» بعد «يزموك»، وبأس المظفر «الجراح»
حمل الحرف، ما أطلق من البشرى، بمنع «خوارج» واكتساح
غسل الكفر بالدماء، قطابت تربة لامست يد الذبّاح
وانتشت نشوة المدلّة بالخر، الولوع الفؤاد بالأقداح
من حسام على «الخوارج» مسلول، فطوبى لحدّه الرشّاح
نحن سبط النبي - قال أمير الجيش - نور الهدى، ونجم الصلاح
قد محونا أهل الأضاليل والزيف، كما يطلع النهار الماحي

١ إشارة إلى خالد بن الوليد في موقعة اليرموك، وإلى عبيدة بن الجراح القائد المشهور الذي ولاء عمر
ابن الخطاب مكان خالد. ومما يؤثر من رسائل الأمير عبد الله التي بعث بها إلى الزعماء قوله: «بسم الله
الرحمن الرحيم من عبد الله أمير المؤمنين الحسين بن عون إلى المكرم فيحان بن حامل. أما بعد فإني أحمد
الله اليكم ثم أخبرك بأننا وقفنا البارئ سبحانه وتعالى فاعطأنا نار الخارجة التي في تربة ومزقناها كل ممزق وضربنا
أعناق أرباب الزيف والنفاق ومن جلتهم (الطعامه) وابن (مسيب) تزيل قريبتكم. وإن هذه الفتنة التي
أثارها خالد ابن منصور، (يقصد الشريف ابن لؤي) بلا لازم ينعم، أو حق يطلبه، وأدخلكم فيها نأمركم
بتركها والإسراع بالركوب البناء، وكف كلفة (سبيح) أهل (رنية) بدو وحضر عن الاستمرار فيها،
ونأمركم بحلب شيوخ الزكور (قبيلة من القبائل) معكم البناء في ست ليال للاستئذان من سطوتنا. وإن لم تفعلوا
فسأمل ميمنة البريق المنصور عليكم مستعيناً بالله تعالى، مستنجداً عظيم قدرته، ولا تكتم إنذارى هذا عن
كل صغير وكبير لاني سأسألك عنه حين لا تنفعك الندامة.»

وفي كتاب إلى ماضي بن قاعد ومحمد أبرق يقول:

«ما خفي عليكم ما حلّ بتربة من ذبح الرجال، وتدمير المال، بعد أن طغى أهلها وبغوا. وإنتم يا أهل
(رنية) بدو وحضر إن ما كفيتم طوارقكم وركبتكم التي في ست ليال مع شريفكم، وإلا حزمتكم حزم السكّم،
وطردتكم طرد غرائب الإبل وعافلكم يعلم جاهلكم. ولولا مشاري بن ناصر وغيازي بن محمد لكان صباحي
يسبق كتابي اليكم والسلام على من اتبع الهدى.» (ت. ن.)

٩٥٥ أيها المندرون هياً إلى عفوي، فإن تجمعوا أتاكم ساحي
 في يدي، كل ما غنمت من الترك، لظى مدفع، وبيض صفاح
 لا يقيكم من الفناء سوى بندي، فباللنجاة غير اقتراحي
 ويلكم أهل «رنية» إن أيتم فأوitem جهلاً إلى غير ساحي
 لترون الرؤوس ترفع آلافاً، ولكن على رؤوس الرماح
 ذكركم يختفي من الأرض إلا صوت أنثى مخضب بنواح
 أو يتيم ضل المربع لولا صوت ديك بدمنة صياح
 أو مواء السور فر من الموت، وإعواء ناهس نباح
 ما هو النصيح بل هو الأمر أري واضح منهجي كفجر صراح
 لا دهاء ولا سياسة ختال، بهم الأهداف، جم المناحي
 ٩١٥ كالأساطين من حكومات أوربا، هواة التضمين والالامح
 يعلنون القتال بعد التحايا ويدوفون بلسماً بجراح
 قرشي أنا، وعبد مناف لم يسخر أنسائه لمزاح
 جدنا الجد حين زار فبالأعداء طعم لشفرة السفاح
 مهلتي للجواب ست ليال كاملات الأمساء والأصباح
 إن أيتم فقد أيتم نيراً طيب الورد من معين قراح
 أو أيتم على الدمار استفتكم وغرقتم في أحمر ضحاح
 كل نذل يناصر ابن لوي لن يؤاويه في الغداة سماحي
 ذلك الخارجي ند عن الأصل، وعن دوحة الكرام الصباح
 مسلماً قلبه خالك ليل صارفاً عينه عن المصباح

٩٢٥ واهباً سمعه لنعب غرابٍ معرضاً عن خميلةٍ وُصداح
وسرت هذه الرسائل في البيداء، كالرعد مؤذناً باجتياح

...

حذروه من صولة ابن «بجاد» و«لؤي» فصاح بالنصاح
«وتحکم» توعدونني ببغاث وأنا المستهين بالتمساح
أخاف الذئب من يقنص الأسد، وتخشى الأطواد رجع الصياح
إن هذي الأوشال أحقر من أن تستير الأقدام في السباح
سوف أكفيهما نهوضاً لثأر وترى نجد في الغداة كفاحي
إن تكن «تربة» كفت لغدوي لست أرضى «بخرمة» لرواحي
يقلق النسر في مجال قصير خلق النسر للجواء الفساح
إن يكن صومنا «بخرمة» فالأضحى بظل «الأحساء» والتفاح
٩٣٥ في ظلال «الرياض» يزدوج العيد ازدهاراً بطيها الفواح
مبسم الجلنار يحنو علينا ويدلي من زهره الوشاح
قل لهم يا رسولهم، إن عبد الله، نجل الحسين، رحب الطلاح
سيرون الغداة خيلاً عرباً يرجف السهل تحتها من صباح

١ كان الأمير عبد الله قد علم أن السرية التي جاءت إلى الخرمة أي جيش ابن بجاد وخالد قد مشت منها إلى مكان يدعى القرنين وهو على مسير أربع ساعات من تربة فزود النجاش برسالة شفوية أيضاً: «أخبر الخوارج ومن التف حولهم في القرنين بما جرى. قل لهم أننا سنكنيكم مؤونة القدوم إلى تربة. قل لهم ما جئنا تربة من أجل تربة والخرمة فقط سنصوم في الخرمة أن شاء الله وسنعيد عيد الاضحى في الحساء.»

ستخوض 'الأفلاج' بعد 'سدير' واردة منابع 'الأسياح'^١
وتجوب 'النفود' جرد المذاكي وتندى رماله بالصواح^٢
فتشق السنايك الحمر أثلاماً، يثرن الفضول بالفلاج

...

وأنى حامل الرسالة «للقرنين» في وجهه سمات مناح
ريقه جف من وعيد وتهديد، وتصعيد زفرة، والتياح
فالتقاء «الإخوان» لقاء يهود يوم حَفُّوا بصاحب الألواح^٣
٩٤٠ أدركوا ما يصدره من وجيب طرفه كان مُسهب الإيضاح
شق جيباً، وقص إنذار عبد الله، سيف العروبة الطمّاح
فاشعرت جلودهم من هياج وتلظّت عيونهم من طفاح
وتقسّت أضلاعهم فالحواني حدّبات السيوف والصفاح
زعزعوا الأرض تحتهم من زئير صدّعوا الجو فوقهم من صياح
من رُماة يقلّبون زناداً وكُماة عواسل الأرمّاح^٤
وجديل الذراع جرد سيفاً راضياً عن فرنده اللّماح
ونجيد يشدّ سرج حصان أكمّت اللون مستقرّ وقاح

١ الأسياح مفردتها سيج وهو الماء الجاري الظاهر في منطقة الأفلاج القريبة من الرياض قاعدتها ليسلى
واكبر قراها البديع الأحمر والهدار وسدير اكبر نواحي الجبل وهناك الغاط المشهورة بأنها مركز السداوة
من أهل سدير الذين صاهروا آل سعود قديماً وحديثاً. ٢ الصواح: عرق الخيل. ٣ صاحب
الألواح: موسى. ٤ غسل الرمح: اهتز.

أَهْلَبِ الذِّلِّ سَائِلِ الْعُرْفِ وَالتَّحْجِيلِ، 'صَلْبِ مُحَمَّدٍ سَبَاحٍ'
 وَتَنَادَى «الْإِخْوَانُ»: هَبَّتْ هُبُوبُ الْخُلْدِ، أَيْنَ الْأَجْوَادُ بِالْأَرْوَاحِ
 ٩٥٥ حَيْثُ يُكْسَى الشَّهِيدُ مِنْ سُنْدُسٍ خَضِرٍ، وَيُسْقَى مِنْ طَيِّبَاتِ الرِّاحِ
 مِنْ أَكْفِ الْأَبْكَارِ عُرْبًا وَأَتْرَابًا، كَدِيْبَا جَةِ الصَّبَاحِ الصَّاحِي
 صَاغَهْنَ الْبَدِيعُ مِنْ أَلْقَى النُّورِ، وَعَطَّرَ الْخَمِيلَةَ الْمَفْرَاحِ
 هُنَّ وَحْيُ الرُّؤْيِ وَطَيْبُ الْأَمَانِي وَرَفِيفُ الشَّدَا، وَحَلُمُ الْمَلَا حِ
 فِي ضَمِيرِ الْجَمَالِ كُنَّ الْعَدَايَا قَبْلَ أَنْ يَدُحُوَ الْبَسِيطَةُ دَا حِ
 كُنَّ فَجَرُ الْأَعْيَادِ فِي خَاطِرِ الدَّهْرِ، وَفِي الْخُلْدِ مَغْرِبَ الْأَتْرَاحِ
 كُلُّ حَسَنٍ فِي الْأَرْضِ، ظِلٌّ لَمَّا فِي الْخُلْدِ مِنْ بَاهِرِ الْجَمَالِ الضَّاحِي
 أَيْنَ أَيْنَ «الْإِخْوَانُ» يَلْقَوْنَ دُنْيَا الْحَقِّ بَدَلًا مِنْ عَابِرِ الْأَشْبَاحِ
 اللَّهُمَّ: إِيَّاكَ نَعْبُدُ صَاحُوا شَهْرٍ وَالْحَرْبِ وَالسِّيُوفِ الْمَوَاحِي
 آيُ أُمِّ الْكِتَابِ مُفْتَسِحُ الْيَمَنِ، إِنْ الْحَرْبُ آذَنْتْ بِافْتِتَاحِ
 ٩٦٥ أَمْرُ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ دِفَاعًا يَوْمَ كَانَ الْهَجُومُ غَيْرَ مُتَاحِ
 شَأْنُهُ فِي الْقِتَالِ يَنَآيَ عَنِ الْبَغْيِ، وَيُخْشَى فِي دِينِهِ مِنْ جُنَاحِ

١ أهلب الذل: مقلوعه. عندما وصل الرسول إلى الإخوان أحاطوا به مستخبرين فشق جيبه وأخبرهم بما جرى وبما فاه به الشريف فما كاد يتم كلامه حتى صاحوا صيحة واحدة: «إياك نعبد وإياك نستعين» وهم يريدون الهجوم فمكن العالم والقائد روعهم. قال ابن بجاد: «كيف نتجاوز أمر صاحب الأمر فهو لم يأمرنا بغير الدفاع، ولكنه كان قد نسي كتاباً آخر من ابن سعود وفيه يقول: «إذا علمت أن الشريف تجاوز حدود تربة فاني آذنتكم أن تفضوا كتابه وتروا فيه رأيكم». ما كانوا في حاجة إلى استماع كتاب الشريف وقد سمعوا كلماته من فم التجاب. فصاحوا وهو يتلو الكتاب عليهم إياك نعبد وإياك نستعين هبت هبوب الجنة أين أنت يا باغيها.

(ت. ن.)

٢ العدايا: مفردتها غديّة وهي أول النهار. ٣ أم الكتاب: الفاتحة.

ولقد أسرفَ الخصيمُ وجازَ الحدَّ، لا لومَ بعدها لِلأَحي
 «تربة» أَسَلَتْ، و«خرمة» في ضنكٍ، فقصد الشريف كلَّ النواحي
 واستعاد الإخوانُ حُرِّيَّةَ الرَّأي، وأضحى «سُلطان» طَلَقَ سراح

...

ركبوا للقتال، والشمس قد مالت، فراراً من نورها الفَضاح
 يَتَنَزَّونَ في السروج تنزي أرقم، في هَجيرة فَحاح
 لو أتنهم صواعق لتلقوها بِسُمر الرماح أو بالراح
 وأنى منذرٌ يُحذِرُ عبدَ الله من هولِ غضبةٍ واكتساح
 مخلصاً حالماً بحسن لقاء وجزيل الصلات والأرباح
 أسفعا لاهئاً مُشَعَّتْ شِعْرٌ حافياً، لف أنجداً ببطاح ٩٧٥
 أقتلوه، قال الأميرُ فهذا النذل كلبٌ يمضني بالنباح
 بدويٌ منافقٌ، أو يُريد المزح، ويلٌ للكاذب المزاح
 جاءني كالسقام في حلمي الزاهي، منوعاً لغبطي وانسراحي
 بومة تنذر الشريف بشؤمٍ انما البوم في الطيور القباح
 أنخيفُ الشريفَ بابن «لؤي» و«بجاد»؟ واخيبتني وافتضاحي
 إن أكنُ هاجعاً فما ألقاني الخفافيش لن تطول جناحي

١ مشى (الإخوان) قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم إليهم ألف وخمسة مقاتل. قال الراوي، وهو من أهل الحجاز، جاء الأمير عبد الله في ذلك اليوم رجل من البادية يقول: تحذّر يا شريف المتديّنة في الحرمه هاجون عليكم فغضب الأمير وأمر بقطع عنقه. وفي رواية أخرى انه أمر (دُخناً) كبير عبيده بضربه فضره حتى الموت.

٢ الأسفع: المتغير لون وجهه.

بَرَّاحُ الضَرْبُ بالنذير فأرداه، فكان الثوابُ خنقَ الصراح
 كلَّ من يلعب الغرورُ بعطفيه عدوُّ حكمةٍ وانتصاح
 لا يجي البلاءُ من مُنذرٍ بالويل، يأتيك بالمقال الصراح
 ٩٨٥ آفةُ الحاكِمين، في كلِّ عصرٍ خيلاً وألسنُ المدّاح
 دُمْلُ العنق لا تُرَشُّ بماء الورد، أكرمٍ بمبضع الجراح

٢٦ وقيعة تربة

غَرِقتُ في 'سُدُولها الظلماتُ وتَرَآخى على البطاح المساءُ
 فيه من عتمةِ القبورِ، على القفرِ، ومن هولِ صميتها أشياءُ
 وكانَ المساءُ روعه الجليشُ، 'نخارت أنسامه السَّلا،
 السرايا حول الأميرِ صناديدُ، فما إنْ تطولهُ الأرزاءُ
 كلُّ قَرْمٍ حصنٌ تقمَّصَ فولاذاً، فمن 'محكمِ الحديدِ الكساءُ
 و'رِماحُ كعوبها 'موتداتٌ مشفقاتٌ أن تبرحَ الغبراءُ
 فارعاتُ السنانِ، صمُّ الأنابيبِ، لفوفٌ آجامها الشجرا،
 السياجُ المنيعُ دونَ أميرٍ حَرَمٌ لا يجوزُ فيه الهواءُ
 فإذا يخطرُ النسيمُ إتِّفاقاً وسمتهُ بوسمها الخفراءُ
 من عبيدٍ حولَ المخيمِ أيقاظُ، فهم والدجى الضريرِ سوا
 لا يلوح البياضُ لولا جوادُ فرسُ سَبْطَةِ الشوى شهابُ
 ما علا ممتها من الناسِ إلّا رايضُ الصافناتِ والأمرأُ
 شَكِلَتْ بالعقالِ كيلا يضيغَ السهلُ من جافرٍ به خيلا.

رَبُّهَا الْقَائِدُ الْأَمِيرُ، بِحُضْنِ اللَّيْلِ أَغْفَى، تَحْفُهُ السَّرَّاءُ
فِي طَمَأْنِينَةِ الْمَلِكِ الَّذِي يَغْفُو، وَقَدْ كَحَلَ الْجَفُونَ الْهِنَاءُ
مَا يَهُمُّ الْأَمِيرَ وَالْأَسَدُ حُرَّاسٌ، وَفِي رُكْبِهِ الْعُلَى وَالْثَرَاءُ
ذَهَبُ الْإِنْكَلِيزِ نَاءَتْ بِهِ الْبُعْرَانُ، لَوْلَا مَا يَسْتَتِيرُ الْغَنَاءُ
بِالنُّضَارِ الْعَجِيبِ يَقْتَدِحُ الْإِنْسَانُ عِزْمًا، وَتَنْشَطُ الْعِجَاءُ
أَيُّهُمْ الْأَمِيرُ (إِخْوَانُ) فَقْرٍ؟ وَسَعُودٌ، وَقَوْمُهُ الْفُقَرَاءُ
آمَنَ الْأَمِينُ كَانَ شَرِيفٌ «لَنْدُنْ» وَالِدُنِّي لَهُ حَلَقَاءُ
كُلَّ حِصْنٍ لَدَيْهِ «أَبْلَقُ» فَرْدٌ مَا دَرُوعُ الْكِنْدِيِّ؟ مَا تَبَاءُ
عِنْدَهُ فِي الْمَخِيْمِ الْفَخْمِ «رَاهُو» فِي الصَّنَادِيدِ مَا لَهُ أَكْفَاءُ
كَانَ فِذَاً بِهِ تَبَاهِي فَرَنْسَا يَوْمَ نَخْرُ الْمَجَالِسِ الْهَيْجَاءُ
قَائِدُ الْفِرْقَةِ «الصَّبَاحِيَّةِ» الْغُرَّاءُ، مَنْ ذَكَرَهُ لَدَيْهَا حِدَاءُ
الْأَسَاطِيرِ دُونَهُ فَرَطَ بِأَسْرِ فَالْتَفَنِي بِصِيَّتِهِ إِثْرًا

....

مَا يَهُمُّ الْأَمِيرُ؟ وَالْفِيلَقُ الْجُرَّارُ ضَاقَتْ بِغَمْرِهِ الدَّقْعَاءُ
الْمَتَارِيسُ وَالْحِصُونُ مَدَى مَا تَتَقَصَّاهُ نَظْرَةٌ فِيحَاءُ
مِنْ ضَخَامِ مَدَافِعِ صُنْعِ «بِرْلِينَ» لَهَا إِنْ تَشَاءَتْ أَصْدَاءُ
لَوْ رَأَاهَا عِنْدَ الْمَنَامِ شَجَاعٌ لَا عَرَّتُهُ مِنْ خَوْفِهِ الْبُرْدَاءُ

١ تَبَاءُ : حَيْثُ قَامَ حِصْنُ السَّمَوِلِ الْمَشْهُورِ . وَالْكِنْدِيُّ : هُوَ امْرُؤُ الْبَلْبِ . ٢ رَاهُو : كَانَ ضَابِطَ
الْفِرْقَةِ الصَّبَاحِيَّةِ وَقَدْ بَلَغَتْ شَجَاعَتُهُ دَرَجَةَ الْأَسَاطِيرِ . وَقَدْ كَانَ ضَابِطًا فِي حَرَسِ الْأَمِيرِ .

سَيَجَتْهَا الضَّبَّاطُ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ سَرَوَاتُ بَوَاسِلُ قَدَمَاءُ
 هُمْ وَالْحَرْبُ أَصْبَحُوا شَبَهَ إِخْوَانٍ، فَصَحَّتْ مَوَدَّةُ وَإِخَاءِ
 رَافَقُوا التُّرْكَ فِي فِلَسْطِينَ وَالشَّامِ، وَرَأَتْ سَيُوفَهُمْ سِينَاءُ
 مَا يَهُمُّ الْأَمِيرَ؟ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ سَيَّجَ الدَّهْرُ فَاسْتَتَبَ الْوَقَاءُ
 لِيَنْتَمِ فَالرَّوْيُ تَطُوفُ بِعَيْنِيهِ، فَمَا فِي الْمَنَامِ إِلَّا الصَّفَاءُ
 «خُرْمَةٌ» فِي غَدٍ تَهْشُ لِمَرَّاهِ، وَتَمُشِي رَايَاتُهَا الْبَيْضَاءُ
 إِنْ يَكُنْ «شَاكِرٌ» تَقْهَقِرُ عَنْهَا فَهُوَ مِنْ كُنْزَةِ الْوَكِيلِ بَرَاءُ
 الْعَقِيدُ الْأَصِيلُ يَفْعَلُ مَا قَدْ عَجَزَتْ عَنْ مِثْلِهِ الْوَكَلَاءُ
 هُوَ نَجْلُ الْحُسَيْنِ، مَلُ الْبَرَايَا صَيَّتُهُ الْفَخْمُ، كَالضَّحَى وَضَاءُ
 اسْمُهُ السِّحْرُ، يَجْلِبُ النَّصْرَ قَسْرًا طَالَمَا هَزَّتِ الْوَرَى أَسْمَاءُ
 إِنْ يَكُنْ «شَاكِرٌ» ضَعِيفًا، فَعَبْدُ اللَّهِ مَا شَابَ جَيْشُهُ الْجَبْنَاءُ
 هُوَ سَيْفُ اللَّهِ، الْمَعْوُذُ بِاللَّهِ، فَحَسْبُ السَّيْفِ الْكَرِيمِ انْتِضَاءُ
 نَصَبَ عَيْنِيهِ «خُرْمَةٌ» ثُمَّ نَجْدُ ثُمَّ زَيْنُ السَّوَاوِحِلِ «الْأَحْسَاءُ»
 هُوَ مَاضٍ إِلَى الْأَمَامِ، مُضِيَّ الشَّمْسِ، لَا نَكْصَ عِنْدَهَا، لَا وَرَاءُ
 فِي غَدٍ «خُرْمَةٌ» إِذَا لَمْ تُسَلِّمْ إِلَى رَبِّهَا تَحِنَّ الشَّاءُ
 وَغَطَارِيفُهَا تَخْفُ عَبِيدًا خَلْفَهُمْ أَنْجُمُ الْخُدُورِ إِمَاءُ
 لِيَذِيْقَنَّهَا دَمَارَ «ثَمُودٍ» لَيْسَ يَبْقَى إِلَّا التَّرَابُ الْهَبَاءُ

١ سبقت الإشارة إلى الخلاف بين الأمير عبد الله والشريف خالد بن لؤي وإلى غضبة الأمير وصفه
 خالداً بيده . وقد جاء خالد إلى الرياض سنة ١٩١٧ يحذر ابن سعود من ماعى الحسين ولجأه عبد الله
 ويستجده عليها . وقد حدث في السنة التالية سنة ١٩١٨ ما حقق قوله لأن الأمير أرسل أربع حملات على
 الحرمة بقيادة الشريف شاكر، وكان نصيبها القتل .
 (ت . ن .)

في غدٍ! أيها الأميرُ تَمَلَّ يَفعل الله في غدٍ ما يشاء.

...

بينما كانت الأمانى رحاباً وعلى غمرها يرفّ الرجا،
 كان جيشُ «الإخوان» يَخْتَرِقُ الظلما، حتى لَتَفَرَّقَ الظلما،
 من فحولٍ تَقَمَّصُوا حِلَّ الموت، كما ينزلُ الوغى الشهداء،
 سلكوا دَرَبَ «تربة» مستنيرين، فهذي سيوفهم أضواء،
 لَأَلَاتٌ لا رهيبةً من صقالٍ بل تَلَطَّتْ شِفَارُهَا الحمر،
 في أَكْفٍ غَلَّتْ كما غَلَّتِ القدر، وَبَثَّتْ أنفاسها الرمضاء،
 جائعات، وما لهنَّ بطونٌ صاديّات، وما المرادُ الماء،
 طَنَّبَ الليلُ واستشاط الغرائي ليسَ قَدَّامَهُنَّ إلا الخلاء،
 قيل: صبراً على السَّغَابِ فهذي «تربة» لَوَّحَتْ وَحُمَّ العشاءُ

...

كان جيشُ «الإخوان» ألفاً ونصف ألف، لكن ما لكم؟ ما الإحصاء،
 يرجحُ الكيفُ حيث يعجزُ كمٌ وقليلٌ هي الذرى الشما،
 40 قَسَمُوهم إلى فئات ثلاثٍ طَوَّقُوا حيث خيمَ الأعداء،
 لم يكن هَمُّهم هزيمةَ خصمٍ آيةُ النصرِ عندهم إفناء.

١ حُم: قرب. متى الإخوان قبل صلاة المغرب بساعة وهم مع من انضم إليهم ألف وخمسة مقاتل وانقسموا قبل وصولهم إلى تربة ثلاث فرق، فرقة الحيلة، وفرقة خالد، وفرقة ابن عباد. وعندما وصلوا البلد في منتصف ليلة ٢٥ شعبان ٢٥ مايو هجموا هجمة واحدة ساكنين مستنشرين (ت. ن.).

طَوَّقُوا كُلَّ ثَلَاثَةِ يَوْمٍ يَنْفِذُ الْهَارِبَ مِنْهَا، أَوْ يُسْتَمَدُّ النَّجَاءُ،
قَصَدَتْ فِرْقَةُ الشَّرِيفِ ابْنَ مَنْصُورٍ مَقَرَّ الْأَمِيرِ، حَيْثُ اللُّوَاءُ
« لَا يَفْلُحُ الْحَدِيدُ إِلَّا حَدِيدٌ » وَيَفْلُحُ الْأَقْرَابُ الْأَقْرَبُ.
لَمْ تَزَلْ صَفْعَةً « بِيَثْرَبَ » تَكْوِيهِ، وَتُورِي ضَرَامَهَا الْبَغْضَاءُ
وَتَوَلَّى « أَبُو حَمِيدٍ » « بِيَجَادُ » جِهَةَ الْجَيْشِ، حَيْثُ الزُّعْمَاءُ
حَيْثُ قَامَتْ خَنَادِقُ وَمَتَارِيسُ، وَصَفَّتْ مَدَافِعُ رِبْدَاءُ
وَتَوَلَّى الْفَرَسَانُ أَنْ يَقْطَعُوا الرُّجْعَى، إِذَا ضَاقَ بِالْعَدُوِّ الْفَضَاءُ
بِسَرَايَا الْأَمِيرِ بُلَّتْ سِيُوفُ لَاهِبَاتُ وَمَا لَهْنُ ارْتَوَاءُ
كَلَّمَا زَادَهَا السَّقَاةُ نَجِيعًا جَدًّا ظَمُّ وَجَلْجَلِ اسْتِسْقَاءُ
بُورِغَتِ فِرْقَةُ الْحِجَازِ قَبَادَتْ قَبْلَ أَنْ يَعْتَلِيَ لَهَا ضَوْضَاءُ
قَبْلَ أَنْ يَنْطَلِقَ الشَّقِيُّ بِأَهْ بَتَرْتُهُ الْبَوَاتِرُ الْحَدْبَاءُ
أَهْمَةٌ نِصْفُهَا يَطِيرُ مَعَ الرَّأْسِ، وَتَطْوِي الْبَقِيَّةَ الْأَحْنَاءُ
وَتَلْتَمِشُ سَرِيَّةُ فِسْرَايَا خَدَتْ كَاللُّظَى عِرَاهُ انْطِفَاءُ
قَاتَلَتْ عَنْ أَمِيرِهَا فَنَجَا 'حَرًّا' يَقِيهِ الظَّلَامُ وَالْأَشْلَاءُ
جَوْلَ نَجْلِ الْحُسَيْنِ كَمْ بَادَ جِسْمُ وَاسْتَطَابَتْ كَأْسُ الرَّدَى حَوْبَاءُ

١. تقدم خالد ورجاله، وفيهم من شردوا من تربة، فدخلوا الباطن وقصدوا الاستيلاء على عيتم الأمير .
مشوا وسلاحهم الأبيض يلوح في ظلام ثقاف فاصطدموا بالسرايا الحجازية وذبحوها . وهجم ابن بجاد ورجاله
وكلمهم من العطف على الجنود النظامية وراء المتاريس والأطواب، فكانت السيوف تشتمل كالفواصل . وكان
ابن العطف يشب على المدفع فيذبح الضابط المفيد وراءه بالحديد ولكن هول الفوضى والظلام كان أظلم من
النذيع . أما فرقة الخيل فقد قطعت خط الرجعى خصوصاً على حرس الأمير فلم ينج غير الأمير نفسه وبعض
الضباط . فر الأمير عبد الله قبل أن يصل خالد ورجاله إلى سرايا العيتم ثبت بعضهم في النضال ليردوا العدو
عن تعبه وسقط من حاول الفرار صريعاً تحت سنابك الخيل .
(ت . ن .)

٢. الحوباء : الروح .

بَادَ جُندَ الحِجَازِ لَكِنْ سِبَاعًا لَا فُسُولُ فِيهِمْ وَلَا جُبْنَاءُ
 إِنْ تَهَاوَوْا فَبَعْدَ أَنْ سَبَقْتَهُمْ لِلصَّعِيدِ الْمُضْرَجِ الْأَعْضَاءُ
 مَاتَ «رَاهُو» فَكَانَ لِلْغَرْبِ قَسْطُ بَاغْتِدَاءِ الْأَمِيرِ نَعَمْ الْفِدَاءُ
 سَلَبَ الْمَوْتَ مِنْهُمْ كُلَّ حَيٍّ فَعَدِيدِ الْأَصَابِعِ الْأَحْيَاءُ

...

سَلَّ عَدِيلَ الْأَسْوَدِ شِبْلَ «يَجَادٍ» كَيْفَ كَانَ الْهَجُومُ وَالْإِبْلَاءُ
 كَيْفَ حَمَسُ الْقَوَادِ بَيْنَ يَدَيْهِ أَعَزُّ أَوْ كُبُوشَةُ حِجَاءُ
 كَيْفَ تِلْكَ الْمَدَائِفُ الرُّبْدُ أَحْطَابُ خَلَّتْ مِنْ لُبَابِهَا جُوفَاءُ
 فَإِذَا أُطْلِقَتْ فَإِنَّ الشَّطَايَا بَارَقَاتُ الدُّمَى أَوْ الْحَصْبَاءُ
 إِذْ يَكْرُونَ صَوْبَهَا بِفَوْوسٍ أَوْ سُيُوفٍ لَهَا عَلَيْهَا وَفَاءُ
 يَقْحَمُ «الْعَطْفُ» الْمَتَارِيسَ وَثْبًا مِثْلَهَا تَعْبَرُ السُّهُولَ الظُّبَاءُ
 لَا يُبَالُونَ بِالَّذِي كَانَ فِيهَا مِنْ كِمَاةٍ فَأَهْلُهَا دَفْنَاءُ
 مَا دَرَى الْخَافِرُونَ إِذْ حَفَرُوهَا أَنَّ ذَلِكَ التُّرْبَ النَّبِيشَ الْفَطَاءُ
 مَا «سَدُومٌ» وَخَطْبُهَا وَدُخَانُ تَحَمَّتْ مِنْ رُكَامِهِ الْأَجْوَاءُ
 كَفْتَامُ الْبَارُودِ وَالنَّقْعُ مَنْشُورٌ وَقَدْ غُلْفَ الْعَيُونَ الْعَمَاءُ
 إِنْ تَلَحَّ نَجْمَةٌ فَبِثْرَةٍ مَجْدُورٍ أَوْ نَجْمَةٍ سُودَاءُ
 لَا ضِيَاءَ إِلَّا وَمِيزُ الْمَنَائِي قَذَفَتْهُ الْبِنَادِقُ السَّمَرَاءُ
 أَوْ شَرَارُ السَّنَابِكِ الْحَمْرِ دَاسَتْ فِي حَدِيدٍ فَذَرَّ مِنْهُ الضِّيَاءُ

لا صراخٌ إلا ضجيجُ الضحايا
أو صليل السلاح فالبيضُ فُلْتُ
ليس إلا مقابضُ في أكفٍ
فما جهدُ ساعتين ألوفاً
جرَّهم للقتال صيتُ ملكٍ
من نجا منهمُ إلى الحصنِ ولى
٤٥ يفرُّقُ الحصنُ من «بجادٍ» فيأبى
حيث حلَّ «الإخوان» إخوان حربٍ
وعجيجُ مُرَجِّعٍ ورُغاءُ
وعراها بعد القراع التواء
جهلتُ ما الكلالُ، ما الإغيا
لاكتساح «الأحساء» و«النجد» جاءوا
جرَّفتهم إلى الردى كبرياء
لو يُنجي إلى الحصون التجاء
برُّجه أن يحلَّه التزلا
فالقلاعُ السماءُ دُرُسُ عفا.

...

طلع الفجرُ فالساجدُ منهم والمحاربُ، للصلاة ملا
في انتهاب الأرواح أسدُ مُضَرَّةٌ، وفي مطلع الوغى أتقيا
صَبَّحُوا اللهَ بالصلاة جثياً واستحبوا الوضوء حيث الدماء
باكروا الحصنَ بالذباح، فكان
عند حمرِ الجدران قامت روابٍ
أوحلت من دمٍ صليبٍ تلاعُ
ما نجا غيرُ من أقي ابن «لؤي»
من رجالٍ، وخضبت أفياء
وارتوت سبخةٌ، وغص فناء
لاجئاً تائباً براه الحياء

ذاب جيش الحسين ذوب جليدٍ واهنٍ أشرقت عليه ذكاه

...

٩٥ كان عبد العزيز ألب جيشاً يفتح الشرق، لو أراد وشاؤا
 مسرعاً للغيث إسراع صقير من فراخ له أناه النداء
 فدرى في الطريق أن قضي الأمر، وذاب الخيس والحبال
 الأمير الذي ترعرع في الحرب، ومن ثديها أناه اللباء
 الذي للجهاد رباه أهله، وبالسرد قمطته النساء
 الذي كان بالسيوف يلهى ودماه الذوابل الهيفاء
 الذي شب في العرين، حواليه أسود فراسة ولباء
 الذي لفه الشقاء فضراه، كما خشن السباع الضراء
 الذي بالدماء كحل جفنيه، لدن لأمس الجفون ضياء

١ ان الذين نجوا من الذبح تلك الليلة ولم يستطيعوا الفرار لجأوا الى الحصن فهجم عليهم الاخوان صباحاً وأبادوهم، فتراكت الجثث بعضها فوق بعض . وكان من اللاجئين الشريف شاكر فكبت له النجاة، ومعه شاب من الاشراف اسمه عون بن هاشم اجتمعت به في جدة (الكلام للريحاني الذي تأخذ عنه معظم معلوماتنا كما يظهر من الهوامش) في رحلتي الثالثة اليها، وهو يومذاك في العشرين من سنة . وقد كان عمره يوم شهد تربة خمس عشرة سنة . قال الشريف عون يمدني عن هول ذلك اليوم : « رأيت الدم في تربة يجري كالنهر بين النخيل وبقيت سنتين عندما أرى الماء الجارية أفلقها والله حمراء، ورأيت القتلى في الحصن متراكمة، قبل أن طلعت من الشباك ومن أعجب ما رأيت، رأيت الاخوان أثناء المعركة يدخلون الجامع ليصلوا ثم يعودون الى القتال » .

ولم ينج من جيش الامير النظامي غير ستة ضباط واثني عشر جندياً . ولم ينج من البدو غير من سلّموا أو انضموا الى جنود خالد وعددهم لا يتجاوز الالف فيكون الموت قد تقاضى خمة آلاف نفس بشرية جزاء جهل الانسان وغروره، بل خمة آلاف وخمسة لان الاخوان دفعوا قسماً من الضريبة فقد خسروا أربعمئة من رجال النطفط ومئة من أهل تربة والحرمة .
 (ت . ن .)

٢ اللباء : اول اللبن . ٣ السرد : الدرع . ٤ لباء : مفردها لبؤة .

الذي لم يَنْمَ على غير حربٍ وَصَلَتْهَا وَقَائِعُ شعوا،
 المواضي منه استمدَّتْ حَيَّاهَا، فمن راحتيه كان المضاء ١٥٥
 سيفه في القتال كفُّ عروسٍ لم تُزِيلْ بَنَانِهَا إِحْنًا
 الذي يستجير منه السبْنَتِي وتفرُّ الجنادل الصمَّاءُ
 راعه ما رأى «بترية» من هولٍ، فَسَحَّتْ مَدَامِعُ وطفاء
 الذي مابكى لِمَصْرَعٍ «سعدٍ» وهو منه الضلوع والأحشاء
 ساءه أن يُقال إنَّ «أبا تركي» أَفَاضَتْ شُؤْنَهُ البُلُوءُ
 ذلك الليثُ هالَه عدد القتلى، فألوى وفي الجفون البكا
 كان حصدُ المنون خمسة آلافٍ شباباً، مشى عليها البلا
 الألى قد توشَّحوا المجدَ باتوا وعليهم من الذباب ردا
 رُبَّ أنفٍ، كان النسيمُ يُداريه، عَلَّتْهُ ذُبَابَةٌ زرقاء
 وعيونٍ تَغَوَّرَتْ، ولقد كانت نجوماً يُشعُّ منها الذكاء ١١٥
 والحدود التي تُصَعَّرُ، والأعناق من فرط زهوها صيدا
 دَرَجَ النملُ فوقها، والجباهُ الشمَّ عاثتْ بحسنها خنفساء
 وبطونٍ بَقِيرَةٍ لعب الدود عليها، وأنداحتِ الأمعاء
 كم قَتِيلٍ تَقَسَّمَتْهُ الشظايا فاستطار المرميُّ والأجزاء
 كفصونٍ يبيسةٍ مَزَقَتْهَا الريحُ، من بعد ما براها الشتاء
 كان عبدُ العزيز قيدومَ حربٍ لا عتياً هانت عليه الدماء

قاصداً في الرجال، عيلته الجيش، وقواد جنده أبناء
 عالماً أنهم رياحين أكباد، تفانت في حبها الأثداء
 أن فيهم تفاخرت أمهات وترجى الديومة الآباء
 أن بالنسل للمقيم حياة فاذا مات لم يفتة العزاء
 كان فوق الفتوح والنصر إنساناً، وفيه الى النجوم انتاء
 فيه من همّة الأسود ومماً في الحنايا تكنه الشعراء
 من شعور ورحمة وشفاح حجبها المطامح الفيحاء
 كشفت هذه المشاعر أرزاء قضى من جرائها الأبرياء
 فبكى سيد الأسود «أوتركي»، وأنت لشجوه العليا
 لم تعود تلك الدموع الغوالي والآلي من شأنهن الغلاء
 إن من ضن بالدموع، ولو سراً، لتقسو على تراه السماء
 أرحم الراحمين، سبحانه الله، فظل لظله الرحاء
 وانتصار الإنسان فيك، «أباتركي»، لجد تجده الآباء
 أنت في «تربة» بكيّاً لأعلى منك يوم انحنى عليك السناء
 يوم عيد «الرياض» إذ كل أفق ليلة القدر ماج فيها البهاء
 صفق النخل ذلك اليوم، والآن على وجنتيك، هل الرؤا

١ لم يعلم الأمير عبد العزيز بانتصار جيشه في تربة إلا بعد الوقعة بخمسة أيام، فقد كان قادماً من نجد بجيش عدده اثنا عشر ألف مقاتل، فلقى وهو في الطريق بين ماء الفصلية والحرمة من قس عليه الخبر. استمر عبد العزيز سائراً الى الحرمة ومنها الى تربة فبكى عندما شاهد فيها حصاد الموت. وعندما صاح جنود خالد وابن بجاد: الى الطائف، رخص لنا بالطائف منهم قائلاً: «كفى الباغي جزاء بغي».

إِذَا تَأْتَاكَ «الْإِخْوَانُ» حَمْسًا وَفِيهِمْ مِنْ «حَمِيٍّ النَّصْرِ الطَّرِيفِ» انْتِشَاءً^١
 وَيَقُولُونَ: «مُرْ نَسِرْ لِحِجَازٍ فَتَمَّ الْقَصِيدَةَ الْعَصَاءُ
 نَزَلَ «الطَائِفَ» الْجَمِيلَ مَصِيفًا حَيْثُ يَحْلُو الرُّمَانُ وَالْأَشْدَا
 حَسْبُكُمْ قُلْتَ فَاتَّقُوا اللَّهَ، وَالْبَاغِي أَنَا مِنْ السَّمَاءِ الْجَزَاءُ
 حَسْبُكُمْ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ سِلَاحٍ وَعَتَادٍ غَصَّتْ بِهِ الْبَطْحَاءُ
 حَازَهُ ابْنُ الْحُسَيْنِ مِنْذُ شُهُورٍ فَلَنِعْمَ اللَّقَى أَوْ الْإِهْدَاءُ^٢
 كُنْتُ حَقًّا تَبَغِي فَأَرُمْتَ فَتَحًا رُبَّمَا قِيلَ، كَانَ مِنْهُ اعْتِدَاءُ

...

١٤٠ بلغ الهاربُ الحِجَازَ وَطَارَتْ بَانْتِصَارِ «الْخَوَارِجِ» الْأَنْبَاءُ
 قِيلَ: عَدُوُّ الْجَرَادِ وَالرَّمْلِ قَوْمٌ جَنَّةٌ أَوْ أَبَالَسُ خَبِثَاءُ
 وَفِشَا فِي الْحِجَازِ وَالشَّامِ إِرْجَافٌ تَوَلَّتْ إِمْدَادَهُ الْأَصْدَاءُ
 نَسَجَ الْخَوْفُ وَالتَّوَهُمُ أَغْوَالًا شِدَادًا، تَقُودُهَا الْعَنْقَاءُ
 فَلَوْفُ الْحَجَّاجِ بَدَّدَهَا الذَّعْرُ، وَرَبِيعَ الْحَطِيمِ «وَالْقَرَاءُ»^٣
 لَيْسَ بَيْنَ الصَّفَا وَمَرْوَةَ مِنْ يَسْعَى، وَلَا عِنْدَ زَمْزَمٍ سَقَاءُ
 إِنَّمَا السَّعْيُ كَانَ لِلْغَرْبِ، حَيْثُ الْبَحْرُ، حَيْثُ النِّجَاحُ وَالْمِينَاءُ
 تَحِمَّتْ «جَدَّةٌ» بِجَيْشٍ غَفِيرٍ لَا مَنَامَ، لَا مَشْرَبَ، لَا غِذَاءَ

١ الخمس مفردا الخمس وهو الشديد المنصب في الدين أو القتال . قال الأمير عبد الله في كتابه الأول إلى ابن سعود يبنه بتسليم المدينة (يثرب) استولينا على جميع ما فيها من السلاح الثقيل والخفيف وجميع الاملاك والآلات والادوات العائدة للحكومة العابرة . استولى عليها في ربيع الثاني ثم خسرها بعد أربعة أشهر . ٢ التقى ما ألقى . ٣ القرعاء : مكة . (ت . ن .)

من لُحجِ الهندِ الغرائِ الحیارِ قَطَعَ اللیلَ لَقَمَیْنِ العِراءِ^١
 غیرُ مندوبٍ «لندن» مستغیثاً بالتی رهنُ أمرها الدأما
 لِتُعَدَّ السفینَ للنقلِ لكن لا سفینُ: أجابه الوزرا
 لا سفینُ ولا جنودُ لتحمي مَلِکاً لا یهابه الأقویاء
 ینصرُ الإنکلیزُ من یحرزُ النصرَ فِیجَنی مع الدیون الرباء
 من له ثروةٌ یزادُ ومن لا ثروةٌ عنده فنه البراء
 سُنَّةُ الناسِ فالمغانمِ رَوْضُ أبعدت عن ثماره الضعفاء
 حسبُ أنکلیترَا لتحمي حسیناً أن تُرادِ العهودُ والوسطاء
 فترى فی الأميرِ خصماً شریفاً ما تعدتُ علوهُ الشرفاء
 یقطعُ العهدَ أنه الرائدُ السلمَ فلا منَّةٌ ولا استعلاء
 أنْ فتحَ القلوبَ بالحبِّ أولى من حروبِ أقلها دَها
 أنْ مهدَ النبیَّ غالی علیه لَنْ تری بحِرةِ الدماءِ «حِراء»^٢
 اکبرُ الإنکلیزِ قدرٌ عظیمٌ أغفلوه، وما بشمسٍ خفاء
 علِموه البَندَ الذی جَلَّ المَدَنُ وتآهتُ فی ظِلِّه الصحراء
 أنه الطودُ لا یزعزعه فوزٌ مبینٌ، أو کسرةٌ شِعاء
 أنْ ما قاله به حاسدوه نفثةُ السُمِّ، أو کلامُ هراء
 أنْ للزَیفِ ومضةٌ ثم تمضي وتظلُّ الحقیقةُ الزهراء

١ الحج بضم الحيم مفردا حاج وقطع الليل كناية عن لون الهند . ٢ أقام عبد العزيز خمسة عشر يوماً في تربة وقد جاءه في اليوم العاشر برفقة من الحكومة البريطانية بلندن بواسطة وكيلها السياسي بجدة تسأله فيها ألا يتقدم الى الطائف . فعلت ذلك إكراماً للملك حسين وإجابة لطلبه وكان ابن سعود في نظرها كريماً . ٣ حراء : الغار الذي كان ينفرده فيه النبي قبل البعثة وفيه أنزلت عليه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق .

أكبروا هبةً ورأياً حساماً حين في الروع تشعبُ الآراءُ
علموا أنه الحبيب الذي تأوي الى ظلٍ بندهِ الأهواءُ
كلُّ حبٍّ من داخلٍ فافتداهُ كلُّ قسرٍ من خارجٍ فطلاه
سائلِ القلبِ وحده عن زعيمٍ حيث يقوى الهوى يموت الرياءُ
لا يغرُنكَ التملُّقُ والزلفى وتبخيرُ حاكمٍ وانحناءُ
١٦٠ قدرُ ما أخصبَ الفؤادُ بحبٍّ قدرُ ما رقَّ بهرجٌ وغشاءُ
إنَّ ما بين سيدٍ ومُحبِّه بياناً ما طاله الفصحاءُ
ومضاتُ الشعاعِ تصدر عن قطبٍ كما تفتحُ السنا كهرباً
لمحاتُ فيها الحياةُ تَمُتُّ وبعيدُ العظا والايحاءُ
هبةُ الله للأقلين في الدنيا، فما ظافرُ بها من يشاءُ
إنَّ السرُّ سرُّ شخصيَّةِ الإنسان، حارت في كُنْهِهِ العلماءُ
كان عبد العزيز واحدَ عصرٍ وعظيماً من دونه العظامُ

٢٧ حصار حائل

المليك الذي أباد الجحافل صلف منه واغترار بباطل
 ود بالنار غسل عار انهزام لو رأى حول عرشه من يُقاتل
 عاجز سيفه عن ابن سعود فليجرد عليه صمصام «حائل»
 عندنا المال : قال يا ابن رشيد وتلال مدافع وقنابل
 ورواب من «بندق» وسيوف ورماح، لو أن للرمح ناقل
 وافر الزاد والعتاد علينا وعليك المدربون البواسل

...

هم بالنقض والوقية لولا أن في «شمر» سراة أمائل
 شاقهم ما راوه ابن سعود من صفات غر، وحلو شمائل
 وصفاء التوحيد فاتبعوه ليس كالدين للمودة واصل

١ بعد ما نكب الحسين في تربة فخر جيشه فتح قلبه لابن الرشيد الشاب، قلبه وخزنته ومستودع السلاح والذخيرة في المدينة، فعززت جريدة القبلة اقوال الديوان الهاشمي : «عدوك عدونا يا ابني بل عدو العرب والإسلام . وهذا السلاح منا للحرب وهذا المال أما الرجال فعندك شمر وفيها الأشبال» .

إن يكونوا من « حایل » ورعاياها، فعبد العزيز في الذهن مائل

...

وتولى ابن « متعب » بعد عهد بدم الأقربين ريان حافل
 طلب الصلح، أي معنى لصلح؟ هو في « حایل » حباله حایل
 فأجاب الأمير للسلم لكن لا سريع الرضا ولا متساهل
 آلمته خيانة بعد أخرى وأكاذيب سيلها متواصل ١٩٥
 باطلا يطلب الحفاظ على العهد، فما في الرشيد غير الناكل
 المقاليد في يد « الست » فانظر وتعجب، مآسيا ومهازل
 حسن أن تكون، في وحشة الدنيا، النساء المواصلات عنادل
 وجيب على المسمع، في الأمساء، بعد العناء، هدل الزواجل
 السياسات! ما السياسة للأنثى، وفي غورها يغور الفطاحل
 فليبوأن سدة البيت عرشا فاذا امتزن فليكن قوابل

...

شهرت « حایل » على نجد حربا غاب عن شهرها موال وعافل

١ كان عبدالله ابن متعب قد تولى الامر في حایل بعد مقتل سعود الرشيد ومصرع قاتله ابن طلال الرشيد في اليوم نفسه . وطلب الصلح من ابن سعود فعارض أهل نجد وتشدد ابن سعود في الشروط، قائلا لمرسل حایل اني يجيكم الى كل ما تطلبون ولكني ألفت نظركم الى ما بدا من امرائكم السابقين من الخيانات ونكث العهود . وهذه كتبهم الى الشريف . أما شؤون شمر الداخلية فلا شأن لي فيها . أما الخارجية فانها تمس بمصلحة نجد فلا بد من تنازلكم لي عنها . عاد الوفد الى حایل يعمل الشروط . اما الاهالي واكثر المقدمين في شمر فقبلوا بها . ولكن الفريق الآخر، ومن ورائه عبيد القصر، والسيدة فاطمة السبهان (ستي فاطمة) الحاكمة من وراء الستار فأبوا كلهم الإذعان لابن سعود وقالوا الحرب فأعلنت الحرب . (ت . ن .)

شَهِرَتْ «حَايِلُ» عَلَى نَجْدٍ حَرْبًا غَابَ عَنْ شَهْرِهَا مُوَالٌ وَعَاقِلٌ
 لَمْ يَرْمَهَا عَبْدُ الْعَزِيزِ، وَرَأَى مُوَاهَا عَوَانًا تَحْمَرُ فِيهَا الْمَنَاصِلُ
 فَلْيُمِرْسْ بِهَا الْغَضَنْفَرُ شَبَلًا هُوَ مِنْهُ شِجَاعَةٌ وَنَخَائِلُ
 بِأُسُهُ بِأُسُهُ، وَعَيْنَاهُ عَيْنَاهُ، وَقَدْ كَمَا تَطُولُ الذَّوَابِلُ
 يَوْمَ عِيدِ «الرِّيَاضِ» كَانَ هَلَاكًا ضَوَاهُ قَارَنَ الْفُتُوحَ الْأَوَائِلُ
 يُمْنُهُ رَدًّا لِلسَّعُودِ «رِيَاضًا» سَيْفُهُ يَفْتَحُ الْقِلَاعَ «بِحَائِلِ»
 مَنْ يُكْجَلُ أَفْقَ «الرِّيَاضِ» هَلَاكًا يَبْهَرُ الْمَشْرِقِينَ بِدِرًا كَامِلُ
 فِي حَنَائِيهِ عَزْمَةٌ «الْفَيْصَلِ» أَجْدَى، وَمَرْمَى «تَرْكِي» وَعِزَّةٌ وَائِلُ
 مَا اسْتَبَاهُ مِنْذُ الطُّفُولَةِ إِلَّا رَقْصَةُ الْحَرْبِ أَوْ مَتُونُ «الْكَحَائِلِ»
 أَلْمَذَاكِي إِذَا امْتَطَاهَا سَعُودٌ فَهِيَ رَأْسُ شَمِيخٍ، وَذَيْلُ شَائِلِ
 مَرَسَلَاتُ أَعْرَافِهَا طَائِرَاتُ مِثْلَمَا تَمُزِقُ الرِّيَاحُ الْأَجَادِلُ
 فَكَأَنَّ الْجِيَادَ تَفَقَّهُ سِرًّا فَتُجَلِّي تَحْتَ الْأَصِيلِ الْأَصَائِلُ
 لَا تَمَسُّ الْأَسْوَاطُ مِنْهُمْ جَلْدًا وَالْمَهَامِيزُ لَا تَدُقُّ الْأَيَاطِلُ
 فَإِذَا مَا تَبَوَّأَ السَّرَجُ، فَالْمِيدَانُ عَرَسٌ تَحْتَالُ فِيهِ الصَّوَاهِلُ
 قَدْ عَرَفْنَ الْأَمِيرَ صَنُوعَ أَبِيهِ إِنَّ هَذَا الشَّدَا لَتَلُكُ الْجَمَائِلُ

...

١ الأجادل : مفردهما الأجدل وهو الصقر . ٢ لم تستخدم الحرب في جبل شمر ، برغم إعلانها إلا بعد سنة . وكان قد جهّز عبد العزيز ابنه سعوداً بحملة على الجبل في صيف هذا العام ، فوصل بها إلى وادي الشعيبة جنوبي جبل أجا وأغار على عربان لابن الرشيد كانوا هناك فأصاب منهم مئتماً . ولكنه لقى المراعي للركائب في الصيف في تلك النواحي ، ولقطة الازراق للجيش لم يتقدم إلى حاييل . (ت . ن .)

جاء وادي «شعيبة» لرشيد فيه حلّ المحالفون القبائل
 فرماهم، فكان فجر انتصار معلناً ما تكون غر الأصائل
 ما ثناه عن «حائل» غير جذب في المراعي، وقلة في الرواحل
 واحتراب «الإخوان» وابن «صباح» فصعيد «الجهري» من الدم واحل
 العقيد «الدويش» رأس «مطير» نمر في الوغى، وفي الرأي غافل
 ذاق منه البلاء جند «صباح» بيد أن «الصباح» راح يخاتل
 ما طل الذئب ثعلب المعى فاذا الإنكليز عون الماطل
 لم يعيش «سالم»، و«أحمد» رام السلم فازاحت العقاب الفواصل

...

توج الإنكليز نجل حسين فيصلاً في العراق، نعم العاهل
 مشعلاً كان في عباقرة الشرق، وقد أطفأ الغروب المشاعل
 فاستوى في «الرياض» أعلام نجد وشيوخ بهم تعز المحافل
 يعلنون الأمير سلطان نجد ويؤلونه الولا، الشامل

١ بعد وفاة الشيخ مبارك تولى الإمارة ابنه جابر فكان حصباً حكيماً . وتوفي في السنة الثانية من حكمه
 فخلفه أخوه سالم تقيضه في السياسة والاخلاق، مما أدى الى خلاف بينه وبين ابن سعود بسبب اعتدائه على
 خليج بين جيبيل والكويت يدعى ببلول . وأفضى ذلك الى واقعة الجهري بين (إخوان) مطير وسالم،
 وانكسر سالم انكاراً شنيعاً ولكنه دخل مع الدويش في مفاوضات ثعلبية انتصر فيها مكر ابن الصباح
 فاصبحت بريطانيا نصيرة له . ولم يعيش سالم طويلاً فانتخب أحمد ابن أخيه جابر خلفاً له وكان في غنى عن وفد
 يصلحه وابن سعود .

٢ في صيف سنة ١٩٢١ بعد انعقاد مؤتمر القاهرة البريطاني، تقرر أن يكون الأمير فيصل ابن الملك حسين
 ملكاً على العراق . فعقد مؤتمر في الرياض حضره العلماء والرؤساء فقرروا ان يتخذ حاكم نجد الأمير عبد
 العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ومن يخلفه بعده لقب سلطان . واعترفت الحكومة البريطانية في ٢٢ أغسطس
 سنة ١٩٢١ لابن سعود ولبن يخلفه من ذريته بلقب سلطان .

(ت. ن.)

ولن بعده ولاية عرش يتلقاه مائل عن مائل
وأقرته «لندن» وتباهت أنها الحق للعدالة كافل
نبأ للأنام أذاه برق وروته للياسمين البلابل
ليس في الأرض منك بالعرش أولى أيها الفاتح المجيد الحلال^١
كل ضوء حيال ضوئك خاب كل نجم تجاهه متضائل
إشدت عرشاً لا منه فيه إلا^٢ للذي يبدع الكبار قلائل
ولصدر كصفحة البحر مساح بعيد المدى عريض الساحل
لم ترث غير صيت مجد عريق شمتة في المساء فوراً آفل
فبنيت العرش القديم جيداً مثلها العرش يبتنى بالسنايل
لو أصاب الجبال ما ذقت من هول لقيال الذرى برتها الزلازل
لا عم عن سنالك إلا ضرير أو لئيم أو حاسد متحامل
فليكن عرشك المعوذ بالله بشيراً بالبادرات الجلائل
«حابل» لم ترل بظل رشيد وهي بنت الجبال أم المعامل

...

زحف الجيش فيلقين، لواء للآخ الوامق السخي الباسل^٣

١ الحلال: الشجاع التام . ٢ الوامق: الحب . بعد المصالحة وابن الصباح استقر ابن سعود أهل نجد ومتى إلى الجبل بعشرة آلاف مقاتل يقود قسماً منهم أخوه محمد والقسم الآخر ابنه سعود . وقد عهد إلى الأول بمحاصرة حابل وإلى الثاني بمهاجمة ثمر . وعندما وصل محمد إلى أطراف المدينة قام أهلها يستأذنون به بإرسال وفد من قبلهم إلى عبد العزيز فأذن بذلك . ومما قاله السلطان الوفاء أن الرئاسة القائمة بين عبد وامرأة لا تدوم، فشرطي للصلح أن تدخلوا في ما دخل فيه أهل نجد قتلوا إلى شوكة الحرب وعائلة الرشيد، فيكون لكم اذ ذاك ما لنا وعليكم ما علينا، وإذا رفضتم فانا زاحف اليكم بنفسي بعد ثلاثة أشهر . (ت . ن .)

شأنه يحصرُ المدينةَ حتى يَكْسرَ الضنكُ خَيْلَةَ المتخايل 240
 ولوا الشبلِ الجليدِ سعودُ هَمَّه يورد السيوفَ النواهل
 من رماياهُ «شمرُ» أجَلدُ الأبطالُ، إن أججَ الوطيسُ المراحل
 طالما يَتَمَوَّعا عيالاً فكانوا خيلَ شومٍ للشاكلات الأراجل
 كان عبدُ العزيزِ يدري فتاهُ حيث حلَّ الرئبالُ فالشبلُ واصل
 من يَكُنْ سَيِّدَ الحسامِ أبوهُ يُثبت الرِّجلَ في الردى غيرَ واجل
 في سعودِ عبدُ العزيزِ فتياً مقبلاً كالربيعِ غبَّ الوابل
 مُستطيلَ الشوى، عريضَ التراقي «ما نعي» الزندين، عبلَ المفاصل
 جَوْهَ الحربِ منذ ما بلغ الحلمُ، وتآقتْ إلى اللجام الأنامل
 أخذ العلمَ عن شيوخِ صلاحٍ أوردوهُ في الدين أصفى المناهل
 فهو عبدُ الرحمن حين يصلي وهو عبدُ العزيز حين يُصاول

...

أمَّ نادي السلطان للصلح وفدُ 250
 فأجاب السلطان لا صلحَ إلا «أن أرى أسرةَ الرشيد موائل»
 «والعتادَ الذي لديكم فأكفي غدره والبلاذُ تكفي الغوائل»
 «أمركم بين مرأةٍ وعبيدٍ بين دَسٍ مُزِرٍ، ورأيٍ فائل»
 «إن أبيتم» فإنني قد بذلت النصحَ محضاً، فلا ملامَ لعاذل»

رجع الوفد والحصار ولكن «حابل» دونها الصعاب الحوائل
 بعد شهرين لم يَفْزَ قِيمُ الأمرِ بِحَلٍّ ولا الأميرُ بطائل
 بيد أن الطلائع الحضر لاحت وأشع الرجاء للمتفائل
 فإذا بابن «متعب» مستجيراً بسعود، يأتيه لهفان ذاهل
 هارباً قلبه من ابن «طلال» من نسيب قرم، وسيف غائل
 260 مريحاً بابن «متعب» جئت حصناً أنت ضيف،
 فأنزل على العفورحياً صار أمر الرشيد لابن «طلال»
 أشبه الناس «بالعزيز رشيد» عابساً طاغياً ظلوماً هائل
 الموالون للسعود محاهم لا قتالاً بل آمين النوازل
 وأباد القرى ودك روايها، وقد كنّ حالات أوائل
 هو صنو الحجاج، ذنب «ثقيف» حيثما مرّ فالدما جداول

١ حاصر الأميران محمد بن عبد الرحمن وسعود بن عبد العزيز المدينة مدة شهرين بدون طائل، ولكنه طرأ على الموقف ما لم يكن في الحبان وهو فرار الأمير عبد الله بن متعب أمير حابل واستسلامه للأمير سعود بن عبد العزيز خوفاً على حياته من محمد بن طلال الذي جاء من (الجوف) بحجة الدفاع عن حابل، فأخذ الأمير سعود عبد الله بن متعب إلى الرياض غنيمة باردة. وكان السلطان قد عاد إلى العاصمة، وأمر سعوداً بالرجوع من الجبل، لأنه فقد بسبب القَيْظِ وقلة المراعي عدداً كبيراً من رواحله. وقد تولي الإمارة في حابل محمد بن طلال آل رشيد، وهو شاب شجاع مستهتر، فباشر القتال في تحله على قرى حابل التي كان أهلها مواليين لابن سعود حملات شعواء، فهدمها بعد أن قتل صبراً أغلب رجالها. فأمر السلطان فيصل الدويش بالزحف إلى حابل ومحاصرتها حتى يأتيه بنفسه، فقتل بالدين من رجاله واحتل قرية الجنامية، على مقربة من حابل.

(ت. ن.)

٢ المقصود وجه الشبه بين ابن طلال وعبد العزيز الرشيد الطاغية الذي أسهبنا فيه القول. ٣ الحجاج: ابن يوسف الثقفي.

إِنَّ مَنْ يَقْتُلُ الْبَرِيثِينَ صَبْرًا لَا شَجَاعًا يُعَدُّ لَكِنْ قَاتِلٌ

...

فَلَيْسَ «فَيْصَلُ الدَّوَيْشِ» إِلَيْهِ ٢٦٥
جَاءَهُ «فَيْصَلُ» عَقِيدُ «مُطِيرِ»
فَالْتَقَاهُ خَصِيمُهُ فِي الضَّوَاحِي
عَسْكَرَ ابْنِ الرَّشِيدِ حَيْثُ الرَّوَاحِي
رَامِيًا بِالسَّوَاطِ خَصْمًا عَنِيدًا
غَيْرُ هَذَا السَّلَاحِ أَمْضَى وَأَجْدَى
كَانَ «حَقُّ» الدَّوَيْشِ مَقْتَلُهُ الْبَادِي، وَقَدْ أُعْيَتْ «الرَّشِيدُ» الْمَقَاتِلُ
فَلَيْسَ لَهُ رِسَالَةٌ مَكْرٍ وَلَيْكُنْ لَيْنُ الْكَلَامِ الْجَبَائِلُ
قَالَ نَاشِدُكَ الَّذِي بَرَأَ الدُّنْيَا، وَسَوَّى دَرْبَ النُّجُومِ مَنَازِلُ
نَتَفَانِي وَلَيْسَ لِلْقَتْلِ دَاعٍ وَكَلَانَا مُوَحِّدُ اللَّهِ فَاضِلُ
فَالِي سُنَّةِ الْإِلَهِ وَطَهُ بُورِكُ الْمُصْحَفِ الْمُجِيدُ الْفَاضِلُ
إِذْ نَفَى الْمُحْكَمُونَ لِقَوْلِ اللَّهِ، سُبْحَانَهُ الْعَزِيزُ الْقَائِلُ

...

١ حمس : شجعان . ولقد عسكر ابن طلال في النصيبية المحصنة بتلال هي متاريس طبيعية . وكان يقرب الدويش بمدفعيته ضرباً متواصلاً فلم يفلح . فعمد إلى الحيلة وكتب إلى الدويش كتاباً ورد فيه إنا جميعاً مسلمون وبيننا كتاب الله وسنة رسوله فاستجاب الدويش الطائش للتحكيم، وما كاد ينسى خدعة سالم الصباح . وأهمل الجانب الشمالي من معسكره فاغتنمها أمير حايلا فرصة وأخذ يصبّ وأبلاً من الرصاص على الإخوان .

الكلام الخلابُ غرَّ «دويشاً» وهو حقُّ به أريدَ الباطل
 نسيَ الأُمسَ خدعةً من «صباح» جرحها الغضُّ لم يزل غير دامل
 نسي «الأشعري» في يوم «صفين»، كأنَّ التاريخَ علمٌ نافل
 فارتضى، مُهملًا حراسة جيش جادَه الخصمُ من رصاصٍ، بوابل
 الرسولُ المذعورُ خفَّ إلى السلطان، في وجهه، شحوبُ الثواكل
 يسألُ الغوثَ مسرعاً فالمتايا في رجالِ الهرجِ «الدويش» مناجل
 بانَ في طلعة الولي احتدامٌ كاحتدام الرئبال غضبان صائل
 «أنجدِ القومَ يا سعودُ بفرسانٍ، كزعزاعة الرياح العواجل»
 «طرَّ اليهم بكلِّ أجردٍ سباقٍ هضم الحشا، صليب الكاهل»
 خفَّ شبلُ العرين كالسيل منقضاً، وكالباز في انتهاب المراحل
 وتلاه السلطان بالجيش حتى حلَّ حيث «الدويش» بالأُمس نازل
 جاء عبدُ العزيز يا ابن «طلال» جاك إجلدُ إن تكن أنت هازل

...

طلع الصبح قانياً، من لهيب النار، تَرَجَّى إلى العدوِّ رسائل
 غير مُعوَّجة السطور، سديدات المرامي، بالفاجعات حوامل

١ الهرج: الأحقق. ٢ وصل رسول الدويش عند العصر إلى مخيم السلطان فغضب لما حدث وأمر ابنه سعوداً أن يركب بالخيول ويتقدمه مسرعاً. ٣ هجم الإخوان هجمة واحدة والقناصل تؤزُّ فوق رؤوسهم فقتلوا عدداً من البدو وشتتوا صفوف العدو. ففر ابن طلال وأكثر رجاله إلى جبل أجاثم إلى حاييل. ولأذن الآخرون بمصون النصيبية وقد صوّبت المدافع إلى الحصون قتلت أكثر من لاذوا بها وسلمت الباقون.

تحتها الجيش زاحف، كجذوع الغاب، وارتته من دخان غلائل
 صعد في الجبال كالنهر همدأراً، لو أن الصعود شأن الجدائل
 من خفيف على الحصان كمي ورشيق على الصخورة راجل
 صوب «نصيصة» يكرّون أسراباً، كما تنشد المياه الأيائل
 فالعدو المهزوم بين قتيل وأسير لم يمتن بسلاسل
 ما أسير السلطان يرضى فراراً من ير الحصب لا يفر لقاحل
 300 من نجا منهم مع ابن «طلال» راح يبغي أم القلاع الهوائل
 لم يكن خيرها الذي شاده الإنسان، فأنهد في بناء العامل
 ضارباً في الأساس، بالأمعز الصوّان، يفري أناملاً ومعاول
 خير حصن «لحابل» جبالها «فأجا» دونها، و«سلمى» تناضل
 في ثناياها مناقب طي فالثرى ما يزال بالبأس أهل
 حيثما جاز حاتم لا الثرى جعد، ولا الطود بالرعاية باخل
 جبالها بعوذة حوطاها ليس إلا غرب الجنوب لداخل

١ إن مدينة حابل كائنة بين جبلي أجا وسلمى. لها سهل ينسج إلى الغرب ويضيق إلى الشمال فيفتح من
 الجهة الشمالية الشرقية طريقاً إلى النجف وينقلص في الجهة الشرقية وفي شطر من الجنوبية. وهي إذن محاطة
 من جهاتها الثلاث بالجبال، ولا يمكن الاستيلاء عليها من غير الجهة الغربية والشرقية الجنوبي الغربي الذي تمتد
 منه الطريق إلى نجد. في هذا الطريق جاء السلطان فنقل من الجنامية بعد أن تفهقر ابن طلال إلى المدينة
 ونزل بينها وبين النصيصة. وهناك قسم جيشه إلى فرقتين فرقة بقيت معه والأخرى تقدمت إلى جبل أجا فملك
 مركزاً منه حصيناً. وهناك مركز آخر يدعى عقدة غرب البلد يحسبه أهل حابل أحصن حصونهم الطبيعية.
 تقدم الجنود وهم يفربون العربان النازلين الجبل في طريقهم فيقتلون ويشتتون ويغنمون الغنائم فاستولوا في
 اليوم السابع على عقدة. واستمروا زاحفين إلى حابل وهم يتمرسون بأكياس الرمل حتى وصلوا إلى مكان
 بينها وبين جبل أجا اتخذوه خطاً أولاً للدفاع. وكان الهاجون وراهم قد أحاطوا بالمدينة من جهتها الغربية
 والغربية الجنوبية. (ت. ن.)

فاذا جاءها بنية فتح فالمنايا على الدخيل هواطيل

...

غير عبد العزيز يخشى طريقاً فرشه النار، جانباه المفاصل
أنذر القوم إن يروموا سلاماً أو هي الحرب والفناء العاجل
٣١٥ فارتضوا إن يؤمّر ابن «طلال» ذلك الرأي كان جهد المحاول
لا ولوعاً بحاكم كان إلا من صفات النمورة الرقط عاقل
ساقهم للجواب، قسراً، كما يمنع بكراً من الزواج معاضل
حلمه الفخم كان آخر خيط من شعاع هاو، وبند مائل
إن هوى فالرشيد، في ذمة التاريخ، طيف مضى، وذكر آفل
لا سلام وراءه ابن «طلال» وحصون زهر النجوم تطاول
إن يك الحلم بالسلطين أولى فالذكا الوقاد رأس الفضائل
قطع جذر الشرور خير وأولى من زكاة تسدى وشيد الهياكل
إن شق البثور فعل حكيم لا يرى العطر شافياً للدمايل
مل عبد العزيز معزوفة الصلح، وصكت أذنيه تلك الجلاجل

١ ارتقى أهل حاييل بالتسليم ولكن ابن طلال أكرههم أن يشترطوا على السلطان تأميره على المدينة . وكان سوادهم قد نفر من ابن طلال لظلمه وطفائه وكانوا يشتون من الحصار فقد أرسلوا غير مرة يقولون لا تتركنا فريسة لابن طلال . وفي الوقت نفسه كانوا يرجونه ألا يقرب المدينة بالدافع . وعندما أدرك ابن طلال أن الإمارة لا نجح به باستطاعتهم كتب الى المغوض السامي البريطاني في العراق يتوسطه مراراً ولكن السلطان رفض ذلك . (ت . ن .)

٢ عضل المرأة عن الزواج : منعها منه .

٣٢٠ أي معنى للصلح عند رشيد؟ وهم الخالعه خلع المبادل

...

يا جنود السلطان هذا «أجا» يزهو فأين الأسود غلب الكواهل
 أين من يقطع الرعان وثوباً؟ أين ترب الوعول في الطود وائل
 يظاً الشوك عامداً لا يبالي حافي الرجل كان، أم كان ناعل
 ما الأراوي الخفاف أسرع منهم طافرات على الصخور قوافل
 لا يرون الصمان إلا دميماً والحصون العقاب إلا نوافل
 حيث حلوا فالحصن أمسى رفيعاً ورأوه قبل الإغارة سافل
 بلغوه على رؤوس الأعادي بعد ما حالت الأعالي أسافل
 ملكوا «عقدة» وكانت «كتيما» صعباً ورفعة ومداخل
 «حاييل» خلفها ولكن هناك السهل خال من كل واق وائل
 ٣٣٠ كشفوا للعدو فليسمكوا الرمل تلالاً تقي الرجال الغوائل
 ها هو السور قد بدا، وبروج الحصن باتت في بعد رمية نابل
 ليس إلا أن تفتح النار أفواهاً، وتلقي باللاهبات القنابل
 لم يردها السلطان ضربة إفناء تساوي أراذلاً بأفاضل
 تحصد القمح والزؤان ويهوي

جنب «قس»، أوجنب «سحبان» «باقل»

١ الأراوي مفردتها الأروية وهو ضأن الجبل. ولا ريب أنه أسرع من الغزال في الطفر على الصخور.
 ٢ قس وسحبان: مشهوران بالفصاحة كما اشتهر باقل بالعمى.

الموالون للسعود استجاروا من غشوم على النهى متناول
 « لا تدعنا فريسة لظلوم كالح الناب من دم الشعب ناهل »
 « كن رفيقاً بنا فلا يحصد المدفع أطفالنا، ويُفني الحلائل »

....

طال عهد الحصار ستين يوماً عدّها المبتلى قروناً كوامل
 شبح الجوع روع الناس حتى ذكره بات غصة لا كل
 وانتظار الخطوب آلم منها شر خطب الإنسان ما كان آجل³⁴⁰
 لبن المرضعات جف من الهم، وقد طلق الرقاد الحوامل
 عطلت خرد الكواعب من حلي، فوارين في الشقاء الخلاخل
 غاض لون الأبنوس في الأعين النجل، ولون الضحى بخد ناحل
 كل بيت، ولو خلا من فقيد مائماً كان للنساء الفواسل
 يلتسن الفاسول وهو عزيز ويوجهن آهة للمناخل
 لفها العنكبوت منذ أسابيع، كما لف منبراً ومكاحل
 ولم الكحل، والكواعب إلا عن جريش من الشعر ذواهل
 والشباب الذي يهف إلى الحسن، لهيف كعشبة السطح ذابل
 وتراهم متعتين حيارى حيرة القوم يوم نكبة بابل
 إذ يهيمون كالسوائم أسراباً، ويستجمع المصاب الفصائل³⁵⁰

١ الفاسول: الصابون . ٢ المنبر: هو المكان الذي توضع فيه الإبرة .

شَرِّدَا يَلْغَطُونُ، أَوْ يَنْكُتُونُ الْأَرْضَ، جَهَمَ الْوُجُوهُ حَوْلَ الْمَزَابِلِ
 كُلُّ حَيٍّ «بَحَايِيلٍ» شَفَّهَ الْيَأْسُ، سَوَى ذَلِكَ الْغَشُومِ الْأَمَلِ
 وَسَطَ الْإِنْكَلِيزِ لَا بَنَ سَعُودٍ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا يُؤَمِّلُ نَائِلِ
 حَاضِنًا بِالْيَدَيْنِ بَيْتًا قَدِيمًا مَسْكًا بِالْجَفُونِ عَرْشًا دَائِلِ
 وَهُوَ فِي شَعْبِهِ بَزْهُوٍ إِلَهٍ وَلَدَى الْإِنْكَلِيزِ فِي ذَلٍّ سَائِلِ
 لَا! أَجَابَ السُّلْطَانُ حَسْبِي مِنْهُمْ فَوْقَ مَا يَحْمِلُ الصُّبُورُ الْحَامِلِ
 لَيْسَ إِلَّا الْبِتَّارُ لَا بَنَ «طَلَالٍ» بُورِكُ الْحَقُّ وَالْحَسَامُ الْفَاصِلِ

فتح حائل / ٢٨

شَقِيتُ «حَايِلُ» وَطَالَ شَقَاها بِحْصَارِ بَرْيَ السَّقَامِ بَرَاها
 وَأَصَابَ السُّلْطَانُ، مِنْ مَضَضِ الصَّبْرِ، شُؤُونُ تَسَعَّرَتْ حَمَاهَا
 مُضْرِمُ النَّارِ يَلْفَحُ الْوَهْجُ عَيْنِيهِ، وَإِنْ كَانَ لِلْعَدُوِّ جُذَاهَا^{٣٦٠}
 نَفَدَ الْحَلْمُ بَعْدَ طَوْلِ أَنَاةٍ مِنْ بَسَاطِ الدَّهْنَاءِ، فَيَحُ مَدَاهَا
 الْمَوَالُونَ جَاءَهُمْ نَبَأُ السُّلْطَانِ، فَاسْتَلَّ مِنْ جَفُونِ كَرَاهَا
 مُنْذَرًا بِالْدمَارِ وَالْوَيْلِ أَسْدًا تَحْتَ سَوَطِ الْعَتِي حَالُوا إِشْيَاهَا
 فَكَانَ «شَمَّرُ» وَقَدْ هَدَّهَا الْجُورُ، وَزَادَتْ دُهمُ الْخَطُوبِ دُجَاهَا
 نَسِيتُ أَنْ غَارِبَ الظُّلَمِ فِيهَا لَمْ يَكُنْ غَيْرَ قَطْرَةٍ لَوْلَاهَا
 أَنَّهُ لَا يَقُومُ فِي الْأَرْضِ عَاتٍ لَمْ يَدْنُهَا كُؤَاهَا وَجَبَاهَا
 أَنْ «جَنْكِيَزَ» كُلِّ عَصْرِ غُشُومٍ كَانَ عَبْدًا فَصِيرُوه إِهَاهَا

...

١ جذأ مفرداً جذوة وهي الجمرة الملتبئة . ٢ جنكيز : الطاغية المغولي جنكيزخان .

سارَ فيهم إنذارٌ من يَصْدُقِ الإنذارُ، سيرَ النيران شاعَ إظهارها
 همستهُ الأَحْظاظ من شدة الخوف، كأنَّ العيونَ صارتْ شفاها
 370 برأوا سآحهم من ابن «طلال» كالأَصْحَاء جانبَتْ جرباها
 أقسموا إن يَمُدُّهم بالسرايا يُسَلِّمُوهُ حُصُونَهُم بِرِضَاهَا
 ذاك أنَّ الحِصونَ طَلَّقْنَ عرشاً وتبرَّأنَ من ذنوب جناها
 عائلاً بالدماء من ربع قرنٍ فكانَ لم يجدْ صِباغاً عداها
 أسرةٌ إنْ دمُ الغريبِ يَفْتُها تُغَيِّدُ النِصْلَ في ذوي قُرباها
 وإذا أعوزَ النَمورَ نجيعٌ خَضَّبَتْ من ضعايفها الأَفواها

...

غَلَّغَ الجِيشُ في الحِصونِ فَلَاقَتْهُمْ، كما تَحْضُنُ القِفَارُ المِياها
 عَرَفَتْ نَضْرَةَ «القَصِيمِ» بِرِياهُمْ، وَأَسَدَ «الرياضِ» هَيْفًا قَنَاهَا
 مرَّ دهرٌ وليس من «فِصْلِ» طَيفٍ يُشِيعُ السُلوانَ في ذَكرِها
 رُبْعَ قرنٍ كانَ الفِراقُ فَظَنَّتْ أنْ ذاكَ البيتَ الوفيَّ سَلاها
 380 عَيدُها اليَومَ أَنَّها بَعْدَ يَأْسٍ أَمَلُ طَيبُ الأَرِيجِ أَتَاهَا
 حَدَسَتْ، وَهِيَ من جَلامِيدِ صَمٍّ أنْ ذاكَ الشِّذا شِذا مَولاهَا

١ دنت مدة الحصار من الشهر الثالث فكتب السلطان الى اصدقائه في حایل يقول : «قد طال الحصار وأقبل الشتاء فليعذرونا الاهالي اذا أنذرتهم . لهم ثلاثة أيام لیسلوا المدينة وعائلة الرشيد وإلا نحن الى غرضنا مسرعون بالرصاص والنار» فجاء الجواب وفيه ان الاهالي يتفوضون أنفسهم من ابن طلال وبيت الرشيد ويسلمون الحصون المحيطة بالمدينة اذا جاءتهم سرايا من الجيش . أرسل السلطان ألفين من رجاله ففتحت لهم الحصون الخارجية المشرقة على حایل ثم آمن الناس على ارواحهم وأموالهم فخرجوا اليه أفواجا وهم يشكرون الله . ثم آمن ابن طلال على حياته فاستسلم . (ت . ن .)

أَنَّهُ دَافَعَ الْمَدَافِعَ عَنْهَا وَمِنَ النَّارِ وَالرَّدَى تَجَاهَا
 أَنَّ ذَاكَ الْحَفِيدَ ضَنَّ بِآثَارِ عِتَاقٍ، مَجْدُ السَّعُودِ ابْتَنَاهَا
 سَبَقَتْ فِي النِّدَاءِ صَوْتَ الْمَنَادِي يُعْلَنُ الْأَمْنُ ضَافِيًا مِنْ ذَرَاهَا
 هَاتِفًا أَنَّ عِزَّةَ الْحُكْمِ لِلَّهِ الَّذِي كَوَّنَ الدُّنْيَ وَدَحَاهَا
 وَلَعَبْدَ الْعَزِيزِ رَايَةُ نَجْدٍ لَا يَرَى اللَّهُ رَايَةً إِلَّا هَا
 فَاشْرَأَبْتُ إِلَى النِّدَاءِ شِيُوخُ أَثْبَتَ اللَّهُ بَعْدَ يَأْسٍ رُؤَاهَا
 ذَكَرُوا حِقْبَةَ بَظْلِ سَعُودٍ لَمْ يَلْقَوْا لِرَغْدِهَا أَشْبَاهَا
 طَالَمَا تَوَهَّوْا بِهَا بَعْدَمَا ذَاقُوا الدَّوَاهِي وَغَالَبُوا أَقْسَاهَا
 إِذْ عَجُوزٌ حَوْلَ الْمَوَاقِدِ تَرْوِيهَا، وَتَرْوِي مَعَ النِّعَمِ صِبَاهَا
 بَيْنَ دِفْئَيْنِ مِنْ صَبَا وَنَعِيمٍ يَنْطَوِي بِؤْسِهَا وَيَحْلُو شِتَاهَا
 تَسْأَلُ اللَّهُ أَنْ يُعِيدَ اللَّيَالِي صَافِيَاتٍ لِيَبْنِيهَا وَقَتَاهَا
 قَبْلَ أَنْ يَعْثَرَ الزَّمَانُ بَعِينِهَا، فَتَأْوِي لِرَمْسِهَا أَوْ عَمَاهَا

...

الْمَنَادِي نَادَى: الْأَمَانُ قَهَبَتْ «حَايِلُ» يُفْسِحُ الرِّجَاءُ خُطَاهَا
 يَزْحَمُ الْمَنْكَبُ الْمَنَاقِبَ، كَالْأَطْيَارِ، بَعْدَ الطَّوَى، تَرُومُ عَشَاهَا
 أَوْ فِرَاحٍ أُطْلُنْ مِنْ خَلَلِ الْوَكْرِ، وَقَدْ رَفَّ فَوْقَهَا أَبْوَاهَا
 الْمَنَاقِيرُ تَلْقَطُ الْحَبَّ نَدْيَانِ، وَتَشْدُو آيَ الشُّكُورِ لَهَا
 وَكَأَنَّ الرُّؤُوسَ مُبْتَهَلَاتٍ لِصِيَانِ السُّلْطَانِ تَدْعُو اللَّهَ
 الَّذِي جَوَّعَ الْمَدِينَةَ بِالْيَسْرِ، أَتَيْتُهَا يَمِينُهُ يَغْذَاهَا

٤٥٥ فَحَبَّتْهَا مِنْ الْمَلَابِسِ وَالْأَقْوَاتِ وَالْمَالِ مَا يُضَاهِي رَبَّاهَا
 وَلَكَانَتْ، لَوْ شَاءَ فِي الدَّمِ غَرَقَى فَتَوَلَّى نَوَالَهُ غَرَقَاهَا
 هَمَزَتْ «حَايِلُ»، وَقَدْ مَسَّهَا الْعُرْيُ، لَتَلَقَّى مِنْ رَاحَتِهِ كِسَاهَا
 إِذْ يَعُودُ الصَّبِيَانُ بَعْدَ اكْتِسَاءِ كَالْعَصَافِيرِ أَفْلَتَتْ مِنْ عَرَاهَا
 تَتَغَنَّى بِكُلِّ مَا يَسْتَخَفُّ النَّفْسَ، إِبَّانَ صَفْوَاهَا وَغَنَاهَا
 فَرَحٌ شَعَّ فِي عُيُونِ صِغَارٍ طَالَ بِالْأُمْسِ مِنْ عَرَاهُ بُكَاهَا
 أَفْرَحَ الْأُنْهَاتِ أَنَّ الْعَصُونَ اللَّذْنَ مَاسَتْ أَعْطَاهَا بِجَلَاهَا
 فَحَمَدَنَ الرَّبِيعَ سُلْطَانَ نَجْدٍ وَهُوَ مِنْ سَيْبِ جُودِهِ وَشَأَاهَا
 أَوْ هَذَا الَّذِي قَلَاهُ رَشِيدٌ وَقَلَّتُهُ شَيْبَةُ رَبَّاهَا
 مَمْلُوءُهُ لَهِمْ «كَتِيمُورِلْنُكَ» إِنْ يَدُسُّ فِي بِلَادِهِمْ عَفَّاهَا
 ٤١٥ رَبِّ أَمْرٍ تَحَالَهُ الْأَنْفُسُ الْمَرْضَى سَقَامًا، وَمَا سِوَاهُ دَوَاهَا
 وَعَدُوَّ الْإِنْسَانِ مَا يَجْهَلُ الْإِنْسَانُ مِنْ نِعْمَةٍ وَمِنْ مَعْنَاهَا
 إِنْ مَا تَمَرُّنُ النَّفُوسِ عَلَيْهِ هُوَ مِنْهَا، أَوْ إِنَّهُ إِيَّاهَا
 سَكَنَ الصَّفْحُ بُورَةً، كَانَتْ الْوِيَلَاتُ وَالْحَرْبُ مِنْ نَبَاتِ تَرَاهَا
 كُلُّ نَمْرٍ وَكُلُّ شَيْبٍ رَهَيْبٍ فَطَمَتُهُ عَلَى الدَّمَاءِ لُبَاهَا

١ استمر الحصار أكثر من شهرين ولكن حايلاً كانت في حال الحرب أكثر من سنة قبل ذلك وكانت القوافل من الكويت والعراق منقطعة عنها . فشمل أهلها الضيق . وكان السلطان عالماً بشدة حالهم فجاءهم متاهباً لتخفيفها . جاء بالمؤن وجاء بالتياب والمال فأجزل للناس العطاء ووزع ألوفاً من أكياس الارز وألوفاً من الكسوات . ولقد كانوا ليلة الحصار الأخيرة على آخر رمق يرون شبح المجاعة والموت فأمسوا ليلة التسليم الأولى وكلهم شعبانون مكسيون مطمشون . (ت . ن .)

٢ عراها : مفرد عروة والمقصود الحبس . ٣ تيمورلنك : الطاغية المغولي المشهور . وتيمور معناها الأسد ولنك الأعرج .

من هنا الويل 'ناب' آل سعودٍ وتولى أعلامهم فطواها
 من هنا أج كل مارج نارٍ حرم العرب نخلها وعضاها
 من هنا القطب 'كلما الحرب' قامت فأدارت على الرجال رحاها
 نشأت دولة لآل رشيدٍ من تراث السعود سلت قواها
 صار عمالهم عليهم سيوفاً نحو أسيادها تمد ظباها
 لا تحاذر خصيمك ابن «طلال» الماسي حلم الحليم تحاها
 بدوها كان بالكبير ابن عبد الله، فاسلم، فانت ذا منتهاها

....

عظفت حایل على ابن سعودٍ مثل واح الصحراء خف قطاها
 آفست برؤية الصقر من قرب، بنسر الأجواء يحمي جماها
 ولقد كان بالعشيرة خصماً فعدا، وهو بينها مولاها
 للجهير وثبة تكره الوسط، فتأتي من غاية أقصاها
 فهي في سورة المشاعر كالأنثى، يضل البصير جمح هواها
 مثلها تعبد الكريم قوياً يقنص الأسد في الحدور وجاها
 معرقاً في الأصول حتى النهايات، مديداً عقلاً وسيفاً وجاها

....

١ هو محمد بن عبد الله الرشيد الملقب بمحمد الكبير، وهو الذي قضى على نفوذ آل سعود كما أسلفنا القول في محله.

أَنْصَتَتْ «حَايِلُ» لِقَوْلِ عَظِيمٍ لَوْ هَوَتْ رِيْشَةُ لَرَنْ صَدَاها
 ٤٣٥ يَرُصِدُونَ السُّلْطَانَ رَصْدَ هَالَالِ الْعِيدِ، فِي لَيْلَةٍ تَعَرَّتْ سَمَاهَا
 يَرْقُبُونَ ابْتِسَامَةً أَوْ عَبُوساً وَلِحَاطَةً كَالشَّمْسِ رَأَدَ ضَحَاها
 «مَنْ تَرِيدُونَ أَنْ نُؤَلِّيَ عَلَيْكُمْ؟» فَأَجَابَ الْحَشْدُ الْجَمِيعُ ابْتِدَاها
 «مَنْ سَعُودٍ أَقِمْ عَلَيْنَا أَمِيراً» دُوحَةُ الْخَيْرِ، لَا زُومَ سِوَاهَا
 عِنْدَ لَفْحِ الْمُهْجِرِ نَأْوِي إِلَيْهَا وَنَغْنَمُ الْعَيُونَ مِنْ رِيَّاهَا
 لِلصَّدُورِ الَّتِي تَهْفُ إِلَى الْأَزْهَارِ، يَجْرِي مَعَ الصَّبَاحِ شَذَاها
 لِلشِّفَاءِ الَّتِي تَشْطَّتْ، مِنْ الظُّمِّ، تَشِيرُ عَلَى الظَّلَالِ جَنَاها
 فَيَنْهِي الْقِسْطُ لَا يَجُورُ، فَيُعْطِي كُلَّ نَفْسٍ كَمَا اسْتَحَقَّتْ جَزَاهَا
 إِنْ يَكُنْ جَذْرُهَا يَمُتُ إِلَى الْأَرْضِ، فَأَفْنَانُهَا تَنْجِي الْإِلَهَا
 دُوحَةُ خَيْرُهَا عَلَى كُلِّ نَجْدٍ أَعْلَى «حَايِلِ» حَرَامٌ نَدَاها

....

٤٤٥ إِنَّهُ رَأَى السُّلْطَانَ أَبْعَدُ شَأْواً مِنْ حُلُومِ فِرْطُ السَّخَا، اَزْدَهَاها
 كَانَ فِي رِيْبَةٍ، أَوْ قَدَةُ شَيْخٍ؟ يَتَلَاشَى مَعَ النَّسِيمِ صَلَاها
 أَمْ هِيَ النَّارُ وَقَدْ هَا الْأَثْلُ الصُّلْبُ، ضَنِينٌ عَلَى الْفَنَاءِ غَضَاها

١ مار يبير اتي بالمؤونة لعياله .

سأل السلطان أهل حایل من تريدون أن نؤمّر عليكم؟ فأجابوا واحداً من آل سعود أو من كبار رجالك فقال عبد العزيز: «لست من رأيكم فقد كنا وإياكم اعداء مدة طويلة فلا يجوز أن نخكمكم الآن مباشرة وأنا أعرفكم يا أهل حایل انكم أهل قیل وقال أصحاب فن ولكني لا أخشى أن أؤمّر عليكم واحداً منكم واني أريد أن أحافظ على كرامتكم، هذا ابراهيم السبهان فهو منكم وهو رجل عاقل، هو أميركم واني واثق بالله وعادته معي جيبة، فهو سبحانه وتعالى ينصفني ممن يغدر أو يخون» . (ت. ن.)

لم يجبه لمطلب كان فيه من لآلي مديحه أغلاها
 أو ثوب من حرّة جليد؟ إن في طفرة النفوس أذاها
 إن في «حایل» غراس عدا ربيع قرن من الحقود سقاها
 ليس إلا الزمان ينتزع الأضغان، فالوقت مصلح لا يضاهي
 ريثما تخلد السيوف إلى السلم، وتنق من الدماء شباها
 «سنو لي» السبهان منكم عليكم ليس أولى من لحة بسداها
 وهو فيكم خير الوجوه انتساباً وإيلاً وعزمة وانتباها⁴⁵⁰
 من سراق تداولوا الأمر أحقاباً، وإن ضلّوا هوى واتجاها
 لم يك العيب في السفينة لكن في هوا عن الصراط لواها
 النواقي من رشيد أمالوها، فتأهت في اليم عن مرساها
 ولقد راق العواصف «باسم الله تجري سفيني بجراها»
 لقد اخترته عريقاً فلا يعنى بأكناف نعمة وسناها
 ومن الحيف أن نولي هجيناً كلما استشعر الدناءة تأها
 ساراً عيبه بأطمار عجب كل من يحقر اللئام يراها
 نائبات نوء عيني أتان بعد سلخ تورمت مقلتاها
 «إن نجل السبهان راع حكيم» سعدت «حایل» إذا مارعاها
 فإذا نعمة عن السمّت حادت فهو أدري بردها لهداها
 460 إن تهب النكباء فيكم بشر فهو يأتي النكباء من مأتاها

١ آل إيلا وأولا الرعية : ساسها ودبر أمورها . ٢ النواقي مفردتها النواقي وهو الملاح في البحر
 خاصة وكأنه يميل السفينة من جانب إلى آخر . ٣ النكباء : ربح تنحرف عن مهب الرياح فتقع بين
 ريحين، بين الصبا والديبور مثلاً .

خيركم عاقلٌ وعَمى الشرع فاستهدى بأضواء هُدْيِهِ فاقتفأها

...

ليلةٌ في «الرياض» ذاتُ حواشٍ معطفُ الليل، من عَلٍ دَلَّاهَا
 إن تَمُرَّ الصبيحةُ الوجهَ فيها صَبَغَ الفجرَ أسوداً خَدَّاهَا
 من ترى هذه الطويلةَ قدَّ الرمح؟ أقي من سنِّه منكباها
 تتواري فتخطف الأرضَ كيلاً من إباء، تَمَسَّها قَدَمَاهَا
 أسبَلَتْ فوق جسمها ثوبها الضافي، فَنَمَتْ عن قِصره ركبَتَاها
 ولِكان الجمارُ، لولا بروزُ الأنفِ كالْفَهْر، نَاتِئاً عَظَاهَا
 راب عينَ الرقيب ذاكَ العمودُ الضخمُ، وازدادَ بالغريب اشتباهاً
 حين وَلَّى كُظْبِيَةً فتقفأها، وعن فَجْوَةٍ النجاة ثَنَاهَا

١ الفهر: المدقة التي تسحق بها الأشياء . ٢ تنكر محمد بن طلال الرشيد في زي امرأة وحاول
 الهرب من الرياض في ليلة ليلاء، قبض عليه وجيء به الى السلطان فأمر بأسره في القصر . جلس السلطان في
 القصر والى يمينه ويساره رجال بيت الرشيد وعلى الدواوين والكراسي خمسون وثيقت من وجهاء الرياض
 وعلمائها . دخل العبيد ومعهم ابن طلال فأجلسه السلطان الى يمينه ثم قال : «اعلموا يا آل الرشيد انكم عندي
 مثل أولادي . وأنتم في الرياض تعيشون كما أعيش انا وأولادي لا أزين ولا أشين، ثيابكم مثل ثيابنا وأكلكم
 مثل أكلنا وخيلكم مثل خيلنا وأزين - ترى الصحيح؟ وليس في القصر او في البلاد تحت يدي ما تبغونه ولا
 يبيئكم، ترى الصحيح؟ وهل منكم من يشك في ذلك تكلموا» . لم يبق احد بكلمة . «وأنت يا محمد ما جرت
 عليك الأسر غير نفسك غير عمالك المشين كني عاقلاً حكيماً ولا تعر أذنك النساء . اني عالم بما تقول وبما تعمل
 فاعقل لصالح نفسك . تجنب الطرق التي فيها القال والقيـل . كن صادقاً خلصاً تكرم كل الإكرام مثل أهلك
 هؤلاء كلهم . والله بالله ان الضرر الذي يمسكم يا أهل الرشيد يحرك قلبي قبل لساني الى مساعدتكم . أنت يا محمد
 واحد من بيتي الآن . وكل ما عندي للدفاع عن بيتي عن العيال والحريم أقدمه اذا اقتضى الامر في الدفاع
 عنك، في الدفاع عنكم كلكم يا آل الرشيد» . ها هنا وقف السلطان فوقف الجميع وأعطى يده لابن طلال
 قائلاً : أعطيك عهد الله ما زلت خلصاً لنا . فصالحه ابن طلال ثم قبل عظمته في أنفه وجبينه وتوالت الادعية
 الرشيدية بدوام السلطان وتوطيد ملكه وكان ذلك الصوت صوت كبير بيت الرشيد يومئذٍ فيصل البشام .

(ت . ن .)

٤٦٥ مَنْ تَرَاهَا؟ الْمَخَاتِلُ ابْنُ «طَلالٍ» زَادَهُ الصَّفْحُ خَفَّةً وَسَفَاهَا
أَسِرَ النِّعْمُ بَعْدَ أَنْ كَانَ ضَيْفًا ذَلَّةَ الْقَيْدِ بِالنِّفَاقِ شَرَاهَا

....

رَأَى قَصْرُ «الرياضِ» يَوْمًا فَرِيدًا رَوَّقَ الْأُمْسَ وَالغَيُومَ جَلَاهَا
رَحْبُهُ غَصٌّ بِالسَّرَاةِ رُؤُوسًا كَانَ فِي حُومَةِ الْوُغَى مُلْتَقَاهَا
فَتَلَاقَى الْوُجُوهُ فِي نَدْوَةِ السَّلَمِ وَقَدْ وَحَّدَ الْحَسَامُ لَوَاهَا
ذَلِكَ الْخَيْرُ الْفَرَاتُ بِنَجْدٍ رَوَّيَتْ مِنْ عِبَابِهِ ضَفَّتَاهَا
وَعَلَيْهِ تَلَاقَتَا، مِثْلَمَا لَاقَتْ سُبُولُ الْخَدَرِ الْمُنِيعِ أَبَاهَا
هَاهُنَا أَسْرَةُ الرَّشِيدِ، وَقَدْ حَيَّطَتْ بَرَّغْدٍ فَأَخْفَتَتْ شَكْوَاهَا
فَرَقَدَاهَا ابْنُ «مَتْعَبٍ» وَالْعَمِيدُ الْبَاسِمُ الثَّغَرُ «فِيصَلُ» كَفَلَاهَا
الصَّنِيعُ الْجَمِيلُ يَنْزِعُ أَظْفَارًا، وَيَجِي مَاسِدًا مِنْ فَلَاحَا
٤٦٥ وَهَنَا نَجْبَةُ «الرياضِ» شَبُوحٌ وَكُهُولٌ تَحْتَ الْمَعَالِي نَمَاهَا
أَهْلٌ وَجْهُ السُّلْطَانِ بِالْحِلْمِ دَفَاقًا، كَمَا تَرْسُلُ السَّمَاءُ حَيَاهَا
قَالَ هَاتُوا الْأَسِيرَ غَيْرَ أُسِيرٍ وَصِمَةُ الْقَيْدِ شِيْمَتِي تَأْبَاهَا
فَأَتَاهُ الْعَبِيدُ بِابْنِ «طَلالٍ» كَسَرَ الْأَسْرُ ذَلِكَ التِّيَاهَا
عَنْ يَمِينِ السُّلْطَانِ، أَجْلَسَهُ السُّلْطَانُ، مَحْوًا لَشَقْوَةَ عَانَاهَا
«قَدْنَكُشْتَ الْعَهْدَ يَا ابْنَ «طَلالٍ»» وَغَدَرْتَ الَّذِي كَرِيمًا رَعَاهَا
آيَةُ الضَّيْفِ أَنْ يَكُونَ نَبِيلًا فَذَا لَوْثَ الضِّيَافَةِ شَاهَا

«أنا أدري بما يقول خصيم» نفسه لم يزل يعجُّ قلاها
كلما زدته على الذم إكراماً، تعامى عن جودتي فازدراها
لم يدعُ فريةً يُقَطِّرها الشنان، إلا أساغها وافتراها
490 لا تغرَّنك النساءُ في حواءٍ شيءٍ من ساحرٍ أغواها
لم يزل صوته، على قدم الأجيال، جرساً تحبه أذناها
من عبير التفاح في كفها موتٌ، جنته على الرفيق يداها
ليت ذاك الذي براها هزاداً عن شؤون الرجال يُلجمُ فاها
فانزع الغل من فؤادك وانظرْ مقلة الشمس طلقةً في سماها
أنا أصني منها فؤاداً عليكم قسماً بالذي أفاض بهاها
«إنكم أسرة الرشيد كأولادي، معاشاً وعزّةً ورفاها»
مثل آل الرشيد مثل سعودٍ وحدة القلب تنظم الأشباها

ع / 29

قم رادها النسيم قطابا يحمل الشيخ رذنه والملابا
 بسقت غابة، وغارت وهادا وعلت قنة، وعزت عقابا
 لا يس الضباب خضر نواصيها، فأقدامها تلف الضبابا
 ما يسح الغيث الهتون عليها فأطاريفها علن السحابا
 أهلها مثلها مناعة بأس طالما شابه الأسود الغابا
 جبل ينبت الجذوع صلابا مثلما ينبت الرجال صلابا
 الأعالي تغري فتوري خيالاً وعلى العزم تجدل الأعصابا
 يترى الهام والنسر فيها ويظنان غرة النجم قابا

١ جبال عسير كثيرة المياه والثمار والاحضرار جيدة المناخ رائعة المناظر . وهي أحسن الجبال للدفاع ،
 ورجالها من صفوة العرب في البأس والبسالة وأشدتهم نفرة من الاجانب . ولقد اقبلوا في ايام آل سعود الاولين
 على المذهب الوهابي وكانوا يومئذ يدفعون الزكاة للامام في الدرعية . وقاعدة عسير أبها ، وتعلو عن سطح
 البحر سبعة آلاف وثلاثمائة قدم وهي قائمة على رأس وادي ضلاع ووادي شهران ، بين آكلم وقم تنتصب
 حولها كالخراس وتحوط بها ثمانى فلاع صغيرة تدعى (مغاتيل) وحولها قبائل عديدة كانت تخارب الترك ونجداً
 والحجاز . ومنها بنو مغيط ودليم ومالك ويزيد وبنو شهر . وشرقها خميس مشيط فاعدة بني زهران . وفي
 هذه الناحية وادي شعاف لآل يزيد ومنهم آل عائض الزاعمين انهم من سلالة معاوية . ولم يكونوا قبل الفتح
 السعودي أمراء في عسير وانما أمرهم سعود الكبير . وآل الحكم سنة ١٩١٢ الى حسن بن علي وكان مستبدّاً
 ظالماً ، فتفرت منه القبائل وشكته الى ابن سعود . فبعث اليه السلطان بسة من علماء نجد للتصحية والصلح
 فكان جواب حسن تهديداً للسلطان اذ قال : اذا كان ابن سعود يتدخل في شؤون قبائل عسير فنستحي الى
 قلعة يشة النخل ونستولي عليها .

(ت . ن .)

مَنْ يَرَى الْأَزْهَرَيْنِ مَقْبُضَ كَفَيْهِ، تَرَأَتْ لَهُ الصَّقُورُ ذُبَابًا

...

فوق وادي «شهران» ترفل «أبيها» لُبست من شموخها جلبابا
كبروس مجلوة، وحواليها بنات الأشراف قامت هضابا
وقلاع رواسخ راصدات ساكبات على العدو شهابا
٥١٥ / حول «أبيها» قبائل من «مغيط» و«دليم» لا يأتلون احترابا
وبنو «مالك» و«شهر» و«زهران» و«زيد» نسل الأسود غضابا
وبنو «عائض» وهم نسل «حرب» أمويون شيمة وانتسابا
خلعوا راية السعود، ولولاهما لكانوا كغيرهم أحسابا
نعموا في ظلالها وإليها جدّهم «عائض» لدى الروع آبا
طالما قدّموا الزكاة لآل الشيخ، واستهجنوا ذرى وقبابا
فمحوها تمثلا بنبي عن حمى الله أبعد الأنصبا
بابن عبد الوهاب جاءهم النور، فلاقوا ربّ العلى الوهابا

...

آل، بعد الأتراك أمر «عسير» للذي افتنّ قسوة وعذابا
للذي سامها كفرعون مصر عنتا ساحقا، وسبعأ صعبا
٥٢٠ / كاشتكت «الزهران» من بعد «قطان» لمن ينصر الضعيف المصابا

« حسن » زاده التلطف عُنفاً من زُهو الطاووس ردّ الجوابا
لا يطولُ السلطان قبحُ جوابٍ ضلّ فيه المجابُ الآدابا
رُبَّ غرٍّ بِسَهْمِهِ رامَ صخرًا فسقى من دِمَائِهِ النُشَابا
خَطَلُ الرَّأْيِ أَنْ يُغَرَّ شِراعُ بسكونٍ فيستشيرُ العُبابا

...

سار للجائر العنيد ابنُ « جلوي » علّه يُبلغُ العتيّ الصوابا
في يدٍ يحمل السلامَ وفي الأخرى، اذا يجمع الجوادُ، الحسابا
عَجَلَ الحربَ أهوجٌ يُوقدُ النارَ، ويمضي اذا استطارت لها با
بين « آيها » العليا، وبين « مشيط » « حَجَلَة » شاهدتُ ظبى وحرابا
أحدُ القائدين فرّ، وما كان ابنُ « جلوي » المنفّر الهربا
لا يفرُّ القواد من آل « جلوي » قبل أن يترك السوادُ الغرابا³⁰
حسنُ فرّ...! أين يأوي؟ وقد سدّ، المهيبُ الصدى، عليه الرحابا
عادَ مُستأمنًا فأمنه السلطانُ، علّ المِراوغَ الفِسلَ تابا
ذَكَرَ « العائِضي » عهدَ وفاءٍ وجدوداً أكارماً أصحابا

١ أرسل السلطان ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوي ومعه ألفان من الجنود وأمره ان يدعو ابن عائض أولاً للسلام فيكون مع ابن سعود كما كان اجداده الاولون . ولقد كفاه ابن عائض مؤونة الدعوة للسلام، فخرج اليه بجنوده وتصادموا في مكان يدعى حجلة، بين أبها وخميس مشيط، فكانت الوقعة شديدة وكانت الهزيمة على أهل عسير .

٢ رجع حسن وابن عمه محمد الى ابن مساعد مستأمنين فأمنهما وارسلها الى الرياض حيث أقامها شهراً بضيافة السلطان واتفقا وإياه على أن يكونا معه كما كان أجدادهما مع اجداده . قال عبد العزيز : « ما تخلفنا ابداً عنكم يا آل عائض وعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون أن يهاجمكم وينكل بكم أرسل الشريف يستجد عمي عبد الله » . فأجابه : « ابن عائض رجل منا فكيف نساعدك عليه » ثم عرض لإمارة عسير على حسن فرفضها حسن وقال نكون معاونين لمن تؤمرون أئدكم الله، ولا تقصروا عنا من جهة الدنيا . لم يقصر ابن سعود فقد أعطاهما خمسة وستين ألف ريال ذهباً وخصهما وأهلها بالمشاهرات المالية . (ت . ن .)

القُدَامَى الأَلَى أَحَبُّوا سَعُوداً لا اضطراراً ولا ولا، كِذَاباً
 القُدَامَى يَا طَيْبَ عَهْدِ القُدَامَى كلُّمَا الذِّكْرُ فِيهِمْ مَرّاً طَلَبَا
 خُلِقَ مِنْ بَسَاطَةِ اللَّهِ فِيهِ لا طَلَا تَرَى، وَلَا تَلْعَابَا
 أَتَرَى العَصْرَ؟ وَهُوَ عَصْرُ فُسَادٍ خَلَعَ النُّبْلَ، وَاسْتَطَابَ الْعَابَا
 «جِسْنٌ»، لَوْ بِهِ غَشَاءٌ حَيَاءٍ لَتَوَارَى، دُونَ الْحَيَاءِ وَذَابَا
 جَادَهُ بِالْعَطَاءِ شَوْبُوبُ غَيْثٍ حَيْثَا سَحٌّ أَطْلَعَ الْإِخْصَابَا
 مَلَأَ «العَائِضِي» خُرْجاً وَهَمِيَاناً، وَكَيْسَ ابْنِ عَمِّهِ أَذْهَابَا ⁵⁴⁰
 رَافِضاً إِمْرَةً «العَسِيرِ» نَدَى الْقَوْلِ، يُضْنِي عَلَى الْقُرُوحِ إِهَابَا
 وَلَقَدْ يَثْقُلُ الْحَلَالُ عَلَى بَاغٍ، فَيَسْتَمِرُّ الْحَيَاةَ اغْتِصَابَا
 بَعْدَ أَنْ جَاءَ جُحْرَهُ انْتَفِضَ الصِّلُ، وَلِلْغَدْرِ أَشْرَعُ الْأَنْيَابَا
 حَلَّ أَخْتَ النُّجُومِ «أُبَيَّا» أَمِيرَا لَمْ يُطِلْ أَنْمَشُ الْبُذُورِ الْغِيَابَا
 حَزَبُهُ الدَّارِعُونَ أَبْنَاءَ «شَهْرِ» بِالشَّرِيفِ الْحُسَيْنِ عَزُّوا جَنَابَا
 «تَرْبَةً» لَمْ تَرَلْ سَمَامَ لِيَالِيهِ، فَمَا يَعْرِفُ اللَّيَالِي الْعِذَابَا
 يَبْذُلُ الْمَالَ وَالسَّلَاحَ جَزَافاً وَبِسَبْعِ السَّبَاعِ يَغْرِى الذَّنَابَا

...

١ الأذهاب: مفردا الذهب واحده ذهبه . ٢ عند وصول حسن الى بلدته حرمة تمنع فيها وشرع
 يدسّ الدسائس على ابن سعود . ثم مشى بعد فترة آثارها بقوة من قومه على أبها فعامر الأمير فيها عشرة
 أيام واضطروه الى التسليم، فلم فأسر في خميس مشيط . وكان الملك حسين يستنهض بني شهر ليكونوا وابن
 عائض يدأ واحدة على ابن سعود، ويتدبم بالذخائر والمال فتفاقم الامر واشتد الخطر على السيادة التجدية في
 عسير . (ت. ن .)
 (ت. ن .)

عَبَسَ الْجَوُّ فِي «عَسِير» وَجْدًا جَدًّا، وَاجْتَاخَتِ الرِّيحُ النِّصَابَا
 مَنْ يَعِيدُ الْبِنْدَ السَّعُودِيَّ خَفَافًا؟ وَيَسْتَرْجِعُ الْمَعَالِي غَلَابَا^{٥٥}
 قَائِدٌ دُونَهُ جِبَالُ عَسِيرٍ عَزَّ شَأْنُهُ، وَنَضْرَةٌ وَطِلَابَا
 أَمْرٌ تَسْطَعُ الْبَطُولَةُ فِي عَيْنِهِ عِزْمًا وَفُطْنَةً وَشِبَابَا
 لَمَحَوْهُ الْفَرِنْدَ طِفْلًا رَضِيْعًا فَدَعَاهُ الْمُهَنْدُ الْقُرْضَابَا
 «فِيصَلَا» مِثْلَ جَدِّهِ أَمْلَوْهُ لَمْ يُخَيِّبْ فَأَلَا وَلَا أَنْسَابَا
 فَهُوَ كَالْبَاتِرِ الْمُشْتَطَبِ جُودًا وَمِضًا وَبِهْجَةً وَضِرَابَا
 لَمْ يُجَازِفْ أَبُوهُ حِينَ اصْطَفَاهُ قَائِدًا رَاحَ يَأْمُرُ الْأَسْرَابَا
 إِنَّمَا النَّسْرُ أَعْلَمُ الطَّيْرِ بِالْأَجْوَا، فِيهَا نَشَا، وَمِنْهَا أَصَابَا
 أَوْ يَخْشَى الْبَطُّ الْمُرْسُ بِالْمَاءِ، إِذَا فَرُخُهُ يَرُودُ عُبَابَا
 حِينَ تَهْلِكُ الطَّوَاوِيسُ غَرِقَ يَمْرَحُ الْبَطُّ زُهَةً وَدَعَابَا

...

يَسِرُ حَفِيدَ الْعَلَى إِلَى «يَيْشَةَ» النَّخْلِ، وَيَسِرُّ دَرْبَ الْبُرَاةِ عُقَابَا^{٥٦}
 رَهْمٌ يَطِيرُونَ حَيْثَا طَرَتْ، فِي عَيْنِكَ يَلْقَوْنَ لِلْقُلُوبِ اجْتِدَابَا

١ النصاب: الأصل . ٢ بعد سقوط حابيل ببضعة أشهر جهز السلطان عبد العزيز ابنه فيصل بحملة على عسير مؤلفة من ستة آلاف من جنود نجد من (الآخوان) وأربعة آلاف من عرب قحطان وزهران انضموا إليهم عندما دخلوا تلك الجبال . وعندما وصل الأمير إلى (ييشة) كان بنو شهر زاحفين إلى قلعتها فأمر فيصل بإبتداء القتال فهجمت عليهم كتيبة من الجيش فقتلت مئتين منهم وشقت الباقيين وكان محمد ابن عائض مرابطاً بميشة في خميس مشيط فلما علم بدنو الأمير تفهقر إلى حبله فتفقت سرية من الفرسان فراجع وجنوده إلى أبيها بدون قتال . ثم فر منها وأهله وهرب معهم من استطاع وأمن الأمير فيصل الناس بشرط أن يسلموا شوكة الحرب، فسلم فريق منهم ودخل الأمير أبها وظل فريق مع حسن الذي لجأ إلى حرمة وعصن فيها . (ت. ن.)

فيسيرون في ركابك إخواناً جنوداً، ورققة أحبابا
 يفلح القائد المؤيد بالحب، ويكبو من قادهم إرهابا
 يا بني «شهر» جاءكم «فيصل» النجد، فأدوا إن استطعتم حسابا
 السلاح الذي حباكم خصيم، سوف يغدو لجنديه أسلابا
 «بيشة» رمتم فويح النساوي من غرور، وما أساغوا شرابا
 أن تدوسوا المريخ أيسر من أن تبلغوا من حصينة «النخل» بابا
 قلعة «النخل» دونها «الفصل» البتار، يفري غلاصماً ورقابا
 هاجوها فصدتهم فرماهم مثلما تمزق الهبوب ضبابا
 باد منهم من باد وانهمز الجمع أبديداً يفعمون الشعابا
 570 هالهم أن فيصلاً حذق الحرب كمن شب في القتال وشابا
 أنه صادق الفراسة والمرى، لبيب إن رام أمراً أصابا
 أنه لم يرنج الكبير عطفه، فيزهو بنفسه إعجابا
 فهو في هالة الوقار وديع، لم يقم حوله الدني حجابا
 وهو كالوالد الموحّد يابى أن يرى الناس منهم أربابا

...

فتكة الشبل يوم «بيشة» دوت فطوى الأفق رجها صخابا
 وتولت محمداً رعشة الخوف، وما كان قبلها هيبا
 خاف ذلك الفتى الذي إن برم نصراً، له النصر ما يشاء استجابا
 الذي لا ينام إلا عزيزاً فهو سيف ولا يطيق القرابا

يوم «كرزون» «لندن» عرفته فرأت أجداً تزين العرابا^{٥٤٥}
لم يكن ذلك الفتي يهوى ما اصطَفوه لسنه العابا
لم تكن «لندن» رأت وائلياً قبله يشبه الأسود الغضابا
صدقت أن عزّة العرب لا تشرى، وأن الضرغام يأبى انتدابا
فإذا كان شبلة، وهو غضّ الناب، في دارهم يصرّ النابا
فخليق بهم، وقد لمسوا العنوان، أن يقرأوا وراه الكتابا

...

«عائض» فر من «خميس مشيط» مشرعاً للعظفر الأبوابا
أمن الناس «فيصل» فأتاه من رأى منهج اليقين فتابا
من كواه من «عائض» ميسم الجور، فراء الدنيا ظلاماً وصابا
كل من ميز الفرات من الضحل، وراز الأشواك والأعنابا
«المقاتيل» أشرقت حول «أبها» وأزاحت عن العيون الحجابا

١ زار الأمير فيصل لندن سنة ١٩١٩ يصحبه نسيبه أحمد بن ثنيان فاستقبله أحد الضباط الإنكليز استقبالا لا يتلاءم مع كرامة ابن سعود فعضب الأمير وقال : لو جاء هذا القائد بلاد العرب لذبناه . و أراد بعض الموظفين استدراك هذه الهفوة فأدخل الأمير ورفيقه الى مكتب الورد (كيرزون) فحاول الورد التلطف فوقع هو ايضاً في هفوة ثانية، إذ اراد إيناس ابن سيد الجزيرة فأخذ يسأله عما إذا كان منظر القطر الحديدي أعجبه، وقدم اليه شيئاً من النقل، ناسياً ان ذلك الأمير، ولو كان في عمر البدر، فإن فيه أنفة العرب . وقد حاول الإنكليز بعدها كثيراً من الحملات لإزالة غضب الأمير فيصل .

(انطوان زيشكا في كتابه ابن سعود صفحة ١٥١)

٢ الصاب : شجر مرّ . ٣ الضحل : الماء القليل . ٤ المقاتيل في اصطلاح أهل عسير هي القلاع القائمة حول أبها . وعندما دخل الأمير فيصل أبها لم يجد فيها غير الكلاب والحريم لان العائضين وأنصارهم فروا ونحسّن حسن في حرمة، وهي في معقل من الجبال يستحيل ارتقاؤها إلا من منافذ معلومة لا يعرفها غير أهلها . وكان آل عائض في محاربتهم الأتراك يلبأون اليها وهي بلدتهم وحصنهم المنيع منذ القدم .

(ت . ن .)

٦٩٥ / تنظرُ القائدَ الغضيفَ جفوناً فإذا مرَّتِ النساءُ تغابي
 إنَّ مَنْ يأخذُ الحصونَ غلاباً بعدَ إحرازها يصونُ النقابا
 والذي روعَ الأسودَ مغيراً سيفه العضبُ لم يُخَوِّفْ كعابا
 كالهواءِ الزعزاعُ يقتلُ الجذعَ ويُنمي الأزهارَ والأعشابا
 أو شعاعِ الشمسِ المذهبِ يكوي وجهَ صخرٍ ، ويُنصرُ العنابا
 فتراه على المفاوزِ وهجاً وعلى النبتِ زينةً وخضابا
 «المقاتيلُ» رَحَبَتْ بعقابِ عرفتُ آلهَ الكرامِ صحابا
 إنَّ يَحْنُ «عائضُ» ذمامِ سعودٍ فهي أبى من أهلها أسبابا
 عجباً للرجالِ تبدلُ عهداً مثلما تبدلُ العروسُ الثيابا
 وعظيمُ حرصُ الترابِ على الودِّ فحاذِرُ من أن تُهينَ الترابا

...

6٥٥ «حسنُ» فرَّ شطرَ «حرملةٍ» يبغي الى معقلِ النجومِ اقترابا
 تحسُرُ العينُ عندَ «حرملةٍ» حيرى ، وقد طَوَّفَ الطامحُ فخابا
 قبلَ أن يصعدَ الجنودَ مراقبيها ترى الهمُّ ينشرُ الأوصابا
 لِسَ الصخرِ والوعورُ مآتيها ، فباتت دُرُوبُها سردابا
 أَيْني «فيصلُ» ويعجزُ عنها ؟ فتقولُ العصورُ مَلْ وهابا
 مثلما ارتدَّ قائدُ التركِ مدحوراً ، يعاني تحرقاً وُقْلابا

لا؟ فعزمُ السَّعُودِ أومضَ في عينيه، وانساح في العروق لهاًبا^١
 ذكرَ الفتحَ في «الرياض» وفي «الأحساء» فانقضَّ كالسَّرا وتَّابَا
 يُقِجِمُ الحِيلَ حيثَ تعيا الأراوي وتصدُّ الأيَّاهِمُ السَّنجابَا^٢
 لو شهدت «الإخوان» تسمو إليها بعد ما أدمت الصَّخورُ الرِّكابَا
 بعد ما أطفأوا العَدُوَّ كما قد أَطْفَأَتْ زَعزَعُ الرِّياحِ الحِبابَا
 لَشَهِدَتْ الفُهودُ تطفُرُ حيناً ثم تجبو إلى الرِّعانِ انسيابَا
 بلغوا ذُرُوءَ العرينِ فأين الحَسَنُ العائِضيُّ؟ فرَّ وذابَا
 صافحوا النجمَ من قريب وصلُّوا للذي كَوَّرَ السَّما مَحْرابَا^٣
 وَوَرَّاتٍ لَهم قُصورٌ خِوالٍ عَشَّشَ الظَّلمُ بينها أَحقابَا
 كُيُوتِ الأَصْنامِ، والحِصْنِ والأبراجِ دارَتِ من حولها أنصابَا
 لم تكن غيرُ ساعةٍ وأبادوها، فعادتْ أختُ النجومِ يَبابَا

...

ما تخلَّى الحسينُ عن غوثِ أنصارٍ، فغيرُ الشريفِ ينسى الصَّحابَا^٤
 خلَّةُ كلِّ من يُؤاذي سَعُوداً أبْسيفٍ كان الأذى أم زُنابَا^٥

١ أرسل الأمير فيصل على حسن في معقله بحرملة سرايا من الجيش الواحدة تلو الأخرى . وبعد تذليل
 العقبات ومعركة دامت ست ساعات استمرَّ (الإخوان) في التصعيد حتى وصلوا حرملة فلم يجدوا حسناً فيها
 هدموا قصورها وحصونها وعادوا إلى أبيها . ٢ الأراوي مفردتها الأروية وهي ضأن الجبل ، والايام :
 الجبال . ٣ كَوَّرَ العمامة : لفَّها وأدارها . ٤ فرَّ الأمير محمد بن عائض إلى النفذة ومنها سافر
 إلى الحجاز ليستجد الملك حينئذ ، فأجده بمحلة صغيرة يقودها الشريف عبد الله بن حمزة الفعر ومعها مثنان من
 الجنود النظامية وبعض المدافع والرشاشات بقيادة الملازم حمدي بك . فأرسل الأمير فيصل قوة من الجيش إلى
 تهامة لصددها هناك . ولكن تهامة كانت على (الإخوان) أشدَّ في حرَّها وحيثانها من صخور حرملة فلم
 ينعوا فيها بل عادوا منهزمين هزمتهم الحمى إلى الجبال فنقلى جيش الحجاز أثرهم . (ت . ن .)
 ٥ زُنابى العقرب مفردتها الزنابة وهي الإبرة التي تضرب فيها .

مَدُّ أَبْنَاءَ «عائض» بِسَرَايَاهُ، وَوَلَّى قِيَادَهَا الْأَقْطَابَا
 620 الشَّرِيفَ بْنَ «حَمْزَةَ» ثُمَّ «حَمْدِي» وَاهْمَا أَنَّهُ قَضَى آرَابَا
 فَمَا اثْنَانِ وَابْنُ سُلْطَانٍ نَجْدٍ حَدَّثُ مَا أَجَازَ بَعْدُ الشَّبَابَا
 وَالْجَذُوعُ الْكِبَارُ أَصْلَبُ عَوْدًا مِنْ غُصُونِ مَا زَلَنَ هَيْفًا رِطَابَا
 شَبَحُ النَّصْرِ فِي تِهَامَةٍ أَغْرَاهُ، فَأَطْرَى نَسِيبَهُ الْغَلَابَا
 لَمْ يَصُدِّ «الْإِخْوَانُ» إِلَّا هَجِيرُ فِي جُحُورِ الضِّبَابِ يَشْوِي الضِّبَابَا
 مَا ثَنَاهُمْ عَنْ غَارَةِ النَّصْرِ إِلَّا نَافِضُ مَصٍّ لِحْمِهِمْ فَأَذَابَا
 لَمْ تَطُلْ فَرَحَةُ الْحِجَازِ بِنَصْرِ أَحْرَزْتَهُ الْحُمَى فَكَانَ السَّرَابَا
 وَأَرَادَ الشَّرِيفُ نَهْجَ سَبِيلِ مَا رَأَاهُ «حَمْدِي» الْحَجِيرُ صَوَابَا

...

أَذْعَنَ «الْبَيْكُ» لِلنَّبِيلِ، وَمَا لِلْأَنْفِ حَقٌّ أَنْ يَعْلُوَ الْأَهْدَابَا
 عَجَبًا! يَتْرَكَ الزَّمَامَ خَيْرُ وَيُولِّي الْقِيَادَةَ الْأَلْقَابَا
 630 مَالٌ بِالْجَيْشِ حَيْثَا كُنَّ «الْإِخْوَانُ» لَلْفَتَكِ رُصْدًا طَلَابَا
 جَاءَهُمْ بِالْفُطُورِ، بِالْجَيْشِ أَكْبَاشًا، وَكَانَتْ أَسْوَدُ نَجْدٍ سَغَابَا

١ كانت القيادة في الجيش الحجازي مقسومة غير متفق عليها . قال الشريف بن حمزة بنحطة في السير، وقال حمدي بك قائد الجيوش النظامية بنحطة أخرى . ولكن الكلمة الأخيرة كانت للشريف فشى بالجيش في الطريق التي حدثه منها حمدي بك . وكان خطأ الشريف من حفظ (الإخوان) النافين على تهامة الطالبين الثار من الجيش الذي جرهم اليها، إذ ما عم الشريف عبد الله بن حمزة أن وقع في الشرك فأحاط به أهل نجد وكادوا يفتنون جيشه بالرصاص والسيف . نجا الفائدان بقسم من رجالها البدو والنظام ولاذوا ببارق فتعقبهم الإخوان ففروا منها منحدرين الى تهامة متقهقرين الى القنفذة . وبعد فرار العائضيين حسن ومحمد ، وهزيمة الجيش الحجازي، أقر الأمير فيصل في أبها ابن عفيصان وهو من أسرة موالية للسعوديين منذ القديم، وعاد الى الرياض يرفّ فوقه علم الحلود .
 (ت . ن .)

ثَارُوا مِنْ يَتَاهِمَةٍ وَمِنْ الْحَمَى، فَصَبُّوا حُمَاهُمْ مِيزَابَا
 فَرَّ جَنْدُ الشَّرِيفِ غَيْرَ شَرِيفٍ إِذْ تَدُوسُ الْحَوَافِرُ الْأَعْقَابَا
 أَضْرَمُوا نَارَهُمْ عَلَى ابْنِ سَعُودٍ فَرَمَاهُمْ فِي وَهْجَا أَحْطَابَا
 نَصَرَ اللَّهُ عَبْدَهُ، وَحَسَامُ النَجْدِ كَالْمَوْتِ بَدَدَ الْأَحْزَابَا
 أَسْدَا فِي الْمَهْجُومِ كَانُوا مَعَ الْحَمَى، وَكَانُوا عِنْدَ الْوَطَيْسِ الذُّبَابَا
 أَوْ نِعَاجًا لَمْ حَنَ فِي كُلِّ تَجْدِي هَاصُورًا أَوْ ذَابِجًا قَصَابَا
 حَمِدُوا الْأَمْسَ مَقْبِلِينَ فَرَاخُوا نَكْسَ الْهَامِ يَلْعَنُونَ الْإِيَابَا
 وَتَمَنَّوْا لَوْ نَدَّتِ الْأَرْضُ عَنْهُمْ أَوْ يَحُولُوا مِنْ فَوْقِهَا أَخْشَابَا
 حَسِبُوهَا مِنْ خَوْفِهِمْ لَجَّةَ الْبَحْرِ، فَلَا تَأْتِي تَمُورُ اضْطِرَابَا ^{٦٤٥}
 أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارُ؟ كُلُّ حِصُونِ الْأَرْضِ، فِي وَهْمِهِمْ، ظَهَرْنَ خِرَابَا
 ذَكَرُوا «تَرْبَةً»، وَلَوْ ذَكَرُوهَا قَبْلَ إِقْدَامِهِمْ لَعَاَفُوا الذَّهَابَا

...

عَلِمَ السَّعْدُ هَلْ فَوْقَ «عَسِيرٍ» نَاشَرًا فِي سَمَائِهَا الْأَطْيَابَا
 رَمَقَتْهُ الْقُلُوبُ قَبْلَ الْمَلَقَى وَأَجَدَّ الْمُنَى وَكُنَّ تَبَابَا
 كَوَكْبًا لَاحَ، بَعْدَ مَا رَوَّقَ اللَّيْلُ، فَعَمَّ الْقُصُورَ وَالْأَطْنَابَا
 وَتَوَلَّى، فِي ظِلِّهِ مِنْ «عَفِيصَانَ» أَمِيرٍ يُشْرِفُ الْأَعْرَابَا
 فَطَنَةً، وَاسْتِقَامَةً، وَثَبَاتًا مِثْلَ أَجْدَادِهِ، وَأَمْرًا مُجَابَا

...

٦٥٠ عدّ الى الخدر يا ابن سلطان نجد
 والبس المجد والخلود ثوبا
 جئت ما يعجز الفحول الا والي
 وعلى هوليها دخلت الغابا
 فطرة فيك ضرب افق بافق
 البطولات لا تنال اكتسابا
 يولد الشبل للعظام طلابا
 كما تولد الورود رطابا
 وكما النسر يستطيب الاعالي
 ضاربا في جوائها جوابا
 وكره حيثما يطول جناح
 اينما كان لا يحس اغترابا
 ولقد يدهش الوري وهو فرخ
 آتيا في العلا امرأ عجبا
 صامتا في الخطوب واليمن ثبتا
 لا سريع الهوى ولا نعبا
 عالما انه وإن كان فرخا
 فهو كالسيف نجدة وصقلا
 وهو اطرى من الغصون مراسا
 انه يفعم النفوس ابتهاجا
 ٦٦٠ يا ابن عبد العزيز عد «لرياض»
 يفرش الروض عرض دربك زهرا
 ويباهي بك السيوف عظيم
 وتدلي البواسق الارطابا
 كنت عن مجد عرشه مستنابا

٣٥ / خط النشوة

عرش «عثمان» أو ملاذ الفساد هَدَفًا باتَ في مَهَبِ العوادي
فرماه «الغازي» فأنقذ تركياً، وكانت فريسةً استبداد
كان عبدُ المجيد آخرَ فرع طُوِّحَتْهُ مَظَالِمُ الأجداد
فتولى في ذلِّ أرملَةٍ ثكلى، سليلُ العلى، حفيدُ «مراد»

...

مَنْ لَهَا سُدَّةُ الخِلافةِ إِلَّا هاشميُّ مُشَرَّفُ المِيلاد
مَلِكٌ في الحِجاز نَوَّرَ «عثمان»، وأضفى السنا على بغداد
سادَ عرشَ الحِجاز بالنَّسَبِ الرَاقِي إلى عِترَةِ النَّبِيِّ الهادي
670 وبلادَ «الأردن» والساحلِ المأمولِ، والرافدينِ، بالأولاد
بالنجيين «فيصل» ثم عبد الله، لألا؛ عرشه في امتداد

...

١ أخذنا اسم السلطان الخلع عن المؤرخ (زيشكا). ٢ العترة: الذرية والعشيرة.

جاء «عمّان» رائداً مستبيناً مأرب العرب من 'مقيم' وباد
 أو ينفونهُ ولياً؟ وهل جيران 'عمّان' حزبه أم أعاد
 يا قطار الحسين شرف سهولاً فرشتها الورود بالأبراد
 أو هذا الذي يُثار دخان؟ أم بخور القلوب والأكباد
 إن «عمّان» بالموالين غصت واشتكى السهل بحجرة الأجساد
 هم على الموقف الخفيل قيام كقيام الفتيان للأعياد
 عدد النحل في القفير، وشبه الحقل غطاءه عارض من جراد
 لم ير العرب مثله قبل حشداً واحد الرأي، وإفر الوراد
 ٦٨٥ / يحسب الناظر الوفود توالى أن ظل الشريف كل البلاد
 حوله القدس والشام ومصر كالتفاف الأوتاد، حول العباد
 «الحويطات» عنده كبني «صخر» شباب العروبة الأنجاد
 وشيوخ العربان من كل فج حشدوا جمعهم كسيل الوادي
 الأهازيج رنحت عابر الطير، وهزّ الثرى حذاء الحادي

١ كانت قضية الخلافة بعد انقلاب السلطنة تشغل العالم الاسلامي، وخصوصاً الملك حسين لاسيما وان نجده فيصلأ أصبح ملك العراق، وعبد الله على إمارة الأردن فجاء الملك حسين عمان ليقرّب من الاقطار الحية الراقية في العالم العربي ويحس نبضها في هذه القضية الخطيرة. ولما وصل القطار عمان شاهد جلالة في المحطة مشهداً فريداً عجيباً خفقت له قلوب الساسة ورفرفت فوقه آمال الملك كلها. هناك كانت الوفود والجموع في انتظاره. وفود سوريا وفلسطين ومشايخ العربان من نواحي الشرق العربي. ورجال الحكومة من عرب وانكليز والصحافيون من مصر والقدس وبيروت والشام والجنود والجموع من بدو وحضر في الثياب العربية والإفريقية والجركية. وعندما أطل من القطار رفع الناس أصواتهم هاتفين: ليحي ملك العرب! ليحي المنقذ الاعظم! وقد كان الاستقبال حاراً باهراً. اصطفت جنود الجيش العربي على الطريق، من المحطة الى المدينة. وجال العربان من فرسان وهجانة وهم يهزجون الاهازيج البدوية. ورفع تلاميذ المدارس اصواتهم بالهتاف والانشيد وشاركت في الترحيب الطائرات الانكليزية التي كانت تعمّم في الغضاء. (ت. ن.)

ذكَرْتُ عَاهِلَ الْحِجَازِ بَعِزَّ الْعُرْبِ، إِذْ يُخْصِبُونَ قَحْطَ الْبُوَادِي
 مِنْ «قَرِيشٍ» وَ«خَثْعَمٍ» وَ«تَمِيمٍ» وَ«نَمَارٍ» وَ«عُذْرَةَ» وَ«أَيَادٍ»
 كَالشَّوَاهِينِ فِي رِحَالِ الْمَهَارَى كَالشَّيَاطِينِ فِي مَتُونِ الْجِيَادِ
 كُلُّهُمْ عَنَتُرُ بَدُونِ سَوَادٍ نَازِرًا سَيْفَهُ لِبَيْتِ «قِرَادٍ»
 عِنْدَ أَفْرَاسِهِمْ تَرَى أَلْفَ «شَيْبُوبٍ» خِفَافٍ ضَوَائِرٍ مُرَادٍ
 يَطْلُقُونَ الرِّمَاحَ فِي الْجَوِّ تَلْعَابًا، وَيَجْرُونَ لَاسْتَبَاقِ الصِّعَادِ ٦٩٥
 كَادَ «عَجَلُونَ» بَعْدَ «مَوَآبٍ» وَ«الصَّلْتِ» يُؤْدِي حُبُورَهُ «لِلْحِمَادِ»
 فَاضَ نَهْرُ «الْيَرْمُوكِ» مِنْ بَهْجَةِ الْعِيدِ، وَهَمَّتْ «حُورَانُ» بِالْإِنْشَادِ
 وَلَكَادَتْ آثَارَ «غَسَّانٍ» تَحِيًّا وَتَقْضُ الْأَنْقَاضُ ثُوبَ الْحِدَادِ
 قُطِرَ الطَّائِرَاتُ، مِنْ حَالِقِ الْجَوِّ، تَحْيِي الشَّرِيفَ بِالْإِرْعَادِ
 فَكَانَ الْأَعْرَاسَ فِي الْأَرْضِ قَدْ حَفَّتْ، جَلَالًا، بِالْمُوكِبِ الْمِيَادِ
 لَتَحْيِي أَبَا الْمُلُوكِ، وَسَبْطَ الْمَالِي الشَّرْقِ، صَفْوَةَ الْأَجْوَادِ

...

يَا لَسُوقِ الْكَلَامِ رَاجَتْ فَضِيجُ الْمَنْبَرِ الْمَشْتَكِي مِنَ التَّرْدَادِ
 كُلُّ غَالٍ فِي الشَّرْقِ يَكْسِدُ إِلَّا سَلْعَةُ الْقَوْلِ فَهِيَ ذَاتُ نَفَادِ
 خُطْبَاءُ كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ أَصْدَافًا، وَيَرْمِي الصَّخُورَ بِالْإِزْبَادِ

١ بنت قِرَاد: هي عيلة بنت مالك بن قِرَاد. ٢ شَيْبُوب: أخو عنتر من أمه زَيْبِيَّة وهو مشهور
 بخفته وبهوانيته. ٣ عَجَلُونَ ومَوَآب: جبلان في شرقي الأردن. والصلت بلد هناك والحماد بادية مشهورة.
 ٤ السبط: هو الحفيد ابن بنت الرجل. والمقصود بالمالي الشرقي: النبي محمد.

١٥٥ يُنذِرُونَ الغربَ العتيَّ بِسلطانِ ملكٍ، على المجرَّة، عاد
 بوليَّ يستلُّ، من جبهة الشمس، المواضي وعزيمة القوَّاد
 لم يهزَّ التهديدُ في الغربِ غصناً لم يُحرِّكْ إِلَّا هواءَ النادي
 فاشتكت صاحِبَ الهياجِ الزوايا وتلاشى الباقي على الأعواد
 بيد أنَّ المليكَ أسكره المَدحُ، وزادَ الحُمارَ قولُ المنادي
 سيِّدَ العربِ أنقذَ العربَ من ذلٍّ، فقد طالَ عهدُ الاستعبادِ
 منقذَ العربِ يهتفُ الناسُ، وليخيا الشريفَ الحسينَ للأبادِ
 ملكَ المسلمين، سبطَ رسولِ الله، فخرَ الزمان، قطبَ الرشادِ
 أترانا أبناءَ «يَعْرُب» مُتَناء؟ أمْ خُلِقنا لذَّةً واضطهادِ
 فَلَيْذِلِ المستعمرونَ، قَاماتُ البرايا، وَطِينَةُ الأوغادِ
 ١٥٦ فَلَيْذُوقُوا جزاءَ ما زَرَعُوهُ من شرورٍ فذا أوانُ الحصادِ
 ليس إِلَّا خليفة الله في الأرض، وما في اللغاتِ غيرُ الضادِ
 فكانُ الدنيا، بأروعَ ما فيها من الطِّيباتِ والأعجادِ
 لخداعِ الشريفِ بَثَّتْ حَلاها أتراها كانت على ميعادِ

١ صعد الخطباء والشعراء منصة البيان وطلقوا يخطبون وينشدون مهلين مكبترين ومهددين الانكليز والفرنسيين بل الأوربيين أجمعين . ليحييا ملك العرب المنقذ الاعظم لنحيا النهضة العربية ! يسقط الاستعماريون والمستعبدون . ويجب الملك : لا اتنازل عن حق العرب ، فلسطين لاهلها العرب . لا اقبل بالتجزئة ولا بالانتداب . ولا أسكت وفي عروقي دم فاذا رفضت بريطانيا ذلك فاني أرفض المعاهدة . الوحدة العربية والاستقلال التام للجميع . ولا عجب بعد هذه التصريحات المدهشة اذا تمت المباينة بالخلافة . فبعد المآذب والاجتماعات العامة مع رؤساء الوفود وكبار موظفي الانكليز نودي بالملك حسين خليفة المسلمين ، وأمير المؤمنين ، فبايعه السوريون والفلسطينيون الذين كانوا هناك ، ورؤساء عرب الأردن والحجازيون الذين كانوا مع جلالتهم وفريق من العراقيين . (ت . ن .)

فَرَأَتْ عَيْنَهُ تَمِيلُ إِلَيْهَا وَرَأَتْ قَلْبَهُ عَلَى اسْتِعْدَادِ

...

وَتَرْتُ حَرَّ كَوِّهِ، وَالْمَدْحُ يُغْرِي مَا فَوَّادُ الشَّرِيفِ صَنُو الْجَمَادِ
فَجَرَى بِالْوَعْدِ حِينًا وَحِينًا بِدَوِيِّ الرَّعْدِ وَالْإِيْعَادِ
مُخْلِصًا قَالَ: سَوْفَ أَنْذِرُ نَفْسِي وَحَيَاتِي لِأُمَّتِي وَبِلَادِي
أَكُلُ أَرْضَ فِي مَشْرِقِ الْعَرَبِ أَرْضِي وَكَذَا الْهَمُّ تَهْمُهُمْ فِي فَوَّادِي
أَمْنَهْجِي فِي خِلَافَتِي، مَنَهْجُ الْأَبْطَالِ، غُرِّ الْوَجْوهِ مِنْ أَجْدَادِي
سِيرَى الْإِنْكَلِيزِ أَتَى مَلِيكَ⁷²⁰ وَاسِعٌ مَطْمَحِي، صَلِيبُ قِيَادِي
وَسَتُرَوِي الْعَصُورُ شِدَّةَ بَاسِي وَبَرَى الْعَرَبُ كَيْفَ كَانَ ذِيَادِي
وَأَنَا ابْنُ الْإِمَامِ صَهْرُ رَسُولِ اللَّهِ، نَسْلُ الْمُطَهَّرِ السَّجَّادِ
نَسِي السَّبْطِ وَهُوَ شَهْمٌ خَيْرٌ آفَةُ الْإِثْتِلَافِ فِي الْأَضْدَادِ
إِنَّمَا الْقَلْبُ وَالسِّيَاسَةُ خَصْمَانِ، وَإِنَّ الدَّهَاءَ كَبَحُ الْفَوَّادِ
وَنَحْدَهُ الْعَقْلُ بِالسِّيَاسَةِ أَوْلَى وَلِخَيْرٍ لِلْقَلْبِ نَهْجُ الْحِيَادِ

...

أَغْضَبَ الْإِنْكَلِيزِ رَفْضُ عُنِيدِ مَا دَرَى كَيْفَ يَصْطَفِي وَيُعَادِي

١ السَّجَّادُ: الْإِمَامُ زَيْنُ الْعَابِدِينَ ابْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ الَّذِي سَلِمَ فِي مَوْقِعَةِ الطَّنْفِ وَهُوَ رَابِعُ الْأَئِمَّةِ الْإِسْمَاءِ
عَشْرٍ.

يُسْتَبَدُّ القويُّ، إن كان يستغني عن الأعطيات والإمداد
يُسْتَبَدُّ الذي يصيح بوجه الشمس إني الغنيُّ عن إرفاد
يُسْتَقْلُّ الذي يقول، لأهل الغرب، عندي مدافعي وعتادي
٧٣٥ حسبكم صُحْبَتِي إِذِ العرشُ عرشي فوق أرضي يَقُومُ، والزادُ زادي
وأنا السيف، والهمائلُ تُؤْذِنُنِي، غنيُّ عن حليّةٍ ونِجَادٍ

...

عاد للعرش بعد ذلك مَزْهُوًّا، غَضُوبًا، ينأى عن الإرشاد
رأيه لا يضلُّ، كالشمس لا تهفو، فيجري شعاعها في سداد
حواله عصبية تعيش على الزلْفى، رِحابُ الوجدان، سودُ الأيادي
كلما قال كلمة زعموها آية الدين أو مناط اعتقاد

١ إن لسقوط الحسين أسباباً سياسية وإدارية ومزاجية . أما السياسة فأهمّها إغضابه الانكليز في رفضه المعاهدة التي استمرت المفاوضات بشأنها ثلاث سنوات . وإغضابه أمراء العرب وفي مقدمتهم ابن سعود . ولقد كان في سياسته العربية يظهر غير ما يبطن . فيقول مثلاً انه مستعد للتنازل عن عرشه في سبيل من يصلح له أكثر منه . وهو في أقواله غيره في أعماله فلم يكن يرى في أمراء العرب الحاكمين غير من هو في الدرجة الثالثة أو الرابعة فلا منقذ سواه . وكان في عنته فريداً لا يسمع غير صوت نفسه وصداها، ولا يقرب منه إلا من كان صدق لصداءه . ان التبعة والحال هذه في جزء كبير من غرور الحسين هي على أولئك الذين كانوا نظاراً وقضاةً وكتاباً وضباطاً في حكومته فكانوا له أعداء مدرّعين بالمداهنة والمداجاة يستحون ويسجدون كلما فاه بكلمة مها كانت نافذة، وكلما جاء بعمل مها كان سخيلاً - أي نعم سيدي ، من احسن ما يكون سيدي، وحي منزل سيدي . - وكان يتمسك تمسك البخيل بحطام الدنيا فظلم الرعية وظلم نفسه وكل من حوله إلا المنافقين والمختلسين أمواله وأموال الأمة . يتملقون اليه من جميع الطرق فيقول أحدم مثلاً : السنة سنة جدد في نجد، جئت الآبار وهلك الألوف من الإبل . ابن سعود مصاب بالسل، وقد ثارت عليه قبائل الأحساء، وهم يقولون انهم لا يبقون غير الملك حسين . وكان الملك يظن ان مقالاته في جريدة القبلة تترجم في أوروبا وتهز العالم . وانه يستطيع وهو في الخلو ان يذو انه الخاسر (أن يتخذ البلاد ويؤسس الدولة العربية حاسباً ان العالم الإسلامي ينقسم لابنائه ويغضب لغضبه وان الذين يخدمونه يخدمون العرب والاسلام، ولا يبقون أجراً غير رضاه .

(ت . ن .)

فيقولون: بلبل الشرق غريداً، وحيداً، يسمو على الآحاد
 جلّ في ساحة البلاغة عن صنو، وفي المالكين عن أنداد
 يا لها من بطانة لم تعود غير خفض الرؤوس والأجناد
 ينعم كلهم يحيون فا «للا» تتساوى وبدعة الإلحاد
 ١٢٤٥ هم يحيونه بكل بهيج حين يبنون خلسة بأطراد
 ويسرونه بما يشرح الصدر، ويلهي عن دقة وانتقاد
 فيقولون: إن قحطاً بنجد ترك الزرع تلة من رمد
 المواشي بادت وسلطان نجد حاجب وجهه عن العواد
 داؤه أعجز الأساة، وصد النوم، فالجن شاخص للسهاد
 ولقد ثارت «الحساء» عليه واستفاقت كوا من الأحقاد
 كل حرف على الصعائف تلقيه، يندى غلّ القلوب الصوادي
 يدهش الغرب فالتراجم نشوى من أعاجيب ذهنك الوقاد
 رهن كفيك، إن تشاء، عرب الأرض، رجال النهى، ليوث الطراد
 كلهم! كلهم، عدا ابن سعود مرّ يحنك الزمان في الأجناد
 ١٢٥٠ تتعالى فصاحة وذكا، واقتداراً عن السن النقاد
 على الشرق جنب نجمك، أعداد توالى في صفحة العداد
 أو حواش في «المخلوان» فإن تبسم، غمرت الأمصار بالإسعاد
 من يجازف منهم بخطوة حرّ فليبادر بمخدم الجلال

كُلْنَا، كُلُّ مَنْ تَكَلَّمَ بِالضَّادِ، سَيُوفُ الْمَلِيكَ فِي الْأَغْمَادِ.

...

هكذا كانت المدائح تُغريه، فيلقي الأشياء من منطاد
وهو من بحر مدحهم في جميع وهو من زهو نفسه في انفراد
لا يرى حوله الثعالب، في الكرم، تسموخ يتيه في الأبعاد
يسرقون العنقود، وهو يود القطف، حتى من غيضة الآساد

...

أهل بيت النبي ما كان طه غير قطب المكارم الجواد
760 / خبزه، يوم كان يحظى بخبز للفرائي، وماؤه للصادي
لو ملكت الجبال تبرا، يقول المصطفى، وزعت على القصاد
قائما بالكساء من زينة الدنيا، وماوى وبلغه من زاد
«أنا عبد، كالعبد آكل مرتاحاً، وكالعبد مفرشي ووسادي»
«يا إلهي، مع المساكين فأحشني، دعائي لهم، وفيهم ودادي»
وتراه بفتح مكة، والأقطاب حفت به كيوم التنادي
يوم غنى له من الله نصر وبها الشعاع في الأراد
يونس الخائف الضعيف اعتراه من جلال النبي شبه ارتعاد

قائلاً، والكلامُ أحلى من الزهر، وفي الحرِّ من صبيب العهاد
لا تحفني فلستُ بابنِ مليكٍ ورث الزهو عن حرير المهاد
٢٧٠ إن أُمِّي كريمةٌ من قريشٍ لم تُمتَّعْ بنعمة الإرغاد
لم تَعَفْ ما كلَّ القديد، ولم تعرف دِمَقْساً للبسٍ واتِّساد
أحمدُ كان ألينَ الناسِ خلقاً عَصَمَ اللهُ حِلْمَهُ من عناد
يَسْتَشِيرُ الأصحابَ شهماً وديعاً وهو أغنى الوري عن استرشاد
حين يُوحى إليه يقطع بالوحي، وفي عيشه، نظيرُ العباد
بل نظير الضعافِ منهم صبوراً لسُغوبٍ، وللخطوب الشداد
فكانُ العراءَ والبردَ والزعزاعَ والرعدَ حصّةُ الأطواد

...

أهل بيت النبي كان عليُّ جدُّكم، كان سيّد الزُّهاد

١ اتِّسَدَ: انغذ الوسادة. ومما يؤثر عن النبي أنه يوم فتح مكة جلس على الصفا يبائع الناس. وجاء رجل فأخذته الرعدة فقال له هوّن عليك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد. وكان يقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد. وكان يأكل مع الخادم. ويجعل بضاعته من السوق. وقد عاش عيشاً خشناً فكان يأكل خبز الشعير غير منخول. وكان ألين الناس عريكة ما دعاه أحد من أصحابه إلا قال لبيك يخالفهم ويمادهم ويمازح صبيانهم، ويحيب دعوة العبد والحرّ والأمة والمسيكين ويعود المرضى في أقصى المدينة. وكان أجود من الريح المرسلة، وقال يوماً لأصحابه وقد اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه الغضاء نعماً لقسمته بينكم. وفي رواية، لو أن لي مثل جبال تهامة ذهباً لقسمته بينكم.

٢ السُغوبُ: الجوع. ٣ كان أبو الحسن يقول: إن دنياكم لأهون عليّ من ورقة في فم جرادة تقضمها، وأنها كمفطة عتر. ولا غرو فزهد الإمام ومآثره الخالدة مغرب الامتال وقد استوفينا الكلام عليها في ملحمة هيد القدير.

قال دُنْيَاكُمْ عَلَيَّ حَرَامٌ وهي أنثى ، فلن تنال قيادي
 وهي في خاطري كحَفَنَةِ أوراقٍ ، مشى فوقها نهمُ الجراد
 780 رَجَعُ أَفْرَاحِهَا كَمَقْطَعَةِ عِزٍّ وَيَوَاقِيْتُهَا رَهِيْفُ الْقِتَادِ
 أنا لو أسلبُ الرعيَّةَ فلساً جلفاني ، على النعاس ، رقادي
 وعصاني في ، وصَدَّتْ لَهَا قِيٌّ عَنْ طَعَامٍ مُحَبَّبٍ وَازْدِرَادِ
 ولَسَاهَتْ صَحِيفَتِي ، وَاُئْحَى أَجْرِي ، وزالت مآثري وجهادي
 كان ذاك العظيم يعلم أن المالَ والكثرةَ أحقرُ الأصفادِ
 طَهَّرَ اللَّهُ صَدْرَهُ مِنْ غُرُورٍ وَادِّعَاءٍ ، وَنَهَمَةِ الصِّيَادِ
 تَحْتَهُ كَانَ بَعْضُ قَشٍّ وَلَيْفٍ لَمْ تُدْنِسْهُ صِنْعَةُ النِّجَادِ
 وهو من تصغرُ العروشُ عليه وهو صنو الخلود في الآبادِ
 وهو إن يَفْتَخِرْ بِمَا ضُيِّقَ الشَّهْبُ آيَاتُ فَضْلِهِ وَالْأَيَادِي
 كعبةُ الفهم والبيان المَعْلَى والمروءات والسيوف الحدادِ
 790 لَيْثٌ «بَدْرٍ» وَ«خَيْرٍ» وَ«حَنِينٍ» ذَكَرَهُ فِي فَمِ الْعُصُورِ الشَّوَادِي
 إن يَلِمَ المِيدَانُ أَكْوَامَ فَخْرِ فَهِيَ غَلَّاتُ سَيْفِهِ الْحَصَادِ
 طَيِّبَ النَّفْسِ كَانَ يَلْقَى الْمُنَايَا لانتصارٍ ، أو مِيتَةٍ اسْتِشْهَادِ
 جودُهُ بِالدِّمَاءِ ، كَالْجُودِ بِالْفِلْسِ ، فَأَكْرَمَ بِالْبَائِسِ الرِّفَادِ
 من يَجِدُ مِنْ خِصَاصَةٍ بِرَغِيْفٍ وَهُوَ أَوْلَى ، مِنْ سَائِلٍ ، بِالزَّادِ

فهو أسخى الوري فبذل سواه من أباد، وبذله من فؤاد
كان ملء العلى أبو الحسن الشهم، فما هم مرة باعتداد
فلم الشمس كلها لا تباهي؟ وبياهي منها بصيص باد

٣١ / الحجـاز

هَاجَ أَمْرُ الخِلافةِ «الإخوانا» وانتضى من عُهودها الأضغانا
كلُّ ما كان من شجونِ دفيناً عادَ حياً فزَقَ الأُكفانا
٨٥٧ عندما تَدَمَّلُ القلوبُ، على غِلٍّ، يعودُ الأَمْسُ المُكْتَمُ آنا
عقدوا في «الرياض» مجلسَ شُورى ضَمَّ من كلِّ دَوْحةٍ أغصانا
رَأْسُهُ مِدْرَةٌ تَمُرُّسَ بالدنيا، وعانى من أمرها ما عانى
شَهِدَ العِزَّ، والمرارة، والإقبالَ، والهمَّ، والمُنَى أُلوانا
الليالي تَبْضُنَ لَيْتَهُ السُوداءُ، فازدادَ هَيْبَةً وإِترانا
فكَانَ الرَمَادَ، في هَدَاةِ العِمرِ، يُغِطِّي وقارَهُ النيرانا
فيعودُ الخيالُ قولاً رَصِيناً ومِرامي جِوَحَهُ برهانا
قالَ عبدُ الرَّحْمَنِ: يا أَهْلَ نَجْدٍ قد أَتَنِي أنباؤُكم تَهْتاناً

١ المدرِّس: السيد العاقل . ٢ عقد في الرياض اجتماع عام برئاسة الإمام عبد الرحمن حضره العلماء ورؤساء القبائل والسلطان عبد العزيز . فافتتح حضرة الإمام الجلسة قائلاً: «قد جاءني كتب عديدة من (الإخوان) وهم يصفون الحج . وقد أرسلت هذه الكتب في حينها الى ولدنا عبد العزيز، وها هو أمامكم بيمينكم فاسألوه عما يبدو لكم .
السلطان - وصلي كل ما كتبتموه وأحطت علماً بكل ما شكوتوه إن لكل شيء نهاية فلا تيأسوا وإن الأمور مرهونة بأوقاتها» .
(ت . ن .)

تبتغون الحج الذي قد حُرِّمْتُمْ فصرفنا نداءكم لِسِوَانَا
 للذي ردَّ عزَّ نجدٍ لنجدٍ وإلى المجد زَفَّها أوطانا
 ٨١٠ فاسألوه، فراحت الأُعينُ الحرَّى، على القُرب، تنشدُ السلطانا
 بين أجفانها السوآل، وقد نصَّت، لتلقَى جوابه، الآذانُ
 مثلما تشخصُ العيونُ لنسْرِ تَحْدَثُهُ جِلْوِها ربَّانا
 قشعمُ قبلها قمرُسَ بالريح، وجابَ العلى، وراض العنانا
 فاشْرَأَّتْ رؤوسُها راصداتٍ واستَحَرَّتْ عُيُونُها استئذانا
 قبل أن تترك الصعيْدَ إلى الجوّ، وتطوي فضاءه طيرانا
 فأجاب السلطان: صبرا، فعينُ الله، من فوق عرشه ترعانا
 قصدكم حجُّ بيتِه أنبلُ القصدِ، فلن يُهملَ الرحيمُ رجانا
 كلُّ أمرٍ له من الوقت حينٌ لا مرَدُّ له إذا هو حانا
 لا تبيحوا صدوركم لقنوطٍ إنَّما اليأسُ يجرح الإيمانَا

...

٦٢٠ ما عساهُ الندى يَبْلُ من الرمضاء فارت كُثبانُها فورانا
 حرموا الحجَّ منذ خمسة أعوامٍ، فذابوا إلى الطواف حنانا
 قلبهم في «الحطيم» في «عرفات» حيث يحدون كالغيوم الضانا
 فيهلُّ الأضحى يَهْدِي من الشاء، ومن صفوة النياق هيجانا
 ذلك اليومُ يُشبعُ البائسَ العاني، ووحشَ الفلاة، والغربانا

فِيحُلُونْ ، دُونْ خَوْفٍ وَلَا مَنٍّ ، عَلَى فَضْلِ رَبِّهِمْ ضَيْفَانَا
 ذَكَرُوا الْعِيدَ وَالْإِفَاضَةَ وَالْحَصْبَاءَ ، يَرْمُونَ فِي « مَنَى » الشَّيْطَانَا
 بَعْدَ سَعْيٍ إِلَى الصَّفَاةِ مُلَيْنَ : تَقَبَّلْ إِنْهُنَا مَسْعَانَا
 ظَلَّ كُنْتُ « الْإِخْوَانِ » سَتِينَ شَهْرًا يَلْتَظِي فِي صَدُورِهِمْ حَرَمَانَا
 مَنْ يَسُدُّ الْقَدَرَ الَّذِي تَحْتَهُ النَّارُ ، فَقَدْ زَادَ مَاءَهُ غَلِيَانَا
 ٥٣٥ / يَسْتَمِرُّ اللَّهَيْبُ فِي كَبْدِ الْأَرْضِ يَفْتُ الصِّيخُودَ وَالصَّمَانَا
 فَذَا صَدَعَ الصُّدُوعَ وَقَلَّ الصَّخْرَ أَبْدَى لِسَانَهُ بُرْكَانَا
 كَانَ ذَاكَ الْبَرْكَانُ شِبْلَ « نَجَادٍ » قَذَفَ الْوَقْدَ أَحْمَرًا وَالدِّخَانَا
 قَالَ : يَا أَيُّهَا الْإِمَامُ صَبَرْنَا فَلَا مَ الْإِغْضَاءَ عَنْ شَكْوَانَا
 كُلُّ شَيْءٍ لَهُ مَدَاهُ ، وَذَابَ الْقَلْبُ وَالْعَيْنُ فِي ارْتِقَابِ مَدَانَا
 يَمَثُلُ الْحَجُّ فِكْرَةً فِي خَفَايَانَا ، وَحُلْمًا مُنْعَصًا فِي رُؤَانَا
 لَيْسَ مَلِكُ الشَّرِيفِ مَا قَرَضَ اللَّهُ ، وَلَا حَاجُّنَا وَلَا حَرَمَانَا
 فَهِيَ مَلِكُ اللَّهِ الَّذِي أُنْزِلَ الْقُرْآنُ بِالْحَجِّ يَكْمُلُ الْأَرْكَانَا
 جَعَلَ الْبَيْتَ لِلْسُجُودِ مَثَابًا وَمُصَلَّى وَمَرْكَعًا وَأَمَانَا

١ الصيخود: الصخرة الشديدة. اندفع سلطان بن مجاد أمير العطف لقطع الكلام قائلاً: «يا لإمام نحن نبغى الحج ولا نريد أن نصبر أكثر مما صبرنا على ترك ركن من أركان الإسلام مع قدرتنا عليه. ليست مكة ملكاً لأحد ولا يحق لأحد أن يمنع المسلمين أو يصد المؤمنين عن أداء فريضة الحج. نريد أن الحج يا عبد العزيز فإذا منعنا الشريف حسين دخلنا مكة بالقوة. وإذا كنتم ترون أن من المصلحة تأجيل الحج في هذا العام فلا بد من غزو الحجاز لنخلص البيت الحرام من أيدي الظالمين والمفسدين.» (ت. ن.)

وَهُدًى لِلَّذِي اسْتَطَاعَ سَبِيلًا فَكَأَنَّ الْوَحْيَ الْحَمِيدَ عَنَّا
 نَحْنُ مَنْ يَسْتَطِيعُ دَرْبًا إِلَيْهِ وَهُوَ أَشْهَى مَا طَابَ مِنْ دُنْيَانَا
 وَلَوْ أَنَّ الصَّخُورَ تَصْطَفُ سُدًّا لَفَتَحْنَا أَصْصَهَا بِظُبَانَا
 حَرَّمَ اللَّهُ شَاقِنَا أَنْ نَرَاهُ وَنُلَبِّي، وَنَسْتَطِيبَ الْأَذَانَا
 حَيْثَا شَادَ أَحَدُ قِبَلَةِ الدُّنْيَا، وَهَدَّ الطَّائِفُوتِ وَالْأَوْتَانَا
 نَعْبُدُ اللَّهَ فِي حِمَاهُ وَلِسْنَا لِسُورِ اللَّهِ وَحْدَهُ عِبْدَانَا
 لَا يَرَانَا الشَّرِيفُ أَعْبَادَ رِقٍّ لَمْ تَلِدْ عِنْدَنَا اللَّبَاءُ جَبَانَا
 نَحْنُ فِي ظِلِّكَ الْمَدِيدِ، مِنَ الْأَمْجَادِ، نُضْفِي عَلَى الزَّمَانِ كِيَانَا
 فَتَحَلِّي مَا كَانَ مِنْهُ وَجُودًا وَعَلَى الْعِزِّ تَرَكِزُ الْإِمْكَانَا
 نَحْنُ إِنْ تَغَطَّشَ الْمَوَاضِي سَقِينَاهَا، إِذَا أَفَلَّتِ الْعُدُوتُ، دِمَانَا
 وَهِيَ لَا تَنْزِلُ الْمَغَامِدَ إِلَّا عِنْدَمَا يُغْمَدُ الثَّرَى شُهْدَانَا
 سَيْفُنَا ضَيْفُنَا فَعَارُ عَلَيْنَا أَنْ نَحْلِيَ فِرْنَدَهُ ظِلْمَانَا
 حَبْدًا فِي الْحِجَازِ رَمْلٌ حَبِيبٌ يَصْطَفِيهِ أَبْطَالُنَا أَكْفَانَا
 فِي سَبِيلِ الرَّحْمَنِ تَمْضِي، إِلَى الرَّحْمَنِ، غَرًّا بِوَسْلَا قَتْلَانَا
 نَفْدُ الصَّبْرِ بَعْدَ خَمْسٍ، فَلَوْ رَمْنَا مَزِيدًا لَعَافْنَا وَهَجَانَا

...

١ إشارة إلى الآيات: «إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى، وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ وَالسُّجُودِ». «فِيهِ آيَاتٌ لِّبَنَاتٍ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا». «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ».

بما عساهُ السلطان يَكنم بعد اليوم، والمَدُّ جاوز الشطآنَا
 كَبَّت الغيظَ جهدهُ أترَاهُ؟ يُلجم النورَ، والنهارُ استبانَا
 يشهدُ اللهُ قال، أَنَا صَبَرْنَا وطوينا، على الجروحِ، أَذانا
 قد حملنا، من الشريفِ، الذي يُخني الصيَاصي، وَيَهْظُ الصَوَانَا
 ما خفضنا له الجوانحَ إِلَّا زاد كبراً فعابَنَا وازدراَنَا
 قد بذلنا له المودَّةَ والألُفَّ تَتَرى فردَّها أضغانَا
 ٥٦٥ وخضوعاً لو للحجارة أدَّينَاهُ لاغرورقَ الجادِ ولانَا
 «نحن أولادك الصغارُ فمرْنَا ولنا الفخرُ أن نراك أبانَا»
 كم بذلنا له الخضوعَ صريحاً مثلها يَبرزُ الضياءُ عيانَا

١ الألفاظ : الهدايا . قال السلطان في هذا الاجتماع غاطباً العلماء والإخوان : « نحن لا نود أن
 نحارب من يسلنا ولا ننتفع من موالاة من يوالينا ولكن شريف مكة كان دائماً كما تعلمون يزور الشقاق
 بين عشائرنَا، وهو الوارث من أسلافه بغضنا . ومع ذلك فقد بذلت كل ما في وسعي لحل المشاكل التي بيننا
 وبين الحجاز والتي هي أحسن وكنت كل ما دنوت من الحسين تباعد، وكل ما كنت له تجافى إني ورب الكعبة .
 ولست أرى في تطور الأمور ما ينمش الأمل بل أرى الأمور تزداد شدة وارتباكاً . ولا يحسن الاستمرار
 في خطة لا تعزز حقوقنا ومصالحنا » . وقف السلطان عند هذه الكلمة فهتف الجميع : توكلنا على الله . إلى
 الحجاز ! إلى الحجاز .
 (ت . ن .)

وإثباتاً للخضوع الذي كان يديه السلطان تثبت هنا بعض العبارات الواردة في رسالته إلى الحسين فن رسالة
 مؤرخة ١٨ ن سنة ١٣٢٨ : « قدعنا أخانا عبد العزيز عبد الله السعود لموجب خدمتكم وأحبنا المصاوغة معه
 لموجب التبرك بأقدامكم وأرسلنا معه الصقلاوية والحمداني وكحيلان . ولا والله قصدنا في إرسالها لائكم بمجابتها،
 ولا شك في غايتها نبغي تقرب أنفسنا منكم فإنا هنا حاسبين أنفسنا من خواصكم والله ثم لكم . وإلا هديتسا
 لحضرتكم رؤوسنا وما تحت أيدينا » . ومن كتاب آخر، وقد شكاه إلى الشريف نفر من عتيبة والقصيم، قوله:
 « فإنا ابنكم وخادمكم ومملوك فضلكم سامع ومطيع لله ثم حضرتكم لأذن واحد من القصيم أو من عتيبة يدعي
 عليّ بأذى شيء منه ظلم فكما تأمرون أفعل امتثالاً لأمر الله ثم أمركم ... وحققنا على جنابكم أن تكونوا على
 حذر من أقوال الفاشقين للإسلام والمسلمين وأنا والله وبالله وبالله إن رضاكم وامتثال خدمتكم عندي أعز من
 رضا عبد الرحمن وخدمته ... ونحن بانتظار تدبير الله ثم تدبيركم ونحت الأمر . هذا ما لزم والرجاء إبلاغ
 سلامنا الأخوان السادات الكرام ومن عندنا أولادكم محمد وسعود وكافة السعود بقبولون أيديكم ودعم
 محروسين .
 (عن حافظ وهبه من كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين)

لا يكون السعود نصفَ صديقٍ بل يُؤدِّي مع الفؤاد اللسانا
 فهو كلُّ وجهاً وبسطة كَفٍ وخلاقاً ونجدةً وجنانا
 طالما للشريف لِناءٌ ورُمناه ، برغم اعتداده ، مولانا
 ووَدِدنا نكون بعضَ حواشيه ، وفي بعض دَوِحه أفنانا
 جفنانا كأننا بعضَ عِبدانٍ ضِعافٍ ، وكاد ألا يرانا
 أو رآنا الأوزانَ ، في كَفَّةِ الهُونِ ، لِنُعلي من صوبه الميزانا
 حسب اللطف والوداعة ضعفاً ! لا وَحَقِ الذي جبالاً يرانا
 وعلى هذه الجزيرة ، منذ المجدُ أرسى عماده أرسانا ^{٤٦٥}
 قد بَلَونا الزمانَ مُراً وحلواً وأَبِينا في الحالتين الهوانا
 واشتهينا ، قبل المذلة ، أنْ الخلدُ للصدق والاباء نَعانا
 نحن لِنَّا لنجعلَ العُربَ قلباً واحداً إن تفرَّقوا جثانا
 ليكونوا ، وإن تَباعدتِ الأقطارُ ، في كلِّ حازبٍ إخوانا
 يشهد الله أننا ما رَضِينا أنْ أبناءَ يعرُبٍ تتفانى
 ورضينا بأن نكون الأضاحي لو لشيءٍ عند الحسين ، رضانا
 بُغضه للسعود ، لو كان منظوراً ، لَرَأَتْ منه العيونُ دُخانا
 أتراه ، يومَ المحبي ، لِدُنْيانا ؟ أتى حاملاً إليها قِلانا
 طالما أَلَفَ الخصوم علينا وبمَسَنوتِ السهام رَمانا
 وَدَّ لو كان كلُّ شوكٍ بنجدٍ بين أضلاعنا يحول سنانا ^{٤٦٥}

وَذَوَاتُ الْجَنَاحِ طَيْرًا أَبَابِيلَ، لِيَرْمِي رُؤُوسَنَا بِحِصَانَا
 وَرِمَالُ الدِّهْنَاءِ تَمِي جَرَادًا وَبِعَوْضًا يَجْوِي نَقِيَّ هَوَانَا
 صَدَّنَا أَنْ نَحْجَّ، وَالْبَيْتُ لِلَّهِ، تُرَانَا نَظْلُ خُرْسَا تُرَانَا
 مَا أُرِيدُ الْقِتَالَ وَاللَّهِ لَكِنْ لَيْسَ مِثْلِي مَنْ اسْتَذِلَّ فِهَانَا
 نَحْنُ بِالْحَرْبِ وَالْمَعَامِعِ أَدْرَى وَيَجْنِدُ الْعَدُوَّ مَا أَدْرَانَا
 وَلَقَدْ نَثَرَ الْحَمِيسَ هَبَاءً لَوْ أَدْرَانَا عَلَى الْخَصِيمِ رَحَانَا
 هَتَفَ الْحَشْدُ كُلُّهُمْ: أَيُّهَا السُّلْطَانُ رَخَّصْ فَتَنْزِلِ الْمَعْمَعَانَا
 وَتَوَالِي دَوَائِيهِمْ كَعَصُوفِ الرِّيحِ، أَوْ أَزْرِقِ الْمَدَى غَضْبَانَا
 يَتَنَادُونَ لِلْحِجَازِ تَنَادِي فَتِيَّةِ الْحَيِّ تَنْشُدُ الْمَهْرَجَانَا

...

٨٩٥ لَيْنَا كَانَ سَيِّدُ الْعَرْشِ، فِي الزَّهْرَاءِ، يَسْتَوْقِفُ الْعُلَى وَالزَّمَانَا
 لِيُدِيرَ الْأَحْلَامَ فِي الْخَاطِرِ الْقَدَّ، فَيَغْفُو آنَا، وَيُبْسِمُ آنَا
 جَانِبًا عَالَمًا يَتِيهِ بِهِ الظَّنُّ، فَيَسْتَأْسِرُ الْخِيَالَ افْتِتَانَا
 يَلْمَحُ التَّخْتَ وَالْقَوَائِمَ يَاقُوتَا، وَأَدْرَاجَهُ تَوَشَّتْ جَمَانَا
 وَيَرَى دُوْحَةَ الْخِلَافَةِ سَادَتْ كُلُّ مَنْ كَانَ مُسْلِمًا، حَيْثُ كَانَا
 إِذْ يَحُوطُ الْإِسْلَامُ دَسْتَ حُسَيْنٍ قَائِمًا حَوْلَ عَرْشِهِ بَسْتَانَا
 غَرْسُهُ الْهِنْدُ وَالشَّامُ وَمِصْرُ حَدُّهُ حَيْثُ يَبْسُطُ الصُّوْجَانَا
 فَيَطُولُ الْخَضْرَاءُ تَوْنِسَ، أَوْ يَسْتَقْرِبُ الشَّوْءُ نَائِلًا غَمْدَانَا

أولست «إيران» شيعته الفضلى؟ فيولي إنعامه أصفهانا
لا يُسمى الندي في تلكم الأيام بهواً، وخدره «مخلوانا»
٩٢٥ / بل يُسمى، على خلوة، من الإشراف، والرجس، والحنى، إيوانا
قطبه أشرف الملوك انتساباً وأجل الورى نهى وبيانا
وترأت له جلالة كسرى مائلاً من سنائه البلدان
فراى كل عاهل عربي مائلاً عند عرشه نعمانا

...

بينما كان وهمه، كمرور الطيف بالحلم، يكحل الأجفانا
كان جيش «الإخوان» يمشي إليه لا قصير الخطى، ولا وسنانا
من مغاور «غطف» و«تميم» إذ تباري «عتيبة» قحطانا
وعليهم ليث الوغى ابن «بجاد» والشريف الذي «بترية» باننا
كان أضرأهما على صاحب التخت، وأمدى في ثأره شنانا
لم يسه «الإخوان» أن يقطعوا الآكام وثباً، أو يطفروا غزلانا

١ مخلوان : دين الحسين الخامس . ٢ يوم كان الملك حين جالساً على فراش الملك والخلافة، وهو يعلم بسيادة أعظم من السيادة العربية، بسيادة إسلامية شاملة، كان سلطان بن بجاد الملقب بسلطان الدين، والشريف خالد بن لؤي أمير الحزمية، زاحفين إلى الطائف بم جيش من الإخوان مؤلف من خمسة عشر لواء من ألوية الغطف والحزمية وترية ومنية وعتيبة وقحطان وبنو تميم . على أن هذا الجيش مع من انضم إليه بعدئذ من عربان الحجاز وأشرفه كالحزمية وبنو تميم لم يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل . وقد بلغ قرية الحوية، وهي تبعد عن الطائف بضعة أميال فقط، ولم يشعر به أحد . يومئذ استيقظت الحكومة فأصدرت نائلاً الحربية الهاشمية أمير اللواء صبري باشا أوامره إلى الجنود بالدفاع فخرجوا من الطائف إلى الحوية بالدفاع واستمرت المعركة فتغلب الإخوان . (ت . ن .)

٣ أمدى : أبعد .

٩١٥ ما كفاهم أن إحياء، إفرط الهمز، راحت تقطع الأرسانا
 فتمنوا لو طارت الأرض فيهم أو سروا في جوائها بيزانا
 السيوف التي تروم الأضاحي بعد خمس، سكتير القربانا
 غير لحم الكباش تبغي، فما ترضى، لا إخماد جوعها حيوانا
 ليس تبغي إلا القروم فطوراً وأعالى رقايبهم لمانا
 من تلظى للثأر، تبغ الضحايا، بعد خمس جهم عجاف، سمانا
 غلغلوا في الحجاز ما صدّهم تحم، ولا أظهر الثرى عدوانا
 سمع الضاد في الحديث مبيناً فتعزى صميمه واستكانا
 شارفوا قرية «الحوية»، ما لاقوا، لتعكير صفوهم إنسانا
 كان جيش الحجاز آمن من أن يتوق فيرقب الحداننا
 ٩٢٠ خالداً للسكون في ظل «صبري» قائداً، من كاله، ملاننا
 صيته، وهو في القيادة «باشا» قن أن يخلد الفرسانا

خسبت عزّة المناصب والألقاب غراً أن ترهب الشجعانا
 في «ديوجين» وهو كالشمس عار عبرة لن تفارق الأزمانا

١ بيزان : مفرد هاز . ٢ ديوجين : فيلسوف يوناني جشور استغنى عن الدنيا فاعتصر على ثوب واحد وعصا . وكان ينام في برميل بدلا من أن يأوي الى بيت . وقد مرّ به الاسكندر المقدوني العظيم ذات يوم وسأله عن حاجة يقضيها له ، فاجابه لي رغبة واحدة وهي ان تتوازي فقد حجب عني الشمس . وديوجين هذا هو الذي كان يحمل مصباحاً في ريعان النهار ويطوف به في اسواق أثينا فلما سئل في ذلك قال : اني ابحت عن رجل .

ذلك المالك القطيفة والبرميل، ما خاف من أخاف الأوانا
 من دحى عرشه على الشرق والغرب، فساد الوري، وساد المكانا
 إذ يقول الإسكندر الفارع المجدي، لذلك الذي توى عريانا
 « لك ما تبغني فأقبل علينا كل هذي الدنيا تطول يدانا »
 « منصباً، أو ولاية، أو نقوداً أو جماناً يطوق المرجانا »
 عقلك الفذ جاز متربة الشعب، ونال الفهم الرفيع ثنانا
 فأجاب الجري: عن كونك الأسنى، وكثر الجمان ما أغنانا
 « قد حجبت الشمس المنيرة عنا فترحل واطلب فقيراً سوانا »

...

لم ترد « الإخوان » جلجلة الألقاب، تحفي وراءها غيلانا
 قذف « الطائف » القنابل ترى عليها أن تصدع « الإخوانا »
 ضيقتهم ناراً ثلاثة أيام، فما راع هولها الضيفانا
 سخرُوا بالمات فابتعد الموت، كما يطرد الثقل مهانا
 بأْسهم قرب القلوب اليهم والبطولات يستلين الجنانا

١ أطلق الجيش النظامي المدافع مدة ثلاثة أيام على (الإخوان) فلم يتمكن من ردِّهم. أضف الى ذلك أن قسماً من البدو الذين كانوا في المراكز الأممية انضم الى الإخوان وسلّموا الباقون انضم اليهم أشراف الحرث ومعهم قسم من العربان الذين كانوا في الجيش الهاشمي. وكان سبب ثورة الأشراف نفرتهم من الحسين وبغية إسقاطه لما تقدم من الاسباب العديدة. وعندما وصلت أخبار الهزيمة الاولى الى مكة أمر جلالة الملك ابنه علياً بإيجاد الجيش المدافع. فجاء الأمير بسرية من الحيلة وأخرى من الهجانة. وصل الأمير الطائف ليلاً وخرج منها العضر ليعسكر في (الهدى) وهي على مسافة أربع ساعات من الطائف.

فَأَتَاهُمُ مِنَ الْعَدُوِّ مَوَاتٌ تَحْتَ بِنْدِ السَّعُودِ تَبْغِي أَمَانَا
 وَتَقْوِي صَفُوفَهُمْ كَجِدَارٍ جَاءَ عَفْوَاً لِيُدْعَمَ الْجِدْرَانَا
 جَاءَهُمْ كُلُّ مَنْ تَدَلَّهَ بِالْغَنَمِ، وَلِلْسَلْبِ شَمَرُ الْأُرْدَانَا
 ٩٤٥ بَدَوِيُونَ لَا يَشْكُونَ بِالنَّصْرِ، وَتُغْرِي الْمَذَابِجُ السَّرْحَانَا
 يَسْنَدُونَ الْقَوِيَّ، شَأْنُ سَوَادِ النَّاسِ، أَوْ يُشَبِّهُ الْوَرَى الْعَرَبَانَا
 جَاءَهُمْ كُلُّ مَنْ تَمَرَّسَ بِالسَّيْفِ، وَعَاشَ الْحَيَاةَ حَرْباً عَوَانَا
 كُلُّ مَنْ رَامَ دَرَسَ أَمْثُولَةَ الْحَرْبِ، إِذَا شَيْبَ الْقِتَالُ الْجَبَانَا
 كُلُّ مَنْ خَالَ «تَرْبَةً» وَرَأَى الْغُرَبَانَ فِي النَّهْسِ تَرَحَّمِ الضَّبْعَانَا
 كُلُّ مَنْ أَدَبَتْ حِجَاهُ اللَّيَالِي فَاصْطَلَى قَمَحَهَا، وَنَحَى الزَّوَانَا
 كُلُّ أَشْرَافٍ «حُرْثٍ»، عَلَوِيُونَ أَرَادُوا أَنْ يَبْدُلُوا الْأَخَانَا
 سَمِعُهُمْ ضَاقَ بِالتَّأَلُّهِ حِيناً وَيَوْمَهُمْ مُجَنَّحٌ أَحْيَانَا
 وَبَزْهُوٍ حَتَّى عَلَى أَنْسِبَاءٍ نَبَلُوا أَسْرَةً وَخَلَقاً وَشَانَا
 وَكَأَنَّ الْأَشْرَافَ قَالُوا: لِمَاذَا يَزْدَرِينَا وَالْجَدُّ طَهْ نَحْنَا
 ٩٥٠ كُلُّ طَيْبٍ فِي الْجَذَعِ يَسْكُبُ فِي الْأَوْرَاقِ طَيْباً وَيَغْمُرُ الْأَغْصَانَا
 جَلُّ عَدْلُ الزَّهْرَاءِ أَنْ تَمْنَحَ التَّبْرِيكَ بَعْضاً وَالْآخَرِينَ لِعَانَا

...

نَقَلَ الْخُطْبَ لِلْمَلِكِ ثِقَاتٌ لَبَسُوا لِلْمَصَابِ وَجْهَ الْحَزَانِي
 فَاسْتَشَاطَ الْمَلِكُ غَيْرَ جَزُوعٍ قَالَ: تَبّاً لَهُمْ أَهَانُوا حِمَانَا
 عَجَباً زُمِرَ «الْخَوَارِجُ» تَأْتِي دُونَ إِذْنِ فَتُبْرِمُ الْجِيرَانَا

...

فدعا بابنه علياً وقال: أنفِرْ إليهم، وبددِ القطعانا
 طرّاً إلى «الطائف» العزيز بجيشٍ كلُّ جيشٍ، بل كلُّ حيٍّ، فِدانا
 إزرع الأرض في «الحوّية» هاماً وأسلْ في وهادها الغدران
 فليطهرْ حُسامك الأرض منهم وتلداهمْ صقوركُ الذبّانا
 طهرِ الأرض حيث مرّوا فقد تلقحُ سماءُ، وتنبت الأفعوانا
 أو يليها جذبٌ فتغدو مواتاً أو سقامٌ، فتكتسي أدرانا ٩٦٥

...

منجداً خفَ للغياثِ عليٌّ قائداً كلُّ من يقود حصانا
 ورماةً راضوا المهارى صغاراً واستووا في رحالها هجّانا
 ولكانت بطولة الجيش تجدي لو تصدّ الصقورةُ العقبانا
 ولقازَ الأنجادُ لو غيرُ نجدٍ ملأتْ من سباعها الميدانا
 دخل «الطائف» الأميرُ ليحميه، ويسْتَنْقِذَ الجنانَ الحسانا
 حيثما تشرحُ الصدورَ الدوالي فتدلي حليها عقيانا
 ويثُ الریحانُ من عطره السابي، ليغري الحُسونَ والكروانا

...

أُترأه بالطلّ يُحمدُ أتوناً؟ وبالكفّ يدفعُ الطوفانا
 نقل الجيش «للهدى» فلعلَّ السدَّ فيها يُصادِمُ الفيضانا
 وتلاه في الهاربين إليها كلُّ من آثر الحياةَ فِدانا ٩٦٥

من يقولون: نحن بالعيش أولى وَلَيَّمْتُ كُلُّ مَنْ يَشَاءُ عَدَانَا
وَمَطِيُّ الْأَشْرَافِ كَانَتْ خَفَافاً كَالْيَعَاظِ تَنْهَبُ الصَّحَصَحَانَا
رُغْمَ مَنْ كَانَ فَوْقَهَا مِنْ رَزِينٍ كُنَّ فِي الْهُودِجِ الْخَفِيفِ رَزَانَا
وَتَلَاهُمُ بِالْفَرِّ جَنْدُ نِظَامٍ زُمَرًا يَرْكُضُونَ أَوْ وَحْدَانَا
لَا تُسَائِلُ عَنِ الْبَسَالَةِ إِمَامٌ غَلْغَلُ الذُّعُرِ فِي الْقُلُوبِ وَرَانَا
فَرَصَاصُ «الْإِخْوَانِ» قَدْ جَاوَزَ الْأَسْوَارَ وَالرَّعْبُ جَمَدَ السُّكَّانَا
وَأَنْهَارُ النُّفُوسِ يَسْتَتَبِعُ الْأَعْصَابَ حَتْمًا وَيُوهِنُ الْأَبْدَانَا

...

هَبَطَ اللَّيْلُ وَالنُّمُورُ عَلَى السُّورِ، وَأَرْخَتْ يَدُ الْبَلَاءِ الْعَنَانَا
وَطَفَّتْ كُلُّ شَهْوَةٍ تَلْبَسُ الْعَتَمَةَ دَرْعًا، وَتُفَلَّتْ الْحَيَوَانَا
فَقُتِلَ الْحَجِيُّ، وَتَحَمَّدُ فِي الْإِنْسَانِ كُنْهًا بِهِ عَدَا إِنْسَانَا

١ اليعافر: الغزلان. ٢ كن: ستر. والرزان مؤنث الرزين. ٣ كان الجيش التجدي يزداد عدداً وقوة فاضطر النظميون لتقهقر الى الطائف. تقدم الاخوان وأخذ رصاصهم يقع داخل السور فاستحوذ الذعر على الاهالي وكان الأشرف في مقدمة الهاربين. وخرج الشريف عدنان وزير الحريصة وجنوده وسائر الامراء والموظفون من المدينة ولحقوا بالامير علي. وبعد خروجهم بقليل دخل الاخوان في ليل ٧ سبتمبر الطائف كالسيل الجارف وهم يكسرون ويعتزون ويطلقون بنادقهم في الفضاء ثم في الاسواق قتلوا عدداً من الابرياء الذين لم يراعوا مثل غيرهم من الاهالي الى بيوتهم مستأمنين. وكان قد تخلف في المدينة جماعات من عرب الحجاز من الطويرق والنمور والبقوم وغيرهم، ناهيك بمن دخل مع الجيش من البدو (نسور الجنة) رؤود السلب والنهب. فاختلطت هذه الجموع في ظلمات الليل وكانت ساعة الهول. راح العربان او الاخوان بطرقون الابواب ويكسرونها فيدخلون البيوت إما قهراً وإما بعد ان يؤمنوا اصحابها ثم يعملون فيها أيدي السلب وكانوا يقتلون في سبيل السلب. وكان لهذا الحادث ألم في نفس السلطان عبد العزيز فأمر بتأليف لجنة لتقرير الحائر والتعويض على المتكويين من الاهالي ومن الهنود ومن الجاويين.

(ت. ن.)

سَبَحَ البدوُ في الدماءِ ، وفي السلبِ ، وعاثوا ضواريًا ذُؤبانا
 جَزَعَ الليل من أنين الضحايا ولوى النجمُ طرفه استهجانا
 إنَّ للنجم والدُّجَنَّةِ وجداناً ، إذا المرءُ ضَيَّعَ الوجدانا
 دأباً دامقاً يُرَوِّعُ أطفالاً ، ويفزو حقيبةً وصواناً
 عجباً للنسور تُسمي إذا ما أوماً السلبُ والهوى جعلانا
 ليلةً هَوَّهَها أشابَ حواشيها ، وأجرى زفيرها حرَّانا
 نامَ عنها القلبُ الرحيمُ ، وظلَّ الشرُّ ، في نَتْنِ جَوْهَها ، سهرانا
 عاثاً في الدموعِ والدمِ عريداً شروداً متعتاً سكرانا
 لم يجد لِلنَّهابِ أمضى من العُربانِ كفاً ، ولا أَحَدٌ بَنانا
 فاصطفاهم للفتك سَرَبَ ذئابٍ وارتدأهم ليلهُ قصانا
 يصرعون البريُّ من أجل ثوبٍ أو حلاوى تُطَيِّبُ الأُسنانا

...

يا لها من فواجعٍ مُوبقاتٍ عبيها الضَّخْمُ آلم السلطانا
 قد أَرَادَ «الإخوان» أبطال حربٍ لا غزاةً تُرَوِّعُ النسوانا
 وأرادَ العُربانَ آخلافَ سيفٍ لا لصوصاً تُعَيِّ الكيسانا
 إن أصابت أَكْفُهُم طيلساناً بالمواضي تَقَسَّمُوا الطيلسانا
 أو شَمِيمُ الطَّبِيخِ ضَرَى شَهاهُمُ فَمِنَ الدَّمِ يصبغون الجفاناً

١ الدموع : دخول البيوت بدون استئذان . والدموع : دخولها ليلاً . ٢ الجمelan : الخنافس .

٣ شَهاهُم : شهواتهم .

وإذا الضرعُ قَفٌّ عند احتلابٍ بضعوه ليجرعوا الألبانا
 مَضٌّ عبدَ العزيزِ نصرٌ أتاهُ عنه ما لوَّثَ السيوفَ وشانا
 قالَ فمحو بالحير ما دَنَسَ الشرُّ، ونعطي أموالنا إحسانا
 نحنُ من إثم غيرنا أبرياءُ من جُنَاياتِ ناهبٍ حاشانا
 سَرْدُ الغنمِ الذي انتهبوه أَلْفَ ضعفٍ حتى تجفُّ قِوانا
 نَسَحَ الدمعَ من جفون اليتامى ومن الفقر نَشَلُ الصبيانا
 عَصَبَةُ البدوِ فديةَ الزمونا سنودِي ونُجزلُ الأثمانا

....

لم يهزِ الشريفَ يأسُ انكسارِ فيعود الزهو الشديدُ ليانا
 رُغْمَ وقد الأشرافَ لَقَّهْمُ الذلُّ، فبانت وُجُوهُهْمُ زعفرانا
 زاده الخطبِ صولةً وطماحاً وتلظى فؤاده عنفوانا
 قال: ويحاً لجندنا أين فرُّوا قبل أن يوردوا الخوفَ عِدانا
 قبل أن يزرعوا السهول رؤوساً قبل أن ينثروا الضلوعَ طعانا
 قبل أن يثأروا «لِتربة» من قومِ اتُّونا وقد طوانا كَرانا
 (١) لبسوا الليلَ دِرْعَهُمُ واستعانوه، فأخفى قضيتهم وأعانا

١ عندما وصل الأشراف وغيرهم من الهاربين إلى مكة، وعندما علم جلالتهم بوصول الأمير علي إلى عرفات غضب غضباً مفرطاً وشرع بعد العدة لإعادة الكرة على الإخوان واسترجاع الطائف. جمع شتات الجند وجمع من استطاع من البدو فكانت التجريدة الجديدة خمس مئة من النظام ونحو ست مئة من قبائل الحجاز المواليين أي من هذيل وقريش وبني سفيان ومثني من أهل مكة ثم أمر الأمير علياً بالرجوع إلى ساحة الحرب. ٢ أي عندما اتُّوا تربة ليلاً.

خَسِنُوا أَنْ يُقَارِبُوا اللَّيْثَ إِمَّا يَكُنِ اللَّيْثُ خَادِرًا يَقْظَانَا
 نَحْنُ فِي خَدْرِنَا وَغَابُ حَوَالِينَا، عَوَالِي رَمَاحِنَا وَشَبَانَا
 مَا أَرَاهُمْ إِلَّا الزَّرَازِيرَ إِنْ صَحْنَا، وَفِرْعُونَ إِنْ طَرَحْنَا عَصَانَا
 أَهْجُومًا عَلَى خَلِيفَةِ طِهْ؟ وَضِيَاءُ يَرُونَ جَهْرًا عِيَانَا
 كَيْفَ لَمْ تَهْبِطِ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ فَيَمِيدُ الثَّرَى بِهِمْ مَيْدَانَا
 وَيُفِيضُ الْعِقَارِبَ الشُّقْرَ آكَامًا، فَلَا يَلْمُسُونَ إِلَّا زُبَانِي
 وَتَحُولُ الرِّمَاحُ عِنْدَهُمْ رُقْطًا لِدَانَا تَقْمَصُ الْمُرَانَا
 فَتَرَى كُلَّ نَصْلَةٍ نَابَ صِلٍ وَتَرَى كُلَّ صَعْدَةٍ ثَعْبَانَا
 كَيْفَ لَمْ يَعْقِلِ الْكُشَاحُ خَطَاهُمْ؟ حِينَا دَنَسُوا هَوَاهُ رُبَانَا
 ٧ خَبَدَا لَوْ عَجَّاجُهُمْ حَالِ دَاءٍ أَوْ شَرَارًا يَرُدُّهُمْ عَمِيَانَا
 أَوْ بَعُوضًا يَفْجُو الْأَنْوْفَ سَرَادِيبَ فَتَغْدُو رُؤُوسَهُمْ غَيْرَانَا
 أَوْ ذُبَابًا زُرْقًا لَهَا ذَفَرُ الْقَبْرِ، تَقْمَصُ الْجُلُودَ وَالشَّرِيَانَا
 تَرَعُ الْأُوجَةَ الْقَبَاحُ بُثُورًا وَصَدِيدًا فَتُشْبِعُ الدِّيدَانَا
 يَا سَبَاعَ الْحَجَازِ، يَا ابْنِي عَلِيٍّ أَيْنَ مِنْ يَبْذُلُ الدَّمَاءَ صِيَانَا
 كُلَّ هَذَا الْحَجَازِ مَا كَانَ شَيْئًا قَبْلَنَا، كَانَ سَبَسْبًا لَوْلَانَا
 مِنْ أَحَبِّ النَّبِيِّ ذَادَ عَنِ الْعَرْشِ، وَمَنْ أَبْغَضَ النَّبِيَّ قَالَانَا
 وَبَنَانَا أَكْثَرَ الْإِلَهِ وَصَايَاهُ، وَفِينَا قَدْ نَزَلَ الْقُرْآنَا
 إِنَّمَا يُغَضِبُ الْإِلَهَ وَطِهْ مِنْ تَعَدَّى مَقَامَنَا أَوْ عَصَانَا

أَقْتَلُوا زَمْرَةَ «الْخَوَارِجِ» إِفْنَاءً، فَلَيْسُوا لِمِثْلِكُمْ أَقْرَانًا
 ٣٠ مِنْ يَمُتٍ مِنْهُمْ إِلَى «مَالِكٍ» يَهُو، وَلِلْخَلْدِ وَالْعُلَى مَوَاتَانَا
 مِنْ يَمُتٍ مِنْكُمْ إِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى، فَيَلْقَى فِي بَابِهَا «رِضْوَانَا»^١
 مِنْ يَمَسِّ الْمَلِكِ الشَّرِيفِ، وَلَوْ بِالْفِكْرِ، يَلْقَى الْغُسْلَيْنِ وَالنِّيرَانَا^٢
 فَإِذَا آبَ دَائِمَ الطَّرَفِ، نَدْمَانَا، فَقَدْ نَزَّجْنِي لَهُ غَفْرَانَا
 وَمِنْ الْمَهْزَلِ أَنْ عَرْشًا سَعُودِيًّا غَرِيرًا بِنَفْسِهِ سَاوَانَا
 سَنَرَى فِي غَدٍ إِذَا احْتَدَمَ الْبَأْسُ، وَأَلْقَى كُلُّ الْجُرَانِ كَلَانَا^٣
 أَئِنَّا سَيِّدُ الْجَزِيرَةِ رَأْيَا وَفِعَالَا وَمَخْذَمَا وَسَنَانَا

...

وَاسْتَجَابَ الدُّعَاءَ بَعْضُ «قُرَيْشٍ» وَ«هُذَيْلٍ» وَالشُّؤْسُ مِنْ «سَفْيَانَا»^٤
 وَشَقِيتُ مِنَ الْعَسَاكِرِ وَالْبُدُودِ، وَمِنْ غَرٍّ نَفْسُهُ فَاسْتَهَانَا
 وَتَغَاضَى عَنْ شَوْكَةِ ابْنِ «بِجَادٍ» وَتَشَهَّى فِي «الطَّائِفِ» الرَّمَانَا
 ٤٥ قَاصِدِينَ «الْهُدَى» بِظُلِّ عَلِيٍّ قَائِدًا جَاءَ لِلْوَعَى إِذْعَانَا
 ظَلٌّ عَنْ سَاحَةِ الْقِتَالِ بَعِيدًا حُسْبُهُ أَنْ يُبَشِّرَ الدِّيَوَانَا^٥

١ مالك : هو خازن النار في جهنم وتقيضه رضوان في الجنة . ٢ الغسلين : الصديد وهو والزقوم
 المرّ مشرب ومأكل أهل جهنم . ٣ الجران : مقدم عنق البعير . وألقى جرائه أي ثقله . ٤ الشؤس :
 الشجعان . والأشؤس : هو الذي ينظر بمؤخر عينه اعتدافاً وزهواً . ٥ كان الأمير علي يدير هذه
 المعركة من قصر يبعد ألف وخمسة مئة متر عن ساحة القتال وفي هذا القصر هاتف يصله بواسطة مركز
 الارتباط في سفح جبل كراء بقصر جلالة والده .
 « هجم المدينة علينا فرددناهم خاسرين » . « أعاد المدينة الكرة فأعطرتهم مدافعنا وإبلاً من الرصاص
 فعادوا مدحورين » .

ولكنهم في الهجمة الثالثة وعلى رأسهم سلطان الدين نفسه ضربوا الجبهة ضربة ثلثتها، وكان في وسطها
 سرية من الفرسان من عرب عتيبة فتقهقروا فدخل (الإخوان) من تلك الثلثة . وأول من انهزم من بدو
 الحجاز هذيل وسفيان ثم أهل مكة، ثم جنود النظم . (ت . ن .)

شيمة الشمس، من بعيد، تهز الأرض خصباً، وتنبت البيلسانا
 فيقول الأمير طوراً دحرناهم، كما تدحر البزاة السمانى
 ويميد المهتاف للفرح البادي، ويرتج سلكه إرنانا
 ويشد الديوان من فرحة النصر، ويفتر جوه جذلانا
 نارة يهتف الأمير أعادوها، وقد هلّ وبلنا هتانا
 نحن برج الحجاز بالحصن مرصوصاً، فلن يبلغ العدو ذرانا

...

أَيْكَلُ «الإخوان»؟ وابن بجاد عن سباع الحجاز، يلوي العنانا
 دُحِرُوا مرتين، هل ينكص الليث، ويمضي لحدره غرثانا
 إتبِعُونِي! سلطان قال، وهز السيف عضباً مشطباً حرثانا
 لم يزدتهم قولاً، ومن يُدرِكِ العليا فعلاً، يُقَصِّرُ التبيانا
 فعله الفدّ كان أفصح من «قس» ومما يقال عن «سحبانا»
 زَغَرَدَتْ خلفه البنادق تفجوا في سرايا أعدائه خلجانا
 فتحوا جبهة أعز من «الأبلق» سوراً، وبرجه عصيانا
 فتوارت «عتيبة» و«هذيل» وتداعت صفوفهم خذلانا

...

هدأت ثورة البنادق حيناً مثلما الصحو يعقب الهيجان

مثلاً الرعدُ في الغمامة يُخبو قبلما الغيثُ يرتقي هَتَانًا
 أين كان «الإخوان» في مطلع الفجر؟، وقد ذرَّ قرْنُهُ إِيذَانًا
 سَجْدًا في الصلاة، لا الحربُ تُلَهِيمُ، ولا الموتُ هَانًا يتداني
 ٦٥ لو تَرَاهُمْ وهم أسودُّ ضواري في المصلَّى لَحَلَّتْهُمْ رَهْبَانًا
 وأذاع المِهْتَافُ أنْ هَزِمَ «الإخوان» والعِيدُ رَنَحَ «المخلوان»

...

طلع الفجر مثقلاً بهُمومٍ يسحب الذيلَ وانيأ كسلانا
 بعضهم راءه صبيحة عرسٍ بعضهم شامَ ضوءه أحزانا
 قبل أن ينشر الذوائبَ سُقْرًا أهلُ نجدٍ رأوا به إضحيانًا
 ورآه جندُ الحجاز، برغم الضوء جهماً، مُشْتَتًا، حيرانا
 كلُّ راء يرى الحياة بمنظارٍ، فتبدو عن نفسه إعلانا
 الصلاة انتهت، وتاق المصلُّونَ إلى عاجلِ الثوابِ، جنانا
 حيثما يهدرُ السُلافُ نهوراً لا ترى في ضفافها نشوانا
 قطرةً من دمِ الشهيد تلاقى ثناً خمرة الجنان دنانا

١ عند صلاة الفجر سكنت بنادق (الإخوان) فهتف موظف الهاتف يخاطب ضابط الارتباط :
 « انهزم المتدبنة سكنت بنادقهم » وكان السبب في سكون تلك البنادق هو ان أصحابها توقفوا عن القتال
 ليصلوا صلاة الفجر، ثم عادوا مستبشرين فتقهقر الأمير علي بشرذعة من الجيش الى الكر . وعند وصوله الى
 سفح الجبل، الساعة الثامنة صباحاً أمره جلالة الملك بالهاتف أن يرجع الى الهدى - « الطاعة ولو ذبحت » .
 قال هذا ورجع ورجاله أدراجهم فاكادوا يصلون الى منتصف الطريق حتى انهال عليهم رصاص الإخوان
 كالطر . وكان ضابط الارتباط في الكر قد ألحفهم بنجائب يقول : « قد انقطع التلغون بيننا وبين الهدى » .
 (ت . ن .)

٢ إضحيان : لا غم فيه .

٧٠ واستحب المنون كل جسر طلب الأجر لا ثباً عجلانا
 فأنبرى للقتال في سورة المحموم، إماً يُشارف البحرا
 خافه الموت والألداء خافوه، فوَلَّوْا كالحيل سيقَّت رِهاناً
 وعليّ ولي، وقد بدد الذعر السرايا، وشرّد الأعوانا
 لم يكونوا في حومة الموت أنكاساً، وكانوا أشاوساً خلصانا
 حبهم للشريف كان عظيماً حبهم للحياة أعظم شانا
 أدركوا أنهم دروع ولكن عاجزات أن تدعم التيجانا
 أن تاج الحسين مهما استماتوا دونه فالمقدّر الحتم داني
 هربوا ينفضون عنهم غباراً ربّما كان أصله أكفانا
 فتأذى المليك أن يهربوا الموت، ويستوحشوا القبور مكانا
 ٨٠ الأناي ود، قبل ابتلال الكعب بالماء، يُغرق الأكوانا
 قال: عودوا إلى الهدى واذبحوهم واستجيبوا الأجداد من عدنانا
 وكأني سمعت صوت عليّ أو حسيّاً من صوبه ناجانا
 فأعيدوا عليهم الكر حتى تردوا الموت أو تفوز منانا
 أطلقوا النار من سروج المذاكي من ربّانا، من قصرنا، من كوانا

...

١ اللاب: هو الشديد الظلم. ٢ مخلصين. ٣ الحسين: الصوت الخفي. ٤ الكوى: مفردا الكوة.

وَطَنَ النَجْلُ نَفْسَهُ لِيَعِيدَ الْكَرَّ، مُحَلِّوْلِكَ الْمَنَى أَسْوَانَا
 قَالَ: وَاللَّهِ لَوْ ذُبِحْتُ لَمْتُ، الْآنَ، مِنْ أَجْلِ عَرْشِهِ، فَرِحَانَا
 مُخْطِئًا كَانَ أَمْ مُصِيبًا، سَنَفْدِي مَنْ لِعِزٍّ وَرَفْعَةٍ رَبَّانَا
 لَا يَقُولُ التَّارِيخُ إِنَّا بَجَلْنَا بَدْمَاءَ يَرِيدُهَا مَوْلَانَا
 طَاعَةَ الْوَالِدَيْنِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ، وَمِنْهُمْ تَرَاتِنَا وَعَلَانَا
 ٩٥ سَتَقُولُ الْآيَّامُ، فِي هَرَمِ الدَّهْرِ، أَطْعَمْنَا لِمَوْتَ لَمَّا دَعَانَا
 هَاشِمِيُّونَ نَحْنُ، وَالْمُحْتَدِ الْعَالِي، مِنَ الْخَوْنِ وَالْعَقُوقِ، وَقَانَا
 قَالَهَا رَاجِعًا وَسَارَ حَثِيثًا فَإِذَا الْأَرْضُ زَلَزَتْ مَيَدَانَا
 وَاسْتَدَارَتْ مِنَ الدَّوِيِّ حَوَالِيهِمْ، فَزَاغَتْ أَبْصَارُهُمْ زَيْغَانَا
 كُلُّ ثُبَاسٍ «الْإِخْوَانِ» صَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْ يَصْدُ الْخُضْمِ وَالطُوفَانَا
 لَيْسَ مِنْ يُرْسَلُ الْكَلَامَ خِيَالًا مِثْلَ مَنْ يَنْزِلُ الْوَعْيَ طَعَانَا
 أَسْهَلُ السَّهْلِ أَنْ تُحَدِّثَ عَنْ مُرٍّ، وَصَعْبُ أَنْ تَجْرَعَ الْفَنَاجَانَا
 كُلُّ نَفْسٍ وَمَا أَطَاقَتْ، فَلَيْسَ الْمَطْلَبُ الْمُسْتَحِيلُ إِلَّا امْتِحَانَا
 لَا الْخُضْمُ الْأَجَاجُ يَنْبَتُ بَسْتَانًا، وَلَا الْبَرُّ يَطْلُعُ الْحِيتَانَا
 قَفَلُوا رَاجِعِينَ خُرْسًا كَأَنْ لَمْ يَقْرِنْ اللَّهَ بِاللَّهَاقِ الْإِسَانَا
 ١٠٥ لَوْ أَرَادَ «الْإِخْوَانُ» أَنْ يُلْحَقُوهُمْ لَهَمَى، فِي الْحِجَازِ، دَمْعُ الْحِزَانِي

١ قفل الأمير ورجاله راجعين وتوقفت (الإخوان) بعد هذا النصر في (الهدى) فلم يتعقبوا فلول الجيش الهاشمي ولا هاجوا مكة يومذاك، اجتناباً للقتال في ظل الحرم.

أو أرادوا عند «الخطيم» اعتقاراً لا تقوه ولا تمسوا الأركاناً
جرّم الله ما أرادوه ميداناً، ولا ركن بيته أرجواناً
عسكروا في «الهدى» وحسب قوياً أن على رأيه يروض الزمانا

الى مكة ٣٢

الحجازُ المنكسُ الراياتِ غَمَّةُ أنْ شَانِه في شتاتِ
 أنْ نهجَ الحسينِ في الأمرِ والنهي، بعيدُ عن دُرْبَةٍ وَأَنَاةُ
 أنْ آراءُه انِفَاضَةٌ مَوْتُورٌ، وَرَجْعُ الأَهْوَاءِ مضطرباتِ
 أنْ عرش الحجازِ باتَ شِراعاً بين هُوجِ الأَنْوَاءِ والموجاتِ
 أنْ أهل الحجازِ شَبُهَ قَطِيعِ سَائِبِ حَازِرٍ بدون رُعاةِ
 خَلَعُوهُ، وَبَوَّأُوا نَجْلَهُ العرشِ، جَاءَ الترياقُ بعد فواتِ
 ١١٥ ما عليُّ في الدَّسْتِ إِلَّا غَرِيمٌ بَهَظَتُهُ مشوومةُ التُّرَكَاتِ
 زرع الشوكِ غيرُه وعليه أنْ يَضُمَّ القِتَادَ للغَلَاتِ
 لَئِنْ الخَلْقُ كانَ غيرَ غَضُوبٍ نَاضَرَ الفَهِمِ، وإِضْحَ الغَايَاتِ

١ بتاريخ ٣ أكتوبر (٤ ربيع الأول سنة ١٣٤٣) أبرق وجهاء الحجاز الى جلالة الملك حين ما هذا
 نصه: «صاحب الجلالة الملك المعظم . بما ان الشعب الحجازي بأجمعه، الواقع الآن في القوضى العامة بعد فناء
 الجيش المدافع وعجز الحكومة عن صون الارواح والاموال، وبما ان الحرمين الشريفين خاصة وعموم
 البلاد مستهدفة لكارثة قريية ساحقة، وبما ان الحجاز بلد مقدس يعني أمره جميع المسلمين لذلك قررت الأمة
 نهائياً طلب تنازل الشريف حين وتنصيب ابنه الامير علي ملكاً على الحجاز فقط مقيماً بدستور وبمجلس
 وطنيين الخ . . .» وبعد مجادلات ومناقشات عنيفة تمت البيعة للملك علي في ١٨ أكتوبر . وفي اليوم التالي ركب
 الملك حين من ميناء جدة اليخت المسمى الرقنين وغادر الحجاز .
 (ت . ن .)

لا طموحاً الى المجرة يغزوها، ولا باغياً على الجارات
 حلمه بالسلام أقصرُ عمراً من نبات ربا على الصخرات
 أسلامٌ له وسلطانٌ نجدٍ ناذِرٌ ثلَّ عرشه؟ ... هيهات
 لم يُجِبْهُ عبد العزيز لصلحٍ وهو من ذاق غابرَ اللسعات
 تأكل الحصرم الأبوّة، والأبناء تنبؤ أضرأسهم في الغداة
 أسلامٌ والقائدان «نجد» و «لؤي» على مدى غلوات
 وجنودُ المليك باتوا فلولاً رفعت للسما صلاة النجاة
 بين نومٍ مُسهّدٍ وانتفاضٍ وليالٍ بَحَلَّه مؤذونات^{١٢٧}
 ودَّعَ العرشَ بعد سبعة أيام، الى «جدة» قريحَ اللهاة
 جاءها والحسينُ يستشرف البحر، شريدَ الأفكار والنظرات
 فتغيم الأَحَاطُ من بسطةِ الأفق، وممّا استهلَّ من عبرات
 صانها تحيدُ الشريف من الهَمي، فظَلَّت بالمجد معتلقات

١ أقام الملك علي أسبوعاً في مكة، فأدرك أن قوات الدفاع لديه لا تكفي لرد جيش نجد، فاعيك بغلبته. بل رأى جنوده مشتتين شاردين. وكان (الاخوان) قد وصلوا الى قرية الزينة التي تبعد ست ساعات عن مكة وهم مصممون على الحصار. فانحسب الملك علي ليلة ذلك اليوم ووصل جدة يوم كان الشريف حسين يتأهب للرحيل. ولكن علياً ظلَّ خارج المدينة فلم يجتمع بوالده، ولا كان من المودعين.

(ت. ن.)

٢ كان الملك علي قد أرسل الى السلطان عبد العزيز برقية جاء فيها:

«إن أقصى رغبتي أن يسود السلام في الجزيرة، وأن تعود السكينة ما بين نجد والحجاز. واني باسط لك رأيي في السلم ومقترح عليك عقد مؤتمر الرجوع الى انعام المفاوضات» على أنه اشترط جلاء الجنود النجدية عن الحجاز فأجابه السلطان بالاجاز: «ان شروطي الاخيرة هي ان لا صلح بيننا ما دام أبناء أبيكم يتوارثون الملك في الحجاز، وانتم تعلمون ان الحجاز للعالم الإسلامي فلا ميزة لطائفة من المسلمين على طائفة أخرى.»

(ت. ن.)

٣ غلوات: مفرداتها غلوة وهي مقدار رمية سهم.

لم يُودَّعْ نجلُ الحسين أباهُ وهو من «يَحْتِهُ» على خطوات
فتحاشى، والجو رَنَقَهُ الحزنُ، اصطدام الآهات بالآهات

...

طلع الفجر من «كدا» وفيه طَرَرٌ من ضوامر صافنات
زاهرات كالصبح يلمعن إشراقاً، وَيَكْخُلْنَ جَفَنَهُ سائلات
تتهادى الأفراسُ مشي عروسٍ لا يخفاف الخطى ولا ضابحات
فوقهن «الإخوان» رُغْمَ انتصارٍ سَرَبُوا كالأوائس الحفرات^{١٣٦}
دخلوا محرمين، فالسيف مغمودٌ، وما في السروج غير الثقة
شارفوا الكعبة الشريفة فانهاروا الى الارض سُجَّداً للصلاة
واستداروا بها يقولون: لَبَّيْكَ، وَخَفُوا لِمَرْوَةِ وصفاء
ثم نادوا بالخائفين أماناً في ملاذ الأمان والحُرُمات
ذلك اليوم كان سطرأً جديداً في سجل التيجان والدولات
أومأت مكة الى ابن سعود وتلاها الحنين من عرفات
فأعدَّ السلطان، للبلد الأعظم شأنًا، فريدة الرحلات
معلنًا أنه يروح لنشر العدل فيها مُتَوَرِّ الرايات

١ كدا: اسم مكان يشرف على مكة . والطرر مفردة طرمة وهي الناصية أو الجبهة . ٢ قد
استفتت القيادة العلماء في الرياض في ان يحرم الجنود ويدخلوا مكة منكسي البنادق فإن لاقوا من صدِّهم عن
البيت قاتلوه وإن لم يلقوا أحدًا دخلوا . ولكن العلماء منعوهم عن ذلك قائلين : إن دخول الحرم بقصد القتال
فيه لا يجوز . وفي ليلة اليوم الذي وصل فيه الملك علي الى جدة وصلت شرائط الجيش النجدي الى مكة ثم
مشى في صباح اليوم التالي الشريف خالد يقود بقية الجنود، فدخلوها محرمين وطافوا وسعوا واستولوا بعد ذلك
الإحرام على البلد المقدس وهم ينادون فيه الأمان الأمان . (ت . ن .)

أنه حيثما يرفُ حمامٌ آمناً من مصايدٍ ورُماةٍ
 ١٤٥ يأنفُ التُّربُ أن يمرَّ عليه جازُّ أو يمسَّ أذبالَ عاتٍ
 حيثما اختارتِ السما مَهْدَ طه صارتِ الأرضُ مَهْدَ حرَّياتٍ
 ومُصلَّى للمتقين طهوراً ليس فيه مرافقٌ للطفاة

....

ودعاهم عبد العزيز إشورى تجمع المسلمين كالسُّبُحات
 يسمع البيتُ عهدَهم ويَراهم من خلال الأقوال والنيَّات
 فاتحاً صحنه لصنعا، والهند، وكلَّ الألوانِ واللهجات
 فهو 'ملكُ الإله'، لا 'ملكُ إنسانٍ'، وزُوَّارُهُ جميعُ الجهاتِ
 راحَ مستخلفاً أباه على نجدٍ، ونجلاً 'موفقَ الرَّمياتِ'
 بسعودٍ وجدِّه اجتمع القطبانِ حزمُ الفتى، ورأيُ الثقاتِ
 ها هنا العلمُ في جلالِ مشيبٍ وهنا عَزَمَةُ القنا والشبابة

....

١ المرافق جمع مرفق وهو ما يرتفق به من مخدة ونحوها . ٢ في العشر الاول من ربيع الثاني سنة ١٣٤٣ كان السلطان عبد العزيز يتأهب للسفر الى الحجاز وقد خطب في الاعيان الذين جاؤوا لوداعه قائلاً: «اني مسافر الى مكة لا للتسلط عليها بل لرفع المظالم التي أرهقت كاهل العباد . اني مسافر لبسط احكام الشريعة وتأييدها . ان مكة للمسلمين كافة وسنجتمع هناك بوفود العالم الاسلامي فنبادل وإياهم الرأي في الوسائل التي تجعل بيت الله بعيداً عن الشهوات السياسية . وسيكون الحجاز مفتوحاً لكل من يريد عمل الخير من الأفراد والجماعات » . وقد استخلف على نجد والده الإمام عبد الرحمن ، وأتاب مكانه في العارض ابنه سعوداً على أن يعمل بمشورة جدِّه . ثم كتب الى بريدة وعنيزة والى بعض التجَّار من (الاخوان) أن يوافوه بالوينهم وجوعهم الى أماكن عيَّنها فاصبحوا جيشاً غفيراً . وكان في حاشيته آل الشيخ وأخواه محمد وعبد الله وابناه محمد وخالد وغيرهم من آل بيته ، ونفر من آل السبهان والرشيد وسواهم من الاعيان وراوية نجد المشهور عبد الله العجيري .

(ت . ن .)

١٥٠ موكبٌ فارقَ «الرياضَ» وفيه من رُباهَا شَذِيَّةُ الباقيات
 من أزاهيرَ مَثَلَتْ عَاطِرَ النَّبْتِ وَالْوَانِ رَوْضَةُ مُصْطَفَاةٍ
 بينهم نَاضِرُ الْحَدِيثِ، وَدُرِّيُّ الْقَوَافِي، وَشَارِحُ الْآيَاتِ
 وَظَرِيفٌ إِذَا تَلَهَّجَتْ الصَّحْرَاءُ نَدَى جَفَافِهَا بِالنِّكَاتِ
 وَرَوَاةٌ مَا الْأَصْمَعِيُّ إِلَيْهِمْ غَيْرَ تَشْبِيهِ رَبْوَةٍ بِالسَّرَاةِ
 وَسَرَايَا مِنْ «التَّقْصِيمِ» مِثَاتُ «هُجْرٍ» الْبَدْوِ أَتْبَعَتْهَا مِثَاتُ
 فَوْقَهُمْ رَأْيُهُمْ، كَأَجْنَحَةِ الْعِقْبَانِ، خَفَّتْ بِالنَّسْرِ مَقْتَدِيَاتُ
 فِي جِوَاءٍ مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْعَزِّ يُصَفِّقْنَ لِلْمُنَى فَرِحَاتِ
 مَا عَلَيْهِنَّ كُدْرَةُ الْحَرْبِ وَالْبَطْشِ، وَلَكِنْ بَشَاشَةُ الزُّهَرَاتِ
 سَمَرٌ فِي السُّرَى إِذَا طَالَ لَيْلٌ وَأَمَلَّ السُّلْطَانُ حَدَوُ الْخِدَاةِ
 وَصَفَا الْجَوُّ دَاعِيًا لَصَفَاءِ وَأَطَارَ الْبَهَاءِ نَوْمَ الْغَفَاةِ
 وَدَنَا النُّجُومُ لِلْبَسِيطَةِ حَتَّى لَتُشَكُّ الرِّمَاحُ بِالنَّجْمَاتِ

...

يَا «عَجَيزِي»: يَهْتَفُ الْأَمْرُ النَّاهِي، نَدَاءٌ يُلْقَى إِلَى عَشْرَاتِ
 ذَاكَ سِلْكَ الصَّحْرَاءِ، فِي أَذُنِ اللَّيْلِ، دُعَاةٌ تَقْدُمُ لِدُعَاةِ
 كَهَبُوبِ الْعُصُوفِ خَفَّ الْمَنَادِي مُسْتَحْتَأً سَرِيعَةً الرَّاحِلَاتِ

١ وكان في حاشية السلطان الشاعر عبد الرحمن النفيعة والسيد يوسف ياسين مذكورين هذه الرحلة.

٢ السراة: جبال السراة المعروفة. ٣ الراي مفردتها راية.

«مر بما شئتُ فإني سميع» فيقول السلطان: «يا بحر هات»^١
 العجيري! ما العجيري إلا ملتقى أبحر وشيخ رواة
 هو موسوعة وعت أدب العرب، فلمت بدائع الأشات
 كربيع ضم الورود جميعاً فتخير ما شئت من زهرات
 أو عصر المأمون تبغي؟ وما فيه من الحسن بارز الجنبات
 فإليك البيان! في منطق صاح وظرف سار، مع اللفظات
 لا اندفاع كما يثرثر مذار، ولا غفوة على السجمات
 بل حياة تطل من كل حرف وأدا يرف بالهجات
 وتجلي تذكر يسرد الأحداث، عرض المنظور في مرآة
 فتراه يستحضر السفر من غيب، ركوض الخيال في الصفحات
 أتريد القصور في ليل بغداد، كخد الحسناء مجلوات
 بث فيها السمار، في آخر الليل، شرار الأكباد مضطربات
 إذ تهيج الأوتار فيهم شجوناً فتجاري المشاعر الرنات
 وتذوب النفوس ممّا أثارت نبضات القلوب معزوفات
 بين «بسم» جهري و«زير» حنون ملاً من سواحر النغمات

١ قال مدون الرحلة: ترانا نسمر ونغن في السرى فاذا ما طال الليل ومل الحادي سمعنا صوت السلطان ينادي العجيري. وقد يكون راوية نجد معتزلاً الركب كما هي عادته فيكرر أحد الرجال كلمة السلطان: العجيري! يا عجيري تقدم. فيحث الراوية راحلته وبعد ان يدنو من عبد العزيز يسلم ويشرع يقرأ. أجل انك اذا كنت لا تراه تظنه يقرأ في كتاب من كتب الادب والشعر. ولكن العجيري لا يحمل كتاباً. العجيري يحمل في رأسه (الانغاني) و (الكامل) و (البيان والنبين) و (الكشكول) وبضعة دواوين من الشعر. له ذاكرة يقيها اذا كتبت خاطر سريع. وله أدب لا يقيد به برف ما يروي ولا يبعد عن معناه. وله صوت ونطق وطريقة في الالتقاء تدهش أكبر المثليين. (ت. ن.)

٢ البسم: هو اغلظ أوتار العود. والزير: اندفعا.

١٨٠ من جواب «رصد» الى «نهوند» «فحجاز» الى «سجا» «قبيات»
 وتميع القلوب من أنة الأوتار، حتى تسيل في الأنات
 وتخال الجفون، من سورة الحجر، جفون الأشفاق مختضبات
 في وجوه تشوقت رقصة الغيد، فبصت كالجر محومات
 الجواري بزغن من كل أفق كالدراري أشرقن منتثرات
 يتخالبن في الدمقس كأشباح، بمثل الشعاع مؤثرات
 عن لسان الأعراب جد غريبات، نقلن الدلال في اللغات
 يتمنى السميع وهو فصيح لو يظل الحياة في العجات
 من رأى يبنهن، من شعبات الشمس أطيا ف عسجد ذائبات
 إذ تبرجن مثلها في ضحاها عاريات الصدور مبتذلات
 ١٩٥ أو عققن الضفائر السود حتى عدن مثل الصبيان مطمومات
 قال فيهن مثل قول ابن هاني مستعيذاً من سحر جنيات

...

أو تبغي عن ذلك العصر قولاً؟ شرف الأمس حاضراً والآتي
 يوم فض المأمون مكنون آئينا، وهز الأقسام للترجات
 يتحف الضاد بالبعيد من الشاؤ، بعلم الأبداء والغايات

١ الرصد والتهوند والحجاز والسجا والبيات : نعتات معروفة في سلم الموسيقى الشرفية . ٢ طم الشعر : جزمة أو عقصة وإن هاني هو أبو نواس والمقصود هنا قوله :

مطمومة الشعر غلامية جنية في زير إنسان

٣ الأبداء مفردا بدء . والمقصود بعلم الأبداء والغايات : الفلسفة .

يا لك الله يا ابن هارون من فطن بعيد الأنظار والعزمات
منذ ما قام للعروبة عرش^٢ ملكي^١ مفيح^٣ الدارات
لم ير الشرق مثل عقلك وثأبا طموح الهوى الى القمات
أنت زوجت للبلاغة فكراً قبلما جئت كان رهن سبات
فنفضت الغبار عن كثر آرسطو، فذرت دنيا من العظمت
أنت أحييت^٤ فأيقظت شرقاً كان في الفكر كالغزاز الموات^٥
زرع^٦ كفيك ما جناه ابن سيدنا والغزالي من طيب الثمرات^٧
وابن رشد وكل من جنى العقل، وغط اليراع بالفلسفات
حيثا العرب يفخرون بغرس بعثوه للغرب في الحسنات
ويظنون نائمين على مجد توارى، إلا من الذكريات
فليقولوا: المأمون يرحمه الله، أضاف الحجى لأم اللغات

...

عسّ الليل والسدول تراخت^٨ عن تلال بالطل^٩ مشتملات
طلهن^{١٠} الندى فصف^{١١} الآلي كدموع الحسان ملتتمعات
ما له النابه «العجيري»^{١٢} مبهوتاً يدير الأحاظ في الأنكات

١ الغزاز: الأرض الصلبة . ٢ قد وضعنا ما وضعنا في هذا الفصل على لسان العجيري لتبدي آراءنا الخاصة في تواجـ تاريخية وأدبية وما يتصل بها . ولقد كان سرد الحوادث يقف حائلاً دوننا إلا في ما نقدنا اليه من خلاها فبسطنا في الأدب والفلسفة والاجتماع منات النظرات . أما وقد أتاحت لنا هذه الرحلة السلطانية حرية القول والتبسط في مواضيع شتى، حتى في الناحية الأسطورية التي أدركناها على بني هلال كما سترى - فقد اغتنمنا الفرصة ورافقنا السلطان في نزعة فكرية غير قصيرة المدى . (المؤلف)

فيرى في الندى تليدٌ بكاءً ويحسُّ النسيجَ في الدمعات
 ٢١٠ عجز الدهرُ أن يُجفِّفَ دمعاً سحَّ بين «الدخول» «فالمقراة»
 ذاك «سقط اللوى» وذكرى حبيبٍ من هنا خلَّ «كندة» من «مرات»
 ملكُ الشعرِ والمجون وصيَّادُ الغواني، وفاتنُ الفاتنات
 نالَ غفرانَ رَبِّه بقوافٍ من عيون البدورِ مُستلَّبات
 فكانَ السماءَ وهي غفورٌ أسبَلَتْ صَفْحَهَا على السَّيَّاتِ
 قال عبد العزيز، للبلبل الشادي: تحدَّثْ ومُدَّ في العندلات
 ما هو الشعرُ؟ من هو الشاعر الفحلُّ المجلي في مطلق الحَقَبات
 فلقد جاءني تعاريفُ شتَّى بشتيت الميول مصطبغات
 أترى الشعرَ تابعاً كلَّ حزبٍ؟ أم له في الحدود بعض الثبات
 قال: «مولاي إنما الشعرُ لحنٌ عبقرى من عالم الغيب آت
 ٢٢٠ عالمٌ في غياهب النفس محجوبٌ، عميقُ الأصدا، والحاجات
 كُشُورِ الإنسان بالكائن الأسمى، يراه الفؤادُ في ومضات
 فلذا كان في التدنُّين شعرٌ ولذا الشعرُ كان في الصلوات
 يتعالى عن طبعنا وهو مِنَّا كعلو الشذا عن الوردات
 جذعُها في الثرى وتنهلُ منه وهو غيرُ الأريج في النفحات

١ مرّ الجيش أو الموكب السلطاني في طريقه على بلدة (مرات) وطن امرئ القيس ثم جاز تلك الجبال والمياه والشعاب - وضع الحمى والنبير والخفاف - وقد طالما زانت قوافي الشعراء وهوذا ربع الريان، ذلك الشعب الحبيب وفيه يقول جرير من نوبته المشهورة وهي من أجل شعره:

يا جبذا جبيل الريان من جبيل وجبذا ساكن الريان من كنا

وهو الذي نحن إلى أهله الشريف الرضي فقال:

أيا جبيل الريان إن تعرُّ منهم فإني ساكوك الدموع الجواريا

ليس شعراً صقلُ الكلامِ خلياً من حياةٍ فالشعرُ شدوُ الحياةِ
حين تبكي وحين تفرح أو تشكو، ويعلو الشاكي عن الترهات
ليس شعراً وصفُ التعهرِ والفحش، وسردُ المحاذيرِ القذراتِ
وهوانُ الرجالِ هونَ عبيدٍ تتقَى الأنثى أو الشهواتِ
إنما الحبُّ شعلةُ الله شاعتْ في البرايا لتصهرَ الكائناتِ
لكشاعِ الضحى يُبِيدُ الجرائمَ ويُهْدِي آلاءَ للنباتِ
ليس شعراً ما كان خلواً من الفكرِ، خلواً القفار من واحاتِ
ليس شعراً ما كان لغزاً عصيَّ الفهمِ، جمَّ الوُغورِ والعَمَّاتِ
نصفُ عمرٍ يضيع في حلِّ معناه، ويفنى الباقي على العطفاتِ
ذاك شعرُ الضعيفِ يتشحُّ الليلَ فيبغى ترساً من الظلماتِ
لا يهابُ القويُّ مُنبَلِّجَ الصُّبحِ، وغزو الضياءِ والساحاتِ
إنَّ بينَ البسيطِ و«السادج» الغثِ كما بين روضةٍ وفلاةِ
زنبقِ الحقلِ وهو أبسطُ نبتٍ ناضرٍ الحسنِ، رائعِ البسماتِ
فالسراطينُ والضبابُ ورقطاءُ الأفاعي الكثيرة الفقراتِ
هُنَّ في القبحِ والتعقُّدِ آياتُ فيئسَ الدِّمامُ في الحشراتِ

...

إنما الشاعرُ المُجَنِّحُ، يا مولاي، ضوءٌ لا لأزمن العِكراتِ

١ لا تناقض بين هذا التعريف للشعر وما قدّمناه من اعتراف بشاعرية امرئ القيس وإكباره بين أدب وتهذيب النفس في ذلك الزمان - عصر الجاهلية - وبين حضارتنا اليوم فرق كبير .

ربّما عاش في السفوح ولكن روحه تقطن الذرى العاليات
 لا يرى في النجوم إلا رفاقاً مثله في الهوى وبث الشكاة
 وحساناً من كلّ زيف تعرّت ليلقاء الكواكب الراقصات
 فيجوب الخيال ألف سناء ويروى اليراع ألف دواة
 ينهل المرقم الموفق منها كوتر الخالدين في قطرات
 قطرة لو سرت الى البحر منها لاستحال الأجاج عذب فرات
 قلم العبقري دنيا فتون وفنون وملقى معجزات
 دونه في السمو تحفة رسام، وخلد الرخام بالتحّات
 وارتقاص الإلهام في الوتر الشادي، ونبض الحياة في الرعشات
 يبعثون الحياة في الوتر الميت، وعرس الألوان والصخرات ²⁵⁰
 وهو من قلبه يسلّ عطايه، ويلقي بها لجيل آت
 فيعيد الاشياء كالناس أشخاصاً، ويحيي عوالم الأموات
 هو ذاك الذي يُمثّل غاباً فيبث الأرواح في الشجرات
 فتحول الجذوع سوقاً حساناً والأفانين أذرعاً ضارعات
 يترقبن عودة الصبح والأطيّار، باللحن والندى حلمات
 يتأوّنن للنسيم دلالاً من عوادي دُعابه وجلات
 أو ليس الذي يُمثّل نهراً فيريك العُجاب في الضفّات
 عالم النضرة الذي يلبج الأبصار حتى يغلّ في الحدقات

فُشِدُ الْجَفُونُ حِرْصاً عَلَيْهِ وَإِتْقَاءً لِعَفْلَةٍ وَانْفِلَاتِ
وِيرِيكَ الْمَاءَ الصَّفِيَّ لُجِينًا تَنْزِلُ الشَّهْبَ فِيهِ مَبْتَرِدَاتِ
لِتَلَاقِي عِرَائِسَ الْمَاءِ نَشْوَى يَنْتَهِنَ اللَّذَاتِ فِي الْأُمْسِيَّاتِ
عَارِيَاتٍ، إِلَّا مِنْ الْحَسَنِ، أَبْكَارًا، مِلَاحًا، كَوَاعِبًا لَيِّنَاتِ

...

قَلَمُ الشَّاعِرِ الْمَحِيدِ وَلُودُ عِبْقَرِيَّ الْخِيَالِ وَالْوَثْبَاتِ
يَثْقُبُ الْغَيْبَ الصَّفِيقَ وَيَلْوِي وَيَجُوبُ الْآفَاقَ فِي لَمَحَاتِ
فَيَكْفُ الْغَيُومَ إِنْ شَاءَ صَحْوًا وَاللَّيَالِي يَرُدُّهَا ضَاحِيَاتِ
الْفَيَافِي يَنْعَمَنَّ، مِنْ ظِلِّهِ الضَّافِي، بِخَضِرِ الظَّلَالِ وَالْجَنَّاتِ
يُسْعِدُ النَّاسَ وَهُوَ أَنْشُودَةُ الْبُؤْسِ، وَإِلْفُ الْهَمُومِ وَالْعِبْرَاتِ
طَالَمَا رَنَحَ الْمَسَامِعَ شَادِرٍ سَالِ إِنْشَادُهُ مَعَ الزَّفَرَاتِ
هُمْ يَطْنُونَهُ بِرُوضٍ لَفِيفٍ وَهُوَ مِنْ عَيْشِهِ بِصَحْرَاوَاتِ
فِي لَاشِي حَيَاتِهِ فِي غَنَاءٍ وَيُودِي أَنْفَاسَهُ مُحَرِّقَاتِ
بِاسْمِ الثَّغْرِ صَائِنَ النَّفْسِ مِنْ ذَلٍّ، رَفِيعَ الْهَوَى عَنْ الرِّشْوَاتِ
طَاوِيًا جَرَحَهُ عَنِ الْأَهْلِ لَحًا وَأَحْمَاءَ صَحْبِهِ وَالْأَسَاةِ
وَهُوَ يَدْرِي أَنَّ لَيْسَ كَالصَّمْتِ شَيْءٌ يَرْفَعُ الصَّابِرِينَ لِلذَّرَوَاتِ
مُوجَعًا يَقْطَعُ اللَّيَالِي وَيَجْلُوهَا، لَا أَبْصَارَ غَيْرِهِ مَقْمَرَاتِ

فهو بالجسم في مكان زَرِيٍّ وهو بالصيت زينة الندوات
مركزُ القول في الحديث على الشعر، وقطبُ السُّمَّار في السهرات
يا لتعس المصباح يفنى حريقاً وُعيونُ الوري الى المشكاة
أختمُ أن يُبتلى كلُّ عصرٍ بعماء عن الهدى والهداة
فتراهم في الجاهليَّة، من شحٍّ، يَخْدُون مَدْفناً للبنات^١
وَيُؤَدُّون ضأنهم وحلأهم لِرِضا «العزى» وعطف «مناة»^٢

...

إنما الشاعر العميق نبيُّ سابرٍ للقلوب والمهجات
يتجلَّى في وثبة فيراها ويُحسُّ الحسَّ في اللغات
حادِثاً من ورائها وهدة اليمِّ، وهول الأغوار واللَّجَّات
مرهفاً حسَّه الدقيق لأصداً، كرهرة المني هاربات^٣
فإذا بالفطين يدرك سرَّ الناس، لمح البصير في مرآة
ومحبوب الصدور حتى ليُبدي نبضات القلوب في صفحات
فيرى الناس فيه كلَّ ماآتهم، وألوان عيشهم ناطقات
من شؤون الهوى، وحزن الحرائف، وضروب الملهمة والمأساة
عالم أصغرُ تلاقت عليه صورُ الناس من شتيت الفئات

١ خدَّ الأرض: شقَّها. والمقصود وأد البنات. ٢ العزى ومناة: من أصنام الجاهلية. ٣ ترهرة السراب: تنابع لمعانه.

٢٩٥ عاش عنهم، وحِيلَ لهم غائصاً لليدين في العوسجات
 حاملاً وحده نوائب جيلٍ من همومٍ جَلَّتْ، ومن تبعات
 فكان الذي تحمّلَ عصراً جاب كلَّ العصور مختصرات
 كم يه عاشت الكبار، ولولاه لظلَّ الأعلام في التكرات
 مجد «حمدان» شاده المتنبى بقوافٍ من السنا حاليات
 كم هوت، غير «سيف دولته» الفرد، سيوف عزيمة الدولات
 فتلاشوا كأنهم، في مهبِّ الريح، بعض الهباء والذرات
 بورك الشاعر الذي قام طوداً في مئات النجود والربوات
 حُضِنَتْهُ الشهباء بعض حياة وهو مدَّ الشهباء بالحيوات
 فهو في الخالدين ذكراً وهذي حلبُ أمه من الخالدات
 ٣٦٥ البناء الجبار ما شاده الشعر، نغير الأقلام، خير البناء
 باد عزُّ الرشيد، وأندرس القصر، وعاش الرشيد في أبيات
 ذاك أن الصخور تحيا لوقتٍ ويعيش القريض للأوقات
 من «أخيل»؟ لولا «هميرُوس» ما «طرُودة»؟ ما مليكة الملكات
 فنَّه مدَّ تحت أقدامها الدنيا، وكانت لولاه في العاهرات

١ قد جمعنا حياة على حيوات فن احتج علينا بأنها لا تجمع وحكمها حكم (موت) رددنا عليه بأن
 الانسان يموت مرة ويعيش غير مرة، في رأي المؤمنين على الأقل، فضلاً عن رأي الفائلين بالتناسخ. ولخير
 لنا ولقمة ان نخطو هذه الخطوة - وقد أثبتنا أمثالها عشرات المرات - من أن نجتمع مع الجامدين فتجعل حيوات
 جمعاً ثانياً للحيوة كأن (الحيات) وحدها لا تكفي لتلك المخلوقة الخيفة. ٢ أخيل: هو أبرز أبطال
 إلياذة هوميروس. وهيلين: هي زوجة منيلاوس. وقد تركت زوجها وهربت مع باريس ابن بريام ملك
 طروادة وكانت الباعث الأكبر على الحرب وفناء الرجال.

وَلَطَّلَتْ «هَيْلِينَ» غَفْلًا، كَمَا مَرَّتْ عَلَى الْقَفْرِ أَحْقَرُ الظَّبْيَاتِ
أَوْ كَمَا مَرَّتِ الضَّبَابُ عَلَى الصَّخْرِ، وَجَالَ النِّسِيمُ عَبْرَ الْقَنَاةِ
وِخْضَمُ التَّارِيخِ بَحْرٌ رَهِيْبٌ كَمْ حَوَى قَبْلِهَا مِنَ السَّمَكَاتِ
كَمْ حَوَتْ نَجْدُ قَبْلَ «قَيْسٍ» وَ«لَيْلَى» مِنْ «قَيْسٍ» جُنُودًا «بَلِيلَاوَاتٍ»
وَشَبِيهٍ «لَعْنَتِي» وَ«لَعْبَلَاءٍ»، فِي الْعُرْبِ جَيْشُ «عَبْلَاوَاتٍ»
وَحَدَهُ الشَّعْرُ خَلَّدَ الْحَسْنَ وَالْحَبَّ، وَأَعْطَى الْحَيَاةَ لِلْأَمْوَاتِ ٣١٥
وَأَقَامَ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَ دُنْيَا وَأَحْدُ السُّيُوفِ وَالثُّورَاتِ
دُونَهُ سَوْرَةُ الْجَحِيمِ احْتِدَامًا إِنْ تَلَطَّيَ فِي الْحَبْرِ وَالْأَسْلَاتِ
رُبَّ شَعْرٍ بِالْأَمْسِ أَجْرَى نَهْرًا مِنْ دَمَاءٍ، وَأَدْمَعِ الثَّاكِلَاتِ
مِشْعَلٌ يَلْهَبُ الدِّغَالَ وَيَمْحُوهَا، وَيَفْنِي الْحَيَاةَ فِي الْغَابَاتِ
طَعْنَاتُ الْأَقْلَامِ، إِنْ مَدَّهَا الْحَقُّ، وَأَجَّ الضَّرَامُ فِي الْقَصَبَاتِ
وَاسْتَشَاطَ الْخِيَالُ فَاَنْدَفَعَ الْإِلْهَامُ، شَبَهَ السُّيُولُ مُنْفَجِرَاتِ
فَهْيَ بِالْفَتَكِ شَرُّ مَا عَرَفَ الطَّعْنَ، وَقَصَّ الرُّوَاةُ مِنْ فَتَكَاتِ
وَلَقَدْ يُجْهِلُ الْجَمَانُ زَمَانًا وَيَكُونُ الْبَرِيقُ لِلصَّدَفَاتِ
بَعْضُهَا يَسْتَوِي لِبَعْضٍ ظَهِيرًا وَيُضِلُّ الْوَرَى عَنِ الْوَلُؤَاتِ
فَإِذَا غُيِبَ الْمُرَاوُونَ وَالْحَسَادُ عَاشَ الْمَغْمُورُ فِي الذَّاكِرَاتِ ٣٢٥
إِنَّ تِلْكَ الْأَقْلَامَ وَهِيَ قِصَارُ أَيْنَ مِنْهَا الرِّمَاحُ مُسْتَجِرَاتِ
وَلَيْنَ دَلَّ فَارِسٌ بِقِنَاةٍ قَالَ فَذُّ الْقَرِيضِ: هَذَا قِنَاتِي
فَإِذَا مِتُّ فَهِيَ لِلْخَلْدِ إِرْثٌ لَيْسَ مِنِّي لِلْأَرْضِ إِلَّا رِفَاتِي

١ أوردنا لبلاوات وبعدها عبلاوات على الحكاية لا على القاعدة لذلك وضعناها بين قوسين .

إنما هذه القناة حمتني وحتت رفرَفَ العلى غاراتي
 ببيان كالبرق يَسْتَيْقُ الرعد، ويرمي الأوغاد بالصاعقات
 فيردُّ الذئاب عن صير الضأن، ويذكي حمية في الرعاة
 أنا صنو الشلال في دولة الفيض، ورَجع الهدير والصيحات
 مثله رفعة ودفق سخاء وبشيراً باليمن والبركات
 مثل ينبوعه نقاوة كف زهاً عن مكاسب وسخات
 ما رأني الجوزاء في موقف الذل طريحاً وموطن الشبهات
 أو تخلى عن الآباء براعي فتردئ في معرض الصدقات
 عوذتني من التبذل نفسي وانتحت بي مراتب المكرمات
 سرت في زحمة الحياة وحيداً وأضل المستكبرين أناقي
 سوف يمضون في الزمان رماداً ويعيش الزمان في نبراتي
 وتعود العصور تسأل عني كاسرات الجفون معتذرات

...

العجيري قال، وانشرح السلطان صدرأ وهش للنفحات
 إنما يُفرح الكلام على الفن فواداً مشى على الغمرات
 يُستطاب النسرين في موطن الأشداء، بعد الهجير واللفحات
 كلُّ شبرٍ من هذه الأرض سفرٌ وحديثٌ عن أزمن مُترقات

٢٤٥ ذاك وادي « الرشا » وذا جبل « الريان » طود الجائل النضرات
 فيه للشعر من جرير خنين صارخ في الأزاهر الفاغيات
 وهنا الركب صاعداً في ربي « شعلان » بين العرار والسمرات
 وتكاد المطي تسكر من فوح فتمضي مخورة هائات
 كم خيال عن أرض نجد بعيد رف من فوق هذه الأكمات
 يتنشى من العرار ويمليه قريضاً منوراً الباقات
 فكان الآفاق من مشرق الشمس لمهد العرار ملتفتات
 وتخال الأحاب من كل قطر أجنحاً فوق طيبه حائات
 أيها الصاعدون في درجات الوحي صونوا أرجاءه العطرات
 جبل « النير » الذي قد وقلمت في أعاليه ملعب النيرات
 ٣٥٥ لا تثيروا غباركم في حناياه وشدوا أزيمة اليعملات
 ولتمس البقاع مساً رقيقاً واجت في مصعد التلعات
 تلعات رقى الخيال إليها ليسامي علوية الدرجات
 فتدلى رف الخلود ولاقت سدة الشعر سدره السدرات
 عند ماء « المصلوم » حطوا رحالاً واخشعوا في الوضوء والركعات

١ سار الركب السلطاني مصعداً من الريان الى وادي الرشا بين جبال شعلان والحوار حيث تبدو
 أعالي نجد في أبهى الخلل من الاخضرار . تلك البلاد التي يتغنى الشعراء بعراها وطيب هوائها وفسح أرجائها .
 ووادي الرشا يعلو نحو ألف واربعمئة قدم عن سطح البحر ، وظل الموكب مصعداً حتى بلغ ماء يدعى ماء
 المصلوم . ٢ السمرات : مفردة شجرة : نوع من شجر العضاة . ٣ اليعملات : النياق .
 ٤ البقاع : التل المشرف وكذلك التلعات .

يَتَبَادَرُ إِلَيْكُمْ الْأَجْرُ وَالطَّهْرُ، وَنَفْحُ الْجَمَالِ فِي الذِّكْرِيَّاتِ

...

قد أَجَزْتُمْ أَرْضَ «الدَّفِينَةِ» أَوْ سُودَ الصِّيَاصِي وَأَوْعَرَ «الْحُرَّاتِ»^١
وَبَلَّغْتُمْ أَشْلَاءَ عَزَى تَلِيدٍ بَيْنَ هَيْفِ النَّخِيلِ وَالْأَثَلَاتِ
أَنْبَأْتُكُمْ تِلْكَ الدَّوَارِسُ عَنْ مَجْدٍ، كَمَا ذَرُّ غَابِرٍ مِنْ رِفَاتِ
الْمَغَانِي مِنَ الْإِنَاسِي أَقْوَتُ وَأَغْتَتَتْ مِنْ سَوَالِفِ وَعْظَاتِ
أَبْنِ شَيْخِ الرُّوَاةِ يَنْبَشُ لِلسُّلْطَانِ عَنْ أَمْسِهَا ضَحَى الْبَيْنَاتِ^{٢٦٥}
فَتَعُودُ الْأَطْلَالُ غَابَةً أَرْمَاحٍ، وَتَغْنَى الرُّبُوعُ بِالزَّيْنَاتِ
يَا «عَجِيرِي» قَالَ سُلْطَانُ نَجْدٍ مَا اسْمُ هَذِي الْمَرَابِعِ الْكَالِحَاتِ
دَاسَهَا مِنْسَمُ الْبَلَى وَأَنَاخَ الدَّهْرِ، وَقَرَّ الْجِرَانُ وَالثَّفِينَاتِ
وَجِبْهَا صَارَ شِبْهَ خَدِّ عَجُوزٍ وَسَمَتْهُ الْأَيَّامُ بِالصَّفْعَاتِ
بِيدَ أَنْ الْجَمَالَ مَا زَالَ فِيهَا شَامَةً فِي مَنَازِلِ دَارِسَاتِ
قَالَ: هَذِي «مَرَّانُ» مَوْلَايَ فَانْظُرْ مَا أَثَارَ النِّسْيَانُ فِي النِّخْلَاتِ

١ سار الموكب بعد أن جاز جبل التَّيْرَ جنوباً بغرب إلى الدفينة وهي في رأس الحرّة التي تعملونحو أربعة آلاف قدم عن البحر وفيها بقية طريق معبدة . وفي هذه الحرّة أعلام منصوبة تدلّ على الأرض الوعرة التي لا تسلك . وهاك بعد الحرّة آثار بيوت متهدمة في وسط بساتين من الأثل ونخيل الدوم ، هي (مرّان) التي وصفها ياقوت بقوله إنها قرية غناء كبيرة كثيرة العيون والآبار والنخيل وقد كانت لبني هلال ولكنها اليوم للاضمحلال :

مررنا على مرّان ليلاً فلم نعثج على أهل آجام بها ونخيل

٢ الزينبات : مفردتها الزينة وهي الفتاة الجميلة . ٣ الجران : مقدم عنق البعير . والثفنات : هي الاعضاء التي تمسّ الأرض منه إذا استنخا .

هُنَّ فِي ذَلَّةِ الْأَرَامِلِ شَعَثَ الْهَامُ، أَوْ فِي تَفْجَعِ النَّادِبَاتِ
يَتَذَكَّرْنَ مِنْ «هَالِلٍ» بَنِيهِ أَوْ بُدُورِ الْمَغَارِبِ الْآفَلَاتِ
يَوْمَ أُمُوا أَفْرِيقِيَا لِفَتْوحِ بَسِيفِ نَجْدِيَّةِ الشُّبُوتِ
370 فَالْشَّرَاءُ بَتَ إِلَى «الْعَجِيرِيِّ» أَسْمَاعُ، كَسْرِبِ الْجِيَاعِ، حَوْلَ فُتَاتِ
وَمَضَى فِي الْحَدِيثِ يَقْطِفُهُ قُطْفًا، خَلِيًّا مِنْ قَشْرَةٍ وَنَوَاةِ

....

قال: في غابر الزمان أَلَمَّ الْجَدْبُ في هذه الربى الزاهرات
ورأى تَجْدُنَا حِقَابًا صَعَابًا مِنْ ثَمَارِ وَمِنْ جَنَى عَارِيَاتِ
وسماء غيومها من حديدٍ أَوْ أَكْفٍ اللَّثَامِ مِنْجَسَاتِ
عَقَدُوا مَجْلَسًا تَصَدَّرَهُ السُّلْطَانُ، رَأْسُ الْقَبَائِلِ السَّرَوَاتِ
«حَسَنُ» كَاسِمُهُ، عَقِيدُ بَنِي «سِرْحَانِ»، رَحْبُ الْيَدَيْنِ وَالْجَفْنَاتِ
مِثْلَ سَيْبِ الْغَمَامِ كَانَ أَبُو «مِرْعِي»، إِذَا عَبَّسَتْ وَجْوهُ الْقُرَاةِ

١ الحقاب: السنون. ٢ ورد في موسوعة (لاروس) ان بني هلال ارحلوا الى سوريا حيث قاتلوا
الفاطميين. وفي أواخر القرن العاشر نقلهم الخليفة العزيز الى مصر العليا. وفي اواسط القرن الحادي عشر،
استقدمهم الخليفة المستنصر ورمى بهم والي تونس المعز الذي شق عصا الطاعة على الخليفة، وقد انتصر عليه
بنو هلال ودحروه في موقعة حيدران.

ومن الثابت تاريخياً انه قام بينهم أبطال هم في ملاحع أبطال العرب منهم أبو زيد الهلالي سلامة ودياب بن
غانم وحسن بن سرحان. بيد ان الذي يهنا إيراد في هذا الفصل هو لغة أسطورية دارت حول بني هلال
وتعرف (بالتغريب)، اي تزوجهم الى المغرب. وطالما ملأت هذه الأسطورة سهرات السامرين في اثناء
القرن التاسع عشر واولئل القرن العشرين في لبنان وفي سائر الاقطار العربية، يوم كانت ذكريات البطولة
تغني من الخلاعة والمقامرة. وقد وضعنا هذا المقطع القصصي على لسان العجيري، واقتبسنا حوادثه من (رواية
الفرسان الاربعة)، لرشاد المغربي دارغوث، ومما علق في الذاكرة من ذكريات الطفولة في سهراتنا الشتائية
الريفية، سقى الله تلك الايام.
(المؤلف)

وأحاطت به الغطاريفُ شُورى يبتغون السبيل للأقوات
 بينهم أَسْمَرُ أميرُ حسامٍ وقبيلٍ ومدره في الدهاة
 أنجبتُه بنو «سلامة» فذاً أبيضَ الفعل، أحمرَ الغارات
 ما رأتُ نجدُ أروعاً كأي زيدٍ، جماعاً لهمّةٍ وصفاتٍ
 جاره أشقرُ كحيدرَ الغاب، صليبُ الألواح والعضلات
 فارعُ قامةً أغرُ الثنايا مستطيل الصمصام والعذبات
 أو «دياب» بن «غانم» فأبو «وطفا» قصدُ الرماح والغايات
 وهو راعي «الخضراء» بنتُ «الكحلاء»، عروسِ الضوامر الصافنات
 فوق كَرِّ الإعصار سرعة جري ورؤا، الربيع حسنَ شيات

....

أجمعوا رأيهم على تركِ نجدٍ لبلادٍ موفورة الخيرات
 وانتقوا منهم ثلاثة رؤادٍ، عيوناً تُنير دربَ الغزاة
 منهم الأَسْمَرُ المصورُ «أبو زيد» و «مرعي» مُجَنِّ الغادات
 بين أحنائه عزيمة رثبال، وفي خده حياة فتاة
 وابنُ أخت السلطان «يونس» ريانُ الحواشي، مُثَقَّفُ الحركات
 قصدوا «تونساً» وجابوا نواحيها، فرابَ الوليَّ نَمَّ السعاة

١ الأروع : من يعجبك بحسنه وشجاعته او مثل ذلك . والجماع بكسر الجيم : الجامع . ٢ العذبات :
 أطراف كل شيء . ٣ الخضراء : فرس دياب . والكحلاء : إحدى الأفراس الأربعة الأصيلة التي يُردّ
 إليها كل جواد أصيل وتدعى كحلاء العجوز .

« الزناتي » ! وكان ثاقبَ فهمٍ وعَفَرَنِي وَغَى، ورأسَ عَتَاةٍ
 غَلَّهم في غِيَابَةِ السَّجْنِ أُسْرَى في قُيُودٍ رَهِيبةٍ اَلْحَلَقَاتِ
 مُوفِداً عَبْدَهُم لَجَلْبِ فِدَاءٍ ظَنُّ عَبْدًا من كان في الذرّواتِ
 أَطْلَقَ اللَّيْثَ خَالِيَ الذَّهْنِ من لَيْلٍ، سِيَأْتِي بِالْحَيْلِ والوِيَلَاتِ
 يُنْقِذُ الْمَغْرِبِيَّ سَمَرَ الْعَوَالِيِ وَالْمَنَايَا بَدَلًا من الذَّهَبَاتِ

...

وَأَطَّلَتْ بِنْتُ الْمَلِكِ لِتَلْهُو بِالْأَسَارَى، تَوَاقَّةٌ لِشِمَاتِ
 غُرْبَاءِ هُمْ، وَكُلُّ غَرِيبٍ يَسْتَتِيرُ الْفُضُولَ في النِّيَّاتِ
 ٤٥٥ / وَفُضُولُ النِّسَاءِ في فِطْرَةِ الْجَنْسِ، خَلِيطُ الْأَكْبَادِ وَالْمُهْجَاتِ
 كُلُّ هَذَا الْوَرَى ضَحَايَا فَضُولٍ بَعَثَهُ أَشْدَاءُ تَفَّاحَاتِ
 وَالْفَرَادِيسِ لَمْ تَرَلْ عَابِقَاتِ لِيُضِلَّ النُّهَى بِحَوَّاتِ
 أَقْبَلَتْ من عَلٍ عَلَى السَّجْنِ، إِقْبَالَ الدَّرَارِيِّ تَحْنُو عَلَى وَهْدَاتِ
 فَأَضَاءَتْ جُدرَانَهُ واستَضَاءَتْ بِجَبِينِ مُنَوَّرِ الْعَبْسَاتِ
 يَتَلَوَّى عَلَى الْقِيُودِ فَتَبْدُو كَأَلْمَرَايَا في السَّلَكِ مَنْظُومَاتِ
 وَتَرَايَ لَمَّاحَةً من هَلَالِ نَظَقَتُهُ الْأَغْلَالُ بِالْهَالَاتِ
 وَالتَّمَّتْ نَظَرَتَانِ فَارْتَعَشَتْ «سَعْدَى»، كَفَعَلَ النِّسِيمِ بِالْوَرَقَاتِ
 وَتَمَشَى في عُروُقِهَا شَبَهُ سَحَرٍ لَيْسَ بِحَرِيٍّ عَلَيْهِ رَقِيٌّ الرِّقَاةِ

١ العفري : الأسد . ٢ أطلق الزناتي أبا زيد ليأتيه بفداء الأسيرين مرعي ويونس وقد حبه
 عبداً . وكان أبو زيد يشبه العبيد في اللون فقط .

هي حال الصوفي في مطلع الشطح، وحال المخمور في السكرات
 ١١٥ قلبها لو، يقربه، مرّ واشٍ لدرى حبّها من الدقائق
 وتوّالت على الأسير زيارات، وكانت «فينوس» عقد الصلات
 الأسير الجميل ضيف على الجود، وضيف الجمال والقبيلات
 ما على قائد الصفوف أبي زيد إذا لم يخف بالنجيدات
 كل وقت على الغرام قصير فالليالي أقل من لحظات

...

رجّ طبل «الرجوج» بالمغرب الساجي، نذيراً بالأبحر الطاغيات
 نصف مليون خلفه من شيوخ وشباب ونسوة ومحصّات
 ولوا الأظعان «جازية» العرب، وأخت السلطان والهمّات
 هي بند الحماة الموقظ الفرسان، يوم النوائب الفاشيات
 حولها كل من تجمّست الحسن، وفاقت بالعزف والزغردات
 واستوت كالمئار في الهودج البراق، بعثاً للبأس والنخوات
 ١٢٥ كان في صدرها قلّ «لدياب» أو بقايا مشاعر مبهّات
 ربّ بغض يكون غاير حبّ غاض في حالك من الرغبات
 أو بقايا وجد على البطل الضخم، الكثير الإِدلال والعثرات

١ فينوس: إلهة الحب في الأساطير اليونانية. ٢ طبل الرجوج: في سيرة بني هلال كان يسمع صدهاء
 إلى مدى بعيد وهو علامة الحرب. ٣ الجازية: أم محمد شقيقة السلطان حسن وكانت ذات نفوذ واسع
 ونظير بعيد. ٤ كان دياب أمير بني زغبة (أو زغب) وعددهم تسعون ألفاً وأخوه زيدان شيخ شابههم
 وابن اخته عقل بن هولاً من أفرس الفرسان.

خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ حِيدَرَةَ الْفَتْحِ، فُبَعْدًا لَهُ عَنِ الْأَعْجَاتِ
أُبَعِدُوهُ يَحْمِ السَّوَامِ قَالَتْ فَبَنُو «زُغْبَةَ» خِيَارُ الرِّعَاةِ
فَنَفَّوهُ كَنَفِي عَنَتِرِ عَبَسَ لِيَصُونَ النِّيَاقَ وَالْغَنَاتِ

....

وَتَلَاقَى سِبَاعُ نَجْدٍ وَأَبْطَالُ الزَّنَاقِ، فِي الْأَنْجَدِ الدَّامِيَاتِ
وَحِلَّتْ خَيْلُهُمْ بِأَحْمَرَ جِيَّاشٍ، وَزَلَّ الْجِيَادُ فِي الْحَمَّاتِ
وَالزَّنَاقِ، عَلَى بَسَالَةٍ قَلْبٍ وَعِنَادٍ فِي الْكُرِّ وَالْجُولَاتِ
٤٣٥ آثَرَ اللُّوْذَ بِالْمَدِينَةِ، فَالْأَسْوَارُ هَزَّاءَةٌ مِنْ الْمُهْجَاتِ
عَازِمًا أَنْ يُبَارِزَ الْقَلْبَ الْأَبْطَالَ مِنْهُمْ فِي صَبْحِ كُلِّ غَدَاةٍ
فَإِذَا بَادَتْ الرُّؤُوسُ تَبَاعًا تَتَهَاوَى جَسُومُهَا تَابِعَاتِ
لَمْ تَشَاهِدْ «زَنَاقَةً» مِثْلَهُ قَرَمًا عَلِيمًا بِالضَرْبِ وَالْخُتَلَاتِ
فَهُوَ صَنُوءُ الْبُرُوقِ فِي حِدَّةِ الطَّعْنِ، وَعِدْلُ الْجَنِيِّ فِي الصَّهَوَاتِ
وَعَلَى خَصْمِهِ لَهُ أَلْفُ عَيْنٍ تَتَوَقَّى حَوَاسِمَ الضَّرَبَاتِ
يُبْطَلُ الطَّعْنَةُ السَّيِّدَةُ إِذْ يَلْوِي، عَلَى بَحْرِ سَرَجِهِ، لَيَّاتِ
بِأَلِهِ مِنْ مُبَارَزٍ صَادٍ مِنْ نَجْدٍ رُؤُوسًا أَيْتَةً الْجَبْهَاتِ
صَفَّيْهَا فَوْقَ سُورِهِ لِلتَّشْفِي فَقَدَا السُّورُ مَعْرُضَ الْهَامَاتِ
تَحْتَ ذَاكَ الْجِدَارِ كَمْ نَشْ خَدُّ وَاسْتَفَاقَ الصِّفَا عَلَى الْأَهَاتِ

٤٤٥ ليس مبكى اليهود منه بشي^١ فهناك النحيب في العادات
وهنا السور كاد يرفض من دمع وأج الأنفاس محترقات
ولو ان الحجار تفقه قولاً لاستحالت سوداً من الحشرات
من زفير الزوجات فيها دخان وعويل الجدات والأُمّهات
بين تلك الرؤوس هامة «زيدان» سياج الكواعب المخدرات
و«البدير» القاضي و«عقل» بن «هولا»

والمغاوير نخبة النخبات
صفها عابثاً ثمانين رأساً عبث اللاعبين بالأكرات
فكان الأفواه منكشرات تندة الأقربين للثارات

...

٤٥٥ حَلِمْتُ والنساء في حلمٍ يمتد حتى في الصحو والحفلات
حَلِمْتُ فتنة المغارب «سعدى» أن نسرأ مذهب الريشات
أقشعماً أعقف المناسير والمنقار، مرّ الصيال والنقرات
شك منقاره بعين أبيها فاستفاقت موصولة الغصّات
من «گمرعي» يفسر الحلم الدامي، ويُغري منكودة العاشقات
قال «ذاك ابن غانم من بني زُغبي، دياب مفرّج الكربات»
«ذاك خالي وكم له من خصيم» في صفوف الأيتام والأرملات

١ علق الزناتي على اسوار تونس نحواً من ثمانين رأساً بينها هامة زيدان بن غانم وعقل بن هولا .

كلما سار مرّة لقتال كثرت خلفه جيوش النعاة
 تجلبوه، قالت، ولو كان في قتل الزناتي فجيعتي ومماتي
 بين خطيئين: عشيقها وأبيها آثرت دولة الحبيب المؤاتي
 بأعت العرش والأبوة بالذات، تبا للعمر والذات
 ثورة الجنس ثورة تبطل العقل؛ وتجتاح سائر القوات
 بنت قيل، ونجمة القصر حسناً دحرجت خلقها الى الدركات
 جوعها للوصال والجنس أدنى خسة من رغائب المومسات

...

أخذت سورة الایاء «دياباً» قال عديم الي بعد الفوات
 قد نسيت القتال فأطرحوني وذروني للنوق والنعجات
 ليس مثل النساء تعطف قلباً حجروه فصار في الآلات
 اليتيمات والأيامى صبغ الكتب من أدمع ومن شهقات
 وحزن الشعور يدرجن فيها حرقات الأكباد في خصلات
 بينها خصلة ألانت عصياً فارتمى قلبه على الشعرات
 تلك لون النضار خصلة «وطفاء»، وهم الصنديد بالعبرات
 قال أين «الخضراء»؟ هيا بني زغبي! سراعاً للموت أو للحياة

...

١ القيل: الرئيس. والملك: من ملوك حير. ٢ وطفاء: هي بنت دياب، وهي كبرى بناته
 وأحبهن إليه، وكان يكتبها في القتال فيصبح: لعينيك يا وطفاء.

١٢٥ ذابغارُ «الخضراء» وطفاءُ «صاحت» وأطلَّ الرجاءُ في الهبوات
 فاذا السهلُ حول «تونس» بحرٌ من نساءٍ في أدمعٍ غارقات
 يَطْرَحْنَ البراقعَ السودَ آلافاً، ويجرينَ هيماً سافرات
 يا «دياباً» يَصْحَنُ، والألمُ اللهبُ، صدَّ الكلامَ في الهوات
 هارعاتٍ اليه شعثَ النواصي خامشاتٍ الحدودِ مبتهلات
 - «ولمن هذه الرؤوسُ»؟ وغصَّ الليثُ وهو المشهور بالزارات
 خال تلكَ العيونَ، وهي ثقبٌ نحو إفرندٍ سيفه شاخصات
 - «ذي رؤوس الإخوان» صاحت نساءً

«أو كُبودُ الأخوال والعَمَّاتُ»

«ذلك الرأسُ رأسُ «عقل» بن «هولا» لن ترى أمه مع الباقيات
 فقدَهُ غيَضَ الدموعِ فأعماها، خالتَ أياها ليلات
 في غدٍ: قال يفعل الله أمراً وأطال الهديرَ والززمات

...

طال أمرُ البرازِ خمسين يوماً وهو تصدامُ صخرةٍ بصفاء
 سيفُ «أفريقيا» وبتَّارُ نجدٍ في ضرابٍ يُشيبُ سودَ البزات
 تنشطُ السيوفُ حيناً فيرتدَّانَ شطرَ الرماحِ خطَّيات
 وتطيرُ الرماحُ إلا كقدرِ الكفِّ منها، يظلُّ في القبضات
 وألوف الصدور تحبس أنفاساً، وتنهى الأجفان عن حركات
 واستحرجَ الصدامُ، في يومه الخمسين، حرَّ الغابات مشتعلات

الزناتي أرادَه يومَه الفصل، فأهوى بالمخدَم البتات
 فأصاب «الخضراء» فانبترَ العنقُ انجسامَ اليراعِ بالمبرة
 فقَدُّها أفقدَ العزاء «دياباً» فبكاه رقيقة الغزوات
 قال: مهلاً لونَ الرجا! فلن أرضى سوى قبضِ رُوحه في الديات ٤٩٥
 واستعاض «الشهباء» يا نعم بنتٍ هي كُرُ الشهاب في الحجرات
 ليله طال، يا صباحُ تفتَحُ للبراز الأخير، للخلقات
 الكمي «الزغبى» أقسم ألا يرجع اليوم، قبل صبغ الشبابة
 أطعمَ المغربي توفيقه أمس، وكم في الظنون من خيبات
 خصمه ناله بضربة دبوسٍ أطارت أضراسه ذرات
 هارباً راح، لا هروبَ من «الشهباء»، إن البنات كالأمات
 هاله جريها، تلقت مذعوراً، وكانت أخيرة اللفات
 غارَ في عينه سنانٌ رهيفٌ وجفا في دماغه فجوات
 قال: خذها منيّةً من «أبي وطفاء» وذوق طعمَ حربتي يا «زناتي»
 ثم ٥٠٥ ثنى بسيفه فأطار الرأس شوطاً، كلاعب بالكرات
 رفعت هامة العتي على السور، ووارى التراب هامة العلاة

سكرة النصر أيقظت في «دياب» شهوة للمناعم المترفات

١ الشهباء: بنت الحفراء. والحجرات مفردة الحجرة وهي الفرس. ٢ العلاة: أشراف بني هلال الذين أتزلت رؤوسهم عن السور ودنعت.

«أنا أولاهمُ بعرشٍ أثيلٍ ظلّ لولاي سُدَّةٌ للعداة»
 «لا أميرٌ سوى ديابٍ» مُناديه يُنادي «مُفخَّمُ النّبراتِ
 النّداءِ الوقاحُ مضٌ أبا «مرعي»، وهاج الضغائن الحاياتِ
 قحطُ نجدٍ بالأمس ألفَ أشتاتٍ، فصارت في الكلّ منصهراتِ
 أجمعوا أمرهم لغزوٍ فسادوا وتفاؤوا في قسمة الطيّباتِ
 حسدٌ دونه الضرائرُ في الحقد، وبغضٍ الحماة للكنّاتِ
 زادَ حقدَ السلطان أن «دياباً» رامَ «سعدى» أميرة الفاتناتِ
 قلبها بابنه عليقٌ، «بمرعي» بحبيبٍ ملازم الحفقاتِ
 أمعَ الملكُ يُغصبُ القلبُ ميراناً؟ كأنّ القلوبَ في التركاتِ
 ذرّ قرنُ الخصام لولا أبو زيدٍ، وسيطاً مُوفّقَ الحلاتِ
 «حسنٌ يملك المغارب لكن «تونس» للذي أباد العاتي»
 وهي بدلُ «الخضراء» تُعطى ويبقى ذكرُ أمّ الأرياف والقصباتِ
 «ولمن ربّة الكواعب سعدى»؟ قال مرعي، وغصّ بالكلماتِ
 «للذي يسبق الجميع إليها فارساً ينحني أمام المهابة»
 «تتبارى أنا ووالدك السلطانُ، والأشقرُ العديم الأناة»

...

١ الكثرة : امرأة الابن والأخ . ٢ قضى أبو زيد بأن يكون أبو مرعي سلطان المغرب على ان يملك الامير دياب على مدينة تونس مكافأة له على قتله الزناتي وعوضاً عن الخضراء . اما سعدى فتجعل في آخر الميدان كقصب السبق ينالها الخيلتي ، فإذا كان دياب السابق صدته بحيلة ، وإذا كان أبو مرعي وهبها لولده وهو المقصود . فإذا كان الفائز أبو زيد تخلى عنها لمرعي . ولكن هذه المؤامرة زادت في حق دياب قتل سعدى . ٣ الأشقر : دياب .

فاز بالغادة الرّاح « دياب » فأتقته بأبرع الصدمات
 « أنت مني كوالدي فحرام » أن تراني في مخدع الزوجات
 لم تجز حيلة على عنجهي^١ كان يدري ملامس الحيات^٢
 رقص الشاربان من سورة الغيظ، وشعر الجبين والهدبات^٣
 نال « سعدى » بصفعة رصت الرأس، فطارت عظامه نثرات
 قال: « بُعداً للخائنات، ولو كنّ اليواقيت في الضحى شارقات
 ما جمال الأجساد إلا انسجامٌ وخداعُ الألوان للباصرات
 لا جمالٌ إلا جمالُ نفوسٍ في نقاء الزنايق العاطرات
 إنما الحسنُ والتعهرُ ضدّان، فبئس الرواة في الوقفات
 عصابة الخائنات، أجل منهنّ - على الهول - سحنة السعلاة^٤
 أو نتو، اللّحين في وجه قرير وغوور العينين في القردات
 من تبع أهلها بلذّة وصلٍ فعلها سواكب اللعنات
 إن من سرّها ممات أبيها فهي رجسٌ يلقى لقاذورات^٥
 مثلها لا ينال نعيم زواجٍ فالبغايا ملاحى للزناة
 لا يبلّ الندى ضريحك يا « سعدى » فيبقى ملاعب العنكبة

...

حسنٌ همّ يقتل الليث لو لم يتهيّب مهالك العقبات

١ النجهمي: المنكبر. ٢ الهدبات مفردتها هدية وهي شعر أشعار العينين. ٣ السعلاة: أنثى الغول الحيوان الأسطوري المشهور.

ما ابنُ «زغبي» بمن يُصاد وجاهاً فليصدْهُ في غفلة الغفلات
 فدعاهُ لمُشربٍ فاحَ طيباً وطعامٍ أفنى فنونَ الطهارة
 شَرَّها كان في السِّباط أبو «وطفاء» عشيقُ الرحيق والكاسات
 عَبَّ منها عَبَّ السَّبَّاسِبِ من رِيٍّ وأذنِ الجيب من وشوشات
 فتردَّى كالزقِّ أو دنَّ خمرٍ أَغْفَلَتْ سَدَّهُ سكارى السقا
 واستفاق الغطريسُ في الحبس الرَذْلُ العديم الضياء والطاقات
 الكبولُ الثقالُ قَيَّدَتِ الليثَ وحزَّتْ في ساقه حَزَّات
 يعجز الفيلُ إنْ تلجلجَ فيها أن يُعلَّ الرجاء بالافلات
 سجنُ راعي «الخضراء» أضيّقُ من صدر الحزاني، وجَفَنَةُ الباخلات

...

لم تفلَّ السنونُ حقدَ أبي «مرعي»، ولا أثرتْ دموعُ البُكا
 لا انتحابُ «الوطفاء» جاء بعفوٍ أو أفادتْ شفاعَةُ اللُّبوات
 بينهنَّ الأختُ الشفيقةُ، أو سلطانةُ القصر، رَبَّةُ الرِّبَّاتِ
 زوجها وجهه من الناس لكن قلبه الصلْدُ كان في الموميات
 ذهنه اليَبَسُ كان خلواً من العطف، ومعنى الغفران والرحمات
 وكانَ الأميرُ، وهو طريحُ السجن، ضيفُ السلاسلِ العَفَنَاتِ
 قال: ويحي وكنتُ حاتمَ قومي وسماطي شريعةُ للعفاة

١ الرِّبَّة: السيدة قرب البيت سيده.

٥٥٠ اغبطني رؤية المئات عليه كالعصافير حوماً واردة
 ينهبون الأرض قبل الحلاوى والمحاشي والأكبش الودكات
 وشراباً من مقلة الديك أصفى ونقولاً تداف بالعسلات
 و«المهابيج» تسحن البن والهاون يتلو مثلث الدقات
 وأراني يرعى إلي بحيز! مأكّل الكلب، يابس الكسرات
 يا ليالي صبوّتي في ربي نجد، وطيب العرار في الغدوات
 إذ أفت العرار في الماء ألهو وأرش الحملان بالشذرات
 أو أرش الأتراب بالماء حول البئر، بين الهتاف والقهقهات
 والصبايا يصبغن وجهي بحناء، وينثرنها على غنماي
 أو يداعبن شعري الأشقر المصفور حتى ينلن من عذباتي
 ٥٦٠ وكبرنا عن الصبا وشبابي لم يدنس بالفحش والمنكرات
 يا عيون «المرآن» في أرض نجد وغصون النخيل والسمرات
 عند تلك الظلال خلّفت قلبي وعلى الدوح هوّمت ذكرياتي
 أنا في المغرب القصي حبساً بين أغصانين أنشد ذاتي
 فأرى الأفق يدفع البدر نحوي وأرى الزهر والمياه لداقي
 وتكاد «الخضراء» تصدم قرن الشمس تحتي، أو تصدم النجمات
 كم نشلت السلطان من موقف ضحك، وصنت القبيل من غارات

١ نقول مفردتها النفل وهو ما يُنتقل به على الشراب من فاكهة ونحوها . تداف بالعسلات : أي تخطط
 بواحدة العسل . ٢ (المهابيج) مفردتها المهاج وهو ما تدق به القهوة عند العرب . وتكون الدقة
 مثلثة الزنم . ٣ المرآن : من منازل بني هلال كما تقدم .

إِذْ يُنَادِي عَدُوَّهُمْ لِبِرَازٍ فِينَادُونِي فَأُحِبُّ حَيَاتِي
 أَنَا أَوْرَثْتُهُمْ عَرِينَا إِي «سَعْدَى» وَكَانُوا لَوْلَايَ فِي الدَّرَكَاتِ
 رُفِعَتْ هَامُهُمْ بَدُونِي وَلَكِنْ فَوْقَ سَوْرٍ «الْخَضْرَاءِ» مَبْتَوَارَتِ
 ٥٢٠ رَأَيْتُنِي أَبَدْتُ أُخْتَ الْأَفَاعِي؟ وَهِيَ مُلْكِي فِي شُرْعَةِ الْجَلْبَاتِ
 أَتَبَلَى بِالْقِيُودِ سَبْعَةَ أَعْوَامٍ، كَأَنِّي مُكَرَّرٌ فِي الْجُنَاةِ
 أَتَنَلْتُ هَامَتِي، وَرَثْتُ إِهَابِي وَالْبِرَاغِيثَ عَشَّشْتُ فِي «عَبَاتِي»
 وَأَنَا مِنْ رَعَى الْإِحْصَانِ أَبُو «وُطْفَا» رَعْتَنِي فِي مَجْبِسِي قَمَلَاتِي
 يَا ابْنَ «شَمَّا» إِذَا نَجَوْتُ مِنَ السَّجْنِ، فَبُشْرَاكَ أَشْنَعُ الْقَتْلَاتِ

...

ذَاتَ يَوْمٍ وَكَانَ فِي الْقَصْرِ عِيدٌ وَالْخَنَايَا لِلَّهِوَ مِنْفَتَحَاتِ
 رَغِبْتُ فِتْيَةً، وَشَاءَ الصَّبَايَا أَنْ يُسَاقَ الْأَسِيرُ لِلْمَلَاهَةِ
 جِي، بِاللَيْثِ شَاحِبًا يَسْحَبُ الْقَيْدَ، وَيَكْبُو فِي جَرِّهِ كَبَوَاتِ
 مَسَخَّتُهُ الصَّبِيَّانُ دُبًّا عَجُوزًا وَرَمَاهُ الشَّبَّانُ بِاللَمَزَاتِ
 وَازْدَرَاهُ السُّلْطَانُ يَرْمُقُ شِزْرًا بِلِحَاطٍ أَنْكَى مِنَ اللَّدَغَاتِ
 ٥٤٠ سَقَطَ اللَّيْثُ فَاقْدَحَ الْخَيْلِ، مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، مُقَطَّعَ اللَّهْيَاتِ
 أَخْتُهُ أَنْبَتَتْ فَطَارَتْ إِلَيْهِ مِنْ لَيَّومِ الْخَنَانِ كَالْأَخَوَاتِ
 يَفْتَدِينَ الشَّقِيقَ بِالْبَصْرِ الْغَالِي، بَعَزَ الْقُصُورِ، بِالْمُهْجَاتِ

١ التكرار يزيد في عقوبة الجاني بحسب نص قانون العقوبات . ٢ أوردنا (عباتي) على الحكاية .
 ٣ شَمَّا : والدَةُ السُّلْطَانِ حَسَن .

فَأَلَانَتْ فِرَاشَهُ وَأَعَدَّتْ مَا كَلَّا مِنْ دَوَاجِنِ دَسِمَاتٍ
 أَيْقَظَتْهُ فِي اللَّيْلِ مَوْجِدَةٌ تَغْلِي، وَنَارُ الضَّغَائِنِ الْمَزْمَنَاتِ
 صَرَخَةُ الثَّارِ أَلْهَبَتْ رَاحَةَ الشَّيْخِ، وَسَلَّتْ مَشْؤُومَةَ الشُّفَرَاتِ
 خَنْجَرًا سَنَّهُ، عَلَى قَيْدِهِ الدَّامِي، رَهِيْبًا لِأَرْهَبِ السَّاعَاتِ
 شَبْحًا سَارَ فِي الدَّجَى يَلْمَسُ الْجَدْرَانَ، بَيْنَ الرِّوَاقِ وَالْحَجَرَاتِ
 وَعَلَى صَهْرِهِ بَخَنْجَرِهِ أَهْوَى، فَعَارَ السَّكِينُ لِلْفَقَرَاتِ
 وَأَتَى قَوْمَهُ مُشَرَّدَ لُبٍّ أُرْبَدَ الْوَجْهَ، غَاثَ الْقَسِمَاتِ
 يَا «لَجَسَّاسٍ» عَصْرَهُ، وَتَوَلَّى النَّاسَ، هَلُمُّوا نَظَرُوا إِلَى الْفُلُواتِ
 لَا تَخَافُوا، قَالَ الْغَرِيمُ فَإِنِّي لَمْ أَزَلْ سَيْفَكُمْ وَحَامِي الْحِمَاةِ
 «السلامي» لَيْسَ يَنْسَى «دِيَابًا» إِذْ قَنَاقِي تَغْوِصُ فِي اللَّبَّاتِ
 غَضَبُونِي عَرْشًا بَنَاهُ حَسَامِي نَبْذُونِي فِي السَّجْنِ طَرَحَ الْقَذَاةِ
 كُنْتُ أَشْكُو لَلَّهِ مُرٌّ عَذَابِي عَنْ ثَمَاتِ الْوَرَى أَصُونُ شِكَاكِي
 لَيْتَنِي قَدْ بَلَّتْ نَارِي بِدَمْعِي عِزَّةُ النَّفْسِ غَيَّضَتْ عِبْرَاتِي
 مَا رَأَتْنِي الْقِيُودُ أَبْكِي لئَلَّا يَنْقُلَ الْغِلُّ ذُلَّتِي لِلْوَشَاةِ

...

مَاتُمْ الْعَاهِلُ الْمُخْضَبِ أَنْسَى سَائِرَ النَّاسِ غَايِرَ النُّكْبَاتِ
 نَكَّسُوا حَوْلَهُ الْبَيَارِقَ سُودًا سَمَكُوا مِنْ رِمَاحِهِمْ ثَلَّاتِ

١ معلوم أن جساساً غدر صهره كليلاً غدرًا فكنتني بالإشارة . ٢ الغل : الليد .

نحروا فوق رَمْسِهِ أَلْفَ كَبْشٍ وَبَعِيرٍ، لِرَحْمَةِ وَزَكَاةِ
 ٦٦٠ هَتَكَتْ سِتْرَهَا الْحَرَاثُ إِلَّا أُخْتُهُ لَمْ تَبْنُ مَعَ النَّائِثَاتِ
 أَقْسَمَتْ بِالْإِلَهِ «جَازِيَّةُ» الْعَرَبِ، بَتَاجِ الذَّبِيحِ، بِالْحُرُمَاتِ
 لَتُثِيرَنَّهَا حُرُوبَ انتِقَامٍ تَذْهَلُ الرَّاضِعِينَ وَالْمَرْضَعَاتِ
 مَا هِيَاجُ اللَّبَاءِ لِلثَّارِ أَضْرَى مِنْ غَضَابِ النِّسَاءِ مَوْتُورَاتِ

...

بَوَّأُوا بُدَّةَ الْقَتِيلِ أَبَا زَيْدٍ، حَمُولَ الْهَيْجَاءِ وَالْأَزْمَاتِ
 قَامَ فِي نَفْسِهِ صِرَاعٌ رَهِيْبٌ كَاصْطِرَاعِ الْأَمْوَاجِ مُصْطَخِبَاتِ
 إِذْ يَضِيعُ الشَّرَاعُ فِي الْيَمِّ هَدَّارًا، وَتَخْفَى مَعَالِمُ الْمِرْسَاةِ
 أَيْسَلُ الْحَسَامُ يُفْنِي بَنِي «زَغْبِي» كُبُودَ الْأَعْمَامِ وَالْحَالَاتِ
 وَ«دِيَابُ»؟ وَإِنْ أَسْنَى، فَلَمْ يَنْفَكْ قُطْبُ الْوَعْيِ، وَشَيْخُ الْكِمَاةِ
 أَوْ يَنْسَى ذَاكَ النَّسِيبَ رَفِيقًا؟ فِي اللَّيَالِي الزَّوَاهِرِ السَّالِفَاتِ
 ٦٦١ يَوْمَ كَانَتْ «مُرَّانُ» فِي مَشْرِقِ الْعَمْرِ، مَقِيلَ الْأَسْوَدِ وَالظُّبِيَّاتِ
 أَوْ يَنْسَى «تَغْرِيبةً» قَاسِيَا فِيهَا شَتِيتَ الْأَهْوَالِ مَجْتَمَعَاتِ
 «الدِّيَسِي» وَ«الْخَزَاعِي» وَ«الْغَضْبَانُ» وَ«التَّبْعِي» فِي الْوِزْنَاتِ
 إِذْ هُمَا تَوَآمَانِ فِي سَاحَةِ النُّصْرِ وَخَوْضِ الْغَمَارِ مَنْدَلَعَاتِ
 لَأَغْمَ مَا فِيهِ مِنْ ذِكَاةٍ وَبَاسٍ وَنُهْيَ زَاجِرٍ، وَبُعْدِ الثَّفَاتِ

١ التغريبة : هي الأسطورة التي تصف بإسهاب رحلة بني هلال إلى المغرب وما صادفوا في طريقهم من
 العبات وما نشب من الحروب . ٢ أعلام بعض الأبطال الذين قهرم بنو هلال .

«السلامي» كان أطهر قلباً من كؤوس النسرين مغتسلات^١
صالح القاتل المريد وفضّ السلم كيد العدى وإفك الدعاة
بعد ليل الأحقاد أقلع جَوْ ووصفا من غنائم مرعدات^٢

...

دَمُ «قابيل» مَضَّه أن يرى الأسياف مغمودة الظبي ثائثات^٣
ضَمَّتِ القائدين رحلة صيدٍ أضرمت في العتي نار غضاة
فكان النسيم في نشوة القنص^٤ أزاح الرماد عن جذوات
هَزَّ دُبُوسُهُ «دياب» وأهوى فرمى الغدر مَانِعَ الحَبَرَات^٥
عنتر الآخرين لونا وبأساً قائد الخيل للوغى معلّات
«يا دياباً! ... قتلتنى! فبكى الجاني، ولكن ما نفع دمع البغاة
رَقِيَ العرش بالدماء خضيباً فارس ربحه على الذروات
لَوَّثَ الغدر صيته والتعدي، واغترار المخمور بالنشوات
البطولات بالمآثم تمحى ضعة الخلق آفة الآفات

...

دان للغادر القتيلين قطر وأتته الأقطابُ مزدحمات
غير أنى لها جال الغواني وعناد المعازل الراسيات

١ كأس الزهرة : هو غلاف الورق الاخضر المحيط بها . ٢ أفلح : اغلى . ٣ قابيل : هو
قايين والعرب تسميه قابيل . ٤ الحبرات : الملاءات التي تلبسها النساء القدرات .

والمقام الأسنى حصافة رأي وإياه الأطواد في النائبات
 باليتيمين في القبائل طافت تستثير القواضب المغمدرات ⁶³⁰
 صوتها بذكاء كل صوت جهير ملهبا حاديا ألوف عصاة
 تبعث النخوة الكمينية خود خلقت للهديل والهنات
 باليتيمين أو قميصي «هلال» ثار «عثمان» أيقظت في الغلاة
 توغر الصدر في الحديث على الجاني، تبث الشنآن في الدعوات
 وأعدت «بريقا» ثم «شيان» ليوم محجل اللحظات
 مثلما ضرت اللبوة شبلتها، وراض الصقار شهب البراة

...

بلغت ثورة العصاة «ديابا» فأنهم بالسبق الصاهلات
 ودعا للبراز فادرعت أم اليتامى، وربة الخفرات
 وتخلت كما ليوم زفاف واستعدت لأشام الزفات ⁶⁴⁰
 قال: من أنت؟ لا أبارز إلا الكف، ويحي إذا من الساحرات
 «أنا أخت الذبيح، بنت المعالي» راية المجد، نبعة المكرمات
 جرة الثار أو رسول المنايا أو شظايا البركان منفجرات
 بل أنا من أموت من يدك الآن، وترديك بعد موتي صلاتي
 بلغت مسمع السماوات نجواي، ورجت أفلاكها نقماتي
 واستطالت بضربة ردها النمر، وأردى المهاة كعب القناة

هالهُ الحسنُ بالدماء غريقاً صاح: ويلي تَفَاقَت سَيِّئَاتِي
 ليس إِلَّا الفناء، يُنْقَذُ وجداني، وَيُطْفِي لَوَاذِعَ الوخزات
 أُرَانِي أَجَنُّ؟ أمْ هذه الأَطْيَافُ حُمْراً مُوَلَّدَاتِ الذات
 ليس غير المات ينقذني مني، تعالي يا راحة الراحة
 ٦٥٥ اليَتِيانِ كَالْعُقَابَيْنِ كَرّاً نَحْوَهُ بِالضْرَابِ والطعنات
 سقط النسر بعد أن ملأ الأرجاء قتلى وأيتم الكاسرات
 قال، قبل المات: حسي عزا، بسيف العراب كان مِمَاقِي
 هكذا أَفْنَتِ السيف سيوفاً وتَوَارَتْ مَعَالِمُ العظَمَاتِ

...

يا «عَجِيرِي» قال سلطانُ نجدٍ لاَعِدِمْنَاكَ يا أَمِيرَ الرواة
 قد نعمنا بقولك الحلو أَيْاماً، فلاحَت قصيرة الساعات
 ولحنا من الأوائل آفاقاً هَلَالِيَّةَ السَّنا مُذْهَبَاتِ
 قد نبشت الماضي فصار عتيداً أو رقيقاً من الزمان الآتي
 وَجَلَوْتَ الأبطالَ في عتمة الرمس، فَخِلْنَا هُمْ عَلَى الشُّرُفَاتِ
 فَوَهَمْنَا «الخضرَاء» فِي رَكْبِنَا تَمَشِي، وَفِي صَحْبِنَا يَسِيرُ الزَّنَاقِي
 ٦٦٥ وَرَثِينَا لابن «السلامة» مَغْدُوراً، يَبِثُّ الأَنْفَاسَ مُحْتَضِرَاتِ
 وشجانا أن القبائل ما انفكت، على البعد، جَدُّ مُشْتَبِهَاتِ
 نَحْوَةُ للفتوح تجمع كلاً وتلمُ الشَّتِيتِ فِي الوحدَاتِ
 فإذا لاحَت المغانم راحوا كَبِيدِ الرِّيحِ منشعباتِ

تلك أسبانيا فمن لم يَعِظْهُ أمسه ظلَّ عمره في العواة
 قد ذكرت المأمونَ فاخضوضرَ الشعرُ، وتاق الجهادُ للأبيات
 في تفاعيله الحدا، وقد خَفَّتْ عليه قوائِمُ الناقات
 عجباً للقريض، يَسْتَوْفِزُ النوقَ، فويلُ للأكْبُدِ الغافلات
 بُورك الشعر يبعث الناس أحياءَ كأنَّ الفرسانَ في الصهوات
 وأرانا في قرية «السَّيْلِ» فَلْنَحْرِمَ، فهذا الإحرام في الميقات
 يا إلهي لبيك فَلْيُحْرِمِ الناسُ، أَطَلَّتْ أرضُ الهدى والصلاة ٦٧٠

٥٣ / في مكة

مَوطِنُ الوحي للمواكب لاحاً فتراى على الصباح صباحاً
أَحْرَمُوا فارتدوا بياضاً طهوراً وأفاضوا من الوقار وشاحاً
حَرَمُ اللهِ عندما قاربوه فارقوا صهوةً، وألقوا سلاحاً
زَلَوْا سَاحَهُ وطافوا وَلَبَّوْا لا أسوداً تصول بل 'صَلاحاً
لَا مَسُوا ركنَ من بَنَى وعلى اسمِ الله شَقَّ الأساسَ والصَّفَاحَ
وَأَعَدَّتْ أُمُّ القُريِّ، لِلِقَاءِ الفِداءِ، يوماً 'مُحَجَّلًا وَضَاحًا
أَتَرَعَتْ مَنهَجَ الوليِّ بَخوراً والثواني مَلَأْنَهُ أَفراحاً

...

هل رأيتَ الأَطيَّارَ سرباً على سربٍ، يَرِدْنَ الماءَ الفراتَ التياحاً
أو شهدتَ النَّدمانَ، في ليلَةِ العرسِ، يطوفون يَنهلون الرَاحا
6٥٥ ويهيمون كالفرَّاشِ نَشاوى يَنشدون الطيوبَ والأَقْداحا

١ اي انهم استلموا ركن ابراهيم الذي بنى الكعبة بمؤازرة ابنه اسمعيل . والصفاح : الحجارة العريضة .

٢ الالتياح : العطش .

فَكَذَّاكَ «الْإِخْوَانُ» رَفُّوا عَلَيْهِ كَقَفِيرِ النَّحْلِ الْحَبِيسِ أَنْدَا حَا^١
 ضَيَّقُوا حَوْلَهُ السَّرَادِقَ وَالْأَسْوَاقَ وَالسُّطْحَ وَالْمَكَانَ الْبَدَا حَا^٢
 جُلُومَهُمْ لَمْ يَرَوْهُ مِنْ قَبْلُ إِلَّا رُؤْيَا الرُّكْبِ يَلْمَحُونَ الْوَاحَا^٣
 أَقْبَلُوا يَلْتَمِسُونَ خَدًّا وَعَيْنًا وَجَبِينَا كَسِيفَهُ لَمَّا حَا^٤
 لَمْ يُمَكِّنْ أَعْيَانَ مَكَّةَ مِنْ تَقْبِيلِ كَفٍّ فَصَاخُوهُ صَفَا حَا^٥
 قَالَ: إِنَّ الْعُرُوبَةَ الصِّرْفَ تَأْبَى أَنْ تُكَيَّبَ الْأَحْرَارُ تَلْمَحُ رَا حَا^٦
 إِنَّمَا يَحْسُنُ التَّفَاضُلُ بِالتَّقْوَى وَمَا يُكْسِبُ الْخَلَّاقَ الصُّبَا حَا^٧
 تَعَوَّدُوكُمْ عَلَى الْهَوَانِ بِقَطْرِ أَعْتَقِ النَّاسِ ضَوْؤُهُ وَأَرَا حَا^٨
 فَهَدَى جَاهِلًا، وَصَدَّ ظُلُومًا وَغَذَا عَائِلًا، وَفَكَ سَرَا حَا^٩
 ٦٩٥ تَعَوَّدُوكُمْ عَلَى التَّمَلُّقِ وَالْخَوْفِ، فَلَا تَبْصُرُونَ إِلَّا التَّمَا حَا^{١٠}
 خَنَقُوا نِعْمَةَ الْبَدَاهَةِ فِيكُمْ فَغَدَوْتُمْ لَا تَمْلِكُونَ اقْتِرَا حَا^{١١}
 وَأَرَادُوكُمْ سَخَالًا ضِعَافًا لَا كِبَاشًا، فَالْكَبْشُ يَهْوِي النِّطَاحَا^{١٢}
 فَدَرَجْتُمْ عَلَى التَّرْلَفِ عَفْوًا وَصَبَرْتُمْ عَلَى الْهَوَانِ اصْطِلَا حَا^{١٣}
 تَخَدَّتْ وَقْدَةُ الْقَرَائِحِ فِيكُمْ مِثْلَمَا يورث القعودُ الكُسا حَا^{١٤}
 صَارِحُونِي وَجَنَّبُونِي رِيَا شِمِيتِي أُعْشِقُ الْمَقَالَ الصُّرَا حَا^{١٥}

١ انداح الشيء: انبسط مثلاً. ٢ البداح: المكان الواسع. ٣ الواح: مفردا الواحة.
 ٤ كان أكثر الإخوان لا يعرفون السلطان فكانت المشاهدة الأولى وقد تهاوتوا عليه يصافحونه ويقبلونه
 في خشمه وفي جبينه وهم ييكونون من شدة السرور. ثم جاء من أهل مكة بعض أعيانها وتجارها فبادروا إلى
 يده يريدون تقبيلها فنعهم قائلاً: «المصافحة من عادات العرب، أما عادة تقبيل اليد فقد جاءتنا من الأجانب
 ونحن لا نقبلها».

٥ الخلاق: هو النصيب الوافر من الخير. والصباح: هو الذي فيه جال. ٦ التمع: أبصر بنظر
 ضعيف.

وقبيحٌ أن تكتموا النصيحَ عني وتقولوا طيُّ الخفاء قباحا
 مسمي يحملُ الزئيرَ ولكن لست أَرْضَى خلف الظلام نباحا
 أمقتُ اللؤمَ والتملُّقَ والكذبَ، كما أكره الخنى والسفاحا
 أنا منكم، وأنتم اليوم مني لا عبيداً أبغي، ولا مُدأحا
 700 انصَحوني إذا تخلفَ علمي إن مثلي من قَرَبِ النصَّاحا
 «حَنبَلِي» فلا التقيَّةَ أرضاها، ولا يدعةً تُشير الجراحا
 لا كبيرٌ عندي سوى الله والحق، مُبيحاً للناس ما قد أباحا
 ومقيماً حدودَه لا أداري أو أماري، إياكمُ والجُناحا
 إنما جئت أبسط العدلَ وضَّاحاً، وما جئت فاتحاً مُجتاحا
 جئت أبغي، لكلٍ من وَحَدَ الله، أماناً وغبطةً وصَلاحا
 لا اتجاراً ولا طلاباً لربحٍ إن مثلي من يَمْتَقُ الأرباحا
 لا أبيعُ الحُجَّاجَ هَدْيي الأضاحي لا ولا ما، زمزمَ رَشَّاحا
 أَتَلَقَى القُصَادَ حتى الألداءِ الأعادي ضواريأ أقحاحا
 هم يحجُّونَ كعبةَ الله فرضاً مقدَّساً طاهراً، وبيتاً مباحا
 710 لا يحجُّونَ كعبةَ ابنِ سعودٍ فهو عبدُ الله، يَرجو السما
 ذائداً عن مقامه مستميتاً دافعاً عن حياضه نَضَّاحا
 ذاك يَنتُ الرحمنُ، ما يملكُ السلطانُ، إلا الصيَّانَ والمفتاحا

١ حنبلي: أي على مذهب الإمام ابن حنبل. والتقيَّة: هي الحذر والتجنب والنظر بالمرئى عن المكروه. ٢ الجناح: الإثم. ٣ الهدى: ما يهدي إلى الحرم من النعم. ٤ نصَّاحا: مقاتلاً.

بُورِكتْ مَكَّةُ ثَرَى وَسِمْاءُ وَزَكَّتْ جَنَدُلاً، وَطَابَتْ بِطَاحَا
 قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ كُلِّ قَطْرِ لَا ظُلُوماً تَرْضَى، وَلَا طَمَاحَا
 يَشْهَدُ اللَّهُ مَا أَرَدْنَا بِسُوءٍ مَلِكاً وَدَّعَ الْحِجَازَ وَرَاحَا
 وَسَيِّئَاوَهُ فِي الرَّحِيلِ عَلَيَّ إِنْ عَلَى «جَدَّةٍ» هَزَزْنَا الرَّمَاحَا
 مَا جَهِلْنَا لَهُمْ مَكَاناً وَأَصْلاً ضَارَعَ النِّجْمَ ضَاحِياً لَمَاحَا
 هُمْ أَرَادُوا إِرْهَاقَنَا فَصَبَرْنَا وَخَفَضْنَا، عَلَى الْكُلُومِ، جَنَاحَا
 فَسَقَّوْنَا بِكُلِّ كُوبٍ أَجَاجٍ أَتَرَعُوهُ مِنَ الْهُوَانِ طَفَاحَا
 حَسَبُونَا مِنَ الْخَوَارِجِ حَتَّى أَتَرَحَّوْا فِيضَ صَبْرِنَا إِزْاحَا^{٢٧٥}
 ذَلِكَ الشِّتْمُ كَانَ مُحَضَّ افْتِرَاءٍ وَاخْتِلَافاً صَرْفَاً، وَنَعْتَا وَقَاحَا
 إِنَّمَا نَحْنُ فِي التَّدْنِ قَوْمٌ نَأْخُذُ اللَّبَّ وَالنَّمِيرَ الْقِرَاحَا
 وَنَعَافُ الْكَدِيرَ وَالطُّحْلَبَ الطَّافِي، وَمَا كَانَ آسِنَا ضَحَضَا
 أَكْتَابَانِ أَمْ كِتَابٌ هُوَ الْقُرْآنُ؟ يَبْغِي بِالْعَالَمِينَ فَلَاحَا
 فَتَعَالَوْا إِلَى كِتَابٍ مُبِينٍ وَأَحَادِيثَ كَالشَّعَاعِ صَحَا

...

اجمعت نجدُ والحجازُ على الفتوى، وزادَ التقاربُ الايضاحا
 عندما تسلم القلوبُ من الغُلِّ، تَلَاقِي سُبُلَ الصَّوَابِ فِيسَاحَا
 أَرَمَدُ الْعَيْنِ يَكْرَهُ الضُّوءَ حِينَا فَإِذَا صَحَّ يَعْشُقُ الْمَصْبَاحَا

بَاتَيْتَ مَكَّةَ وَلِيًّا حَبَاهَا مَثَلًا الْبَلَّ يُرْفَدُ الْأَدْوَا حَا
 73^o مِنْهَا صَافِيًا، وَبَعَثَ حَيَاةً وَهُدًى حُلُومًا وَصَبَحًا لِيَا حَا

...

«جَدَّةُ»! مَا «مَجْدَّةُ» غَيْرُ نَارٍ وَحُصُونٍ لِمَنْ أَرَادَ اجْتِيَا حَا
 هَاشِمِيُّونَ سَوَّرُوهَا بِحَيْشٍ وَسِلَاحٍ سَدَّ الْفُضَاءَ الْبَرَا حَا
 سَيَّجُوهَا بِعُوسَجٍ مِنْ حَدِيدٍ فَلَوْ اجْتَازَهُ النَّسِيمُ لَطَا حَا
 وَجَوَارٍ مُصَفَّحَاتٍ وَالْغَامِ عَنْ الزَّرْعِ أَقْصَتِ الْفَلَا حَا
 طَائِرَاتٌ يُنْذِرُنَ مَكَّةَ بِالْوَيْلِ وَيُوعِدْنَ غَضَبًا وَاكْتِسَا حَا
 نَائِرَاتِ الرِّقَاعِ يُرْعِدْنَ بِالنَّارِ حَرِيقًا وَبُنْدُقًا وَذِبَا حَا
 إِنَّمَا الْعَاجِزُ الْمُهْدَدُ يَكْسُو عُرْيَةَ الْوَهْمِ وَالْغُرُورِ افْتِضَا حَا
 أَوْ مِثْلُ «الْإِخْوَانِ» يُوعَدُ حَرْبًا؟ وَيُخْلِي نَذِيرَهُ مُرْتَا حَا
 رُدًّا إِنْ تَسْتَطِيعَ هُصُورًا عَنْ الْكَبْشِ، وَتَقَرُّ عَنْ غَيْلِمٍ تَمْسَا حَا
 74^o أَوْ فَصْدِ الزَّلَالِ عَنْ وَاهِنِ الْكُوخِ، وَرَوْضِ مَنْ الرِّيحِ جَمَا حَا

...

«يَا جَلالَ السُّلْطَانِ إِذْنِ» وَلَوْ لَا حَرَمَةُ الْعَرْشِ خَاطَبُوهُ صِيَا حَا
 لَا عَلَيْنَا، يَغْمِغُمُ ابْنُ «لُؤْيٍ» أَنْ تُنْمِلِي مِنَ الرُّؤُوسِ السَّاحَا
 «جَدَّةُ» مِثْلُ «تَرْبَةٍ» وَكَلَّا الْاُخْتَيْنِ تَبْغِي لِشَائِهَا ذَبَا حَا

ولعلّ الميناء منذُ عصورٍ لم يشاهدْ على الضفاف مَنَاحاً
 شاقّة الأرجوانُ يأتي من البرّ، فينساح في الخليج انسياحاً
 سميّ البحرُ «أحمرأ» فلنُحقّقْ نَعْتَهُ ولنُصدّقِ المَلاحاً
 أو يخشى السلطانُ إمّا أغرنا أن نزوعَ الحجاج والسّياحِ
 تصرع الرياحُ كلَّ جذعٍ مريدٍ فاذا مَسَّتِ القرنفلَ فاحا
 لا نرى الحربَ غيرَ زُهّةٍ صيدٍ وربابينَ طيرها مُزّاحاً
 حُبنا في شهادةٍ يبعد الواقعُ منا، وينطق الأشباحُ
 فنرى في قنابلِ الجوّ حمراً ثمراتٍ تُشاكل الثّفاحا
 نسمع الزمّزَماتِ زَعَمَةَ عِقبانٍ، فإن صَفَرَتْ سمعنا الصّداحا

...

ما أراد السلطان إلا حصاراً لو أراد المغامرون انتصاحاً
 أو أرادَ الخصومُ خَفْضَ اعتقادٍ بِفَرْنَجٍ يُدَبِّرونَ السّلاحاً
 يمتطون المصفحاتِ على الأرضِ، وفي الجوّ يُلجمون الرياحا
 فتيةُ الروسِ فيهم قسوةُ القطبِ إذا البردُ أسكت الصّداحا
 ورَبّا الثلجِ في الوهادِ جبالاً يعبرُ الدبُّ فوقها مُلتاحاً
 فتيةُ الروسِ هالهم بأسُ خصمٍ يحسب النارَ والمنون مزاحاً
 من أحبّ الحياةَ خاف المنايا لا شهيدٌ يَحْيِيها مَفْراحاً

76٠ يصعد « الغطفطي » « للطنك » وثباً منشباً من ثقبه الأرماحا
 يحسب « الطنك » دميةً للتلهي لاعباً حول نارها ممراحا
 مثله « العارضي » في حومة الموت، إذا الشبل بالمغاوير صاحا
 قادهم « فيصل » السعود فنعيم القائد الفحل مائل « الجراحا »
 كرك بالخيـل فالتاريس سهل بل من سبـح الجياد صواحا
 فيطآن المتراس طوراً وطوراً يقتدحـن الشرار منه اقتداحا
 كسرت شوكة الدفاع أسود كيف سارت بند الكرامة لاحا

...

عبرت أشهر فعدت حصاراً ودعاها عبد العزيز كفاحا
 لكل الذعر والمجاعة، هد القوم في « جدة » وشل الطاحا
 وسوا صرع الغراس بفأس أو هجير يجتثها لفاحا
 770 فاذا جوهر الحياة عداها طرحتها الريح العصفو إطراحا
 خضب لهم أفق « جدة » حتى قذف البحر موجه أتراحا
 أسمع الحاكمون، والعسكر المخدول، والبائسون، منه نواحا

١ الغطفطي : في النسبة الى قبيلة الغطف التي يرأسها ابن بجاد . ولقد رأى من شاهدوا المعركة كيف كان الاخوان يصارعون المصغحات مستهدين فيدورون حولها ويطلقون البنادق عليها وهي ترش الرصاص من رشاشاتها في كل جانب حتى أن عبداً من العتاريس دنا من إحداها بعد أن جال حولها كأنها فارس من الفرسان فتمسك بها وصعد الى سطحها وهو يطلق مسدسه . . . وتراجعت المصغحات وقد تكسر بعضها وجرح جراحاً بليغة اثنان من سواقها الروس .
 (ت . ن .)

٢ العارضي : في النسبة الى العارض، وأهله - كما مر - أخلص الناس لآل سعود . ٣ كان الامير فيصل بن عبد العزيز يقود أبطال نجد في هذه المعارك . والمقصود بالجراح القائد العربي أبو عبيدة الذي خلف خالد بن الوليد في القيادة . ٤ الصواح : عرق الخيل .

فرصةً يقطف الألباء منها ما الجهاد المرُّ الطويل أتاحا
 ليس عبدُ العزيز من يتواني بعدما أطلع الربيعُ الأفاحا
 ذاقُ مرَّ الشتاء فليتناهب وليسارع إلى الشدا فواحا
 أعلن العفو عن مُسيء، وتدمان، وحلف، عن الصواب أشاحا
 عفوه والسماح ساقا إليه كلُّ من رام أمانةً وسماحا
 كلُّ من عَضَّ السُّعارُ بنابٍ فقدأ من سُغُوبه ملواحا
 كلُّ صادٍ إلى الفرات ظمي بعدما جرب الأكَف الشحا
 كلُّ من شاهد البواسل بالأأس، إلى الموت ييسمون ارتياحا
 عفوه والسماح ساقا إليه كلُّ من أبصر السنا وضأحا
 قد أراحَ السلطانُ عنهم شقاءَ حمدوا من أغاثهم فأزاحا
 وأعاد الحياة للجائع الخاوي، وللأنفس المراض انشراحا
 باسطاً كفَّهُ جيش عفاة مغضياً عن ذنوبهم صفأحا

...

الخطوب الجسام هددت «علياً» يجرع الهم غدوةً ورواحا
 يتقضى نهاره في قنوطٍ والليالي يزدنه إفصاحا
 ليس إلا رؤى دماءٍ وصرعى وطيوفٍ يلحن سوداً قبأحا
 وغرابٍ يمرُّ في جرحه الأسحار، من حول قصره نواحا
 غفل الجرح في الملك ثخيناً وتعامى طبُّ الأساء فقأحا

790 «فرقة النصر» في انتقاص مبین خیر قوادِها لِمَكَّةَ راحا
 'هوذا' «فیصل» وأیُ خصیم فی لقاء البتار حاز نجاحا
 جاءه من دَهِی جبال «عسیر» ورعى حصن «حرَمَلا» فأطاحا

...

المليک النبیل أشفق من أن يترك الثغر للأسود متاحا
 ومتى صارت البحارُ جبالاً ليس كالشط ينقذ السباحا
 ليس خطب يصيينا غير ما قد أودعته العناية الألواحا
 نزل العاهل الكئيب الى البحر، وقد طوف الخيال فساها
 ذاكراً في الحجاز أوقات صفو كُنْ مثل النهار غراً ملاحا
 والليالي التي «مجدّة» مرّت وهو غض الشباب غيداً صباحا
 فوداعاً أرض الحجاز وسقياً كلما الليل أطلع الأصباحا

١ فرقة النصر كانت عمدة الجيش في المعسكر الهاشمي وقد جمعها الأمير عبد الله عهدئذٍ من شرق الأردن وسوريا وفلسطين . سامت الحال في جدة الى أبعد حد فلا مال ولا زاد وقد ذهب كثيرون من المعسكر الهاشمي الى ابن سعود . وها قد عاد (الإخوان) الى معسكرهم في الرغامة في سفح الجبال . عادوا بأمر السلطان عبد العزيز بقوادم أخوه الأمير عبد الله ونجده الأمير فيصل . وأخيراً استقال الملك علي وركب البحر الى عدن فالعراق . ٢ «إشارة الى الآية : قل لن يصيينا إلا ما كتب الله لنا» .

١٣٤ / الملك عبد العزيز

٨٦٥ «جدة» الأمس، قلعة النيرانِ سَلَمِي سَلَمِي على السلطانِ
أطلقى هذه المدافعَ أفواهاً، يُواكِئُ فرحةَ المهرجانِ
مرسلاتٍ مع الهزيمِ بديلاً من سيولِ النيرانِ سيلَ التهانِي
لا يُطيقُ السلطانُ سَمْعَ غناءِ وأغاريدِ مزهريِّ وقيانِ
أطريبهِ بمدفعٍ وهديرِ يَتَمَادِي على صهيلِ الحصانِ
للبطولاتِ شرعةً في بنيتها تتعدَّى شجاعةً في الجنانِ
وَسَمُها يطبعُ الفؤادَ، وألواحَ التراقي، والذوقَ في الآذانِ
هُوَذا جاءكِ الغضنفرُ، حاطتُه حِرَابُ المشاةِ والفرسانِ
وتَبَارَتْ قناصلُ الغربِ في زَفِّ التهانِي، وعاطرُ الشكرانِ
تحمّوه على إحصارِ ولولا حلمه خَضَبَ النجيعِ المواني

...

٨١٥ سرّواتُ الحجاز خَفُوا اليه وعيونُ الأشرافِ والأعيانِ

نحن أهل البلاد قالوا وإننا بضعة من تراب هذا المكان
نحن عنوانها وحق لنا القول ، فكل الكتاب في العنوان
ليس للمسلمين ممن عدانا غير رأي ، ورأينا رأيان
حق من وحد الإله ، وحق الحب بين الأوطان والسكان
« صاحب البيت بالذي فيه أدرى » هب لنا جراءة النهي واللسان
قال هاتوا ولا تهابوا مقامي قد كفيتم تخوف العبدان
لكم الرأي كالشعاع صراحاً لكم الله لا تهابوا مكاني
نحن في ظل بيته فاصدقوني واتقوا من يراكم ويراني
لا أرى بينكم خووناً ولا نكساً له في مقابله وجهان

...

٨٢٠ «مد» عبد العزيز كفاً نبايع أنت أولى الوري بهذا الشأن
منذ مال الإسلام عن ذروتيه ما رأى مثل وجهك المسجدان
عادلاً صارماً ، نبيلاً ، حليماً عمري الحسام والايان
يا ملك الحجاز مد يميناً ولشعشع في عيدك الفرقدان
ينسج البدر حول عرشك وشياً وذكاً تقر في الصولجان
لا تقاس العروش بال جيش مجراً والنضار الزخار والبلدان
لو كور النور هالة مجد وهي بعض الصدوع في الصوان

١ ذروتيه اي ذروتي الدين والدينا . والمسجدان : مكة والمدينة . ٢ عمري الحسام في
النسبة الى عمر الفاروق .

أَوْ عِشَاشٌ فَوْقَ الشِّعَافِ تَدَكَّتْ كَالْمَصَابِيحِ مِنْ جِبَاهِ الرِّعَانِ
هَالَةً مِنْ كَرَامَةٍ لَا تَرَاهَا فِي مَرَاحِ الْأَنْعَامِ وَالْفُزْلَانِ
حَسْبُكَ الْيَوْمَ يَا مُتَوَجِّجَ نَجْدٍ أَنْ يُبَاهِي بِتَاجِكَ الْقَطْرَانِ
فِي حِمَاكَ الْمَهْدُ الَّذِي مَلَأَ الدُّنْيَا، فَعَادَ الزَّمَانُ غَيْرَ الزَّمَانِ
فِي حِمَاكَ الْمُقَدَّسَاتِ الَّتِي بَاهَتْ، بِهَا أَرْضُنَا، جَمِيعَ الْمَغَانِي
فِي حِمَاكَ الْمَصْرُ الَّذِي شَغَلَ الْكَوْنَ، وَبَجْدِ الْإِسْلَامِ، وَالْحَرَمَانِ
سِرِّ بِنَا سِيرَةَ الصَّحَابَةِ حِفَاطِ الْأَحَادِيثِ شُهَدِ الْقُرْآنِ
الْأَلَى وَاكْبُوا زَوَلِ السَّالِكِي وَاسْتَضَاءَتْ أَيْأُمُهُم بِالْجَمَانِ
فَتَرَانَا مُبَايَعِيكَ عَلَى نَهْجِ الْقُدَامَى، وَحُرْمَةِ الْفُرْقَانِ
عِنْدَ «بَابِ الصَّفَا» مِنَ الْمَسْجِدِ الطَّهَرِ، عَقِيبَ الصَّلَاةِ، بَعْدَ الْأَذَانِ
تَحْتَ هَذِي الشَّمْسِ الشَّهِيدَةِ، لَا قَصْرَ، وَلَا زَخْرَفَ وَحَسَنُ مَبَانِ
إِنَّ هَذَا الْفُسْطَاطَ، وَهُوَ مِنَ الشَّعْرِ، لَا تُسْنَى مِنْ رَوْعَةِ الْإِيْوَانِ
لَنَرَى فِي عِبَائِكَ الصُّوفَ نَبَلًا وَبِهَاءً فِي الذَّيْلِ وَالْأَرْدَانِ
لَمْ يُمْتَعْ بِمِثْلِهَا «أَزْدَشِيرُ» وَالْأَعَزُّونَ مِنْ بَنِي سَاسَانَ
أَيُّ تَاجٍ يَبْذُو «شَمَلَتِكَ» الْبَيْضَاءُ، يَوْمَ الْفَخَارِ بِالتَّيْجَانِ
مُفْرَقَ الرَّاشِدِينَ زَانَتْ، وَزَانَتْ هَامَ آلِ الْعَبَّاسِ فِي بَغْدَادِ

...

١ شعاف الجبال : رؤوسها . والرعان : الجبال الطويلة . ٢ بعد صلاة الجمعة في ٢٥ جادى الثانية سنة ١٣٣٤ يناير سنة ١٩٢٦ اجتمع الناس في المكان المُلحَق للحفلة عند باب الصفا من المسجد الحرام، وتمت المبايعة وكان المشهد عربياً صافياً أي بسيطاً ديمقراطياً . (ت . ن .)
٣ إيوان كسرى المشهور . ؛ نستعمل الشعلة بمعنى الكوفية .

قبل البيعة المليك فردت آية الشكر غيمة من دُخان
 بعثتها مدافع هاتفات بلسان الجهاد والإنسان
 طاف حول البيت العتيق وصلى حيث صلت كواكب الأزمان
 منذ نادى الى الصلاة « بلال » واشراأت مسمع الأكوان
 نبا ذاع في البسيطة ذيع الفكر، جاب الدنيا بوضع ثوان
 خبر كان للمشارك بشري ولأهل الغروب رجع أغان
 دأول الغرب أيدت عرش ملك صفقت في ظلاله الرايتان
 افتاخت قبائل وبطون وتنادى للفرحة الجاران ٨٥٠
 وكان الحجاز صنو لنجد فها منذ كونا توأمان
 مرجع الله بالأخوة بحرين، بظل المليك لا يبغيان

...

يا سعود الكبير نم في أمان كل هذي الرؤوس من عدنان
 لا يغيرنك المليك « أبو تركي » غدا أو لا فصرت الثاني
 شاد عرشاً من بعد ما انتثر العرش، كما حطمت عتاق الأواني
 لم أجزاءه بحد حسام وحمى عزه برأس السنان
 وبخلق دعا القلوب فلبت كدعاء الغدير للعطشان

١ إشارة الى ان قلاع مكة أطلقت مشة طلقة من مدافعها ابتهاجاً بالبيعة . ٢ بلال الحبشي مؤذن
 النبي وهو أول من رفع صوته بالأذان . ٣ نبأ مبايعة الملك وقد اعترفت به أم دول الغرب .
 ٤ إشارة الى سعود الكبير الذي احتل الحجاز وأفك منه كما أشرنا الى ذلك في حينه .

من رآه في قصره راء شهماً فائض الجود والحجى والحنان
وهو في هيئة الرعية لولا هبة في الضراغم الرعيان
روعيون اليه من كل صوب كالصحارى الى السحاب روان^{٤٦٥}
وهو فيهم « عبد العزيز » أبو تركي « الطويل العمر » الرحيب الجفان
يحسبون الألقاب نفلاً كنفل الكحل في هدبة العيون الحسان
أو مصايح تصدف العين عنها إذ يكون النهار في الرعيان
ألفوه خلف العجاجة سيفاً عارياً من قرابه والدهان
فهو فيهم عبد العزيز ملكاً مثل عبد العزيز في المعمان
فهناك الليث الموكّل بالنصر يمد السباط للغربان
وهنا صغّر « البرامك » جود أين منه مآدب النعمان
ما ابن ماء السماء؟ ما جود معن؟ ما حماة « البريص » من غسان
كرم الأولين ظن أساطير وملهى للسامر الندمان
افاذا بالمليك، بابن سعود يتعدى معالم البرهان^{٤٦٦}
ما الأساطير ما سمعت ولكن هي ما وثقت شهود العيان
من سخا بالحياة عن غير يأس عارضاً صدره على الأقران
في زمان الرصاص والمدفع الرشاش يهيم بالالهاب الهتان

١ الفريق الأكبر من سكان الجزيرة ولاسيما البدو أو القبائل الرحّل لا يعرفون الألقاب الشائعة في الاقطار الأخرى فهم ديموقراطيون بفطرتهم، يدعون بعضهم بأسمائهم المنردة ويخاطبون ملوكهم وامراءهم بأسمائهم وألقابهم العادية، فاصغر البدو يخاطب الملك بيا عبد العزيز، أو يا أبا تركي، أو يا طويل العمر. والملك نفسه قلماً يعاب بالألقاب.

ونعيد التنبيه الى اننا نرّمز بحرفي الحاء والواو الى السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب في القرن العشرين كما نرّمز بحرفي التاء والنون الى تاريخ نجد الحديثة لأمين الريحاني.

لا يرى في السخاء غير ارتياض ؟ وانفراج عن حافر نفسياني
لذة السامع الأغاريد أدنى من سرور المغرّد الكروان

...

بورك المنصف الذي وحد العدل ، فهدّ التوحيد للميزان
واحدٌ عنده القياسُ فما في كفة القسطِ عنده وزنان
شرف الحق فوق كل شريف لا يدانيه في السموّ مدان
فوق عبد العزيز فهو قيمٌ إن هفا أن يقول : هذا بياني
أنا تحت الشرع الشريف ولكن فوق كسرى العالي أنوشروان^١
أنا لو جئت فريّة لتلظى وهجها في أضالعي فكواني
بين جنبي زاجر لا يُداري بين جنبي حاكمي وجداني
فهو خصمي وشاهدي ونذيري وصديقي وناصحي وكياني

...

يا ابن عبد الرحمن عدلك أصنى من رفيف الأريج في البيلسان
فوحه شاع كالضياء على الصحور ودفق العبير في نيسان
جاوز المدن للفقار الخوالي واستوى عرفه على الكُشبان
أنت فيها رفيق كلّ وحيد جازما بين « جدّة » و « عُمان »
بين وادي « الدوايسر » الموحد القفر وبين « النفود » فالصّان

بين ثغر «لفارس» حَضَنَ الدُرَّ، وبحرٍ كَنَّوهُ بِالْأَرْجَوَانِي^١
 رِلْسَ بَعْدَ الْإِلَهِ إِلَّا خِيَالُ^٢ مِنْكَ، يَحْمِي قَوَافِلَ الرِّكْبَانِ
 يَرْهَبُ الْغَادِرُونَ بِطُشِّ مَلِكٍ سَاهِرٍ فِي مَنَامِهِ يَقْظَانِ
 وَعَلَى شَعْبِهِ لَهُ أَلْفُ عَيْنٍ تَتَوَلَّى صَيَانَةَ الْبُسْتَانِ
 عِبْقَرِيُّ الْمُلُوكِ مِنْ يَتَجَلَّى وَهُوَ فَذٌّ، فِي سَائِرِ الْأَعْوَانِ
 يَعْكُسُ الضَّوْءَ ذَاتَهُ فِي الْمَرَايَا وَاحِدًا، رَغْمَ كَثْرَةِ الْأَلْوَانِ
 أَنْكَرَ الْغَرْبِ قَسْوَةَ لَابِنِ «جَلَوِي» كَيْفَ يُنْهِي بِقَطْعِ كَفِّ الْجَانِي
 قَسْوَةَ؟ وَهِيَ رَحْمَةٌ لَوْ تَأَمَّلْتَ، وَعَيْنُ النِّهْيِ، وَدَرْبُ الْأَمَانِ
 إِنْ دَا السَّرْقَانِ فِي الْبَدْوِ أَدْهَى مِنْ وَبَا السُّلَالِ وَالسَّرْطَانِ^٣
 سَرْطَانُ الصَّحْرَاءِ حَبْسُ سَحَابٍ وَانْفِلَاتُ الصَّعَالِكِ الذُّؤْبَانِ
 إِنَّمَا الْعَدْلُ وَالشَّرَائِعُ أَصْدَاءُ وَظِلُّ لِحْقَبَةٍ وَمَكَانُ
 لَا يَجُوزُ الْبَعِيرُ فِي غَارِبِ الْبَحْرِ، وَلَا الْبَارِجَاتُ فِي الصَّحَصَحَانِ^٤
 أَيْجَبُ الصُّوَصِ يُحْمَى «نَفُودٌ»؟ أَمْ بِتَأْنِيْبِ حَاكِمٍ مَلْسَانِ
 إِنَّمَا السَّجْنُ لِلصَّعَالِيكِ حَصْنٌ لِيَقِيَهُمْ غَوَائِلُ الْخُدَّانِ
 فِي زَوَايَاهُ مُوْتَلٌ لِلْكَسَالِي وَطَعَامٌ لِلشَّارِدِ الْجَوْعَانِ
 فَهُوَ فِي عَيْنِهِمْ خَلِيَّةٌ إِغْرَاءُ، وَقِرْصُ الْخُلُوعِ لِلذَّبَّانِ

...

١ ثغر فارس هو الخليج الفارسي . والأرجواني هو البحر الأحمر وهما الخدَّان الشرقي والغربي للمملكة
 السعودية . ٢ السرقان : السرقة . السلال : السل .

عدلُ عبد العزيز، رَدَّ إلى الصحراء، عدلَ الفاروق، بعد الأوان
 مثله شدةً وميلاً إلى الزهد، بسيط المعاش والديوان
 لا بطيئاً ولا نؤوماً فلم تُشرق ذُكَاةٌ على تَريفٍ وان
 يسبق الفجرَ للوضاءة فالركع فأخذ الإبريق والفنجان
 طَيبَ النفس ناشطاً لمهماتٍ يعاني في حلِّها ما يعاني
 ٩١٥/ فهو كالبحر حاملاً ألف عبءٍ ويرى باسمًا على الشيطان
 صنوه غاضباً يُناهض ظالماً صنوه في بشاشة الرضوان
 يسحر القوم سامراً وعشيراً ويخافونه لدى الفوران
 فيه من ثورة البراكين لكن ليس فيه أذيةُ البركان
 فهو كالنار، حين تلمح في الرعد، فتخلو من فحمةٍ ودُخان
 خالصَ القول والسريرة، فوق المكر، فوق الدُحول والأضغان
 وادعاً وارفَ الوقار حليماً واسطاً بين شدةٍ وليان
 منشئاً وُلدهُ على خشية الله، وخلق كصفحة الهندواني
 عالماً، أنه يُربي ملوكاً لغدٍ واسعٍ جليل الأمان
 ففعلَ ربَّ البستانِ قامَ على الغرس، فأضلعه عليه حوان
 ٩٢٥/ يَدْرَأُ الطيرَ والسوائِمَ عنه وَيُنْقِي بَراعمَ الأغصان
 نابذاً كلَّ شوكَةٍ تُثْقِلُ العُصنَ وتؤذي، عند القطاف، الجاني
 ساقياً هذه الغرائسَ من ماءٍ نَمِرٍ جرى به منبعان

١ التريف : المترف . ٢ أخذنا هذه المعلومات عن كتاب جزيرة العرب في القرن العشرين لحافظ
 وهبه، في الفصل الذي عقده عن الملك في حياته الشخصية .

منبعُ الجود والبشاشة، وهو القطبُ في جمع كلمة العربان
منبعُ البأس والشجاعة، فالأخلاقُ فرعُ وأصلها هذان
لا يسودُ الصحراءُ غيرُ سخيٍّ حسنِ الملتقى نديّ البنان
لم تُغضنْ جبينه كثرةُ الضيف، وضيقُ العافي، وسقمُ العاني
ما قلوبُ الأنام إلا طيورٌ حاثاتٌ على ربيع الجنان
أنزلوها على بساطٍ من الظلِّ خصيبٍ مخضوضٍ نديان
أتخيدوا في الصدور فطرةً شرَّ هي أدنى لفطرة السرحان
٩٣٥ / قد تكفُّ الأظفارُ بسمةً ثغرٍ وتقلُّ الأنيابُ بالإحسان

...

قال عبدُ العزيز يُوصي بنيه «من ملام العُدَّالِ صونوا إخواني»
ليس في القَدْعِ والتهكُّمِ أنكى من أراجيف حائقِ غرثان
«بأقلاً» في الرضى يكون فإن يغضب، فويل الأسماع من «سحبان»
يزرع البیدَ والحواضر تهجوا ويغالي في الكذب والزيفان
قلماً تُشغفُ المسامعُ بالمدح، وتهوى بهارج البهتان
ذاك أن الأنام من نسل حوّا، وفيهم شيء من الثعبان
يتغاضون عن جمال ذكاء وهبات يفيضها القمران
وحياة ترفها الشمس للأرض، حياة النبات والحيوان
همهم في الكسوف أو في خسوفٍ فشار الفضول في الحرمان

٩٤٥ قلما تُشكرُ المنابعُ للفيضِ، ولكن تُذمُّ للنقصانِ
 «راقبوا فعلَ خازنٍ ووكيلٍ وأجيرٍ وخازِرٍ عَجَّانِ»
 «راقبوا ساسةَ الحيولِ، وتديرَ الطواهي، ودُرَبَةَ القهرمانِ»
 «كلُّ ما قَصَّرَ النَّوَائِيُ فيه فوخيمُ العقبى على الربَّانِ»
 «واذكروا نكبةَ أَحَاقَتِ بَعْدَ اللَّهِ عَمِي، وكان ملُّ الآنِ»
 طَيِّبَ القلبِ والشَّائلِ، رَحِبَ الكَفِّ، أنشودةَ الحسامِ اليَمانِي
 هَدَمَتِ عَرشَهُ حواشٍ لِئَامٍ كُنَّ شَرَّ الصَّدُوعِ في البنيانِ
 سَوَّدُوا صَفْحَةَ الأَمِيرِ بما رَشُّوا عليها من قَاتِمِ الألوانِ
 إذ يسومون شعبه، فوق ذُلِّ الشَّحِّ، قولَ الحنَى، وسوطَ الهوانِ
 نَفَرُوا من وِلايَةِ كُلِّ حَرٍّ بينَ جَنبِيهِ لِلإِبَاءِ مَعَانِ
 ٩٥٥ أَفَلَتُوا من رِقَابَةٍ فَعَدُوا شَمْساً، بلا زاجرٍ ولا أَرَسَانِ
 ذاك أنَّ النقصَ المَرَكَّبَ فيهم ساقِهم للعتوِّ والظفیانِ
 وهو نَقْصُ الهَجِينِ عِرْقاً وَخَلْقاً فهو كالنَّغْلِ من نِتاجِ الأَتَانِ

١ النَوَائِيُّ مفردُها النَّوَيُّ وهو ملاح البحر . ٢ قال السيد حافظ وهبه في كتابه جزيرة العرب
 صفحة ١١١ : « ولما حضرنا إلى مجلس الملك كان وليَّ عهدِ الأميرِ سعود هو رئيسُ الركب أخذ جلالة الملك
 يعطيه درساً من أنْفُسِ الدروس في المراقبة والملاحظة وعدم الاعتداد على الخدم . ثم أخذ يقصُّ علينا درساً
 تأريخياً فيها أصاب أمماته من تركهم الحبل على الغارب للخدم الذين لم يكونوا يراعون مراة كثر الناس ومشايخ
 القبائل حتى انْفَضَّ الناس من حولهم . وورد في الصفحة ٢٢٧ ان عبد الله بن فيصل كان معروفاً بالكرم
 والتقوى، وكان طيِّبَ القلبِ شجاعاً ولكنه أسند الأمور إلى غير أهلها وأطلق يد موظفيه، وبعضهم ليسوا من
 العائلات المعروفة، فعاملوا رؤساء البلدان والقبائل بغير ما اعتادوه في أيام فيصل من كرم الضيافة والرعاية .
 ولا شيء أسوأ أثراً في نفس العربي من سوء المعاملة . كما لا شيء يحدث أحسن الأثر أكثر من الإكرام
 وطلاقة الوجه . ٣ الشَّمْسُ : مفردُها شَمْسٌ وهو الفرس البطر . ٤ النغل : حيوان متوسط بين
 الحمير والبغل أمه الأتان وأبوه الحصان .

«لَوْهُمْ أَلْبَ السُّيُوفِ عَلَيْهِ وَرَمَاهُ أَضِحَّةَ الْقُرْبَانِ»
 واقتدوا بي شجاعةً وسماحاً إنما البأسُ والندى أخوان
 لا تقول الأجيالُ قصرُ سعودٍ ظلَّلتُ جذرُهُ فؤادَ جَبَانِ

...

يا حفيدَ الأبطالِ، خيرَ سيوفِ العربِ، من وائلٍ إلى «مرخان»
 خدرِكَ الفدُّ لن يضمَّ جباناً إن كُنَّهَ الجذوعُ في الأفنان
 لو أرادَ الخنوعَ منهم صبيٌّ لَفَظَّتْهُ نَوَافِدُ الجدرانِ
 من يُرِّي للمكرماتِ نجيلاً لن يرى بينه حقيرَ الزَّوَانِ
 لأنَّكَ قَتَحْتَ سَمْعَهُمْ منذ كانوا بعدُ في نضرةِ الفصون اللدانِ
 لحديثِ الأبطالِ من كلِّ عصرٍ فاستطابوا مَوارِدَ الشَّجَعَانِ
 قَبَسُوا عَنْكَ فِي العرينِ دروساً ونَمَوْا في مَنَابِتِ المِرَّانِ
 عَاشَوْهَا مَلَاحِجاً تَشْرَحُ الصِّدْرَ لِسَيْفٍ وَصَعْدَةَ وَحِصَانِ
 هَمَّهُمُوا لِلْقِتَالِ يَوْمَ سِوَاهُمْ من فُروخِ القصورِ في الأَحْضَانِ
 أو نَشَاوَى فِي غَمْرَةِ الرِّقْصِ، والقَصْفِ، ورَشَفِ الجُحُورِ والأَلْحَانِ
 فَتَحَارُ العِيونُ فِيهِمْ، أَوْرَاثُ لِعَرْشٍ، أُمُ صَبِيَّةٍ فِي حَانَ
 أُمِ جَوَارٍ تُعَدُّ لِلْبَيْعِ فِي سِوْقِ المَلاهي وَمَسْرَحِ المُجَانِ
 أَنْتَ عَبْدُ العَزِيزِ عَلِمْتَ كَيْفَ الرِّقْصِ، لَكِنْ فِي حَوْمَةِ المِيدَانِ

رقصة الحرب يرقصون، كذا النسر يُعدُّ الأفراخ للطيران
 أنت لَقَنْتَهُمْ بطولة أعوام فأَوْجَزْتَهَا ببضع تَوان ⁶⁷⁰
 «يقظة في الوغى وجأش صليب» وسداد في الكرّ والجولان
 «وذياد عن الكرامة والحق»، وبذل الأرواح للأوطان
 «وأتكال من قبل ذاك على الله، فكل سوى المهيمن فان»
 أنت أعددتهم ليوم عظيم شاحداً من مناسير العقبان
 فاستفاق الكبار منهم على أفق خضيب، كحد سيفك، فان
 قطفوا النصر مبكرين فكانوا قادة حيثما التقى جمعان
 ما سعاد وفيصل منك إلا جانحاً ضيفم، وحداً سنان
 أو هما في يديك، حين يصيح المجد: هاتوا وسائلي، فيصلان
 ونجيد محمد ثالث الشبلين أكرم بشالك الفرسان
 في حناياه نخوة الليث إن يُندب إلى شن غارة وطعان ⁶⁸⁰
 البوادي يشدون باسم أمير ويُفدون أكرم الفتیان
 السخيون باليمين بجودون، وتفتي أمواله الراحتان
 كلُّ أكرامة إلى الخلد تعزى للأمير الهمام فيها يدان

...

إليه عبد العزيز لم تقصر ألهم على بيتك الصميم الداني
 فأردت الحجاز والنجد شعباً ناعماً بالرفاه والعمران

تتشد الخير والرقي لقوم فطموا أنفسهم عن العرفان
 حصنوا تلکم العقول بأبراج، من الجهل، صلبة الأركان
 فهي من شدة التعصب والعقم يغشي صفاءها ليلان
 قد فتحت الحصون بالسيف لكن سوف تصلى نيران حرب عوان
 وهي أدهى مما لقيت من الخصم، فصبراً يا فاتح الأذهان ٤٤٥
 إنما القول بالحضارة فيهم بدعة دونها جناية زان
 أسيارة تبدل بعراناً؟ فأين الوفاء للبعران
 إن هذا الحديد يجري، بلا خيل، لمن صنع معمل الشيطان
 كلما أعجز البدائي لغز قال: إبليس أو ملوك الجان
 فكان الرجيم في خيلة الدهاء رب من طينة السودان
 شعره التف كالتفاف الأفاعي يتلاقى من فوقها قرنان
 وله مخبران، أو يركتا نار، كجمر الاثون تحتدمان
 فوق أنف كأنه جحر نمس أو وجر الضباع والذؤبان
 كنيوب التماسح أنيابة الصفرة، وسم الحيات في الأسنان
 ولسان كظلف ثور، له لون الدياجي وكشة الأفعوان
 يحرق النبات إن تلهث كبريتاً، ويفني مباسم الأقحوان
 كالسوارى رجلاه، كالذوح زنداه، جذور الأهرام تقتلعان
 أبدون الشيطان ينتظم الصوت الفيافي وغائر القيعان

أُتْرَاهُمْ يُغْرُونَهُ بالضحايا من جداء ومن كباشٍ سمان
كيف عبد العزيز يصطنع البرق؟ أما خاف نقمة الديان
يقطع الدو مثلاً يلح الفكر، وفي مثل ردة الأجفان
بدعة مثلاً مقالة مزاح يقول: الغبراء في دوران
كيف دارت هذي البسيطة؟ لو دارت لكبت هواج الأظعان
ولراح الخزاف يكي على الفخار في عقب مآتم الكيزان

...

10 أصعب الفتح فتح ذهن صفيق كفتته الأزمان بالأدران
وتسمى الصواب وهي ضال أورثته القطعان للقطعان
سمكتها العصور وهما على وهم، فلان أفضى به لفلان
التقاليد تأسر الناس حتى لتصير الدماء في الشريان
فهي العقل لا محط لعقل غيرها في المضلل الغفلان
من دعاه لنقدها رام منه أن يزيل البهران بالبحران

...

إن داء التعصب المر شر قد يضاها عبادة الأوثان

١ بلغ الجهل والتعصب من المقاومين الحركة الإصلاحية أن بعضهم كان يباغت عامل الفطة اللاسلكية
لسؤاله عن موعد زيارة الشياطين، وهل الشيطان الكبير في مكة أو الرياض. وكان بعضهم يعتقد أن
التفراق اللاسلكي لا يشتغل إلا بعد أن تذبح عنده ذبيحة يذكر عليها اسم الشيطان.

وَتَنِيُّ من يَعْبُدُ الْجَذَعَ وهو الصَّاقِلُ الْجَذَعُ، لَامِعاً بِالدهان
 وَتَنِيُّ من يَعْبُدُ الرَّأْيَ أَعْمَى فَكَأَنُّ لَمْ تَكُنْ لَهُ عَيْنَانِ
 عَنُجِيَّاً يَظَلُّ مُنْقَلِقَ اللَّبِّ، فلا يَهْتَدِي إِلَى مِيزَانِ
 ٧٥ (أَحْصَفُ النَّاسِ مَنْ يَشْكُ وَلَكِنْ شَكُّ بَانٍ إِلَى الْحَقِيقَةِ رَانَ
 كَالْغَزَالِي، وَكَانَ كَعْبَةً فَهَمُّ رَاوَدَتْهُ فِي رَيْبِهِ كَفَّتَانِ
 حَارَ فَأَسْتَشْرَفَ الْيَقِينَ وَلَمْ يَقْنَطْ، وَلَا هَدَى عَزَمَهُ الضِّدَّانِ
 وَاهْتَدَى لِلصَّوَابِ غَبَّ صِرَاعٍ وَاسْتَطَارَتْ أَضْوَاؤُهُ لِلْعِيَانِ
 أَسْخَفُ النَّاسِ مَنْ يَصْدُ جَدِيداً هَانِئاً بِالْعَتِيقِ وَالْأَكْفَانِ
 كُلُّ مَنْ آثَرَ الْجُودَ فَجَانِ يَتَعَدَّى مَشِيئَةَ الرَّحْمَنِ
 لَيْسَ إِلَّا الرَّحْمَنُ يَبْقَى عَلَى حَالٍ، فَلَيْسَ الْجُودُ فِي الْأَكْوَانِ
 مِنْ تَغَاضَى عَنِ الرُّقِيِّ اخْتِيَاراً فَقَدْ اخْتَارَ ظُلُمَةَ الْعَمِيَانِ
 وَكَذَلِكَ الْخَفَافُ، يَجْرَحُهُ النُّورُ، فَيَغْشَى حَوَالِكَ الْغَيْرَانِ
 أَطْلَبِ الْعِلْمَ، كَانَ فِي الصِّينِ، أَمْ فِي الْقَرْبِ، أَمْ فِي جَزَائِرِ الْيَابَانِ
 ٨٠ وَسِوَاهُ أَتَاكَ مِنْ مُوسَوِيٍّ أَوْ خَنِيفٍ، أَوْ جَاءَ مِنْ نَصْرَانِيٍّ
 مِنْ ضَفَافِ «التَّامِيزِ» أَوْ ضَفَّةِ «الْكُنْجِ» تَأْتِي، أَوْ مَعْبِدِ الرَّهْبَانِ
 إِنَّمَا الْعِلْمُ وَالرُّقِيُّ مُشَاعَانِ، شُيُوعَ الْهَوَا لِلْإِنْسَانِ
 فَهُوَ حَقٌّ لِكُلِّ مَنْ بَرَأَ اللَّهَ، وَرَفَّتْ فِي صَدْرِهِ رِئْتَانِ
 أَيْصَدُ النَّسِيمِ؟ مِنْ «حَمَلَايَا» هَبَّ، أَوْ هَبَّ مِنْ رَبِّي لِبَنَانِ

١ عُنْجِيَّاً : مُتَكَبِّراً . ٢ انظر كتاب حجة الاسلام للامام الفيلسوف ابي حامد الغزالي وعنوانه:
 المنقذ من الضلال . ٣ غَيْرَانِ : مَعْرُودَا الْعَارِ . ٤ إشارة إلى الحديث : اطلبوا العلم ولو في الصين .

حاملاً للصدور 'عمرأ' جديداً سَكَبَتْهُ الذُرَى على الریحان
ناشراً عبقرة الأماليد في الأرز، وعمق الدهور في السنديان

...

مَلِكَ النجد والحجاز تجاوزاً عن جهول جزاك بالعصيان
ربما أغضب الرُخامة إزميل^١، فَأَنْتَ من ضربة الفَنان^٢
لو دَرَّتْ أنه سيخلق منها غادة^٣، لو سَعَتْ بها قدمان^٤
40 فيصوغ الجمال في صدرها الراي وتبدي رؤاها الوجنتان
لأنحنى ثغرها على راحتيه وَلَهَمَّتْ بشكره الشفتان
في غدٍ تُفْتَحُ العقولُ على العصر، ويشدو بذكرك المصران
يحمدون المَلِكَ الذي حَضَرَ الصحراء رغم العقوق والعدوان
يتلاقى عليك، يا قِمَّةَ القطرين، في رفرف العلى علَّمان
سَيِّدَ العرب والجزيرة، فَلْيَنْتَعِمْ بأمنٍ في ظِلِّكَ الحرَّمان

١ نستعمل لفظة الفَنان برغم جود المعاجم بعد ما صقلت الألسن ونراها أقرب إلى لغة الحياة من المفن.
٢ أي أن هذه الدمية التي صاغها المثال من الرخام فصارت كأنها غادة حناء لا ينقصها سوى الحركة
والمشي كان يجدر بها أن تقبل يد المثال شاكرة، فلا تنسى من ضربة الإزميل لو دوت عظيم فضله بما يخلف
عليها من الجمال.

٣ ثورة الاخوان

أَبْطَرَتْهُمْ حَمِيَّةُ الْجُهْلَاءِ فَعَلُّوا فِي الضَّلَالِ وَالْخِلَاءِ
وَهَمُّوا أَنَّهُمْ مِنَ النِّجْمِ صَيِّغُوا وَسَوَّاهُمْ مِنْ طِينَةِ الدَّقْعَاءِ
أَنَّ كُلَّ الْأَنَامِ مِمَّنْ عَدَاهُمْ هُمُ سَادِرُونَ فِي الْأَهْوَاءِ
لَيْسَ عَجَبًا أَنْ يَنْظُرَ النَّاسُ حَوْلًا كُلُّ رَأْيٍ بِمَقْلَةٍ حَوْلًا
حَسَبُوا الْحَقْدَ وَالتَّعَصُّبَ دِينًا ٥٠ أَيُّ دِينٍ يَبْقَى مَعَ الْبَغْضَاءِ
يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُحِبِّ، وَلَوْ ضَلَّ، فَإِنَّ الرَّحِيمَ لِلرَّحْمَاءِ
أَيُّ دِينٍ يَقُولُ بِالْبُغْضِ؟ عَيْسَى؟ أَمْ رَسُولُ الشَّرِيعَةِ السَّمْحَاءِ
يَا غُلَاةَ «الْإِخْوَانِ» ضَيَّقْتُمُ الدُّنْيَا، وَزِغْتُمْ عَنْ مَنَهِجِ الْحَقِّ
مَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا سِوَى الْكِبْتِ وَالْحَقْدِ وَإِبْدَاءِ نَقْمَةٍ وَازْدِرَاءِ
وَانْتِقَاصًا عَلَى الشَّوَارِبِ وَالثُّوبِ وَمِيلًا لِفُزْوَةٍ وَعَدَاءِ
وَكُنَّ الْبَدِيعَ مَا زَيْنَ الْهَامَ بِغَيْرِ الْعِمَامَةِ الْبَيْضَاءِ^١

١ البديع : المبدع . لقد غال الاخوان في التعصب واعتقدوا انهم وحدهم على الحق وكل من سواهم في ضلالة . فاسأؤوا الفطن بغيرهم من تحضر نجد وبولي أمرهم الملك عبد العزيز واصبحوا يعتقدون ان لبس العمامة هو السنة ، والمقال من البدع المنكرة ، بل غال بعضهم فجعله من لباس الكفار ويجب مقاطعة لابسيه . واعتقد فريق منهم ان المشايخ مقصرون مدهنون لابن سعود وقد كتبوا الحق عنسه وان الفزو واجب . ولقد نال بعضهم الإمام عبد العزيز فرموه بموالاته الكفار والناسهل في الدين ، وأنكروا عليه تطويل الثوب والشارب ولبس المقال . وقد سرت هذه الروح المتمردة بواسطة الجبهة وأنصاف المتعلمين الذين انتشروا في قري الإخوان باسم العلم . وكان الاخوان اذا صادفوا في طريقهم رجلاً طویل الشارب قصوا شاربهم وكذلك القول في الثوب الطويل . (ح . و .)

وَكأنَّ الصَّوابُ حُدٌّ بما فيها فأصْحابُها مَنارُ الذِّكْرِ
 أو دروعُ الحِجَى فمن لم يُعَمِّمْ فَمُبَاحُ الدِّماءِ والأشياءِ
 لو بَيَاضُ العِمامِ نَوَّرَ في القلبِ فأغناكمُ عن الأسْواءِ
 60 لَكُفَيْتُمْ أَنْ تَنْظُرُوا مَنْ سِوَاكُمْ من خلالِ النَّظَّارَةِ السُّوداءِ
 وشَهِدْتُمْ دُنْيا جالٍ وُحْبٍ مَدَّها اللهُ رَحْبَةً الأَرْجاءِ
 هي ظِلٌّ لَهُ، فَلَيْسَ ابتداءً لِمَدَّهاها، ولا حُدودَ انْتِهاها
 في لِيَّاحِ الأَرْآدِ والفَجْرِ والزَّهَرِ، ورَفِّ الأُمْسِيَّةِ الزَّهراءِ
 وَسَعَتْ كُلُّ نَسَمَةٍ بَرَأَ اللهُ، فَعَمَّتْ عَوالِمَ الأَحْياءِ
 أَفْضَاقَتْ صُدُورُكُمْ بِعِقالٍ؟ أو بِثُوبٍ ضافٍ وَفَضْلٍ رَداءِ
 فَصَبَّيْتُمْ نَفُوسَكُمْ حَرَسَ الدِّينِ، وَصَرَّيْتُمْ عَلَيْهِ في الأَوْصِياءِ
 النَّبِيُّونَ ما أَتُوا لانتقامٍ أَفأنتم أَتَقِي من الأنبياءِ
 قَدْ عَرَفْنَاكُمْ جُنُودَ مَلِكٍ فَتِي صَرَّيْتُمْ جُنُودَ السَّما
 اتَّهَمْتُمْ مَشايخَ الدِّينِ بِالزَّيغِ، وَحَبَّ الزَّلْفِي، وَنَهَجَ الرِّياءِ
 70 آلُ عَبْدِ الوَهَّابِ كانوا، وما انْفَكُّوا مَصايِحَكُمْ لَدَى الظُّلَماءِ
 فَمَنْ العارُ أَنْ تَعَيَّبُوا حِجَّاهُمْ وَتَسْنُوا لِلطَّعْنِ لُسنَ افْتِراءِ
 وَمَنْ الهَزْلُ أَنْكُمْ عَيْبُموهُمْ حينَ أَمسى «الدَّوَيْشُ» في العِلْماءِ

١ العلم : مفردُها العِلْمة . ٢ الليّاح : البياضُ النَّاصِع . ٣ فيصل الدويش وهو أكثر الزعماء غلواً وتعصباً وحقاقة . عقد الاخوان مؤتمراً في الأرمطولية حضره رؤساؤهم من مطير وعينية والعجمان تعاهدوا فيه على نصره دين الله والجهاد في سبيله . ومما انكروه على الملك عبد العزيز موالاته للانكليز وعقده معاهدة معهم ، وإرسال ولده سعود الى مصر بلد الشرك ، وإرسال ولده فيصل الى لندن واستخدام السيارات والتلغرافات والتلغونات . وطلبوا منه النظر في شيعة (الأحساء) والقطيف واجبارهم على الدخول في دين أهل السنة والجماعة . (ح . و .)

ومن الجرم أن تُسيئوا ظنوناً بملك من الظنون برا،
 عيبه أنه بعيد المرامي عبقرى الأهداف والأجواء،
 أنه ما ثنى لأصنام جهل ركلة، أو مشى بركب العما،
 غاظمهم منه أنه مد للإفرنج كفاً رشاحة بالولا،
 أيوالي الكفار! أولئك الأرجاس! بئس الكفار من حلفاء
 عيسويون، لو يمر نسيم من حماهم بجانب الدهناء
 صوح النخل في «الرياض» وأذى في جبال «القصيم» صفوا الهواء
 ٤٠ / نجله فيصل «بلندن»! يا لله وزر الجناية النكرا
 بلد الكفر غلغل الرجس فيه في ثراه، في جوه، في الماء
 وسعود! ولي عهد أقي مصراً، ومصر كريمة كالوبا،
 بلد الشرك والحضارة، فالتمدن كالشرك منبت الأرزاء
 حسبهم في «كنانة» الله شركاً أنهم محدثون في الأزياء
 أتراها تلك «الطرايش» حمراً قدفت من جهنم حمراً
 غاظمهم أمر شيعة لعل في ظلال «القطيف» و«الأحساء»
 رافضيون نعمون بأمن؟ وتساو في رتبة وإخاء
 وبحرية الشعائر والرأي، فبعداً حرية الآراء

...

رأب تلك العيون سيارة أذت، وسلك أرن بالكهرباء

٩٥ وَيَحَ تَلْكَ الْأَسْلَاحُ، أَلْسِنَةُ الشَّيْطَانِ بَصَّتْ كَالْحِيَةِ الرِّقْطَاءَ
 قَطَعُوهَا عَنْ الْمَلِكِ مَرَاراً وَتَمَادَوْا فِي الْعَسْفِ وَالْإِيْذَاءِ
 ضَجَّ نَجْدٌ مِنْهُمْ، وَضَجَّ حِجَازٌ وَاسْتَعَاذَتْ جَوَانِبُ الْبَطْحَاءِ
 كُلُّهُمْ مُصْلِحٌ يَدِينُ وَيَقْضِي كُلُّهُمْ فِي الْأَيْمَةِ الْفَقْهَاءِ
 كُلُّهُمْ نَائِبٌ، عَلَى الْأَرْضِ، اللَّهُ، عَلِيمٌ بِحُكْمِهِ وَالْقَضَاءِ
 يَا غُلَاةَ «الْإِخْوَانِ» فَاتَكُمُ الْحُكْمُ عَلَى الرِّيحِ فِي لَيْلِي الشِّتَاءِ
 وَعَلَى النَّيْزِكِ الَّذِي يَمِزُقُ الْجَوَّ شَهَاباً، فِي الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ
 أَبْلَا إِذْنَكُمْ يَطْرُ نَبَاتٌ؟ وَيَهْلُ الرِّجَاءُ فِي الْخَضْرَاءِ
 أَوْ تَجُوزُ الْأَسْوَدُ فِي الْأَجَمِ اللَّفِّ وَتُفْضِي بِشَوْقِهَا لِلْبَاءِ
 أَوْ يَطِيرُ الْجَرَادُ، أَوْ تَرْحِفُ الْحَرْبَاءُ سَعياً لِمَصْرَعَةِ الْخَنْفَسَاءِ
 ١٥٥ ذَاقَ مِنْكُمْ عَبْدُ الْعَزِيزِ خُطوباً مِثْلَهَا لَا يُطِيقُ صَدْرُ الْفَضَاءِ
 فَجَزَاكُمْ صَبْرًا جَمِيلاً وَأَغْضَى وَأَوَيْتُمْ لِنَفْسِهِ الْفِيحَاءِ
 كُلَّمَا ثَارَتْ الشُّكَاوَى عَلَيْكُمْ قَالَ: صَبْرًا فَإِنَّهُمْ أَبْنَاءِي
 يَسَامُ الْبَحْرُ مِنْهُمْ قَبْلَ صَدْرِي وَتَضِيقُ الدَّهْنَاءُ، قَبْلَ امْتِلَائِي
 سَأْظِلُّ الصَّفُوحَ مَا دَامَ لِلْغَفْرَانِ مَقْدَارُ قَطْرَةٍ فِي إِنَائِي

١ كثيراً ما كان الاخوان يقطعون أسلاك التليفون لانه منكر يجب إزالته . وكثيراً ما كانوا يتعمدون قطع الاسلاك الموصلة الى قصر السلطان أثناء وجوده في مكة . وكان الملك يفتي عن أذاهم ويحتمل تقدم بعلم وصبر . وقد اضطر ان ينزل على رأيهم في إيقاف تلفراف المدينة الاسلامي وهدم بعض المساجد المقامة على القبور . وقد كان الامير عبد الله بن جلوي وغيره من آل سعود وكبار آل الشيخ ينصحون الملك عبد العزيز بالتبصر في غلو الاخوان وخروجهم عن حدودهم . ولكن الملك كان يقول : « هؤلاء أولادي وواجبي احتالهم وبذل النصح لهم واني لا أنسى أعمالهم واني اعتقد انهم حسنو النية . » (ح . و .)

لست أنسى جهادهم وَيَقِينِي أَنَّ أسوأهم ثمارُ الغباءِ
حسنوا نيةً وساؤوا فعلاً سيعودون للسبيل السواءِ

...

ما ثنائهم حلمُ الحليم فراحوا يبدرون الفساد في الدهماء
يزرعون الفوضى بكل لسان شحذوه على مسنّ الهجاء
أيقظ الفتنة «الدويش» فلاحت من خلال الرماد، حمرُ الجذاء
١١٠ في حدود العراق أضرمَ ناراً أرعن، عمره فصول اعتداء
غدره جرت الخطوب على نجد، وهاجت براثن الأقوياء
طائرات «الكفار» يا ابن «دويش» فتحمل نوازل الإفناء
أين عبد العزيز يدفع بالحسن ذبول الإغارة الحمقاء
طوقته الأرزاء من كل صوب منذرات بنكبة دهياء
غضبة الإنكليز، فتنة «إخوان»، وعين الحسود في صنعاء
والنذير الذي «يعمان» يغري ويمد «الإخوان» يوم النجاء
كل خطب من الغريب يسير عند حرب الأعضاء للأعضاء

١ أن فيصل الدويش إلا خلق المشاكل لابن سعود ذلك أنه أرسل قوة صغيرة في أكتوبر سنة ١٩٢٧ قتل عمال مخفر بخصيه على الحدود العراقية النجدية وقتل بضعة أنفار من الشرطة كانوا مع العمال فأدّى هذا العمل إلى انذار السلطات البريطانية في العراق ثم هجوم الطيارات واشتباكها مع العناصر النجدية نحو ثلاثة أشهر . ودعا الملك وجوه المملكة إلى مؤتمر في الرياض فحضره نحو ثمان مئة من الرؤساء والعلماء وحضر وبدو . ولم يحضر الدويش ولا ابن محاد هذا المؤتمر . وقد افتتحه الملك بخطبة شرح فيها تاريخه في نجد من بدء استرداد الرياض إلى ذلك اليوم ١٩ أكتوبر سنة ١٩٢٨ وأعماله في توحيد الجزيرة وتأمين الطرق والإخاء بين العناصر . وبعد انتهائه من الخطبة عرض على الحاضرين تنازله عن العرش ووجوب اختيار غيره من آل سعود وهو يعاودهم أنه سيساعد من يختارونه .

كلُّهُمْ فِي دَاخِلِ الْبَيْتِ يُؤْذِي وَلَوْ اَلْهَمُّ صَادِرًا عَنْ اِمَامِ
 الْمَلِكِ اَلْحَلِيمِ بَثَّ نِدَاءً فَشَتَّ نَجْدًا كَلَّمَا لِلنَّدَاءِ
 ١٢٠ مِنْ وُجُوهِ وَقَادَةٍ وَسُرَاقَةٍ وَوُجُوهِ «الْاِخْوَانِ» وَالزَّعْمَاءِ
 مَا عَدَا «فِيصَلَ الدَّوَيْشَ» وَ«سُلْطَانَ» وَقُوَادَ عَصْبَةٍ رَعْنَاءِ
 غَصَّ بِالْوَافِدِينَ قَصْرًا فَمَسَحَ السَّاحَ، رَحِبَ الرِّوَاقَ وَالْأَبْهَاءِ
 قَلَقُ سَادَةٍ فِي «الرِّيَاضِ» فَلَمْ يَبْقَ مَكَانٌ خَلَوًا مِنَ الضُّوْضَاءِ
 كَثُرَ اَلْهَمْسُ وَالتَّكْهُنُ وَالْاِرْجَافُ بَيْنَ الْعِذَالِ وَالْخُلَصَاءِ
 وَأَطْلَى الْمَلِكُ وَانْقَطَعَ اللَّغَطُ فَكَلَّ اَلْحُضَارَ فِي اِصْغَاءِ
 قَالَ، لَا سَاخِطًا وَلَا مَكْفَهْرًا لَا بَطِيئًا وَلَا سَرِيعَ الْاَدَاءِ
 أَهْبَاءَ يَمْلِكُ الْمَشَاعِرَ عَفْوًا غَيْرَ ذِي قَسْوَةٍ وَلَا كِبْرِيَاءِ
 أَهْيَا السَّامِعُونَ لَمْ اَدْعُكُمْ خَوْفًا، فَمَا خَفْتُ غَيْرَ رَبِّ السَّمَاءِ
 إِنَّمَا رَمْتَكُمْ لِأَجَلِ لَدَيْكُمْ صَفْحَةً أَشْكَلْتُ عَلَى الْأَغْبِيَاءِ
 ١٣٠ إِنْ أَصَادِقُ غَرْبًا خَبَأَ بِشَرْقٍ لَمْ يَزَلْ رَازِحًا عَلَى الْغُرَبَاءِ
 لَا غَرَامُ بَيْنَ الْمُلُوكِ وَلَا دِينَ، وَلَكِنْ مَنَافِعُ الْأَكْفَاءِ
 لَا هِيَامُ بَيْنَ الْأُسَاةِ وَمَرْضَاهُمْ، وَلَا بَيْنَ مَعْدَةٍ وَدَوَاءِ
 أَيُّ دِينَ عَنِ الْحَضَارَةِ يَنْهَى؟ وَيَنَادِي بَوَثْبَةٍ لِلْوَرَاءِ
 أَيُّ دِينَ يَعْيبُ سَيَّارَةً تَجْرِي؟ وَفَاءَ لِلنَّاقَةِ الْوَجْنَاءِ
 أَنَا مِنْ رَامٍ لِلْعُرُوبَةِ مَجْدًا غَابَ عَنْ لَحْظِ أَعْيُنِ عَمِيَاءِ
 مُفْرَدًا جِثَّتْكُمْ فَطَهَّرْتُ نَجْدًا بِحَسَامِي مِنْ دَوْلَةِ الْغُرَبَاءِ

من 'عبودية الدخيل'، فما خَلَيْتُ شبراً يدين للدخلاء،
 ورفعتُ الهلالَ بَيَرقَ نجدٍ فكُفَيْتُمْ تَصْلُفَ الطغراء،
 دولة الترك قد هزمتُ وكانوا في الميادين عليةُ السلا،
 ١٤٥ لم أبعُ وحدةَ البلادِ بأعلاقٍ، حماني عزِّي، وجلَّ إِبائي
 وخالقُ ورثتهِ وائلياً واعتزازُ أخذت عن آبائي
 لم أغايرُ من أجلِ نجدٍ ببالٍ بل بروحي، رهنْتُها بدمائي
 كنتمُ الأُمسُ كالعصافَةِ نثراً ورُكاماً مُبعَثَرِ الأجزاء،
 أنا من شادَكمُ بِناءٍ، فهل منكم خصيمٌ أو مُنكرٌ لبنائي
 جثُكمُ والأمانُ أسطورةٌ فيكم، فما تفقهون غيرَ السبأِ
 تتفانونَ كالذئابٍ فما نتمُّ وذقتمُ هناةً في الفناءِ
 كالسراحين إن تناموا بعينٍ تفتحوا أختها لدرءِ البلاءِ
 قيمةُ المرءِ عندكم قيمةُ الجدِّي، فإن يرتفعُ فقدِرُ الشاءِ
 لا مَقَرُّ لبدوكمُ غيرَ أَرْحالِ الأباعيرِ في أَطلابِ الكلاءِ،
 ١٥٥ جهلوا نعمةَ الزراعةِ والآبارِ، والخيرِ ساكباً في الدلاءِ
 أنا أيقظُهم لعيشٍ قَريرٍ وفتحتُ الأذواقَ للنعماءِ
 وفتحتُ الأذهانَ للدينِ، أحبوهم كرامَ الرجالِ من فقهاي
 أيدينوني بأنصافِ أَمِينٍ منهم وينكرون حباي
 عجباً للظلالِ في الصُبحِ تنفي كرمَ الشمسِ، وهي خَلقُ ذُكَا

وَلَظَلْتُ لَوْلَا الْغَزَالَةُ ذِيلاً لِلدَّيَاجِي فِي لَيْلَةٍ سَحَاباً
 أَنَا آخِيتُ بَيْنَكُمْ فَتَعِمَّتُمْ بِأَمَانِي وَذَمَّتِي وَإِخَائِي
 أَنَا مِنْكُمْ فَلَمْ أُمَيِّزْ بِشَيْءٍ غَيْرَ حَمْلِ الْأَلْقَابِ وَالْأَعْبَاءِ
 وَلَيَالٍ أَغَالِبُ النُّومَ فِيهَا مَفْرَشِي الْهَمُّ وَالسُّهَادُ غَطَائِي
 لَا لِيَأْسِي مِنَ الْحَرِيرِ، وَلَا الدَّيْبَاجُ رُدْنِي، وَلَا الدِّمَقْسُ عِبَائِي
 160 شَهِدَ اللَّهُ مَا ادَّخَرْتُ لِنَفْسِي مَغْنِماً أَوْ تَخَلَّفْتُ آلَانِي
 أَيُّ شَاكِرٍ صَرَفْتُ عَنْهُ سَمَاعِي؟ أَيُّ كَفٍّ مَنَعْتُمَا مِنْ عَطَائِي
 لَمْ يَرْقُكُمْ عَدْلِي، وَلَا سَرَّكُمْ حَلْمِي، وَلَا طَيَّبَ النُّفُوسَ بِلَائِي
 يَشْهَدُ اللَّهُ لَسْتُ طَالِبُ مُلْكٍ فَلَمَّاذَا تَرْمُونِي فِي الْخَفَاءِ
 وَتَخْوِضُونَ فِي التَّخْرُصِ وَالْفُغْرِ، وَتَبْنُونَ تَلَّةً مِنْ هَبَاءِ
 قَدْ خَلَعْتُ التَّاجَ السُّعُودِيَّ عَنِّي فَهَلُمُّوا وَأَيَّدُوا اسْتَعْفَائِي
 يَنْشُرُ خَاطِرِي فَلَئِنْ أَلْفُ عَرْشٍ مِنْ مَمَاتٍ تَرَكْتُهُنَّ وَرَائِي
 مَا مَقَامِي عَلَى الْأَرِيكَةِ أَعْلَى مِنْ مَقَامِي عَلَى بَسَاطِ عَفَاءِ
 لَا يَزِيدُ الْعَرْشُ الْمُؤْتَلَّ قَدْرِي أَيْنَ أُرْسِيتُ كُنْتُ فِي الْعُلْيَا
 قَدْ تَنَازَلْتُ فَاصْطَفُوا الْمَكَانَ الْخَلْوِ غَيْرِي كِفْتاً مِنَ الْأَمْرَاءِ

...

170 خُطْبَةٌ هَاجَتْ الْمَسَامِعَ فَلَا أَجْفَانُ أُرْخَتْ أَهْدَابُهَا لِلْبُكَاءِ
 رَيْقُهُمْ جَفَّ وَالْحَنَاجِرُ غَضَّتْ حِينَ دَوَّتْ أَصْوَاتُهُمْ بِالْدَعَاءِ

لا ورب السماء صاحوا، ستبقى ملكاً ما بقيت في الأحياء^١
 وليطل عمرك الملي بمجد هو مجد العروبة السماء
 أترانا زوم عنك بديلاً؟ لا بديل لواحد العظما
 لست سلطاننا فحسب ولكن أنت ملك القطرين دون مرا
 ملك النجد والحجاز، كلا المصرين، خراً، يختال تحت اللوا
 وسنفديك بالدماء، بلا من، بأبنائنا، وبالآباء

...

ذلك الفجر بعد ليلٍ ضريـرٍ كان جرحاً في الأعين الرمدا
 كان صعقاً لابن «الدويش» و«سلطان تيجاد» وعصبة الحبثاء
 لا تقـرُّ الأصـالُ إلا على اللدغ، وعرس النـمـور سفح دما^{١٥٧}
 زنجروا للوغى، فلبى نـدائهم كلُّ هاور مـنيّة الشهداء
 شهداء للجهل! كم من غبي مات من أجل فكرة جوفاء

...

يا غلاة «الاخوان» ما كلُّ حربٍ سلماً تسلكونها للعلاء

١ لم يقبل المؤتمرون تنازل الملك عن العرش لانهم يعلمون ان ابن سعود لم يصل الى ما وصل اليه إلا بعمونة الله ثم بسيفه ولذا فلقد بايعوه مرة أخرى على السمع والطاعة والسير وراءه، (وبذلك أضحي ملك نجد والحجاز وكان قبلها ملك الحجاز وسلطان نجد) وفي الواقع لم يكن الملك يرمي في هذا المؤتمر إلا الى اجتماع كافة التجديدين وإثارة حميتهم ضد الاخوان المتطرفين، وهذه الناحية قد نجح فيها نجاحاً تاماً. اما الاخوان المتطرفون الذين التفوا حول ابن مجادوفيعل الدويش وابن حنبلين فانهم لم يأسوا لهذا المؤتمر. وقد أذاعوا في المهجر أنهم قائلون بأمر الدين وإقامة الشريعة التي كاد يهدمها ابن سعود وانه طالب ملك، وموال للكفار الخ... وأنبعوا تهديدهم بالإغارة على القوافل. الخ... (ح. و.)

كنتم الغالبين يوم الأعداء دونكم في الغرام بالهيجا
 يهدر النهر وحده حين يجري مزبداً طاغياً على الأوداء
 وينفأ الهدير في الساحل الرحب، ويفنى في لجة الدماء
 تحت بند المليك أبطال نجد قمم البأس والندى والوفاء
 طالما مضى سكوت أبي «تركي» وعابوا سياسة الإغضاء
 أزيقت ساعة الحساب وجلت حمر أرقامه عن الإحصاء

...

١٩٥ سما حلم المليك يستنفد النصح، قبيل الإغارة الشعواء
 قبل أن تشهد الأبطال في «الزلفى» غبار الصوافن الجرداء
 باطلاً تنصح الوقاح وترجوه، لا تخاد فتنة واربعوا
 أرسول الثوار يأتي مدلاً عاتياً داغراً قليل الحياء
 لم يحيى المليك بل ولج الفسطاط شأن الساري على يهما

١ اجتمع أهل نجد حول راية ابن سعود في النصم كما اجتمع حوله كثير من (الاخوان) حرب وقطعان
 وبعض من مطير وعتيبة النافقين على الدويش وابن حميد فلما علم (الاخوان) بوصول ابن سعود الى بريدة
 اجتمعوا وعزموا على مهاجمة ابن سعود وهم والقون من الفوز تمام الثقة، وتقارب الجيشان في السبلة قرب
 الزلفى . (ح . و . ٠)

٢ أرسل ابن بجاد رسولا الى الملك في معسكره فدخل الرسول يحمل كتاباً الى ابن سعود فلم يسلم على
 الملك لانه مبتدع في زعمهم . انها لكبيرة وهل يصبر ابن سعود على هذه الإهانة ؟ من أنت ؟ ألت ماجد بن
 حنيلة ؟ وأخذ يسرد عليه تاريخه . أتدخل ولا تسلم ؟ إذهب من فورك الى الذي أرسلك وأخبره اننا فادمون
 للهجوم عليهم غداً فاذا أرادوا أن يحقنوا دماءهم فليستسلوا بدون قيد ولا شرط وكان ابن حنيلة كالوزير لابن
 بجاد فأشار عليه بالخضوع لان ابن سعود لم يعد ذلك الرجل الذين كانوا يمهونه . (ح . و . ٠)

٣ اليها : الغلاة .

مبدعٌ عندهم وما يجب التسليمُ شرعاً إلا على الأتقياء
 رَقَعَتْ حية المليك من الغيظ ولاح السعيرُ في السياء
 صاح «تباً يا ماجد بن حثيل» أوقاحاً مستكبراً بإزائي
 لو أجاز الكرامُ قتلَ رسولٍ لم تَعِشْ بَعْدَهَا لمرأى الضياء
 قلْ لِمَنْ أرسلوك موعِدنا الصبحُ، غداً ينجلي صفيقُ الغشاء
 تجاوز الحلمُ حَدَّهُ، كلُّ شيءٍ ذو ابتداءٍ فأمرُهُ لانتها
 كان رفيقٍ بكم سبيلاً لعصيانٍ، فهِمَّا إِنْ استطعتم لقائي
 «ماجد» عاد ينفضُ الموتَ مرتاعاً، على وجهه غضونُ العياء
 مُلقياً نُصْحَهُ إلى ابن «بجاد» منذراً بالهزيمة الشنعاء
 لآمَهُ «فيصلُ الدويش» على الخوف، وقد خاله من الجبناء
 «ها أنا ذاهب اليهم لآتيكم بصدق الظنون والأنباء»
 فاذا لم أعد مساء اليكم فاعلموا أنَّ في القيود مسائي
 اطلبوني بكلِّ سيفٍ شطيبٍ لا يبيتُ «الدويش» في الأسراء

...

جاء نادي المليك يحملُ وجهين، كِفْعَلِ الْيَرْبُوعِ فِي النَافِقَاءِ
 عاتباً ساخطاً على ابن «حميد» باسطاً للعليك عهداً ولا،
 لم يَجْزُ مَكْرُهُ على عبقرٍ قرأ الغشَّ في جبين المراني

١ اليربوع: نوع من الفأر ولجهره مدخلان النافقاء والقاصعاء فاذا أتى من أحدهما لجأ إلى الآخر.

٢ ابن حميد: هو سلطان بجاد.

مثلما يقرأ المعلم للتميز، رآد الضحى، 'حروف' الهجاء
 «إن تكن صادقاً فقد عن القوم، وإن كاذباً فغادر خبائي»
 رُح فتم عندهم فلست أسيري لست أخشى مضرّة الحرباء
 لا أصيد الذئب إلا وجاهاً صانني الله من حقير الدهاء
 رجع «الفصل» «الدويش» الى القوم، 'مدلاً' بيسمة استهزاء
 هتفوا قائلين ماذا؟ أحقاً «ماجد» قال أم مضى في الهراء
 قال: إني وجدته حَضَرِيّاً واهناً مثل سائر الأغنياء
 أخذته ارتعاشة إذ رأي فالتقاني بسحنة صفراء
 حوله جندُه الرعايد، 'حَضَار' جفَّتْهُمْ صَلَابةُ البيدا،
 ٢٢٠ خَفَّتْهُمْ حَضَارَةٌ فهِمُ الذُّكْرَانُ، لكن لهم قلوبُ النساءِ
 حَضَرُ رُفُوهَا فعماً قليلٍ يصبغون البنانَ بالحناءِ
 هم طهاةٌ تَبَدَّلُوا مقبضَ السيفِ بطهيِ البقولِ والحلواءِ
 تَحْمُوا من طَرَاةِ العيشِ حتى شغلهم بين قهوةٍ وعشاءِ
 واتكأ على حشايا دِمَاقِ وانتهاجٍ للذةٍ وعطاءِ

١ حَضَار: مفردا حاضر وهو ساكن الحفر. ٢ جاء الدويش معسكر ابن سعود جاسوساً، وقبل
 ان يترك قومه قال لهم اذا لم أرجع مساء فمضى ذلك ان ابن سعود اعتقلني. وصل الدويش الى المعسكر وأخذ
 يتسلق الملك ومن معه وأظهر استعدادا للتسليم وانه ليس على رأي ابن حديد (سلطان بجاد) وانه سيبيت
 عندهم فقال له الملك قم فم عند قومك. وموعدكم غداً بعد شروق الشمس. وان كنت صادقاً فتنج عن الجماعة
 وان لم تكن صادقاً فسترى وخامة العاقبة. رجع الدويش الى قومه يقول رأيت حضرياً ترتعد فرائصه من
 الخوف وليس حوله إلا (طبايخ) طهاة لا يعرفون إلا التوم على (الدواشع) المراتب ابشروا يا اخوان
 لقد وجدت لسيهم أموالاً عظيمة فابشروا بالكسب والغنيمة وستظهر هذا الطاغوت غداً ونستولي على أمواله.
 (ح.و.)

كَسَلُ أَوْهَنَ السَّوَاعِدَ مِنْهُمْ وَتَرَاخٍ عَلَى بَسَاطِ الرِّخَاءِ
 إِبْشَرُوا بِالْفَلَاحِ يَأْتِي إِلَيْكُمْ بِالسَّبَايَا، بِالرَّغْدِ، بِالْإِثْرَا،
 فِي غَدٍ تَسْبَحُونَ فِي غَمْرَةٍ الْعَزَى، وَتَعْيَا أَكْفُكُمْ بِالْفَنَاءِ
 عَنُودٌ تَنْهَبُونَ مَالَ سَعُودٍ دُونَ مَا مَنَّةٍ وَلَا اسْتِجْدَاءِ
 تَمْلِكُ «الْحَرْجَ» وَ«الْقَصِيمَ» وَلَنْسِي كُلُّ خُودٍ مَلِيحَةٍ غِيدَاءِ
 ٢٣٠ إِنْ تَثَلَّتْ تَكْسَرُ الْحَسَنُ فِيهَا كَذُكَا تَكْسَرَتْ فِي مَا
 أَوْرَنْتَ هَاجَتِ الْقُلُوبَ فَدَقَّتْ قَلَقَاتِ الْمَصِيرِ فِي الْأَحْنَاءِ
 فِي غَدٍ كُلُّكُمْ مَلِيكَ صَغِيرٍ فِي غَدٍ تَمَحِّي طَيُوفُ الشَّقَاءِ

...

الغدُ المرتجى أَطْلُ وَلَكِنْ حَامِلًا لِلْعَصَا لَحْنُ الرثَاءِ
 ثَبَتُوا سَاعَةً وَفَرُّوا، كَمَا فَرَّتْ مِنَ الْأُسْدِ هَارِبَاتُ الظُّلَمَاءِ
 كَسَرَ الْقَيْدُ شُوكَةَ ابْنِ «بِجَادٍ» وَ«الدَّوَيْشِ» الْجَرِيحُ فِي إِغْمَاءِ
 تَحْمَلُوهُ إِلَى الْمَلِيكِ طَرِيحًا وَهُوَ مِنْ سَيْبِ دَمِهِ فِي كَسَاءِ
 حَوْلِهِ نِسْوَةٌ، بَنَاتُ وَزُوجُ يَتَعَثَّرْنَ مِنْ بُكْيٍ وَحَفَاءِ
 لِأَنَّ قَلْبُ يَسْتَقْبِلُ الْمَوْتَ مُفْتَرًّا، وَيَدْمَى لِرُؤْيَةِ الضَّعْفَاءِ
 يَحْمِلُ أَلْهَمَ وَالشَّقَاءَ وَيَأْسُو أَلَمَ الْمُوْجِعِينَ وَالْأَشْقِيَاءِ

١ في ٣٠ مارس سنة ١٩٢٩ هاجت جيوش الملك جنود الاخوان وحملوا عليهم حملة عنيفة لم يقدروا على ردّها فهربوا وجرح الدويش وحمل الى الملك فحُوط به بنائه وزوجته وهُنَّ يَبْكِينَ يَسْتَشْفَعْنَ فِيهِ، فَتَأَثَّرَ الْمَلِكُ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ وَعَفَا عَنِ الدَّوَيْشِ الَّذِي عَاهَدَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ بَعْدَ ذَلِكَ . وَبَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ اسْتَلَمَ بَنُ بِيَّادٍ فِي شَقَرَا فَأَمَرَ الْمَلِكُ بِسَجْنِهِ لِأَنَّهُ كَانَ خَطِرًا عَلَى الْأَمْنِ . (ح . ٥٠)

240 صباح: نادوا له طيبي فليس اليوم أولى من تأعس باعتنائى
دمه طهر الذنوب كما يغسل رجس بديمة وطفاء
يصغر الصفح وحده عن جريح فلنقدم أساتنا للشفاء

....

برى الذئب من جراح ولكن خلقه الغث ظل في السماء
عبثا تطلب الشراب طهوراً إن يك الخبث من كيان الاناء
عاد مستنهضاً «عتيبة» و «العجان» بين «الكويت» و «الأحساء»
ثورة الأمس غيمة من دخان ثورة اليوم لفحة الرمضاء
إن أدهى من السقام انكاس يتأق من شرقة في الداء
جذوة الأمس أمرها لجود وقدة اليوم غير ذات انطفاء
راوعت نجد والحجاز من السلب وقتل الرعية الأبرياء
250 من شيوخ أجلة وعذارى وحبالى وصبيّة رضاء
ليس مثل الجحود من بعد صفح يطعن المرء في صميم الرجا
فيحس الفراغ في قلبه الخاوي وحز الشفار في الحوباء

١ الأساة: الأطباء. ٢ رجع الملك الى الحجاز بعد ان قهر (الاخوان) غير ان الضربة لم تكن فاصلة فأن الدويش ترك الأوطان واستقر بين الكويت والأحساء وانضم اليه العجان وأخذوا يعيشون فساداً. ولم يقتصر الامر على النهب والسلب بل تعداه الى قتل النساء والاطفال والشيوخ. عادت الثورة أشد ما كانت فعنتية انتشرت بين نجد والحجاز وفضلوا المملكتين بعضهما عن بعض وكادت المواصلات تنقطع بين مكة والرياض وبخليج فارس. عاد الملك من الحجاز ليقود القوات بنفسه هذه المرة. ووقعت في أم الرضمة معركة دامية بين ابن مساعد بن جلوي وعبد العزيز بن فيصل الدويش فقتل فيها ولد الدويش، ولم يفلت من العصاة سوى بضعة أنفار. وكان القتلى أفضل رجال (مطير) الحرييين. والتمس فيصل الدويش الصلح فأبى الملك إلا التسليم بدون قيد ولا شرط، واعدأ بالعفو عن حياة الدويش فقط. (ح. و. ٠)

عادَ عبد العزيز، من مَكَّةَ الزهراء، يَغلي من غَدرةِ اللؤماءِ
 هاتِ عبد العزيز من عَزمك الماضي ومَهْدُ للضربة العذراءِ
 يا دُعَاةَ الدَّمَارِ، لا صفحَ بعد اليوم، دالتِ سياسةُ الإِرخاءِ
 جاءكم بالسيوف من آل نجدٍ وسيوفٍ منكم ذَوَاتِ مَضاءِ
 عصمَ الله بعضُ «إخوان» «حرب» وسواهم من فتنةِ هوجاءِ
 نفروا من جنابةِ وُشدُوذٍ ومُجَاراةِ أنفُسِ جرباءِ
 يا ليومٍ في «أمِ رَضَمَةَ» دامِ كان للثائرين شرَّ مساءِ
 ماتَ نَجْلُ «الدويش» ذَلَّتْ «مُطير» ومَضَتْ في هزيمةِ خرساءِ
 «الدويش» الغَدَّارُ يطلبُ سَلماً لا سلامٌ يا جاحدَ الآلاِ
 «مُحسِنُ الغُرمِ» سامَ خَدْرَكَ خَسِفاً فهو قيدُ الخرابِ رهنُ الصلاِ
 هوذا أَقبلَ المليكُ فَهْدَى رَوْعَ جيشِ أَلْفَتِهِ لَاحِجاً
 لا تُصدِّقْ بِالْحَظِّ، قد هَرَبَ الجَمْعُ وبارَتْ مَفَاتِنُ الإِغْواءِ
 نَشَقُّوا رِيحَةَ الغَضَنْفَرِ، عن بُعْدٍ، فوَلَّى التَّيْوسُ قَبْلَ الجِداِ

260

- ١ هبَّ أهل نجد لمقاومة الدويش ولاسيما الحاضرة الفلصة لإمامها ومليكمها لتواضعه وكرمه وسهره على مصالحهم وتغايبه في الدفاع عنهم . وهل كانوا ينقمون عليه إلا تهاوله مع الإخوان وقضه الطرف عن مساوئهم . إن الفرصة قد سنحت لتقليم أظفار الفوضى ودعاتها . وكان هناك بعض الإخوان من الناقين على الدويش فانضموا الى جيش الملك ومنهم زعيم من حرب اسمه محسن الغرم ومعه عريان العراق ابن طوالة وابن سويط فانهزوا الفرصة السانحة للانتقام وأشعلوا النار في خيمة الدويش . (ح . و . ٥)
- ٢ تفرق الثائرون من حول الدويش عندما شعروا بوصول الملك الى عين آلفاقه بعد ما أيقنوا ان ليس في طاقتهم المقاومة ولجأ بعضهم الى الحدود العراقية وبعضهم الى نجد . واستسلم الدويش وبعض رؤساء مطير والمعبدان الى السلطات الانكليزية التي كانت بالجهرة في ٩ يناير سنة ١٩٣٠ . وبعد انعقاد مؤتمر (خباري) و (أضحة) في جنوبي الكويت وافقت الحكومة البريطانية على تسليم الدويش ورفقائه على ان يبقى الملك على حياتهم . وصل الدويش الى خيمة جلالة الملك بعد ان اخترق المعسكر ولم يسمع اللعنات التي كانت تصوب اليه بسبب مسير الجيرة . (ح . و . ٥)

ما الكباشُ القرناء في حضرة السبع، سوى رأسٍ نعمة جماء
 سربوا كانسراب خمر من الزق وقد هلهلت شقوق السقاء
 يا افتضاح المدلّين السكارى وافتضاح المضلل السقاء
 لجأوا في هروبهم لحصون لم يروا غيرها قلاع نجا
 270 دولة الانكليز أين سواها؟ موئل شامخ ودرع وقا
 يوم لا يُنقذ العصاة من الموت سوى حكمة، وعمق دهاء
 أساموهم عقيب يوم «خباري» غب وعد لهم بحق البقاء
 جي، بالفصيل «الدويش» الى الفسطاط، بين الهوان والازرا
 كان لولا سيارة سيّجته بصفيق الهدير والضوضاء
 ذاب من كثرة اللعان ومما رشقوه به من التهجاء
 جاز في عسكر فجاز عباباً من لعان مرجع الأصداء

...

أي فرق ما بين يوميك، بين الأمس واليوم، يا عديم الوفاء
 كنت تأتي الى «الرياض» أميراً معجباً شامخاً على الشرفاء
 ترمق الناس عامداً بامتهان وازورار ونظرة شرراء

١ التهجاء : الهجاء . ٢ كان الدويش حينما يأتي الرياض يصحبه نحو مئة وخمسين رجلاً مسلحين يدخلها كقائد عظيم له منزلة عظمى في نفوس أهل الرياض وعفاها وملك نجد . اذا جلس لا يجلس إلا بجوار ابن سعود يعتبره الملك كصديق قديم وقائد من قواده العظام . أما غطرسة الدويش وجفائوه وترفعه عن السلام لأي مخلوق يضمنه القصر — ما عدا العلماء طبعاً — فحدث عنه ولا حرج . وكان كل من يعرف الدويش في الجاهلية (أي قبل بناء «الهجر») ويعرف أخلاقه الشخصية يجزم بأنه منافق في دينه وإن ما يظهره من الشدة والغلو مصطنع . أما اذا استأذن الدويش الملك في الرجوع الى الأوطان فإن القائمة التي اعتاد تقديمها للملك تبدي من حبال الآبار وتعاله الى السلاح والجواري، وما بين ذلك من ملابس له ولأولاده وزوجاته والطيب والعود . وكل قائد من قواد الاخوان يطلب هذه الطلبات وتكون قائمته محلاً للرفض أو التحويل أما قائمة الدويش فلا يدخلها أي تحويل أو تعديل . (ح . و .)

٢٩٥ تَطَّأَ الْأَرْضَ، أَوْ تَمَنُّ عَلَيْهَا إِنْ تَرَجَّلْتَ بِاعْتِنَاقِ الْحَذَا.
 مشفقاً ان تَمِدَّ مِنْ بَأْسِكَ الضَّخْمَ فَتَمَشِي تَيْهًا عَلَى الْحَصْبَاءِ
 كُنْتَ إِذْ تَهْبِطُ «الرياض» يَلُمُّ النَّاسَ وَفَدُ الْخِيُولِ وَالْحَيَلَاءِ
 حَوْلَكَ الرِّكْبُ طَبَعًا مِنْ عَبِيدٍ وَكُفَاةٍ حَمْسٍ وَمِنْ خُفْرَاءِ
 يَنْقُضِي مَا تَرِيدُ بِاللَّفْتَةِ الْأُولَى، يَهْمَسُ الشِّفَاهُ بِالْإِيْمَاءِ
 كُنْتَ حُلَمًا لِسَامِعٍ عَنْكَ أَخْبَارًا، وَنِمْرًا مُؤَنِّسًا لِلرَّائِي
 يَهْمَسُ النَّاسُ: جَاءَ شَيْخُ «مُطَيْرٍ» مَنْ جَرَى صَيْتُهُ إِلَى الزُّورَاءِ
 خَلِيجِ «الْكُوَيْتِ» فَالْيَمَنِ الْقَاصِي، فَطَوْدِ الْكَلِيمِ فِي سِينَاءِ
 تَدْخُلُ الْقَصْرَ رَافِلًا بِسِلَاحٍ سَاخِرًا بِالْوُجُوهِ وَالْوُزَرَاءِ
 لَيْسَ إِلَّا الْمَلِيكَ فَوْقَكَ، إِذْ تَلْقَى سَلَامَ الْمُضْطَرِّ لِلْعُلَمَاءِ
 ٢٩٥ هَا غُلُوٌّ فِي الدِّينِ كِي تَسْتَرَّ الْكِذْبَ بِمُسْتَعْلِقٍ عَلَى الْأَذْكِيَاءِ
 الْمَغَالَاةِ فِي التَّجْمُلِ سَتْرٌ لِدَفِينِ الْعُيُوبِ فِي الشُّوْهَاءِ
 رُبُّ صَدْرِ مُزَوَّرٍ النِّهْدِ مَمْسُوحٍ، عَلَى قَدَرٍ عَانِسٍ مَسْحَاءِ
 وَلَقَدْ تُسَكَّبُ الْعَطُورُ سُيُولًا لِتَوَارِي نَتَانَةَ الْبَخْرَاءِ
 لَمْ تَكُنْ غَيْرَ طَامِعٍ دُنْيَوِيٍّ ظَامِئٍ لِلنَّعِيمِ وَالسَّرَاءِ
 فِي سَبِيلِ الدُّنْيَا تُتَاجَرُ بِالْدِّينِ، وَتَمَشِي لَهَا عَلَى الْأَشْلَاءِ

...

كنت بعد المليك تأمر في القصر، فتعطى ما شئته من عطاء
 من عباة مقصب وبرود وحرير مفوف وفراء
 ولاكل وشت مقايض أسياف، يمانية الظبي حديا
 ونضار حلى الخناجر عققا حديبات على طراز الرا
 فهي في الغمد حاجب الشمس نحيا موشى بالماسية الغراء
 فاذا جردت فزرق المنايا سطعت من أهلة زرقاء
 وجوار من كل فارعة القد، لماها كالمسكة السمر
 وثياب لولدك الكثر والأزواج، غير الألفاف والأشدا
 ولقد كنت تبرم القصر لا تعرف حدا لشبعة وارتوا
 ليس غير الصفيق حسا وفهما يستغل السخاء في الكرما
 الوهاد الجوفاء تبتلع البحر، وتروى الأزهار بالأندا
 يسعف الأشعي حشمة جواد، فإن الكريم جم الحيا
 عجب يا «دويش» موقفك اليوم ذليلا في مجلس الكبرا
 بينهم من رمقت بالأمس شزرا من وجوه في القصر أورفقا
 وهم الشامتون فيك، فلا تعجب إلهاج أو ناظر يحفا
 اللبيب اللبيب، من لا يدوس الناس، في دربه الى العليا
 لا يشق الفطين معطفه صيفا، ففي باله جليد الشتاء

...

قال عبد العزيز: يا ابن «دويش» دَرَنْ أَنْتَ فِي جَبِينِ السَّاءِ
 مَا تُرَانِي حَبَسْتُ عَنْكَ مِنَ الْخَيْرِ فَصَرْتَ اللَّدُودَ فِي أَعْدَائِي
 الْجَمِيلُ الَّذِي أَفَاتُ عَلَيْكُمْ لَمْ يَنْلِ بَعْضَ بَعْضِهِ أَقْرَبَانِي
 حَالَمَا غَضَّتْ أَهْلُ نَجْدَ لِأَرْضِيكُمْ، فَكَانَ الْعَصِيَانُ مِنْكُمْ جَزَائِي
 بِصِرْتُمْ الصَّابَ وَالشَّجَا فِي لَهَائِي وَاحْتِدَامَ السَّعِيرِ فِي أَحْشَائِي
 قَدْ تَخَذْتُ الْقَوَادِ مِنْكُمْ فَكُنْتُمْ فِي مِيَادِينِ سُلْطَتِي شُرَكَائِي
 فَسَطَوْتُمْ عَلَى الْعِبَادِ غَمُورًا وَتَعَامَى عَنْ زَهْوِكُمْ وَزُرَائِي
 وَفَعَلْتُمْ فَعَلَ الْمُلُوكِ وَسُدْتُمْ لَمْ يَفْتُكُمُ مِنْهُمْ سِوَى الْأَسْمَاءِ
 دُونَ فَضْلِ مِنْكُمْ، إِذِ الْفَضْلُ لِلَّهِ رَعَانِي فِي مَحْنَتِي وَشِقَائِي
 وَلِسَيْفٍ جَرَدْتُهُ فَأَتَيْتُمْ كَرَهَا تَحْتَمُونَ فِي الْمِينَا
 هَمَلًا كُنْتُمْ بِدُونِ رُعَاةٍ أَوْ رُعَاعًا فِي رُتْبَةِ الْعَجَا
 فَكَبُرْتُمْ لَا نَنْكُمُ أَصْدِقَائِي وَانْتَصَرْتُمْ لَا نَنْكُمُ حُلَفَائِي
 «يَشْهَدُ اللَّهُ لَمْ تَقُلْ غَيْرَ حَقٍّ وَسَرَدْتَ الْقَلِيلَ مِنْ أَشْيَاءِ»
 قَالَهَا «فِيصَلُ الدَّوَيْشُ» كَسِيرَ الْجَفْنِ فِي مِثْلِ ذَلَّةِ الْأَجْرَا

١ الصاب: شجر مر. ٢ وقف فيصل الدويش ذليلاً أمام الملك وقواد الجيش وأكثرهم دونه منزلة فخامته الملك قائلاً: انك تعلم يا فيصل ما فعلت معك في الماضي ما قصرت في شيء نحوكم لقد كنت في حرب دائمة مع أهل نجد من أجلكم فهل هذا جزائي معكم؟ لقد كنتم كلكم ملوكاً في الجهات التي كنتم فيها من منكم له الفضل علي؟ الفضل لله وحده. من منكم لم آخذه بسيفي؟ ليس منكم إلا من قتل أباه أو أخاه ولم أخضعكم إلا بالله ثم بالسيف. قد كنت أنفذ رغائبكم فكنت أشقى لاجلكم وأواصل الليل والنهار لراحتكم وسعادتكم. فأجاب الدويش يعلم الله انك لم تقصر معنا وقد فعلت كل ما بيض وجهك، وقد قابلنا معروفك بالإساءة ويكفي ما اشعر به من الهوان والصغار أمام (الاخوان) بعد ما كنت عزيزاً محترماً. قاتل الله الشيطان لقد أغرانا وزين لنا سوء أعمالنا. ثم نقل الدويش ورفاقه الى المعتقل وكان ذلك اليوم حداً فاصلاً بين الفوضى والنظام ومدعاة لسرور الجميع وفجر حياة جديدة. (ح. و. ٥)

قال حسبي من الهوانِ بنادٍ كنت فيه مُقدِّمَ الجلوسِ
 ولقد صرتُ، والعيونُ تؤاذيني كأني الأخير في اللقطة
 غَيَّبُونِي فِي السِّجْنِ سِتْرًا لِعَارِي فَلَقْدَ تَجَرَّحَ الْجُفُونُ عِرَائِي
 ٣٣٥ إِنَّ فِي عِزَّتِي عَنِ النَّاسِ حَجَبٌ لِهَوَانِي وَفَتْرَةٌ لِعِزَائِي
 أَلَامَ النَّاسِ فِي الْبَرِّيَّةِ كُنَا أَنَا وَالْغَادِرُونَ مِنْ زُمَلَائِي
 إِنَّ إِبْلِيسَ غَشَّنَا يَوْمَ كُنَا نَتَمَلَّى النِّعَمَ فِي الْأَفْيَاءِ

...

عَيَّدَتْ نَجْدُ وَالْحِجَازُ لِيَوْمٍ كَانَ فِيهِ انْبِعَاثُ عَهْدِ الصِّفَاءِ
 الصَّدُورُ اللَّائِي تَقْبِضْنَ أَعْوَامًا نَشَقْنَ النِّسِيمَ خَفَقَ هُنَا
 إِلَيْهِ عَبْدُ الْعَزِيزِ لَاقِيَتَ مَا لَمْ يَلْقَهُ فَاتِحٌ مِنْ الْخُلَفَاءِ
 بِحَسَامِ الْيَقِينِ قَوِّمْتَ جَيْلًا أَهْلُهُ فِي ضَلَالَةٍ وَالتَّوَّاءِ
 أَنْتِ شَدَدْتَ الْعِمْرَانَ مِنْ جِبْهَةِ اللَّيْثِ، وَعُرِّيَ الْمَفَازَةُ الصَّمَاءُ
 أُعْجِبُ الْفَاتِحِينَ مِنْ فَتْحِ الْقَفْرِ بَدِيعًا لِدَوْلَةِ الصَّحْرَاءِ
 يَا صَحَارِي رَجَعَنْ ذَكَرَ أَبِي «تُرْكِي» صَدَى يَنْتَهِي إِلَى الْجُوزَاءِ
 ٣٤٥ وَلْتَدَوِّنْ أَجْوَاؤُكُنَّ الصَّوَاحِي صِيَّتُهُ فَوْقَ مَفْرَقِ الْأَلَاءِ

٦٣ / اليمن

ما لجارٍ على الجوار استطلا
 حسداً، أو تبرماً، أو ضلالاً
 كان حقدُ الإمام «يحيى» قديماً
 قلماً تطفحُ القلوبُ ارتجالاً
 الجبال التي تمجُّ دُخاناً
 هي بالنار منذُ دهرٍ جبالى
 «أعير» تدينُ لابن سعودٍ؟
 وبها الماءُ ما يزالُ زُلالاً
 كيف لم يستحلِّ دماً
 وغسليناً ويصبحَ غيرُهُ أو حالاً
 ومتى كانتِ الأبعادُ تأتي
 تنزلُ «الأيمن» السعيدَ احتلالاً
 إنما الأقربون بالحكم أولى
 أغريبُ عادٍ يسودُ الشمالُ
 كيف لم تُثنيه عقابُ تعالتْ
 أسلاً تارةً، وطوراً جبلاً
 وُحُصونٌ من «تبع» راسياتُ
 سمكتُ في أساسها أجيالاً

١ المقصود اليمن السعيدة . ٢ كان امتداد سلطان ابن سعود في جزيرة العرب مما أثار حفيظة الإمام يحيى . وكانت عسير قذى في عينه، ومثلها نجران التي يدعي الإمام أن قسمها الشمالي داخل في أراضيه. ومما زاد في حقه استيلاء ابن سعود على إمارة الأدارة وكان يعتقد أنه أول بكل ذلك من ابن سعود الذي قصد إليها من قلب الجزيرة . بيد أن العاهلين : السعوديين واليمني تفاهوا وعقدوا معاهدة صداقة وحسن جوار سنة ١٩٣١ تعهد فيها كل منهما بمراعاة الصداقة والمودة وتسليم المجرمين . وفي سنة ١٩٣٢ انتقض الأدارة على عمال الحكومة السعودية واضطربت في عسير ثورة خطيرة وهوجت القوات السعودية بشدة، وأخذت الثورة بعد خطوط وفرّ الأدارة لأجنيين إلى حياة الإمام . وقد أيقن ابن سعود أن يحيى هو الدافع إلى الثورة خصوصاً وأنه رفض تسليم المجرمين وفقاً للمعاهدة السابقة .

(عن كتاب سيد الجزيرة العربية ابن سعود : لعمر أبي النصر)

٣٥٥ وأكامُ تُرايها بعضُ «أذواء»، فإن بُعِثَتْ بَدَتْ أقبالا
 كيف لم تُثْنِه مَهَابَةُ «يحيى» مَنْ زَكَا فرعُ أَصْلِهِ فتعالى
 «فاطمي» له «الزُّيُودُ» عبيدُ تنحني عند رجله إجلالا
 ويموتون لا ازْدِرَاءَ بموتِ بل يُودُّون للإمام امتثالا
 أيسودُ «الأدارس» ابنُ سعود؟ إنَّ «يحيى» الذي يسود الرجالا
 فليُثِرْهُمْ على السعودى نارا تبليغ النجدة والحجاز اشتعالا
 ما عهدُ بالأمس؟ حُسنُ جوارٍ وولاء؟ أَلَمْ تَكُنْ أقوالا
 كَلِمٌ في الهواء، ما زادها الخطُّ وثوقاً بل زادها إشكالا
 كلُّ عقدٍ عند الإمام له حلٌّ، فمن مثله يجيد الجدالا
 لا عهدُ إن لم تُوثَّقْ برهنٍ بَشَرِيٍّ يُمَكِّنُ الأغلالا
 ٣٦٠ يدْعَةُ للإمام يَرْتَهِنُ الأَنْجَالُ، فأحذرُ أن يذبح الأَنْجَالا
 فِشعارُ الإمام: نَكِيلٌ قويا أو فُكُنْ غامِضَ الهوى ختالا

...

تنبيه : في هذا الفصل الذي نتحدث به عن الحرب بين السعودية واليمن نعيد التنبيه الى اننا نعتد
 التاريخ فنذكر للناس مناقبهم ومعائبهم، بصرف النظر عن مكانة الاشخاص ورفعة مناصبهم فنذكر للإمام يحيى
 تقواه وقنوته وعلمه وشاعريته ولا نتغاضى عن ذكر شجته وتقديره لعلاقة ذلك بموضوعنا. هذا مع احترامنا
 للقائمين على حكومة ذلك البلد اليوم. ولا ريب ان اليمن اليوم يختلف عنه بالأمس ذلك أن بوادر الإصلاح
 آخذة في السبوغ، وأن الشرق العربى ينتظر حياة جديدة لهذا القطر الفنى جالا وتربة ومناخاً على يد
 الإمام سيف الإسلام أحمد ونجده ولي العهد سيف الإسلام بدر .
 (المؤلف)

١ الأذواء والأقبال والتبابة : هم ملوك اليمن الغابرين . ٢ الزيود : طائفة الزيدية المعروفة .
 ٣ كان الإمام يرتهن الرهائن اي انه يأخذ الى صنعاء أبناء شيوخ القبائل فاذا بدر من الآباء عصيان أو
 حركة عدائية كانوا الضحايا .

زَلَزَلَتْ ثُورَةُ «الأُدَاسِ» رَكْنًا فِي «عَسِيرٍ» لَوْلا قَلِيلٌ لَبَّالَا
 خَنَقَ الْفِتْنَةَ الْخَطِيرَةَ، فِي الْمَهْدِ، مَلِكٌ جَابَ الْحَيَاةَ زُرَالَا
 لَمْ يَظُلْ عَهْدُ نَائِرٍ بِقِتَالٍ فَرٌّ عِنْدَ الْإِمَامِ يَبْغِي وَرِثَالَا
 وَاحْتَمَى بِالْوَلِيِّ فَأَعْجَبَ لِكَهْفٍ كَانَ لِلْحَرْبِ مَصْدَرًا وَمَالَا
 وَلَوْ أَنَّ الْمُجِيرَ كَانَ بَرِيئًا لَمْ يُحَاوِلْ نَكِيئَةً وَمِطَالَا
 وَتَغَاضَى عَبْدُ الْعَزِيزِ عَنِ الْجَرْمِينَ: يَخْلُ غَوًى، وَعَهْدُ زَالَا
 بَلْ تَعَالَى عَنِ قِمَّةِ النُّبْلِ حَتَّى جَازَ مَا يَعْرِفُ الْكِرَامُ خِصَالَا
 رَفَدَ الْخَائِنَ الْعَصِيَّ بِمَالٍ وَإِلَى مُبْغِضِيهِ سَاقَ النُّوَالَا
 ٣٧٠ عَجَبًا لِلْإِمَامِ يَمْحُو عَهودًا وَعَلَى الْغَدْرِ يَحْمِلُ الْغَوَالَا
 وَيُسُومُ الْمَغْدُورَ غُوثَ خُؤُونٍ أُتْرَى كَانَ لَاعِبًا هَزَالَا
 بَلْ هُوَ الْجَدُّ، كَانَ «يَحْيَى» - عَلَى تَقْوَاهُ - جَعْدًا مُقْتَرَأً بَخَالَا
 لَغَطَّتْ أَلْسُنُ بِشَحٍّ شَحِيحٍ قَلَمًا أَطْلَقَتْ يَدَاهُ الرِّيَالَا

١ مما ورد في خطاب الملك عبد العزيز في المأدبة التي أقيمت في القصر الملكي في ذي الحجة سنة ١٣٥٢
 انه في سبيل الوفاء بالعهد للأدريسي كان يتحمل نفقات طائلة. وبعد خيانة الأدريسي وإخماد الثورة وتنصل
 يحيى منها ومراوغته وتقضه المعاهدة لم يشأ الملك فتح باب الشقاق معه فترك الأدريسي ليحيى بشرط ان يمنعه من
 أي مداخله ويبيعه عن الحدود. ثم كتب الإمام الى الملك يقول: «هؤلاء الأدارسة اصداؤك واعداه لي
 فهلا انعمت عليهم وسددت حاجتهم». فخصص لهم الملك ٢٥٠٠ ريال شهرياً. ومما ورد في خطاب الملك انه بعد
 إخماد الثورة أمر جنده بالرجوع. «فلما رجع الجند وردتني برقية من يحيى يذكر قبيلة يام ويذكر وصول أهلها
 الى أنها لمقابلة قائد الجند فلم يخطر لي ان يكون له مقاصد أخرى فأجبت ان لا غرض لنا من الولاية عليهم
 إلا نجران والبادية لعلاقتهم بنا من قديم وحديث. ثم أرسلت له وفداً حبسهم مدة طويلة. وقد قال ان المعاهدة
 إن شاء عمل بها وإن لم يشأ لم يعمل بها. وقد كتبت له بشأن الوفاء وانهم لم يجرموا حتى يعاقبوا». وفضاً
 للنزاع، ومع أن لاحق للإمام بنجران ويام لانهم يؤنون الزكاة لآل سعود منذ القديم اقترح الملك ان تكون
 نجران بلداً محايداً فأجابه الإمام بالرفض. (عن كتاب سيد الجزيرة: لعمر ابي النصر)

فالإمام العليم أصلُ بلاياهُ ادِّخارُ يَمُونُ الأمثالاً

....

سَكَتَ ابنُ السَّعُودِ عن ثورةٍ ماتتْ، ولم يَسْكُنِ المَوْرَقُ بالاً
 عاودَتْهُ «يَامُ» وأشباحُ «نَجْرانَ» فهاجَتْ في صدره بلبالاً
 لو أعادتْ «نَجْرانُ» عهدَ النصارى أو تهاوتْ فزلزلتْ زلزالاً
 لم يكن خَظْبُها بأفْظَعِ هوَلاً من سَعُودٍ يَضْفِي عليها ظلالاً
 بإطلاً قَدَمَ المَلِيكَ حُقوقاً قَدَمَ العَهْدِ زادَهنَّ جلالاً
 380 فرعايا «يَامِ» و«نَجْرانَ» باتتْ فلذةٌ منه لا تطيق انفصالاً
 مَنَعَتْ وحدةُ العُروبةِ صدرأ في رضاها تحمَلُ الأهوالاً
 أن يُبادي خَصِيْمَه بأحترابٍ قبل أن ينفرَ السَّلامُ كلالاً
 بَعَثَ الحَيرينَ وفداً، لعلَّ الوَفْدَ يَثْنِي عن غِيهِ مُختالاً
 تخضعُ المُمَكِّناتُ للعقلِ لكن يعجزُ العقلُ أن يحلَّ الحلالاً
 حبسَ الوَفْدَ لا احتفاً بضيفٍ ودَّهمُ كالرياحِ تجري عجالاً
 لَيْتَهُمْ، والرياحُ بعدُ على العيسِ، يَشْدُونُ للإيابِ الرِّحالاً
 حبسَهُ الوَفْدَ لم يكن عن سخاءٍ كان إمساكُهُ الضيُوفَ اعتقالاً
 ليس شيءٌ حُرّاً بصنعاءٍ غير الشمسِ، إنْ جازتِ الحُدُودَ أنسالاً
 حاذِري يا ذُكاهُ إمّا تمرِّي أن يقيموا في وجهك الأقفالاً
 390 أو تُؤدِّي بالرغمِ منكِ مَكُوساً فهلَمي ولملي الأذبالاً

ما ترى الوفد فاعلاً؟ ومقام الوفد كالعبد في القيود 'مذالا'
يسمع الأمر لا سؤال ولا نهى، وهل يملك الأسير السؤال
رَضِيَ الْمَلِكُ بِالْحِيَادِ «لنجران» وَضَحَى قَصْدَ السَّلامِ وَغَالَى
بِاسْطَا لِلْإِمَامِ حَلًّا رَحِيبًا زَادَهُ فَوْقَ زَهْوِهِ إِدْلَالًا
أَثَرَهُ مِنْ بَعْدِ مَكْرٍ جَزِيلٍ فَاضَ حَتَّى تَجَاوَزَ الْمَكِيلَا
وَافِيًا بِالْعَهْدِ أَمْ يَطْبِخُ السَّمَّ، وَيَسْتَفْغِمُ الزَّمَانَ احتيالا

...

غَمَرَتْهُ إِيْطَالِيَا بِصَنِيعٍ وَهُوَ رَامَ الْوَفَاءَ وَالْإِجْزَالَ
ليس من ماله ولو أمطروه ذهباً لم يهب لهم مثقالا
يمنح الباخلون مال سواهم ولو الرِّفْدُ يَمْلَأُ الْأَعْدَالَ
٤٦٥ إفكأنَّ النقصَ الذي قرأ فيهم من سواهم يُحَاوِلُ اسْتِكْمَالَ
أيها الواهب «الفرنج» «عسيرا» قد وعدت الصعب العسير منالا
لو وهبت العيوق أو نجمة الصبح، أو الشمس، أو منحت الهللا
أُهْجَومًا عَلَى «الْعَبَادِلِ» وَ«الْفِيَاءِ» حَقًّا؟ مَتَى حَدَقْتَ الْقِتْلَا

١ مذالا : ذليلاً . ٢ قبل ان يتعاقد الإمام مع الإيطاليين حاول أن يفاوض الحاكم الفرنسي في جيبوتي بمقد علاقات تجارية وشراء ذخائر حربية ... فرفض الحاكم وكان رفضه من الغلاظة بحيث صحت عزيمة الإمام على فتح ذراعيه للإيطاليين . ومنذ ذلك الحين أخذ هؤلاء يبدلون جميع المساعي لإرضاء رغائب اليمنيين حتى لم يجد الإمام بداً من مكافأتهم على الخدم التي أدّوها لبلاده فوعدهم بمقاطعة عسير وكان وعده هذا سبباً في ما وقع بينه وبين المملكة السعودية من سوء تفاهم وحرب بعدها .

(عمر أبو النصر في كتابه : سيد الجزيرة العربية)

إقْرِضِ الشَّعْرَ عَنَتَرِيًّا، إِذَا مَا شَتَّ، وَامْلَأْ رَوِيَّةً تَضْهَالَا
 وَدَوِيًّا وَزَارَةً وَدَمًا لَيْسَ يُرْدِي ذَاكَ السِّلَاحُ النِّهَالَا
 أَنْتَ فِي الْخَيْرِ مَا بَقِيَتْ حَكِيمًا لَا تَرَى فِي الْخَيَالِ إِلَّا خَيَالَا
 حَازِرَ اللَّحْنِ فِي الْقَرِيضِ وَحَازِرَ عِنْدَ جَوْبِ الْعَرَائِنِ الرَّبَالَا

...

قَدْ أَتَاكَ السَّعُودُ نَازِلًا إِنْ أَسْطَعْتَ وَأَتَيْدُ عَنْ قَوْمِكَ الْآجَالَا
 وَنُورُ هُمْ «الزُّيُودُ» وَلَكِنْ لَا تَصِيدُ النَّمُورَةَ الْأَشْبَالَا
 ١١٠ مَا عَسَاهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا وَسَعُودُ لَيْسَ الْمَوْتُ لِلْوَعَى سِرْبَالَا
 إِنْ يَكُنْ قَبْلَهُ أَبُوهُ يُبَالِي بِأَلْمَنِيَا فَالْنَجْلُ بِالْمَوْتِ بَالِي
 سَلْ بِهِ «صَعْدَةً» وَ«نَجْرَانًا» وَالْأَوْعَارَ وَالسَّهْلَ، وَادِيًا وَجَبَالَا
 هَلْ رَأَتْ مِثْلَ حَزْمِهِ عَبْقَرِيًّا؟ أَوْ رَأَتْ مِثْلَ كَرِّهِ خَيَالَا
 وَأَخُوهُ مُحَمَّدٌ يَقْدُمُ الْخَيْلَ، وَنَجْرِي فِي إِثْرِهِ الْأَبْطَالَا
 لَسْتُ تَدْرِي أَهَازِجِينَ بَعْرَسٍ أَمْ يَحْيُونُ حَوْمَةً وَاقْتِتَالَا
 يَلْتَخِي فُخُوةَ الْقُدَامَى كَمَا نَبَّتْ «عَبْسًا» وَ«تَغْلِبًا» وَ«هَلَالَا»
 غَيْرُهُ يَأْخُذُ الْقُرُومَ فُرَادَى وَهُوَ بِحَرْ يُبِيدُهَا إِجْمَالَا
 جَاءَكَ الْفَيْصَلُ الَّذِي عَرَفْتَ قَبْلًا «عَسِيرٌ» فَكَيْفَ تَنْعَمُ بِالَا

١ ومما قاله الملك أن الإمام عمل قبيحاً ففقد وأرسل عبد الوهَّاب الأدريسي واحتل بلاد العبادل وفيفاء وبني مالك وما برج يتملَّس ويراوغ لذلك أمر الملك ولي عهده سعوداً أن يتقدم بجنوده إلى الأمام ويدافع عن كيان وشرف المملكة .
 (عمر أبو النصر)

الذي دَمَّرَ الحصونَ «بأبيها» يقطع الشطَّ زُهَةً والرِّمالا
 ٤٢٥ ساحلُ البحرِ دانَ والناسُ دانوا لأَمِيرِ عَمِّ الشَّوَاطِي نالاً
 يعبدُ الناسُ بعدَ رَبِّ البرايا خيراً ليس يعبدُ الأموالا
 أَلْفُوا الجَدبَ أو سحاباً رذاذاً «فِصْلُ» الجود جاءهم شللاً
 فلماذا أثرتَ حرباً ضروساً؟ أو يُرضيكَ أن تَريدَ الشكالي
 أعلى قومكَ العديدَ اعتماداً أم على الجيشِ والسلاحِ اتكالا
 ربَّما كثرةُ الصُّقُورِ والعقبانِ يَصْبُغُنَ بالدماءِ الغزالا
 ومُحالٌ مَهما تَكَاثَرْنَ أن يُردنَ في حَوَمَةِ الوغى الأفيالا
 ولديكَ السلاحُ من رَفْدِ «رُوما» يَهرُ العينَ كثرةً وصقالاً
 أنتَ أوَعَدْتَهُمْ تِلالَ «عسير» فأعدُّوا لك العِتادَ تلالا
 ولديكَ القُوادُ من تَرْكَةِ الأتراكِ رِيشُوا على الوغى أطفالا
 ٤٣٠ اكلُ ذاكَ الجيشِ العرمرمِ ولَّى بعضهم إثرَ بعضهم خذلاً
 آيةٌ في الجَمالِ تَمثالُ «موسى» لو تَرينُ الحِجَّةُ التمثالاً

١ النال : هو العطاء . ومما يجدر بالذكر ان الامير فيصل السعود هاجم الجيش اليمني ، على رأس ثلاني مئة سيارة ، فاحتلت جنوده تمامه ومرفأ ميدي ولحيه والحديدة على البحر الاحمر . وقد اغتبط الساحل المحتل كثيراً بهذا الاحتلال وعلى الاخص الموظفون اليمنيون لانهم ثبتوا في مراكزهم وزيدت مرتباتهم . ٢ كان لدى الإمام يحيى قوة عسكرية حسنة . منها مدافع اشتراها من احد المصانع الإيطالية . وكان جيشه يقدر بخمسة وثلاثين ألف مقاتل ، وهو مجهز تجهيزاً جيداً ، ومدرب على أيدي ضباط من الترك قد تخرجوا من الكلية العسكرية في الاستانة ، وظلّوا في اليمن بعد انهيار السلطنة ، مفضلين الحياة فيها . ولكن هذا الجيش الحسن كانت تنقصه حاسة الوهابيين . فتوغلت القوات السعودية في نجران وعسير بسرعة مذهلة ، واحتلت جميع الجهات والمواقع التي كانت موضع النزاع ، وتقدمت بعد ذلك حتى نغرت الحديدة وهو أهم الثغور اليمنية واستولت عليه بعد فرار اليمنيين .

(عمر ابو النصر)

٣ تمثال موسى هو الرائعة الفنية التي نحتها إزميل ميكلائج .

يحرزُ النصرَ من اذا فاتَه البتارُ ييري من الضلوعِ نصالا
 من اذا اعتلَّ في يديه حسامُ زندهُ كان ماضياً فصّالا
 إنما منبتُ المأسدِ نجدُ غيرها يدعي الأسودَ انتحالا

...

نصرُ عبد العزيزِ أقلقَ أورُباً، فرامتُ لظفرِها إدخالاً
 إنما يدخلُ الوباءُ على الجسمِ متى دقتِ الجسومُ هزالاً
 تلجُ الأفعوانُ ثقبَ جدارِ أورثتهُ الريحُ العصفُ اختلالاً
 أقبلتُ دارِعاتُها تنهادي في اختيالِ العروسِ نأهتُ دلالة
 في بساطٍ من زرقَةٍ واخضرارٍ تحت ضافي دروعِها يتلالاً
 حارساتٍ وما أردنَ سلاماً حائداتٍ وما كرهنَ الصيالا ٢٢٥
 حائاتٍ حول «الحديدَةِ» كالعُشبانِ رأتُ دماً على الأرضِ سالا
 فوعدنَ اللها بريّ قريبٍ وتقاسمنَ في المنامِ الرخالا
 يتوسلنَ بالحماية والرعياءُ، ويبدعنَ حجةً ومقالاً
 «أنا أولى منكم بحفظِ رعاياكم، فسيني عنهم يردُّ الوبالا»
 هكذا أنفذَ المليكُ اليهم قبلما الشرُّ يبلغُ استفحالا
 قبل أن تنشبَ المخالبُ في الغابِ وتأوي البرائنُ الأدغالا

١ أفلق انتصار الملك السعودي أوربا فرست بوارج انكليزية وفرنسية وإيطالية في مياه الحديدية، بحجة المحافظة على الرعايا الأجانب فانفذ اليهم الملك عبد العزيز مذكرة مألها انه يأخذ على عهده سلامة رعاياهم .
 لئلا يتخذوها ذريعة فيحل باليمن ما حل بمصر عقب ثورة عرابي باشا فاحتلها الانكليز . وكان الخوف على اليمن هذه المرة من جهة الايطاليين على الاخص .

حُجَّةُ الْأَمْنِ حُجَّةُ الذُّبِّ فَادْكُرْ ما بِمَصْرِ تُمَزِّقِ الْأَسْدَالَ
رَسَفَتْ فِي الْقِيُودِ سَبْعِينَ حَوْلًا هَكَذَا تَفْرِسُ النَّمُورُ السِّخَالَ

...

أَخَذْتُ سُورَةَ الْعُتُوِّ «فِيحِي» خَابَ فَأَلَا فَطْلَقَ الْأَمَالَ
وَأَنْتَفَاخُ الْأَمْسِ الْمُبْهَرَجِ بِالْوَهْمِ ٤٥٠ إِلَى الرُّعْبِ وَالضُّمُورِ اسْتَحَالَ
عَادَ ذَاكَ التَّهْدِيدُ لِابْنِ سَعُودٍ بَعْدَ مَا رُوِّعَ الْإِمَامُ ابْتِهَالًا
مَلِكَ النَّجْدِ وَالْحِجَازِ أَمَانًا صَاحَ «يَحْيَى» غَمَرَتْنَا إِذْلالًا
حَسْبُنَا مِنْ سَيُوفِكُمْ مَا لَقِينَا هَبْ لَنَا هَذِهِ الْبِلَادَ حِلَالًا
مِثْلُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ عَفٍّ عَنْ قَطْرِ وَقَدْ كَانَ يَسْتَطِيعُ احْتِلَالًا
فُوزُهُ بِالْبِلَادِ بَعْدَ بَلَاءٍ دُونَ حِلْمِ «الطُّلِيَانِ» بِالْقَطْرِ حَالًا
فَكَأَنَّ الْمَلِيكَ وَهُوَ الْمَجْلِي رَدَّهَا أَوْ أَنَا هَا اسْتِقْلَالًا
مَنْ تَرَى كَانَ صَدَّهْ؟ لَوْ بَغَاها رِمَمًا أَوْ أَحَاها أَطْلَالًا

...

أَوْ يَنْسَى مِنْ بَعْدِهَا يَمْنِي؟ فَضَلَ عَبْدَ الْعَزِيزِ مَا الْعَمْرُ طَالَا
مَا جَرَتْ أَلْسُنٌ بِذِكْرِ عَظِيمٍ ذَكَرَهُ كَالْخُلُودِ يَا بِي الزَّوَالَا

١ لقد كان في استطاعة الملك عبد العزيز ان يحتل اليمن كلها . وليس من ينكر ان انتصاره حرر اليمن من نفوذ اجني وبخاصة النفوذ الايطالي . وقد أدرك الإمام يحيى خطر الموقف وعبث الحصومة والمقاومة فأقر الملك عبد العزيز على مطالبه التي اشترطها منذ البداية لوقف القتال وانتهت القضية الى معاهدة الطائف .

(عمر ابو النصر)

٤٦٥ من يُوجِّهْ إليه خاطرَ شرٍّ فهو نذلٌ يُدَنِّسُ الأندالا
 ما يُسَمَّى؟ الذي يَهْبُ إليه هَبَّةُ الذئبِ غادراً 'مغتالا'
 حين كان المليكُ في كعبةِ الله، يُودِّي حقَّ الإلهِ تعالى
 حيثما طاف قبله سَيِّدُ العُربِ، وحاكى هَدْلُ الحِمامِ «بَلالا»
 كُنت عَصْبَةً، ثلاثةُ أَصْلالٍ، فَدَعَنِي أَسْتَغْفِرُ الأَصْلالا
 لو درى الصِّلُ حُرْمَةً لِمَقامٍ ومليكٍ زادَ الجلالَ جلالا
 خبا العُربَ عِزَّةً، بَعْدَ ما ذَلُّوا عِصْوَراً وموتوا إهمالا
 وجروا في مَوْخِرِ الرِّكْبِ جُبْنًا أو هُمُ السَّابِقُونَ لكن رِثالا
 لَرَمَى نَابَهُ وَتابَ وأَسْرَى جَهَةَ الفَقْرِ يَنْصَحُ السَّرحالا

....

لَمَعَ الخَنْجَرُ الأَثِيمُ، وكرَّ الوغْدُ كالذئبِ مُرَقَّلاً إِرْقالا
 ٤٧٥ صَانِكُ السَّاهِرِ الرِّحِيمِ أبا «تَرْكي» فلم يُوزِثِ العلى إِثْكالاً
 خَبَاكَ المِجَنُّ من دِمَكِ الغالي، فَادَّى دِمَاءَهُ اسْتِيسالاً
 عارضاً ذَاتَهُ على الموتِ بَرًّا بأبٍ سَدْرَةَ المَفَاخِرِ طالا
 حائلاً بين خَنْجَرٍ ومليكٍ راضياً بالْمَنِيَّةِ اسْتِبدالاً

١ بينا كان الملك عبد العزيز بتاريخ ١٠ ذي الحجة سنة ١٣٥٣ هجرية يطوف حول الكعبة هاجمه ثلاثة من اليمنيين يريدون اغتياله . وقد اهوى عليه اخدم بخنجره فوقف ولي العهد الامير سعود حائلاً بين الخنجر والملك فجرح . وقد صرع المجرمون الثلاثة برصاص الحرس . ٢ بلال : هو بلال الحبشي مؤذن النبي . ٣ الرثال : ذكور النعام . ٤ السرحال والسرطان : الذئب . ٥ أرقل : أسرع .

كان يستقبلُ الضيوفَ بديلاً منك فليقبلِ الشِّفارَ الصقلا
 خنجرَ الإثمِ غُرُ يكتفِ وليَّ العهدِ وأنهلْ نجيعةَ سيّلا
 لا تُذرْ ذِرَ دَمَ الفِداءِ على الأرضِ، ودعهُ الى السما يتعالى
 هكذا السبلُ بالحياة يُضحي عندما الموتُ ينشدُ الربّالا
 يا سماءَ اشهدي بأنَّ سعوداً أبداً الدهرَ شَرَفَ الأنجالا
 لم ترعه السكّينُ تغمدُ في الظهرَ فتقري وتنهش الأوصالا
 وكأني به يقولُ: أبا «تركي» فذاك السُعودُ ولداً وآلا ٤٤٥
 نحن في خدرِكَ المنيعِ ربِّينا وأخذنا عن خُلقِكَ المنوالا
 أنت أعددتنا ليومٍ عظيمٍ لم نهن ساعداً، ونضمرُ دلالا
 بردتْ هذه الكواهلُ في الجلى، فباتت لا ترهبُ الأحمالا
 قد حملتْ الهمَّ العظيمَ وحيداً هاتِ نلّقي عن كِثفِكَ الأثقالا
 ندفعُ الموتَ عن أبِ عبقرِي فتقولُ العصورُ مُتنا شبالا

...

عصابةُ الغادرينَ، يأبى لسانُ العربِ، في الهجو، أن تُسمّوا نذالا
 يصمُ النعتُ بالنذالة ناساً لا ذئاباً، فن دَعَاكم رجالا
 أعرقَ الراضعينَ لوماً وشرّاً وأخسُ الأنامَ عمّاً وخالا
 لو جرى ذِكْرُكم يبرقُ هاجِ أو جبتْ نفسُهُ عليه اغتسالا
 ٤٤٥ هبّكم فزئتمُ بقتلِ مليكٍ أو تمحونَ بعده الأفعالا

أَمَعَ الموتِ يَنْتَهِي كُلُّ شَيْءٍ؟ قَدْ خَسِئْتُمْ رَأْيًا وَخَبِئْتُمْ فَلَا
يَهْدُمُ الْمَوْتُ خَائِلًا لَمْ يُجَاوِلْ وَهُوَ حَيٌّ أَنْ يَخْلَدَ اسْتِقْبَالًا
يَمْسَحُ الْمَوْتُ ذَكَرَ مَنْ قَدِمُوا الدُّنْيَا طُبُورًا وَغَادَرُوهَا كَسَالًا
فَيَعِيشُونَ فِي الْفَرَاغِ فَرَاغًا وَيَدُورُونَ فِي الْوُجُودِ ثِقَالًا
يَهْدُمُ الْمَوْتُ عُنْجَهِيًّا سَخِيفًا لَمْ يَزِدْ فِي الْمَكَانِ إِلَّا اشْتِغَالًا
وَمَضَى فِي الزَّمَانِ غَفْلًا فَزَادَ الرِّقْمَ عَدًّا، وَأَكْثَرَ الْأَغْفَالًا
يَعْجُزُ الْمَوْتُ أَنْ يُبِيدَ عَظِيمًا بِالرَّهِيْفَيْنِ شَرَفَ الْأَعْمَالِ
بِحَسَامٍ أَوْ مِرْقَمٍ شَغَلَ الدُّنْيَا مَضَاً وَحِكْمَةً وَاشْتِمَالًا
بَلْ يَزِيدُ الزَّمَانُ فِي قَدَرِهِ الْغَالِي كَمَا ضَاعَفَ الْيَهُودُ الْمَالًا
لَوْ قَتَلْتُمْ عَبْدَ الْعَزِيزِ لَا لَبِئْسْتُمْ جَبِينُ الْعُرُوبَةِ الْإِرْمَالًا
وَفَتَحْتُمْ فِي جِبَةِ الشَّرْقِ جِرْحًا أَبَدَ الدَّهْرِ لَا يَطِيقُ انْدِمَالًا

...

كَلَّمَا أَعْجَزَ «الْمَلَاجِمَ» فَذُفُّ فِي جَبِينِ الْجُوزَا، حَطَّ النَّعَالَا
وَعَلَا عَصْرَهُ فَلَا تَجْدُ الْأَبْصَارُ نِدًّا لِبَاسِهِ وَمِثَالًا
وَبَدَتْ حَوْلَهُ الْجَبَابِرُ أَقْزَامًا، وَلَا حَ الْمُسْتَكْبِرُونَ ضُئَالًا
إِذْ تَرَأَى وَنَهَجَ الْأَشْعَةُ فِي الصَّبْحِ، وَبَاتُوا حُبَابِجًا أَوْ ذُبَالًا
وَتَبَّتْ عَصْبَةُ الذَّنَابِ عَلَيْهِ تَطْلُبُ الضَّيْفَ الْمَهْصُورَ اغْتِيَالًا

١ الملاجيم : إشارة الى عبد الرحمن بن ملجم قاتل الإمام علي في مسجد الكوفة .
٢ الجباب : ذباب يطير في الليل والعلامة تسميه سراج الليل . والذبال : قاتل الصباح .

أَعَزَّ لَا يَطْلُبُونَهُ، فِي الْمَصَلَّى خَشْيَةُ اللَّهِ أَوْرَثَتْهُ انْذَهَالًا
يَهَبُ اللَّهُ جِهَةً لِسُجُودٍ وَالْأَذَلُّونَ يَنْهَشُونَ الْقَذَالَ
قَدْ حَمَاكَ الْإِلَهَ يَا ابْنَ سَعُودٍ حَامِي الْمَجْدِ وَالْقَنَا الْعَسَلَا
وَأَبْلَتْ أُنْبَاءَ يَعْرُبُ لَمَّا شَبَلَكَ الْفَذُّ أَوْيَى الْإِبْلَا ٥١٥

٢٢ النسر يتوارى

جبل « الطائف » النديّ الحالم يا بحال المعطرات النياسم
يا رياضاً توشحتُ سُندُسياً من أماليد في الصباح بواسم
إتيدُ يا نسيمُ فالنسرُ ساجٍ أمهيضُ الجناح أم هو جاشم
كنتَ أولى بذلك النسر لما كان بالذُرْوَةِ العلية هائم
لبساطِ اللاءِ سمرُ خوافيه، وللكرِّ والصراع القوادم
أعلى الهيناتِ أَطَبَقَ عينيه؟ أم البالُ بالفتوحات حالم
همستُ السنُ المكارم أودى فأجاب السماكُ بل هو نائم
لم يُمتَّعْ بمثلها ضجعةٌ كبرى، فقد ظلَّ في المجرَّة حائم
جابهذي الأجواءِ ستينَ حوْلاً وهوى اليومَ تحت غار العظام
٥٢٠ مات! ما مات مَنْ قَمُ الدَّهْرُ يرويه، الى مسمع الحياة الدائم

١ توفي الملك عبد العزيز في الطائف ونقل جثته بالطائرة الى نجد حيث دفن في مـدافن آل سعود .
٢ قد عمّر المغفور له الملك عبد العزيز نحواً من أربع وسبعين سنة ونظرنا في قولنا (ستين حولا) الى مدة
كفاحه باعتبارها بدأت منذ البلوغ .

إِنَّ عَبْدَ الْعَزِيزِ وَالْمَجْدِ صَنَوَانٍ، وَمَا يَفْصَلُ الْخُلُودُ التَّوَانِمَ
 كُلُّ يَوْمٍ مِنْ عُمَرِهِ حَقْبَةٌ مَلَأَى بِمَجْدِ الْفَتْوحِ أَوْ بِالْمَكَارِمِ
 أَنْ أَنْ يَهْدَأَ الْحَسَامُ فَيَأْوِي لِدِيَارِ الْخُلُودِ حَيْثُ الْأَعْظَمِ
 خَالِدُ ابْنُ الْوَلِيدِ وَابْنُ زِيَادٍ وَ « هَنْبَعْلٌ » أَعْرَبُ وَأَعَاجِمُ
 طَوَّقُوا نَعَشَهُ بِسُمْرِ الْعَوَالِي وَاقْطَعُوا صَمَتَهُ بَبِيضِ الصَّوَارِمِ
 وَضَعُوا فِي شِمَالِهِ صَعْدَةَ الرَّمْحِ، وَفِي كَفِّهِ الْيَمِينَ الْقَائِمِ
 لَوْ فَعَلْتُمْ لَاخْضَوْضَرَ السِّيفِ مِنْ ذِكْرِي، فَيَا طَالَمَا سَقَاهُ الْجَاهِمِ
 جَنَّبُوا يَوْمَهُ الدَّمُوعَ الدَّوَامِي فَهُوَ يَوْمٌ مُجَلَّلٌ فِي الْمَائِمِ
 صَبَبُ الدَّمْعِ كَانَ مُبْتَذِلَ الْحَزَنِ، فَمَا هَكَذَا وَدَاعُ الضَّرَاغِمِ
 ٥٣٠ شَبَعُوهُ بِبِدْفَعٍ وَهَزِيمٍ إِنَّ فِي الْأَسَدِ صَبُوءَ لِلزَّمَانِ
 عَطَّرُوا نَعَشَهُ بِرَائِحَةِ الْهَيْجَاءِ، يَا طِيبَ فَوْحِهَا فِي الْخِيَاشِمِ
 يَصْهِيلُ الْخِيُولَ مُتَّصِلِ الْأَسْجَاعِ، مُسْتَتَبِعِ الصَّدَى وَالْحَمَاحِمِ
 لَا بُكَاءَ بَلٍ افْتِقَاداً لَوَجْهِهِ لَمْ يُشَارِكْهُ فِي الْبَهَاءِ مُزَاحِمِ
 كُلَّمَا سُدَّتْ الْبُطُولَةُ أَقْوَتُ ذَكَرَتْ هَيْبَةَ الْمَهْصُورِ الضُّبَارِمِ
 فَيَجْرِي صَيْتُهُ الْعَرِيضُ أَرْجَاءً وَجَرَى قَلْبُهَا الْكَيْتِبُ مَرَاحِمِ

...

قَسَمًا بِالَّذِي بَرَّاكَ أَبَا « تُرْكِي » جَفَتَ الضِّيَاءُ فَالْجُودُ قَاتِمِ

١ المقصود بـابن زياد: البطل طارق فاتح اسبانيا، وهنبعل: هو القائد القرطبي المشهور. ٢ قائم
 السيف: هو مقبضه. ٣ الزمزمة: الصوت الذي يسمع من بعيد وله دوي. ٤ الضبارم:
 الأسد.

كلُّ مصرٍ تَوَشَّحَ الضَّادَ حَلِيًّا بات كالرمسِ يومَ فقدك واجم
 وتَلَاقتُ عليكُ سُودُ قِلاصٍ للنصارى، وناصعاتُ العائم
 ذاكُ شأنُ الأطوادِ إِمَّا تَنَاهَتْ رِفْعَةً عَانَقَتْ شَتِيتَ الغائم
 فَاجِعُ الرِّزِّ فيكِ جازَ بلاداً 540 وتُخَوِّمًا مَعْبُودَةً وَمَرَامِ
 إِنْ تَكُنْ عَاهِلَ الْحِجَازِ وَنَجْدِ فَسَنَّاكَ اللَّمَّاحُ يَطْوِي الْمَعَالِمِ
 الْمَدَى يَحْصِرُ الْوَلَايَةَ لَكِنْ شَرْعَةُ الْحَبِّ فَوْقَ تِلْكَ الْمَزَامِ
 لَيْسَ مُلْكُ الْعَظِيمِ مَا عَرَفَ التَّارِيخُ مِنْ ثَرْوَةٍ، وَسُلْطَانِ حَاكِمِ
 مُلْكُهُ حَيْثُمَا أَحْسَتْ قُلُوبٌ وَتَصَبَّى بِمَجْدِ الْكَرِيمِ الْأَكْرَامِ
 لَمْ يَجِدِ الْمَكَانُ مِنْ «خَالِدٍ» ذِكْرًا، وَلَا اسْتَأْثَرَ الزَّمَانُ بِحَاتِمِ
 صَدًّا إِمَّا اسْتَطَعَتْ لِأَلَا صَبِيحٍ أَوْ رَفِيفَ الشَّدَا، وَخَفَقَ النَّسَائِمِ
 إِنْ لِلْخَالِدِينَ فِي كُلِّ أَرْضٍ وَزَمَانٍ رَعِيَّةً وَعَوَالِمِ
 وَلَهُمْ فِي الْوُجُودِ، مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِ الضِّيَاءِ، عَوَاصِمِ
 فَكَرِيمِ النَّضَارِ مَعْدَنُهُ الْأَصْلُ، فَلَا يُسْأَلُونَ: أَيْنَ الْمَنَاجِمِ
 أَنْتَ عَبْدُ الْعَزِيزِ مُوْطَنُكَ الْإِفْقُ، 550 كَمَا الْجَوْ مُوْطَنُ اللَّقْشَاعِمِ
 قَدْ تَجَاهَى لِبْنَانُ فَيْكِ وَمِصْرُ وَدِمَشْقُ كَمَا تَجَاهَى الْحِضَارِمِ
 نَشَدَتْ قَبْلَكَ الْعُرُوبَةُ ظِلًّا تُتَّقَى فِيهِ لِإِفْحَاتِ السَّامِمِ
 سَاعِدًا يَجْمَعُ الشَّجَاعَةَ وَالْجُودَ، وَرَأْيَا كَالسَيْفِ أَغْلَبَ حَاسِمِ
 أَنْفَدَتْ صَبْرَهَا ارْتِقَابًا لِحُرِّ يُجْتَلَى فِيهِ عِزُّهَا الْمُتَقَادِمِ

١ القلاص: مفردها قلنسوة وهي نوع من ملابس الرأس عند رجال الدين في المسيحيين. ٢ المقصود
 خالد بن الوليد وحاتم طي. ٣ الحضارم: في النسبة إلى حضرموت.

فيكون اختلاجة البعث فيها والأساس الذي عليه الدعائم
 بإطلا راحت اليتيمة تبغي للعيون المقرحات بلاسم
 تنشد الواحة الحصيبة لا تلقى سوى القفر والصعيد الناقم
 لم تصادف سوى بريق سراب ريب خلف وهجه وطلاسم
 جنت فالعرب حول عرشك أكباد^{٥٦٥} كما طوق الغدير الحماجم
 السيوف التي تألفت باتت حدبات لدعیه وقوائم
 والقلوب التي صبوت اليها من بعيد رنت اليه حوائم
 جنت والعرب مخلقون شباباً وأماناً وألفة وعزائم
 فرأوا فيك منقذاً يفرش الخير ويستنبت الزمان الآزم
 كنت تاج الصحراء في نصف قرن هو أنشودة الربيع الباسم
 حيثما أنت ليس للبؤس طيف فيعال على نذاك المواسم
 حيثما كنت ما خلا رمضاناً تكرر الشمس أن ترى وجه صائم
 دوحة الخير كنت ما أمسكت ظلاً ولا خيبت رجاء الطاعم
 تهرع الطير عاكفات عليها كلما ارتبد في العشيات غائم

...

كفنوا سيد الجزيرة بالورد، بآس الربى وعطر الكمان
 ٥٦٥ يوشاح الثلوج من شم لبنان وأندائه النطاف البواسم

بذؤابات أرزه وابتلال من عشاياه في الحواشي النواعم
 وأحبلوه من الحجاز الى نجد، فللوكر قدسه في المحارم
 يلمس المرء في التراب، ولو ميتاً، تراب الأوطان قلباً راحم
 وادفنوه في ربوة تنبت المران صلباً، وتستعيد اللهازم
 فوقها يخفق العرار على الرمس فتشدى بالهينات النواسم

....

جيء بالنسر طائراً بل مطاراً في أثر مغرورق الجفن جاحم
 عهد النسر يبهز الشمس لحظاً ويقاوي كواسراً ويصادم
 ما له اليوم مدليجاً، سادر العينين، محلولك الأسارى جاهم
 كالباني مغمدة الحد يغفو يقرب من تجده المتراكم
 580 لقد تردى العليا ميتاً وحيأ غاب جسماً ورؤحه آب سالم
 عاد يا نجد من حماك هصوراً يهرب الأسد زاره والأراقم
 هيكلاً سامقاً وزنداً جديلاً تحت فرع كالليل حران فاحم
 فتشوف الى الغضنفر وانظر مفرقاً شاب من عجاج الملاحم
 وتهيب ذاك العظيم المسجى وأخفص الطرف إنما الليث آجم
 نكسوا لاغترابه كل بند سوما الخيل والنيق الرواسم
 أوطووها التراب جساً فلا تشد فيه سنابك ومناسم
 فتسير الجياد نكس النواصي كاسفات الوجوه ربدأ سواهم

غيرَ مَشْدُودَةٍ الْأَعْنَةِ وَالْأَعْرَافِ، مَرَحِيَّةَ الشَّوَى وَالشَّكَاثِمِ^١
 أَطْرَقُوا حَوْلَ نَعَشٍ مِنْ كَانَ يَحْمِيكُمْ، إِذَا شَوَّهَ الْمَرْوَةَ آثِمٌ^٢
 مِنْ حَبَاكُمُ عَزَّ الْمَقَامُ وَكُنْتُمْ قَبْلَهُ لِلدَّخِيلِ بَعْضَ الْمَغَانِمِ^٣
 أَوْ رَقِيقًا يُسَامُ خَسْفًا وَذُلًّا كُلَّمَا فُوقَتْ سِيَاهُ الْمَظَالِمِ^٤
 وَيُسَاوِيكُمْ الْهَوَانُ، كَمَا سَاوَى قِسَاةَ الرِّعْيَانِ بَيْنَ السَّوَانِمِ
 سَلْعًا تَحْسِبُونَ يَوْمَ نَفِيرٍ فَيَسْوَ قُونَكُمْ لِدَفْعِ الْمَغَارِمِ
 فَتَكُونُونَ عِنْدَهُمْ شِبْهَ أَعْدَادٍ جَرَتْ فَوْقَهَا بَرَاغُ الرَّاكِمِ
 لَا نِظَامٌ لَكُمْ وَلَا حُرْمَةٌ تُرْعَى، تَعِيشُونَ رَحَلًا أَوْ شِرَازِمِ
 عَيْشَكُمْ عَابِسٌ، وَأَيَّامُكُمْ سُودٌ، وَأَفْعَالُكُمْ كِبَارُ الْجَرَائِمِ
 أَطْرَقُوا سَاعَةً لَذِكْرِ عَظِيمٍ لَا رَهَيْبَ الْلَقَا وَلَا مُتَعَاظِمِ
 قَدُوءٌ كَانَ بَيْنَكُمْ فِي السَّجَايَا وَلَقَدْ كَانَ دُونَكُمْ فِي الْمَنَاعِمِ

...

وَدَعَوْا ذَلِكَ الْجَبِينَ بِأَبْصَارٍ عَنِ الْحُبِّ وَالشَّجُونِ تَرَاكِمِ
 فَالْبَطُولَاتِ بَعْدَهُ رَجْمًا شَرِدْنَ دَهْرًا مُوَلَّهَاتٍ أَيْائِمِ^٥
 إِحْمِلُوهُ عَلَى الرِّقَابِ إِلَى الرَّمْسِ وَرَدُّوْا أَكْتَافَكُمْ وَالْمَعَاصِمِ
 سَلِمُوا كُنْزَكُمْ إِلَى كَفَرٍ «رِضْوَانٍ» فِيرْعَى عَهْدَ الْمَلِيكِ الْقَادِمِ
 ضَوْعَتْ ثُرُوءُ الْخُلُودِ بِمَرَّاهِ وَقَامَتْ أَعْرَاسُهُ وَالْوَلَائِمِ

١ الأعراف مفردتها العرف وهو شعر رقة الفرس . والشوى : الأطراف . ٢ فوق السهم : سدده . ٣ أياهم : أراهم . ٤ حارس الجنة .

عندما تعظمُ المَنَاحَةُ في الأرض، فوجهُ السماءِ عرسٌ قائمٌ
أُمَّةٌ وَحَدَهُ يُعَدُّ أَبُو «تركي» هو الماسُ والملوكُ دَراهمُ
رجلٌ حوله تَجَمَّعَ تاريخُ، كما أَلْفُ الْجَانِ الناظمِ

...

إِيهَ عَبْدَ الْعَزِيزِ جَلَّ عَزَائُكَ يَبْنِيكَ الْمُطَيَّبِينَ الْأُكْرَامِ
مِنْكَ هَذِي الْفُصُونُ وَالشُّمَرُ الدَّانِي، وَحُلُوَاهُ، وَطَهْرُ الْبِرَاعِمِ
عَرْشُكَ الْعَرْشُ يَا سَعُودُ قَبَادِرُ وَأَمْلَأِ الشَّرْقَ سُودُ دَا وَمَكَارِمِ
610 إِنْما يَخْلُفُ الْكَبِيرَ كَبِيرُ وَيَسِيرُ الْعَظِيمُ نَهْجَ الْأَعَظَمِ

٣٨ / تحية لبنان الى الملك سعود

قَلَمِي لَوْ دَرَى مَا لَ بَيَانِهِ لَأَتَى الصُّبْحَ فِي سَنَى رِيْعَانِهِ
 وَمَضَى يَقْطِفُ الشُّعَاعَ وَيُسْدِيهِ نَظِيماً مِنْ تَبَرِهِ وَجَمَانِهِ
 وَأَتَى الْأَرْضَ فِي صَفَاءِ الْعَشَايَا وَالنَّجُومِ الْإِحْسَانِ مِنْ جِيرَانِهِ
 وَاصْطَفَاهَا لِصَاحِبِ التَّاجِ تَاجاً وَسَمَاءَ تُشَعُّ فِي صَوْلِجَانِهِ
 لِلنَّخِيلِ التِّيَّاهِ مِنْ خِلِّهِ الْأَرْضِ وَدَادُ الْأَحْبِ مِنْ إِخْوَانِهِ
 فَالْقَصِيَّانِ فِي الْجَزِيرَةِ دَاراً يَهْوِيَانِ الْعُلَى وَيَبْتَدِرَانِهِ
 فِي تِلَالِ « الْقَصِيمِ » نَفْحَةُ لَبْنَانِ وَنَفْحُ « الْقَصِيمِ » فِي لَبْنَانِهِ
 فَكَأَنَّ الْبَيْتَ السُّعُودِيَّ مَهْوًى كُلِّ شَيْءٍ خَلَا إِلَى وَجْدَانِهِ
 قِبْلَةُ الطَّيِّبِينَ مِنْ مَطْلَعِ الشَّمْسِ وَخَفَقِ الضِّيَاءِ فِي مَغْرِبَانِهِ
 جَوْسُقُ فِي « الرِّيَاضِ » أَوْماً لِلْعُرْبِ فُطَافِ الْحَنِينِ فِي جَدْرَانِهِ

...

هالك لبنان يا سعود، فهل أنزلت غير الأحناء من سكّانه
 جئتنا والسرود لون سجايانا ثلوجاً تألّقت في رِعانه
 فوطئت الثرى فأطلعت ورداً واستبقت الربيع قبل أوانه
 فالعقاب التي بها الصيف شات صفقت للجمال في مهرجانه
 ومشي في ظلالك الطود مختالاً يشيع البهاء في ألوانه
 - يسكب الدوح طيبه ويفض السطح عقد الجمان عن رنجانه
 والآناسيد في الحدايق ترى كل حيّ معبر بلسانه
 قد تبارت عنادل الضاد شداً فأناك التغريد في نيسانه
 فكان القريض لم يفقد «الطائي» أو يفترق الى «حسانه»
 630 هالك لبنان موئل الشعر والحسن، وهذا البيان أيك جنانه
 - كان بالأمس قيمًا يكلا الفصحى، وما انفك ظنّها في آنه
 - نزلت في رحابه منزل الجار، فعادت لصيقة بجنانه
 - وجرى حبها بكل فؤاد جريان الدماء في شريانه
 - نأفس العيسوي فيها حنيفاً وأحب الإسلام في قرآنه
 - وبها يُعرب الرهايين في الدير كتاب الملوك من غسانه
 - أي دير حللت خلت «عكاظاً» في أنيق البيان من رهبانه

...

١ إشارة الى قول المتنبي:

وعقاب لبنان وكيف بيّقطها وهو الشنّاء وصيفهنّ شناه

٢ الطائي: هو ابو تمام. وحسان ابن ثابت: هو شاعر النبي.

يا سعوداً حملتَ نجداً الينا وقرأنا الحجاز في عنوانه
 وشهدنا عبد العزيز فتياً يوم صدر البطاح مرج حصانه
 قد رأينا العظيم في السلم لثياً فعرفنا ما كان يوم طعانه
 بارق العزم بين عينيه لَمَّاحٌ، وبجر السخاء في أردانه 640
 ورواك الأرز الفصيح قصيداً فأصاخ الزمان في أغصانه
 موطن الحسن والبطولات، كان الحب معنى بقاءه وكيانه
 يكمه المرء ما نأى الحب عنه كل طرف سنه من إنسانه
 عيسويوه ساقوا مسلميه فيك من قسه الى مطرانه
 فرأيت الشيوخ في بهجة العيد، يؤمون منتدى كهانه
 يعريئون مهجة أو لساناً ولسان الإنسان من أوطانه
 نظروا فيك عاهلاً عربياً تجمع الأبعدين رفعة شانه
 يهرع المجد نحو سديته وثباً، فما يستطيب غير مكانه
 تربه المجد، هزه وهو طفل في مدار الأعراف غض بنانه
 فتبناه يوم شب على الحرب، فكان العجاج في ميدانه 650
 ودوياً في سيفه ومضاه أين منه الرعود في إرثانه
 وعسولاً للرُمح في الكر، حين الرمح يرتد كعبه لسانه
 تربه المجد يوم رباه نسر قشعم راضه على طيرانه

١ يكه: يعى. وانسان العين: سوادها. ٢ عل الرمح عولا: اي اضرب واهتر
 اعتازاً شديداً.

وَخَدِينُ إِذَا اسْتَحَرَّ وَطَيْسُ تَسْتَحِمُّ الْأَبْطَالُ فِي مَعْمَعَانِهِ

...

يا ابن عبد العزيز شرفت عرشاً زَندُكَ الصلْبُ كان في أركانه
 قد تصدّيت للزمان فتياً مبصراً وجه غدره في ليانه
 فيك من سيفه المشطّب حدٌ ومرون الثقيف من مرّانه
 أنت جرّبتّه سلاماً وحرباً وثنيت العصي من حدّثانه
 شال أقيال يعرّب حاضِرُ العصر، فكنت الرجيح في ميزانه
 ٦٦٠ مرأفقُ العرب يا سعودُ يناديك، يُنادي النجيد من فرسانه
 - لِكِيانٍ يُوحّدُ الشعبَ حتى يفرّقُ الأجنبي من سلطانه
 منيةُ العرب أن يرى كلُّ حرٍّ أيّ فجٍّ للضاد من بلدانه
 هالك عهد الولاء، فأطرح الأمس، وجيلاً أطلّ في عدوانه
 وسواء شدا على النيل شادٍ واستزاد العراق من كروانه
 أو بوادي العقيق طرب قُمريّ فشف الهديل أملود بانه
 وتغنّى في زحلة البلبل الصبّ، وغيد الشأم في ندّمانه
 فالصدي واحدٌ وشمل الندامي أذن في غنائه وأفتنانه
 أملُ العرب مشرقٌ عربي يتجاهى الأحرار حول خوانه

تَتَأَخَى التَّيْجَانُ فِي جَوِّهِ الضَّاحِي، فَكَلُّ الرِّجَاءِ فِي تَيْجَانِهِ

...

- 670 مَلِكَ النِّجْدِ وَالْحِجَازِ سَلامٌ مِنْ رِوَايِ لِبْنَانَا وَعِثَانِهِ
- حَيْثُ لِلنَّجْمِ نَهْلَةٌ فِي الْعِشَايَا مِنْ رِيَّاحِينَ أَرْزِهِ وَلُبَانِهِ
 - وَلِتِلْكَ الْغَيُومِ، فِي السَّحَرِ الْهَادِي، بِيَاضُ الْفِرَاقِ مِنْ قِطْعَانِهِ
 - نَتَفُّ فِي الصَّرُودِ مُنْتَثِرَاتٌ كَانْتِثَارِ الدِّمَاقِ مِنْ حُمْلَانِهِ
 - وَيَحُطُّ الْغَمَامُ أَنَا عَلَى السَّفْحِ، وَأَنَا فِي التَّلِّ أَوْ سِنْدِيَانِهِ
 - بَيْنَ عَيْنِ تَقَطُّرِ الْمَاءِ لَحْنًا كَشَجِي الْغِنَاءِ مِنْ رَعِيَانِهِ
 - وَعَصَافِيرٍ فِي الصُّدَاحِ تُحَاكِي نَفَّاتِ الْبُكُورِ مِنْ حُمْلَانِهِ
 - حِينَ غَمَرُ الضَّبَابِ، فِي غُورِ «قَادِيشَا»، خَضَمٌ يَشْتَدُّ فِي طَغْيَانِهِ
 - يَتَعَالَى مَعَ الصَّبَاحِ فَعَيْنُ الشَّمْسِ غَيْرِي تَجُوسُ فِي شَطْلَانِهِ
 - زَادَهَا فِتْنَةً وَزَادَتْهُ حَسَنًا أَيْنَ وَهَجُ الْإِبْرِزِ مِنْ لَمْعَانِهِ
 - 680 فَكَانَ الشَّعَاعُ مِنْهَا لِعُرْسِ الْأَرْضِ تَاجٌ يَمْدُ مِنْ عَنُقْوَانِهِ
 - بَارَكْتُهُ يَدُ الْعَلِيِّ فَأَجْرَتُهُ عَبِيرًا يَضُوعُ فِي أَفْنَانِهِ
 - يَحْضُنُ الْفَصْنَ بِاللَّالِي رِطَابًا ذَائِبَاتٍ مِنْ وَجْدِهِ وَحَنَانِهِ

...

مَلِكَ النِّجْدِ وَالْحِجَازِ سَلامٌ الْبَحْرِ مِنْ مَتْنِهِ إِلَى خَلْجَانِهِ

- وَهُوَ، مَا قَدْ عَرَفْتَ، أَوَّلُ ماءٍ كَانَتْ الْمُنَشَّاتُ مِنْ ضِيْفَانِهِ
- فَالسَّوَارِي مَرَاوِدُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، تَبَثُّ الْحَيَاةَ فِي أَجْفَانِهِ
- كَالْعَذَارَى أَيْقَظْنَ فِي الْقَلْبِ شِعْرًا فَإِذَا بِالْقَرِيضِ خَلَقُ حِسَانِهِ
مَا رَأَى الْيَمُّ قَبْلَنَا قَطُّ شَجْعَانًا تَرَوَعُ الْقُرَاسُ مِنْ حَيْثَانِهِ
- فَسَرَيْنَا عَلَيْهِ وَالْفُلُكُ جَذَعُ وَقَطَعْنَا الْمَدَى عَلَى شَجْعَانِهِ
- لَيْسَ مِنَّا يَوْمَ الْعُلَى مَا بَنَيْنَا أَيْ نِكْسٍ رَثَ الْفُؤَادِ جَبَانِهِ
690 لَمْ يُسَخَّرْ لَلْكَوْنِ خَلِجَةٌ حُبِّ أَوْ يُحْرَكُ يَدَا إِلَى عَمْرَانِهِ
- رَبَّنَا نُحْمَدُ الْمَرْوَةَ بَحْرًا جَبَلِيَّ الْأَمْوَاجِ فِي هَيْجَانِهِ
أَوْ تَكْفُ الْحَيْتَانِ وَهِيَ جِيَاعُ فَيَعْفُ التَّيْنِ عَنْ «يُونَانِهِ»^٢

...

- صَاحِبَ التَّاجِ وَالْقُلُوبِ دَعَا مِنْ حَمَانَا الْأَبْيَ، مِنْ أَعْنَانِهِ
- مِنْ بَهَاءِ الشُّيُوخِ فِي سُدَّةِ الْعَمْرِ، وَغَضِّ الشَّبَابِ مِنْ فِتْيَانِهِ
الْأَلَى جَرَّبُوا الزَّمَانَ فِتْيَا وَأَصْطَفَوْا بَيْنَ قَمَحِهِ وَزُرْؤَانِهِ
- صَاحِبَ التَّاجِ إِنْ ذَكَرَكَ فِي لَبْنَانَ صَنُوءِ الْعَبِيرِ مِنْ يَلْسَانِهِ
- حِجَّتُهُ فَالْقَصِيدُ خَمْرَةٌ فَنَّ عَتَقَ الشَّعْرُ طَيْبَهَا فِي دِنَانِهِ
- أَنْشَدَتْكَ السَّمَارُ إِلَّا جَرِيحًا أَدْرَجَتْهُ الْحَيَاةُ فِي أَكْفَانِهِ
- خَمْرُهُ فِي شَقَائِهِ يَحْتَسِيهَا نَاهِلًا مِنْ جِرَاحِهِ وَجَنَانِهِ
700 - فَكَأَنَّ الْمَبَاضِعَ الزُّرْقَ آلَتْ أَنْ تُرَوِّيَ الشَّفَارَ مِنْ أَرْجَوَانِهِ

- تارةً تنهشُ العظامَ فتبريها، وطوراً تغورُ في لحائه
 - زفر التخت والحديد ولم يزفر، كأنَّ الأوجاعَ من أخذانه
 - فإذا بالخطوب، وهيَ طهورٌ قد فصلنَ الجريحَ عن أحزانه
 - فتسامى عن الشكايةِ إلاَّ جذواتُ تناثرت من بيانه
 - مؤمناً أنَّ نعمةَ الله آلامٌ تُنقي الإنسانَ من أذرائه
 - فغدا وهو أتعسُ الناسَ حظاً أسعدَ البائسينَ في حرمانه
 ها هو الشاعرُ الذي شلَّه الداءُ فغبتُم عن سمِّه وعيانه
 فاستنابَ الفؤادَ فانطلقَ الشعرُ كعهدِ الشبابِ في إبانهِ
 ربُّ ثاورٍ على الشقاءِ كسيحٍ أتعبَ السابحينَ في ميدانه

709

7709

١٠٠
 ١٠١
 ١٠٢
 ١٠٣
 ١٠٤
 ١٠٥
 ١٠٦
 ١٠٧
 ١٠٨
 ١٠٩
 ١١٠
 ١١١
 ١١٢
 ١١٣
 ١١٤
 ١١٥
 ١١٦
 ١١٧
 ١١٨
 ١١٩
 ١٢٠

١٢١
 ١٢٢
 ١٢٣
 ١٢٤
 ١٢٥
 ١٢٦
 ١٢٧
 ١٢٨
 ١٢٩
 ١٣٠

١٣١
 ١٣٢
 ١٣٣
 ١٣٤
 ١٣٥
 ١٣٦
 ١٣٧
 ١٣٨
 ١٣٩
 ١٤٠
 ١٤١
 ١٤٢
 ١٤٣
 ١٤٤
 ١٤٥
 ١٤٦
 ١٤٧
 ١٤٨
 ١٤٩
 ١٥٠

١٥١
 ١٥٢
 ١٥٣
 ١٥٤
 ١٥٥
 ١٥٦
 ١٥٧
 ١٥٨
 ١٥٩
 ١٦٠

استدراك

في أثناء طبع هذه الملحة طرأ على صحة المؤلف اعتلال حال بينه وبين استدراك بعض المغالط التي تجتري بأهمها في ما يلي والمأري القطن تمصيل الباقي اليسير .

صفحة	سطر	خطاً	صواب	صفحة	سطر	خطاً	صواب
٥	١٧	أشارك	أشاطر	٣٦١	٧	بدءه	بدؤه
٢٦	١٩	حتى	إلى	٣٦١	١٠	توازي	توازي
٢٧	٤	خلق	خلق	٣٦٤	٨	العلا	العلى
٥٥	١٧	وأهلت	وتدلى	٣٦٦	٦	صغرى	ترهو
٧٧	٢	فيهل	فيهل	٣٧٥	١١	أم	أو
٨١	١٩	والحجال	والحجلان	٣٩٦	١٤	جذنا	جيدنا
١٦٥	٥	المقطر	المقطر	٤١٢	١٢	فلوف	فالوف
١٦٥	١٢	قطار	قنار	٤٦٩	١٢	لم يسر	لم يسر
١٩٣	٥	الناكين	الناكين	٤٧٥	١٢	عيشها	عيشها
٢٠٢	١٤	ولي السلام	عليهم سلاما	٥٠٩	١٣	البراة	البراة
٢٣٧	٥	بمخروق	بمخروق	٥٢٣	٨	على	عيش
٢٤١	١٢	بسم	بسم	٥٢٣	١٠	على	ذل
٢٥١	١٠	سمود	سمود	٥٢٦	٨	بندفا	بندفا
٢٥٩	١٢	بسطه	بسطه	٥٢٨	١١	اطراحا	اطراحا
٢٦٧	١٢	من ينو	من ينو	٥٣٨	١١	خالص	يخلص
٢٧٨	٥	من يخضب	من يروي	٥٤١	١٠	عنك	منك
٣١٤	١	تلقى	تلق	٥٦٦	٤	حجب	حجبا
٣١٦	٣	كل	كل	٥٦٦	٤	فترة	فترة
٣١٨	١٣	يؤاذي	يؤاذي	٥٨٧	٣	والنجوم	والنجوم
٣٥٠	٧	استبحا	استبحا				

Index

The following is a list of the names of the persons who have been members of the Society since its organization in 1851.

Year	Name	Year	Name
1851	John Smith	1852	John Smith
1853	John Smith	1854	John Smith
1855	John Smith	1856	John Smith
1857	John Smith	1858	John Smith
1859	John Smith	1860	John Smith
1861	John Smith	1862	John Smith
1863	John Smith	1864	John Smith
1865	John Smith	1866	John Smith
1867	John Smith	1868	John Smith
1869	John Smith	1870	John Smith
1871	John Smith	1872	John Smith
1873	John Smith	1874	John Smith
1875	John Smith	1876	John Smith
1877	John Smith	1878	John Smith
1879	John Smith	1880	John Smith
1881	John Smith	1882	John Smith
1883	John Smith	1884	John Smith
1885	John Smith	1886	John Smith
1887	John Smith	1888	John Smith
1889	John Smith	1890	John Smith
1891	John Smith	1892	John Smith
1893	John Smith	1894	John Smith
1895	John Smith	1896	John Smith
1897	John Smith	1898	John Smith
1899	John Smith	1900	John Smith

فهرست

صفحة	مقدمة
١	في الشعر الملحمي
١٥	الحقيقة في الخيال
٤٢	احلام الجزيرة
٤٨	الوهابية
٦٨	سعود الكبير
٧٧	الانحدار
٨٦	فيصل
٩٦	اولاد فيصل
١٠٥	الانبياء
١٢١	قبس في الدجى
١٣٢	الطفولة
١٤١	الى المنى
١٥٤	في بني مرة
١٦٥	في الكويت
١٧٨	الضريف
١٨٨	واحة جبرين
١٩٨	عيد الرياض
٢١٠	الخروج والقصم
٢٣٠	البكيرية
٢٤٦	

صفحة	
٢٦٣	مصرع النسر
٢٧٩	تعددت الاعداء
٣٠٧	البطل الدولي
٣٢٨	يوم جراب
٣٤٢	العجبان
٣٦٤	بطل الحضارة
٣٨٠	غيوم في الجو
٣٩٣	نشوة الظافر
٤٠٢	وقيعة تربة
٤١٥	حصار حایل
٤٢٩	فتح حایل
٤٣٩	عسير
٤٥١	خطر النشوة
٤٦٢	الحجاز
٤٨٤	الى مكة
٥٢٢	في مكة
٥٣١	الملك عبد العزيز
٥٤٧	ثورة الاخوان
٥٦٦	اليمن
٥٨٠	النسر يتوارى
٥٨٧	تحية لبنان الى الملك سعود

للمؤلف

علي والحسين نفدت

فلسطين وأخواتها

الأمير بشير

مذكرات جريح

ملحمة عيد الغدير

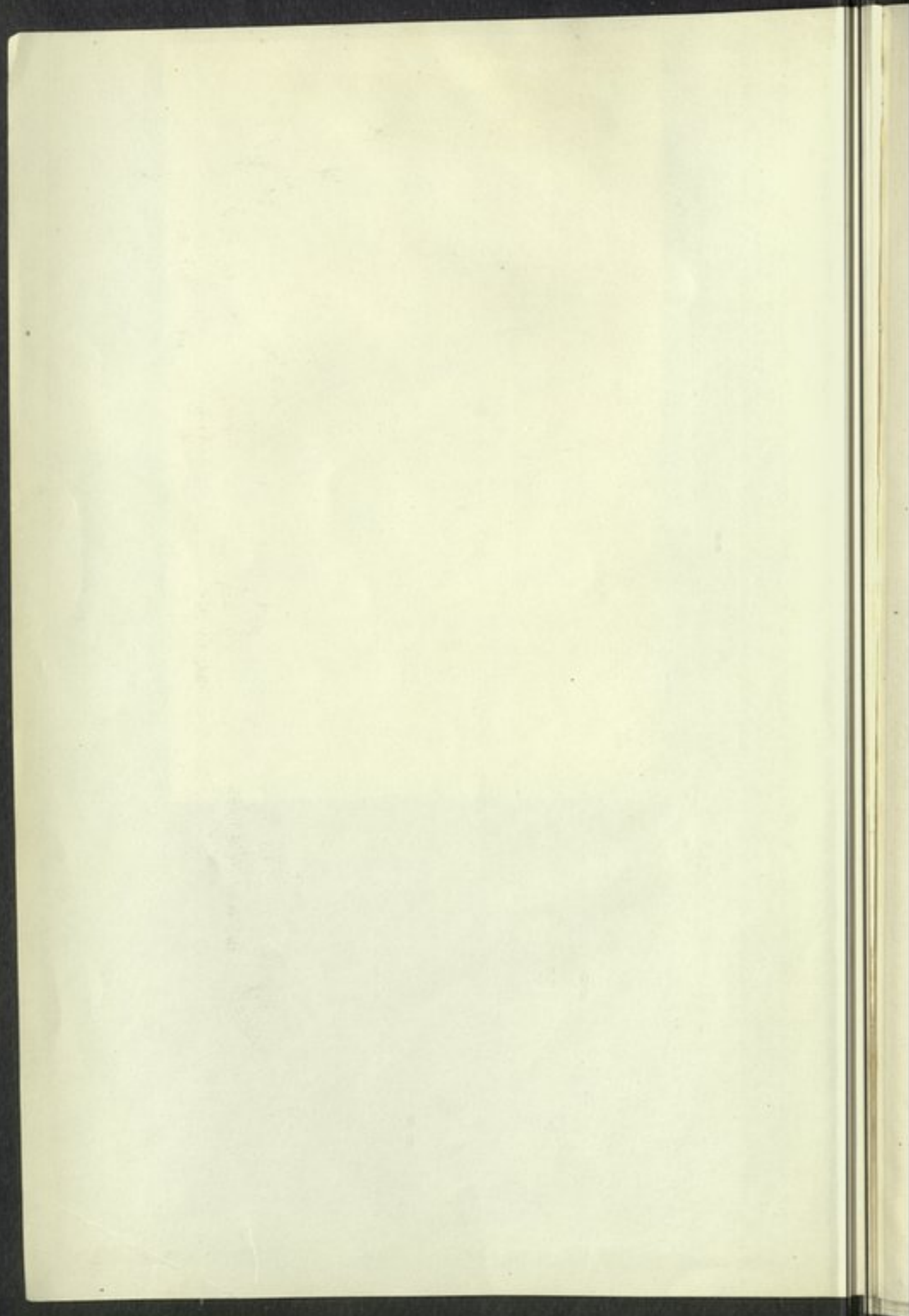
حديث العشيّة

الصراع في الوجود

تم طبع هذه الملحة في المطبعة البولسية - حريصا
وذلك في العشرين من ربيع الثاني سنة ١٣٧٥
الموافق الخامس من ديسمبر سنة ١٩٥٥

وعدد نسخ هذه الطبعة ١٢٠٠
جلد منها خمسون غير معدة للبيع

مرفوعة من ١ - ٥٠



DATE DUE



سلامه ،بولس
ملحمة عيد الرياض

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01035667



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

